دكتور رشيد الناضوري
M.A. PH.D. - شيكاغو
استاذ التاريخ القديم بجامعة الاسكندرية

المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في

جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا

الكتاب الأول

مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي
من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالث ق.م.

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ص. ب ٧٤٩

جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا

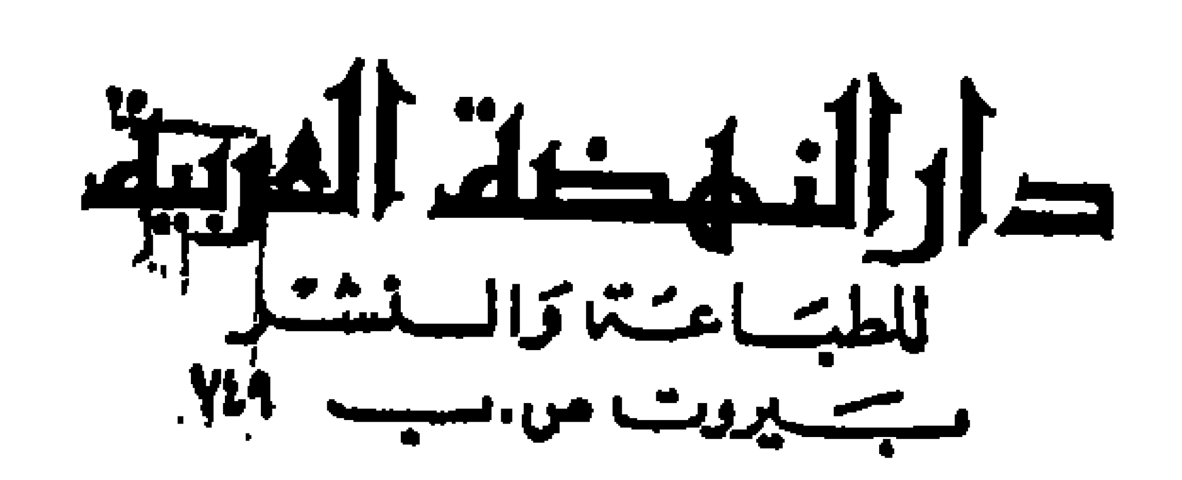
دكتور رشيد الناضوري
M.A. PH.D. - شيكاغو

المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في

جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا

الكتاب الأول

مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي
من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالث ق.م.



بسم الله الرحمن الرحيم

تتجه الدراسات المعاصرة في علوم التاريخ القديم والآثار والجغرافيا التاريخية والأنثروبولوجيا إلى زيادة الاهتمام بمنطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا وهي المنطقة التي تمتد من نهر السند شرقاً إلى بحر ايجه وشمال افريقيا غرباً ، ومن بحر قزوين والبحر الأسود شمالاً إلى اليمن والسودان جنوباً (١) . وذلك يرجع إلى أولوية الإنتاج المستقر المعنوي والمادي في هذا الجزء من العالم قبل أية منطقة أخرى . وقد اعترف العلماء بهذه الأسبقية على حضارات الشرق الأقصى القديم والهنود الحمر في الامريكتين وكذا اليونان والرومان ، ولذلك اتجهت دراساتهم الأثرية إلى تلك المنطقة من العالم محاولين البحث والتنقيب عن الأصول الأولى للحضارة الإنسانية في المرحلة الحاسمة من تطورها وهي مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي ، وتتضمن العصر الحجري الحديث وعصر الحجر والنحاس وعصور ما قبل الاسرات والألف الثالث ق. م.

وفي بداية الأمر كان الإتجاه إلى اعتبار كل إقليم من هذه المنطقة مستقلاً كلياً

(١) استخدم العلماء عدة تسميات لهذه المنطقة ، فهناك تعبير الشرق الأدنى القديم ، وتعبير الشرق الأوسط وتعبير غربي آسيا أو جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا. ويمكن القول أنه قد أصبح تقليداً بين البحاث أن تعبير الشرق الأدنى القديم هو التعبير الشامل لأجزاء هذه المنطقة متضمناً مصر ، وأن تعبير جنوب غربي آسيا يشمل الشرق الأدنى القديم دون مصر .

عن الآخر من النواحي الحضارية والسياسية ، ولكن البحث والدراسة دلت على اتصال أجزاء هذه المنطقة اتصالاً كبيراً في غالبية عصورها المختلفة وفي علاقاتها الاقتصادية والحضارية والسياسية . ولذلك اتجهت الدراسات الحديثة إلى عمل نوع من التحليل الموضوعي المقارن للنتائج التي خرج بها العلماء بعد دراسة كل إقليم فيها على حدة . والهدف من ذلك مقارنة نتاج حضارات هذه المنطقة وتتبع مدى اتصال أجزائها ببعض ، وكذا عمل دراسة تحليلية لمدى أصالتها وذلك على ضوء هذه الدراسات المقارنة ، مع عدم إغفال أهمية المقومات المحلية لكل حضارة من هذه الحضارات . ويلاحظ الدارس في تاريخ مصر الفرعوني على سبيل المثال أنه على الرغم من احتفاظ هذه المدنية المصرية بطابعها المحلي إلا أنها قد مرت في بعض عصورها بفترات زاد فيها الاتصال بينها وبين دول جنوب غربي آسيا ؛ وكان لذلك الاتصال نتائجه المباشرة وغير المباشرة في تاريخها . ويمكن القول أيضاً أنه فيما يتعلق بتاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، أن هذا التاريخ مرتبط كل الارتباط بتاريخ القوى المحيطة بهذه المنطقة كمصر ودولة حاتي في الاناضول وكذلك دول البابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس ، وكذلك يتصل تاريخ شمال افريقيا اتصالاً وثيقاً بتاريخ الشرق الأدنى القديم في العصرين الفينيقي والقرطاجي . والحقيقة أن أجزاء هذه المنطقة متصل بعضها بالبعض الآخر في كافة العصور القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة .

ومن الأهمية أيضاً أن يدرك الباحث أن منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا التي تكوّن في مجموعة اتصالات أقاليمها ومظاهرها الحضارية المشتركة وحدة حضارية لها طبيعتها وظروفها الخاصة تمثل مجالاً حضارياً في غربي آسيا وشمال افريقيا يناظر مجالاً حضارياً آخر لا يقل أهمية عن هذا المجال وذلك في الشرق الأقصى (شرق آسيا) وقد حاول بعض المؤرخين إيجاد صلة بين المنطقتين الحضاريتين غربي آسيا وشرقيها ولا يزال هذا الموضوع مجال البحث لحاجته لعدد

من الدراسات المقارنة بين الأدلة الأثرية المختلفة في كلا المنطقتين ، وحاجته أيضاً إلى عدد من الحفائر في المنطقة الواقعة بينهما في جنوب ووسط آسيا وخاصة في المناطق المحيطة ببحر قزوين وبحر أورال ومنطقة القوقاز .

وبناء على ذلك كله اتجه ذهن الكاتب إلى تقديم نوع من هذه الدراسات المقارنة في تلك المنطقة. وقد انصب اهتمام الدارس بصفة خاصة على كل من مصر وبلاد الرافدين لأنهما يمثلان المحورين الرئيسيين في تاريخ وحضارة المنطقة ، ونظراً لكثرة الموضوعات التاريخية والأثرية والحضارية المادية والمعنوية المتصلة بدول جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا يقتصر الكاتب على بعض الموضوعات الأساسية ذات الطابع الحضاري والأثري من ناحية ، والصبغة الاقتصادية والسياسية من ناحية أخرى . ويبدأ الكاتب هذه الموضوعات بموضوع دراسة مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي في المنطقة منذ العصر الحجري الحديث حتى حوالي نهاية الألف الثالث ق.م. ويتضمن ذلك دراسة الأصول الأولى في الانتقال بالمجتمع الإنساني إلى مرحلة الإنتاج الزراعي والتصنيع والاستقرار الحضاري والسياسي وأيضاً تتبع أسباب ونتائج توصله إلى هذه الخطوات الهامة في حياته ، وفي الكتاب الثاني يعرض الكاتب دراسة مرحلة الانتشار السياسي والحضاري في المنطقة أثناء الألفين الثاني والأول ق.م ويبحث الكتاب الثالث عن التطور التاريخي للفكر الديني كمظهر رئيسي في حضارة المنطقة .

واهم عنصر حيوى وابدي في تاريخ الانسان في منطقة الشرق الادنى القديم هو نزول الديانات السماوية الخالدة ، اليهودية والمسيحيه والاسلام بوحي من الله سبحانه وتعالى لرسله الكرام موسى وعيسى عليهم السلام واخيرا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . هذا بالاضافة الى انبياء الله الكرام ورسله العظام لاقوامهم وشعوبهم في الشرق الادنى القديم بل وللانسانية جمعاء

مثل نوح وابراهيم وشعيب وصالح وهود وانبياء بني اسرائيل . ولذلك فتاريخ الشرق الادنى القديم عامر بالاحداث التاريخية وجاءت حكمة الله سبحانه وتعالى ان صحح فكر الانسان ووجهه الى الوجهة النموذجية الشرعية .

والحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على اخر الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله

المؤلف

بيروت في آب سنة ١٩٧٧ م

رمضان سنة ١٣٩٧ هـ

موضوعات الكتاب الأول

الباب الأول

مرحلة التكوين الحضاري والسياسي في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا من العصر الحجري الحديث حتى بداية العصر التاريخي .

الفصل الأول : مقدمة عن بعض جوانب الانتاج الحضاري في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا مع الاحاطة ببعض المصادر الرئيسيه .

الفصل الثاني : الإنسان والبيئة قبل عملية انتاج الطعام .

الإنسان – البيئة – مراحل التطور الحضاري – طرق التقويم الزمني – مرحلة جمع الطعام .

الفصل الثالث : عملية إنتاج الطعام في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا .

أ – كيفية وأسباب قيام عملية إنتاج الطعام .

ب – الحضارة النطوفية .

ج – الانتقال إلى مرحلة إنتاج الطعام ونشأة المجتمعات المستقرة .

د – العصر الحجري الحديث في مصر والعراق وفلسطين والأردن وسوريا ولبنان والهضبة الإيرانية والسند والمغرب .

هـ – دراسة مقارنة لنتاج حضارات العصر الحجري الحديث في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا .

الفصل الرابع : التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي السابق للعصر التاريخي في المنطقة .

أ – عصر الحجر والنحاس .

ب – عصور ما قبل الأسرات الأولى .

جـ – عصور ما قبيل الأسرات .

د – معالم عملية النقلة إلى بداية العصر التاريخي .

هـ – نتائج التحليل الموضوعي المقارن في المراحل السابقة للعصر التاريخي .

الباب الثاني

مرحلة التشكيل الحضاري والسياسي في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا اثناء الألف الثالث ق.م.

الفصل الأول : شكل التنظيم السياسي في المنطقة .

الفصل الثاني : شكل التنظيم الحضاري في المنطقة .

الفصل الثالث : تحليل موضوعي مقارن بين مجتمعات المنطقة في مرحلة التشكيل الحضاري والسياسي اثناء الألف الثالث ق.م.

الباب الأول

مرحلة التكوين الحضاري والسياسي في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا من العصر الحجري الحديث حتى بداية العصر التاريخي

تعتبر هذه المرحلة من المقومات الاساسية في تاريخ الإنسان لأنها تتضمن الخطوات الفعالة في صنع حياته المستقرة سواء أكان ذلك في المجال الاقتصادي أوالاجتماعي أوالسياسي أو الديني . وقد نجح إنسان المنطقة موضوع الدراسة في تحقيق تكوين أسس حياته السياسية والحضارية مما دفعه إلى الانتقال والتطور نحو المراحل التالية . وتتجسم هذه المرحلة بصفة خاصة في جهود الإنسان في ثلاث مراكز في المنطقة وهي مصر والعراق وفلسطين . ويقوم الإنسان ببقية اجزاء المنطقة بجهود متفوقة ولكنها لا تصل إلى الأولوية مثل الأقاليم الثلاثة السالفة الذكر . ويمكن تقسيم دراسة هذه المرحلة إلى اربعة موضوعات تتضمن الإحاطة بحياة الإنسان في الفترات السابقة لانتاجه المستقر ثم عملية الاستقرار وكيفية حدوثها ثم التكوين والتشكيل الحضاري في كافة اجزاء المنطقة في تلك الفترة .

الفصل الأول

مقدمة عن بعض جوانب الانتاج الحضاري في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقية مع الاحاطة ببعض المصادر الرئيسية

صنع الإنســـان في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا الأصـــول الأولى للحضارة الانسانية في كافة مجالاتها المادية والمعنوية في مرحلة إنتاج الطعام حيث تمكن من التوصل إلى الزراعة وبناء القرى بكافـــة أقسامها الحيوية. واستمرت هذه المنطقة في أداء هذا الدور الاصيل في تكوين وانشاء معالم الحضارة الانسانية حتى وصلت إلى مرحلة النضوج والتفوق في نهاية عصور ما قبل التاريخ ، وبصفة خاصة في المرحلة المعروفة تقويمياً باسم عصور ما قبل وقبيل الأسرات أو ما قبل وقبيل الكتابة . ولم يكن توصل الانسان في هذه المنطقة إلى هذا المستوى العالي من التفكير والانتاج منبعثاً من تفوقه البشري بل كان نابعاً من تجاربه المحلية ومتأثراً بامكانيات البيئة التي يقطن فيها ومستفيداً من تجاربه المتعددة في كفاحه مع البيئة أثناء فترة الانتقال من حياته غير المستقرة إلى حياة الاستقرار والانتاج،وقد بدأ الانسان في هذه المنطقة يبذل مجهوداً ضخماً في سبيل التوصل إلى مرحلة الاستقرار حوالي ٥٠٠٠ ق.م. في المتوسط ونجح في إقامة قرى مستقرة في كافة مناطق الشرق الادنى القديم ، وبدأ في اختراع

الصناعات اللازمة لحياتـــه المستقرة الجديدة . وكان تفكيره المنبثق من صميم بيئته يحمل معنى الخلق والاختراع والاجتهاد أكثر من معنى النقل والتكرار ويعتمد المؤرخ في تدعيم ذلك على مختلف الأدلة الاثرية الكثيرة التي عثر عليها علماء الآثار في قرى مجتمعات الفيوم أ ومرمدة بني سلامة ودير تاسا وحلوان العمري في مصر وملفعات وجرمو وتل حسونة في شمال العراق وسيالك I وباكون ب I في الهضبة الايرانية والعمق أ ، ب في شمال سوريا وبيبلوس (جبيل) في لبنان وجريكو (أريحا) p في فلسطين . لذلك اتجه العلماء إلى اعتبار هذه الخطوة الجديدة في حياة الانسان بمثابة ثورة في حياته الاقتصادية والاجتماعية وقد اتسع أفق تفكير الإنسان في هذه المنطقة بعد توصله إلى الزراعة والاستقرار . وبدأ في البحث عن إمكانيات أوسع نطاقاً من إمكانياته المحلية ، واستلزم ذلك إيجاد وسائل الاتصال بينه وبين المجتمعات المجاورة والبعيدة عنه فدفعه تفكيره المبتكر إلى خلق وصنع ما يلزمه نحو تيسير وسائل المواصلات وما تحتاج إليه من معرفة فنية بطرق الصناعة وادراك الصعاب المختلفة التي يقابلها العمال في مراحل الابتكار هذه . وعلى الرغم من ثبوت قدرة الانسان في هذه المنطقة على التوصل إلى هذا المستوى المتقدم إلا أنه قد اختلف مجهوده في اجزائها حسب ظروف بيئته المحلية ومقوماتها المختلفة المؤثرة في حياته وكذلك مدى استغلاله لها ، ونتج عن ذلك تنوع الانتاج الحضاري في كافة أجزاء هذه المنطقة ، ولكن ذلك لم يمنع من توصله فيها إلى مستوى متقدم في الحضارة في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الانسان المستقر .

ولم يقتصر مجهود الانسان على انتاجه المادي وعلى توفير حاجاته الضرورية اللازمة للمحافظة على كيانه الدنيوي بل لقد بذل الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم ابتداء من مرحلة الاستقرار وانتاج الطعام مجهوداً قيماً في نواحي التفكير المتعلق بمصيره بعد الموت وفي نواحي إيجاد نوع من الترابط بين حياته

الدنيوية والعالم الآخر ، مما يؤكد جمعه بين حاجياته المادية واستقراره المعنوي. والحقيقة أن الانسان في هذه المنطقة كان ثاقب النظر إزاء ما جرى له من تجارب وأحداث فهو لم يقتصر على ملاحظة حقيقة الثروة الطينية التي تقذف بها الأنهار كل عام على الجانبين وما ينتج عنها من انبثاق الحياة الزراعية بصورتها البرية ، بل كان يدرك ويحاول أن يتفهم القوى الدافعة لهذه الثروات التي تأتي بصورة دورية كل عام في بعض أجزاء هذه المنطقة . حاول الانسان أن يتفهم مغزى حياته على ظهر الارض وحاول أن يجد علاقة بين دورة الحياة النباتية ودورة الحياة الحيوانية ودورة الحياة الانسانية ودورة حياة بعض الأنهار وبعض الكواكب والمظاهر الطبيعية المختلفة . حاول الانسان أن يجد صلة بين هذه الظواهر الكائنة في هذا الكون ، وبدأ بالتوصل إلى الزراعة والى اكتشاف حقيقة دورة الحياة في النبات وتبع ذلك اختراعه للصناعات الزراعية المكملة لحياته المستقرة ، بمختلف مطالبها من تخزين وتسويق وغير ذلك . ولاحظ أثناء هذه العمليات المختلفة وجود صلة بين حياة الانسان وحياة النبات وحياة الحيوان وحياة بعض الظواهر الطبيعية في البيئة التي يعيش فيها ، فجميعها تحمل ظاهرة الولادة والنمو والازدهار ثم النهاية والموت . أدرك ذلك بصورة عملية جعلته يؤمن أن مصيره في العالم الآخر ، وأن حياته لا تنتهي بمجرد موته بل تستمر في العالم الآخر . وقد ظهر ايمانه بهذه الاصول المعنوية الاولى بصورة عملية في الأدلة الاثرية المختلفة وخاصة المقابر المزودة بحاجاته اللازمة له في حياته في العالم الآخر .

وقد نجح الانسان في هذه المنطقة أيضاً في وضع بعض المبادىء والقيم الاجتماعية المرتبطة ارتباطاً كلياً بحياته الزراعية المستقرة الجديدة . ومن أولى هذه المبادىء مبدأ التعاون بمعنى تعاون افراد المجتمع لهدف واحد . وقد استوجب التوصل إلى مرحلة الزراعة والتحكم في مياه الأنهار اللازمة للحياة الزراعية الجديدة تعاون وتضافر أفراد المجتمع لتحقيق هذا الغرض . وقد تبع

ذلك ايضاً توصل الانسان إلى مبدأ آخر لا تقل أهميته عن المبدأ السابق وهو مبدأ التخصص في العمل،وضرورة وجود طبقات من العمال المتخصصين في صناعات وحرف مختلفة تتناسب مع طبيعة الحياة الزراعية والصناعية الجديدة . وأدى ذلك إلى ضرورة تنظيم هذه المجتمعات الجديدة ليس فقط في النواحي الاجتماعية والصناعية والاقتصادية، بل وأيضاً من الناحية السياسية . ويصعب على المؤرخ التعرف على نوع التنظيم السياسي المبكر في تلك المجتمعات الاولى في مرحلة العصر الحجري الحديث وهي مرحلة انتاج الطعام وذلك لعدم وجود أدلة مكتوبة تبين تفاصيل هذا النوع من التنظيم . ولكن تنظيم القرية الذي ظهر في حفائر مرمدة بني سلامة على سبيل المثال، من ناحية تقسيمها إلى منازل وعمل الطرق الموصلة بينها ليثبت توصل مجتمعات العصر الحجري الحديث إلى نوع من التنظيم والتنسيق الاجتماعي بين أفراد القرية مما يؤهل نحو تنظيم اكثر تطوراً في المجال السياسي في المجتمعات التالية.ويجدر بالدارس لهذا الموضوع أن يذكر أن مراحل التطور المختلفة التي يلمسها في بداية العصر التاريخي في منطقة الشرق الادنى القديم قد بدأت في المرحلة التي سبقت العصر التاريخي ابتداء من مرحلة العصر الحجري الحديث.ولذلك يعتبر هذا العصر الاخير من أهم مراحل التكوين الاولى للمبادىء والقيم المختلفة التي نضجت وتطورت إلى مستواها العالي في بداية العصر التاريخي . كما أن هذا التطور لم يحدث دفعة واحدة بل لقد استلزم ذلك نمواً تدريجياً بعد مواجهة الانسان لعدد من التجارب المختلفة التي تبلورت اخيراً قرب نهاية عصور ما قبل الأسرات وفي بداية العصر التاريخي نحـــو الاستقرار السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي في صورة عدد من المبادىء والقيم التي أصبحت دعامة أساسية قامت عليها حضارات ومدنيات منطقة الشرق الأدنى القديم . فالمؤرخ يلاحظ بصورة واضحة أن الأسس والقيم التي قامت عليها المدنية في منطقة الشرق الادنى القديم قد تكونت وتبلورت أصولها في المرحلة

السابقة للعصر التاريخي وتتضمن العصر الحجري الحـــديث وعصر استخدام الحجر والنحاس وعصور ما قبل وقبيل الأسرات ، كما يلاحظ المؤرخ أن التراث الحضاري والسياسي والديني في أثناء العصر التاريخي وبصفة خاصة في بداية العصر التاريخي أي في بداية الألف الثالث ق. م. قد وضح فيه معنى التطور والتقدم بدرجة تؤكد أن أصوله قد تكونت في المرحلة السابقة للعصر التاريخي . ويمكن تطبيق هذه الحقيقة على التراث الديني الشامل لأساطير الخلق وبعض عناصر الدين الرئيسية من ناحية نشأة العبادات الالهية وبناء المعابد وعلاقاتها بالمجتمع ؛ وأيضاً من ناحية التراث السياسي المتضمن نظام الحكم سواء كان ذلك نظاماً ملكياً إلهياً أو ديمقراطياً أولياً غير إلهي وذلك في حكومـــة مدينة أو حكومة دولة . وقـــد نضج التطور المادي والمعنوي في مرحلة التكوين هذه وبصفة خاصة في المرحلة السابقة مباشرة لبداية العصر التاريخي في منطقـــة الشرق الأدنى القديم ، لدرجة دفعت الإنسان في هذه المنطقة نحو خلق عنصر حيوي جديد لازم لاستكمال مطالب الحيـــاة الانسانية المختلفة ومرتبط بصميم الحياة الاقتصادية ومكمل لها ، هذا العنصر هو التوصل إلى التعبير بالكتابة لأول مرة في حياة الانسان على ظهر الأرض . ويعتبر هذا الاختراع الجديد من أهم الأصول التي قدمتها منطقة الشرق الأدنى القديم إلى الانسانية .

وفي مجال الانتاج المادي تفوق الإنسان في هذه المنطقة تفوقاً ملحوظاً منذ البداية ، وقد ارتبط ذلك ارتباطاً وثيقاً بالمبادئ والقيم التي آمن بها . وكان التطور المادي وخاصة في ناحية النحت والنقش معبراً تعبيراً مادياً عن مبادئه وقيمه . أما فيما يتعلق بالصناعات فقد قام الإنسان في هذه المنطقة باختراع عدد كبير من الصناعات المتصلة اتصالا وثيقاً بحياته الزراعية الجديـــدة ، صناعات حجرية وفخارية ، وصناعات عظمية وخشبية ، وأخيراً صناعات نحاسية مما مهد نحو نمو المجتمع من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وساعد على وجود طبقات من

العمال المتخصصين في كافة هذه الصناعات. وقد كان لذلك أثره في الانتقال بحياة الإنسان من مجتمعات ما قبل التاريخ في مرحلتها الأخيرة إلى مجتمع جديد ساد فيه الاستقرار المادي والمعنوي . ومن أهم المظاهر التي نجح الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم في عملها هي بناء المنازل الأحياء ومنازل الأموات (المقابر) منذ العصر الحجري الحديث . وقد بدأ عملية البناء بالتعرف عن طريق التجربة على أهمية الطين كمادة يمكن تشكيلها على هيئة كتل طينية مراصة تكون حائطاً وبالتالي منزلاً ويعتبر ذلك استغلالاً ناجحاً للبيئة . وقد تطورت هذه الصناعة إلى طرق أحدث بتوصلها إلى صناعة الآجر (القرميد) المنتظم. كما تطورت العمارة في أثناء العصر التاريخي تطوراً ضخماً باستخدام الأحجار الجيرية والرملية والجرانيتية وغيرها . ولا يقتصر مجهود الانسان في تلك الصناعات على مجرد التوصل إليها بل إن كل صناعة منها تحتاج إلى عدد من العمال الاخصائيين في طرق صناعتها، وتحتاج أيضاً إلى عمليات تنظيمية هامة لاستغلال المحاجر ولتنظيم نقل الأحجار إلى أماكن البناء ، ولا يزال الانتاج المعماري الضخم الذي خلفته مدنيات منطقة الشرق الأدنى القديم واضحاً للعيان حتى الوقت الحاضر . ومن أهم الصناعات التي نبغ الانسان في عملها منذ مرحلة الاستقرار صناعة الأواني الفخارية . وقد ساعدت كثرة تلك الأواني وتنوع صناعتها وشكلها على إعطاء المؤرخ مادة أثرية ضخمة تعاونه في دراسة التطورات الصناعية في العصور المختلفة وبالتالي تقويم أزمنة تلك العصور .

ونتج عن ذلك المجهود الضخم الذي تمكن الانسان من عمله في تلك المراحل السابقة للعصر التاريخي والتي تبلورت بتوصله إلى بداية التعبير بالرموز قرب نهاية عصور ما قبل الأسرات، أن قفز الانسان بحياته إلى مرحلة أخرى هي العصر التاريخي . وقد بدأ الانسان فيها حياة جديدة مستقرة من النواحي السياسية والدينية والاجتماعية وكذا من النواحي المادية . ولو أن ذلك الاستقرار وتلك

الحياة الجديدة لم تنبثق في كافة مناطق الشرق الأدنى القـديم بنفس المستوى الحضاري الواحد وذلـك لأسباب بيئية ومحلية مختلفة ولكنها برزت بصفة خاصة في كل من مصر والعراق القديم بصورة متقاربة مع احتفاظ كل منهما بطابعه الحضاري الخاص، مما جعل المؤرخ يعتبرهما بمثابة المحورين الرئيسيين آنذاك في هذه المنطقة . وقد ترك المصريون والسومريون والأكديون والبابليون عدة أدلة أثرية تحمل معاني التفوق والتطور في كل منهما ومع ذلك فلا يمكن للمؤرخ أن ينكر الدور الذي قامت به كل من سوريا ولبنان وفلسطين والأناضول وايران وشبه الجزيرة العربية والنوبة في المجال الحضاري أثناء العصر التاريخي .

وقد نجحت هذه المنطقة في تقديم عدد مـن العناصر الحضارية الرئيسية إلى الانسانية قبل اليونان والرومان بمئات السنين ، وذلـــك في مجال تطور الفكر السياسي ونظام الحكم والتوصل إلى نوع من الديمقراطية البدائية . وفي مجال التفكير الديني نضج ذلك الفكر ووصل إلى أعلى مستوى في الوجود بفضل الله سبحانه وتعالى بأن أوحى إلى رسله وانبيائه الكرام بالرسالات السماوية الخالدة اليهودية المسيحية وأخيراً الاسلام على يد محمد رسول الله ﷺ ، وقد حاول الانسان البحث عن الحقيقة وتوصل إلى مرحلة قريبة من الوحدانية في الثورة الآتونية . هذا بجانب الأدب الديني والسومري والبابـلي والحيثي والفينيقي والآشوري والفارسي الأكسيني وكذلك التفكير والاعتقاد في الحياة الأخرى وفي مصير الانسان بعد الموت . وقد قدمت مدنيات هذه المنطقة أصول التطور العلمي والفني بمختلف أقسامه متضمناً علوم الفلك والهندسة والطب والكيمياء وغيرها مما كان له أثره في نقل حياته نحو مرحلة أكثر تقدماً في العصور التالية . والحقيقة الأولى التي يجدر بمؤرخ هذه المنطقة أن يسجلها هي أولويتها على كافة مناطق العالم في التعرف على ذلك التراث المعنوي والمادي .

ومن الظواهر الواضحة في الدراسة التاريخية ضخامة التراث الانساني في كافة انحاء العالم في المجالات المادية والفكرية مما استدعى ضرورة مضاعفة الجهود العلمية في سبيل محاولة الوصول إلى الحقيقة . ولما كانت وظيفة المؤرخ الاساسية

هي تحري الحقيقة المستندة على الأدلة والبراهين أو على الأقل محاولة الوصول إلى إمكانية أو احتمالية حدوث هذه الحقيقة سواء أكانت في المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية ، أصبح من اللازم الرجــوع إلى المصادر الأصلية أي المخلفات الأولى للانسان والتي تتصف بأصالتها وأولويتها التاريخية على المصادر المتأخرة زمنياً عليها . ولكن هذه المصادر الأصلية تستلزم كفاءات علمية تساعد على محاولة تفهم فحواها بل والشعور بالأهداف الحقيقية التي أراد أصحابها التعبير عنها سواء كان ذلك بالنصوص المدونة في البرديات أو على جدران المعابد والمقابر واللوحات الطينية والتوابيت الحجرية والخشبية وكافة مظاهر الانتاج الخاص والعام ، أو في مختلف ظواهر التعبير الفني في العمارة أو النحت أو النقش . ومن الاهمية بمكان القيام بعملية الدراسة الحرفية والموضوعية لما تتضمنه كافة جوانب هذه التركة الأثرية في مختلف العصور والمواقع ، وعمل نوع من الدراسة المقارنة للآثار والنصوص المعاصرة في نفس الاقليم أو ما يتصل به من أقاليم أخرى حتى يمكن محاولة استخلاص أو استنباط الحقيقة من إيجاد نوع من الاتصال أو وجه الشبه المباشر أو غير المباشر بين آثار تلك الأقاليم .

ويمكن تصنيف هذه المصادر إلى عدة أقسام – أولها التقارير العلمية الخاصة بحفائر الباحثين في مختلف المواقع الأثرية وما تتضمنه من عرض ووصف ودراسة لهذه الآثار والنصوص . وتعتبر هذه التقارير ذات أسبقية خاصة لأنها تمثل وصفاً للمخلفات التي تركها الانسان القديم . ويتجه الدارس بعد ذلك إلى المصادر الكلاسيكية محاولاً التعرف على ما كتبه الرحالة والمؤرخون اليونان والرومان عن هذه المناطق وتراثها . وتتبين الحقائق التاريخية من مقارنة المصادر الأصلية بالمصادر الكلاسيكية . ويستكمل الدارس تعرفه على التراث القديم بمــا كتبه المؤرخون المسيحيون والعرب والمسلمون عن وصف هذه الآثار .

وتمتاز منطقة الشرق الأدنى القديم أيضاً بظهور الأديان اليهودية والمسيحية

والاسلام فيها وقد تعرضت هذه الديانات ذات الكتب المقدسه التوراة والانجيل والقرآن الكريم الى حياة الانسان في هذه المنطقه وتاريخه . وقد تضمنت نصوص هذه الكتب المقدسه الكثير من الاحداث التي قامت في هذه المنطقة • ويجدر بمؤرخ تاريخ وحضارة الشرق الادنى ان يعتمد على ما ذكرته نصوص الكتب المقدسه وعلى رأسها القرآن الكريم بجانب اعتماده على نصوص وآثار الانسان في هذه المنطقه ومن المسائل التي ذكرتها الكتب المقدسه وتهم الباحث في تاريخ وحضارة الشرق القديم موضوع الطوفان وكذلك قصص الانبياء نوح وابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وغيرهم ممن تتصل حياتهم اتصالاً وثيقا بتاريخ وحضارة هذه المنطقه . ويجب على المؤرخ الا يتجه اتجاهاً عاطفيا في تفسيراته للاحداث التاريخيه بل يعتمد على كلا المصدرين السماوى اولا ثم الانساني .

ومن المصادر التي تلقي بعض الضوء ولو بصورة غير مباشرة المخلفات الانثربولوجية الاجتماعية التي تظهر لحد ما في بعض التقاليد والعادات والأمثال والقصص والأغاني ، وذلك في بعض القرى والمجتمعات التي تحمل بعض الظواهر الاجتماعية القبلية وتحتفظ بظاهرة العصبية الاقليمية إلى حد ما فيما بينها. وتساعد هذه الدراسة في تفهم بعض مظاهر التراث القديم .

ومن ذلك يتبين أن مهمة المؤرخ ليست بالمهمة السهلة بما تستلزمه من مراعاة الدقة والحيطة والموضوعية والتركيز على جوانب التحليل الموضوعي والتكامل المستند على البراهين الواضحة والبعد عن النزعات العاطفية المتطرفة في التفسير التاريخي . ولذلك كان لجانب الدراسات المقارنة أهميته في محاولة الوصول إلى الحقائق المجردة بقدر الاستطاعة .

وفيما يلي بعض المصادر المتصلة بالحفائر بصفه خاصة في مناطق

الأناضول — السند — العراق — الكويت — المغرب — إيران — جنوب الجزيرة العربية — سوريا ولبنان — فلسطين والأردن — كريت — مصر .

المصادر

الاناضول :

1. BIALOR, P. A.,
   «The Chipped Stone Industry of Catal Hûyûk,» Anatolian Studies, 12 : 67 — 110, 1962.

2. BITTEL, K.,
   «Einige Idole aus Kleinasien,» Prâhistorische Zeitschrift, 34 — 35 : 135 — 44, 1949 — 50.

3. BLEGEN, C. W., et al.,
   Troy I, II, III, Princeton, 1950 — 53.

4. BOSSERT, T. H.,
   Th. Die Ausgrobungen auf den Karatepe, Erster Vorbericht Ankara, 1950.

5. DU PLAT TAYLOR, J., et al.,
   «The Excavations at Sakce Gôzû,» Iraq, 12:53 — 138, 1950.

6. FRENCH, D. H.;
   «Excavations at Can Hasan,» Anatolian Studies, 12, 13, 1962, 1963.

7. GARSTANG, J.,
   Prehistoric Mersin, Oxford, Oxford University Press, 1953.

« Second Interim Report on the Excavations at Ŝakje-Ĝeuz in North Syria, 1911», Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology, V, Parts I & II, 1917.

9. ——————————,

Third Report on the Excavations at Sakje-Geuzi, Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology, XXIV, Part 3.

10. GOLDMAN, H.,

«Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, American Journal of Archaeology .

XXXIX	(1935), p. 526 f.
XLI	(1937), p. 262 f.
XLII	(1938), p. 40 f.
XLIV	(1940), p. 60 f.
LIII	(1949), p. 46 f.

11. ——————————,

Excavations at Gozlu Kule, Tarsus, Vols. I and II. 1956.

12. Kônigliche Museum zu Berlin Mitteilungen aus den Orientalischen Sammlungen.

Heft XII.

HUMANN,C. UND KOLDEWEY,R.

Ausgrabungen in Sendschirli II. Ausgrabungsbericht und Architektur, Bericht ûber die erste Grabung, Berlin. 1898.

Heft XIII.

LUSCHAN, F. V.

Ausgrabungen in Sendschirli III, Thorskulpturen, Berlin. 1902.

Heft XIV.

LUSCHAN F. V. UND ANDERE, N.,
Ausgrabungen in Sendschirli IV, Bericht uber die 5. Grabung. 1902, Berlin. 1911.

Heft XV,

Ausgrabungen in Sand·chrili V Die Kleinfunde von Sendscherli, Berlin 1943.

13. KOSAY, H. Z.,

Les Fouilles d'Alac Hûyûk,
Rapport Préliminaire sur les Travaux en 1932-39,Ankara 1951.

14. LAMB, W.,

«Excavations at Kusura near Afyon Karahisar», Archaeologia, 86, 87, 1937, 1938.

15. LLOYD, S. and Gôkçe, N.,

«Excavations at Polath,» Anatolian Studies, I, 1951.

16' LLOYD, S., and MELLAART, J.,

«Beycesultan Excavations», Anatolian Studies, 5, 6, 1955, 1956.

17. ———————— ,

Beycesultan, I, London, British Institute of Archaeology at Ankara.

18. MELLAART, J.,

«Excavations at Hacilar, 1959,» Anatolian Studies, 10, 1960.

19. ———————— ,

«Excavations at Hacilar», 11, 1960.

20. ———————— ,

Excavations at çatal Hûyûk, Anat, Stud., XII XIV, 1962; ILN, 1964.

21. ———————— ,

«Excavations at çatal Hûyûk, 1962», Anatolian Studies, 13, 1963.

22. ——————————

«The Third Season of Excavations at Catal Hûyûk», Illustrated London News, 1964.

23. OMEROD, H. A.,

«Prehistoric Remains in Southwestern Asia Minor», Annual of the British School at Athenes, XVI,
(1909-10), 76ff., XVIII (1911-12) 80ff., XIX (1912-13) 48ff.

24. ORTHMANN, W.,

Die Keramik der Frûhen Bronzezeit aus Inneranatolien, Berlin, 1963.

25. OSTEN, H. H. von der

The Alishar Hûyuk Seasons of 1930 - 32, Part II, Chicago, University of Chicago Press, 1937.

26. OZGUC, T.,

Ausgrabungen in Kûltepe, 1948, Ankara, 1950. Kûltepe — Kani, Ankara, 1959 .

27. REILLY, E. B.,

«Test Excavations at Tilki Tepe,» Tûrk Tarih Arkeologya ve Etnografya Dergisi, 1940.

28. SCHMIDT, ERICH F.

The Alishar Hûyûk, Seasons of 1928 & 1929, Part I Chicago, University of Chicago Press, 1932.

29. VON DER OSTEN, H. H.,

The Alishar Hûyûk, Oriental Institute Publications, XXVIII, XXIX, Chicago, 1937.

30. WAECHTER, J. GOGU, S. and SETON WILLIAMS, M. V.
«The Sakce Gozli Cave site; 1949» Belleten, XV, 1950.

ثانياً : السند

1. DE CARDI, B.,
«British Expeditions to Kalat, 1948 and 1957,» Pakistan Archaeology, I : 20 — 89, 1964.

2. DEVA, K. and McCOWN, D. E.,
«Further Explorations in Sind : 1938». Ancient India. No 5, 1949, pp. 12-30 .

3. DUPREE, L.,
Deh Morasi Ghundia : A Chalcolithic Site in South-Central Afghanistan (Anthropological Papers of the American Museum of Natural History, Vol I, Part 2), 1963.

4. HARGREAVES, H.,
Excavations in Baluchistan, 1925, (Memoirs of the Archaeological Servey of India, No. 35) Calcuta, 1929.

5. KRAMER. S. N.,
«The Indus civilisation and Dilmun, the Sumerian Paradise Land», Expedition, Vol. VI., 1964.

6. MACKAY E. J. H.,
Further Excavations at Mohenjo - daro, Delhi, 1938.

8. MARSHALL. J.,
Mohenjo - daro and the Indus Civilisation, London, 1931.

9. VATS M. S.,
Excavations at Harappa, Calcutta: Governement of India Press, 1940.

ثالثاً : العراق

1. AMIET. P.,
La Glyptique Mesopotamienne Archaîque, Paris. 1961.

2. ASIL, Naji al.,

— Excavations at Eridu, Sumer, VI 1950.

3. BARNETT. E. D.,

The Nimrud Ivories in the British Museum, 1957.

4. BARTON, G. A.,

Haverford Library Collection of Cuneiform Tablets From Telloh, Sumerian Tablets 3rd Dynasty of Ur, Ca. 2400 B. C., 3 Vols., Philadelphia, 1905 - 14 .

5. ——————————— ,

Sumerian Business and Administrative Documents from the Earliest Times of the Dynasty of Agade, 1915.

6. BRAIDWOOD, R. J.,

«The world's First Farming Villages», Illustrated London News, 28, April, 1956, pp. 410 - 11.

7. ——————————— , & BRAIDWOOD, LINDA,S ,

Excavations in the Plain of Antioch, Chicago. 1960.

8. ———————————, Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, Chicago, 1960.

9. CASTELLINO, G.,

Urnammu Three Religious texts, Zeitschrift Fur Assyriologie neue Folge, 18, 1957, pp. 1 - 57.

10. CHIERA, E.,

Legal and Administrative Documents from Nippur, 1914, .

11. ———————————.

List of Accadian Personal Names, 1916, 1919.

12. CHIERA, E.,

Sumerian Texts of Varied contents, Chicago, 1934.

13. ——————————— ,

14. CORNWALL, P. B.,

«Two letters from Dilmun», Journal of Cuneiform Studies, 6, 1952, pp. 137.-145.

15. CONTENAU, G. et GHIRSHMAN, R.,

Fouilles du Tépé — Giyan près de Nèhavend, 1931, 1932, Paris, Geuthner, 1935.

16. GRAWFORD, V. E.,

Sumerian Economic Texts from the 1st. Dynasty of Isin, New Haven, 1954.

17. DELOUGAZ, P.,

The temple Oval at Khafajah, OIP, LIII , Chicago, Press. 1940.

18. ——————————— ,

Pottery from the Diyala Region, Chicago, 1952.

19. ——————————— , et LLOYD, S.

Pre - Sargonid Temples in the Diyala Region, OIP, LVIII, Chicago, The University of Chicago Press. 1942.

20. EGAMI, N.,

Telul Eth - Thalathat. the Excavations of Tell II, 1956.—
Ur Excavations Texts V, 1953.
1957, The Institute for Oriental Culture, The University of Tokyo, 1959.

21. FALKENSTEIN, A.

Archaische Texte aus Uruk, Berlin, 1936.

22. ——————————— ,

Die neusumerischen Gerichtsurkunden, Munich, 1956-1957.

23. ——————————— ,

Die Inschriften Gudean von Lagas, Rome, 1962.

24. ——————————— ,

Topographie von Uruk, Teit Uruk zur Seleukidenzeit, 1941.

25. ——————————— ,

Sumerische religiôse Texte, Zeitschrift für Assyriologie, Neue Folge 15 (1950) pp. 80-150.
16 (1951) pp. 61-91.
18 (1957) pp. 58-75.

26. ——————————— ; & SODEN, W. VON.,

Sumerische und akkadische Hyınnen und Gebete, Artemis-Verlag, Zûrich-Stuttgart, 1953.

27. ——————————— , & DIJK, J. J. A. VON.,

Sumerische Gotterlieder, Part I (1959).
Sumerische Gotterlieder, Part II (1960).

28. FIGULLA, H.H. & MARTIN, W. J.,

Ur Excavations Texts V, 1953.

29. FISHY, T.,

Cataloge of Sumerian Tablets in the John Rylands Library, 1932.

30. FRANKFORT, H.,

Statified Cylinder Seals from the Diyala Region,Oriental Institute Publications, 72, University of Chicago Press, 1944.

31. ——————————— ,

Sculpture of the 3rd. Millenium B. C. from Tell Asmar and Khafaga, OIP, XLIV, Chicago, The University of Chicago Press, 1939.

32. ——————————— ,

More Sculptures from the Diyala Region, OIP, LX, Chicago, The University of Chicago Press, 1948.

33. ——————— ; & LLOYD, S. et JACOBSEN, TH.,
The Gimilsin Temple and Palace of the Rulers of Tell Asmar, OIP, XLIII, Chicago, The University of Chicago Press, 1940.

34. ——————— , et al.,
Chicago Oriental Institute Excavations in Iraq, Preliminary Reports.
Part I, Tell Asmar and Khafaja, 1932.
Part II,Tell Asmar and Khafaja and Khorsabad, 1933.

35. GELB I. J.,
Sargonic Texts from the Diyala Region, Chicago, 1961.

36. GENOUILLAC, H. de,
Premiers Recherches Archéologiques à Kish, Fouilles Françaises Oheimir, 1911-12, 2 Vols.

37. ——————— ,
Textes Religieux Sumeriens du Louvre, 2 Vols.

38. ——————— , et al,
Fouilles de Telloh, Vol. I, Epoques Présargoniques, Paris, 1934.

39. GHRISMAN, ROMAN,
Fouilles de Sialk Près de Kashan, 1933, 34, 37. I, Paris, Geuthner, 1938.

40. GORDEN, C. H.,
Smith College Tablets, 100 Cuneiform Texts, 1927.

41. GORDON, C. H.,
Sumerian Proverbs, Philadelphia, 1960,

42. HACKMAN, G. G.,
Sumerian and Akkadian Administrative Texts from predynestic Times to the End of the Akkad Dynasty, New Haven, 1958.

43. HALL, H. R. et WOLLEY, C. L.,
Ur Excavations I: Al'Ubaid, London, The Oxford University press, 1927.

44. HEINRICH, E.,

Kleinfunde aus den Archâischen Tem pelschten in Uruk, « Ausgrabungen der Deutschen Forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka» Vol. I, Leipzig, 1936.

45. —————————— ,

Fara, Ergebnisse des Ausgrabungen der Deutschen Orient Gesellschaft in Fara und Abu Hatab 1902-3, hrsg. von Walter Audrae, Berlin, 1931.

46. HERZFELD, E.,

Die Vorgeschichtlichen Topfereinen von Samarra, Berlin, Dietrich Reimer, 1930.

47. —————————— ; et THUREAU - DANGIN, Fr.,

Nouvelles Fouilles de Tello, par le Commandant Gaston Cross Paris, Leroux, 1910-14.

48. HUBER, P. E.,

Sumerian Administrative Documents from the Time of the 2nd Dynasty of Ur.

49. JACOBSEN, T.,

Cuneiform Sumerian Economic Texts in the National Museum, Copenhagen, Leidea, 1939.

50. JESTIN, R.,

Textes Economiques Sumériens de la 2ème dynastie d'Ur, 1935.

51. —————————— ,

Nouvelles Tablettes Sumériennes de Suruppak, au Musée d'Istambul, Paris, 1937, 1957.

52. —————————— ,

Textes Reli gieux Sumeriens, Revue d'Assyriologie
35 (1938), pp. 158-173
39 (1944), pp. 83-97
40 (1946), pp. 47-54
41 (1947), pp. 55-66
44 (1950), pp. 45-71

53. JONES, T. B. & SNYDER, J. W.,
Sumerian Economic Texts from the 3rd Dynasty,of Ur, 1961.

54. KRAMER, S. N.,
Sumerian Leterary Tablets from Ur, Compte Rendu de l'onzième Rencontre Assyriologique International, Organisée à Leiden du 23 au 29 Juin 1962, Leiden, 1964.

55. ————————,
Sumerian Literary Text from Nippur, New Haven, 1944..

56. LANGDON, S.,
Excavations At Kish I, 1923-1924, Paris Geuthner, 1924.

57. ————————,
Sumerian Liturgical Texts, 1917.

58. ————————,
Sumerian Epic of Paradise, the Flood and the Fall of Man, 1915.

59. ————————,
Historical and Religious texts from Nippur, 1914.

60. LEGRAIN, L.,
Ur Excavations, X, Seal Cylinders, London, Philadelphia, Trustees of the British Museum and of the UniversityMuseum, 1951.

61. LENZEN, H.,
«New Discoveries at Warka in Southern Mesopotamia», Archaeology, 17, 1964.

62. ————————,
Die Entwicklung der Zikurrat von ihren Anfangen bis zur Zeit der III. Dynastie von Ur, Deutsche Forschungsgemeinschaft, Berlin, Ausgrabungen ... in Uruk-Warka, IV, Leipzig, 1941.

63. LLOYD, S.,
«The Oldest City: A pro - Sumerian Temple discoveries at prehistoric Eridu», dan ILN, 31 Mai 1947, pp. 581 - 583.

64. ——————— ,

«Iraq Government soundings at Sinjar», (Iraq VII, 1940) pp. 13-21 and pls. II-IV.

65. LLOYD, S, & SAFAR, F.,

«Eridu», Sumer, III, 1947, pp. 84-111 Figs. 1-7 and pls. I-IX.

66. ——————— ,

«Tell Ugair», Excavations by The Iraq Government, Directorate General of Antiquities in 1940, 41; in J.N.E.S. II 1943, pp. 131-58 and pls, III-XXXI; IV 1945, pp. 255-89 and pls I-XXI.

67. LUCKENBILL, D.,

Cuneiform Inscriptions from Adab, Chicago, 1930.

68. LUTZ, H. F.,

University of California publications in Semetic Philology, Vol. 9 Contains Sumerian and Accadian Texts from Tablets and Cylinders, 12 parts 1927-31.

69. ——————— ,

Selected Sumerian and Babylonian texts, 1919.

70. MACKAY, E.,

Reports on excavations Jemdet Nasr, Iraq, Chicago, Field Museum of Natural History, 1931.

71. MALLOWAN, M. E. L.,

Excavations at Brak and Chagar Bazar in Iraq, IX, 1947.

72. ——————— ,

The excavations at Tell Chagar Bazar and Archaelogical Survey of the Khabur Region. Second Campaign 1934 - 1935, Iraq III, 1936, pp. 1-86, and pls. I-III, Iraq IV, 1937, pp. 91-177 and pls. XII-XIX.

73. ——————— ; et ROSE J,C,,

Excavations at Tell Arpatchiyah, 1933, Londres, tirage à part de Iraq, II, 1935.

74. MYHRMAN, D. W.,

Sumerian Administrative Documents from the Time of the 2nd. dynesty of Ur, 1910.

75. NOLDEKE, A. et al.,

Vierter vorläufige Bericht über die van der Notgemeinschaft der Deutschen Wiessenschaft in Uruk unternommenen Ausgrabungen (1931-32), Abhandlungen der Preussischen Akademie der Wissenschaften, Phil-Hist. KI., No. 6, 1932.

76. NOUGAYROL, J.,

Textes Accadiens et hourrites des archives est, ouest et centres, avec des études de G. Boyer et Laroche, 1955, 1956.

77. OPPENHEIM, MAX FREIHERR VON,

Tell Halaf, a new culture in oldest Mesopotamia, London and New York, 1933.

78 ——————— ,

Tell Halaf, Vierter Band: Die Kleinfunde aus historischer Zatbearbeitet und hrsg. von B. Hronda, Berlin, 1962.

79. ——————— ,

Tell Halaf, I, Die Prâhistorischen Funde, Hubert Schmidt, Berlin, Walter de Gruyter, 1943.

80. OPPENHEIM, A. L.,

Catalogue of the cuneiform tablets of the Wilberforce Eames
Catalogue of the cuneiform tablets of the Wilberfod. dynasty
Collections in N. Y. Pub. Library. Tablets of the 3rd as well
of Ur (With indices of geo., personal and divine nam
as Sumerian and Accadian word - lists), 1948.

81. ——————— , et al.,

The Chicago Assyrian dictionary.

82. PARROT, A.,

Tello, Vingt Campagnes de Fouilles (1877-1933), Paris. 1948.

83. —————————— ; et LAMBERT, M.

Glyptique Mésopotamiénnes, Fouilles de Lagash (Tello) et de Larsa (Senkereh), 1931 - 1933, Paris, Imprimerie Nationale. 1954.

84. PORADA, E.,

Seal Impressions of Nuzi, New Haven, 1947.

85. —————————— , (ed.),

Corpus of Ancient Near Eastern Seals in North American Collections, I-II, Washington, Bollingen Foundation, 1948.

86. REINER, E.,

Surpu., A collection of Sumerian and Akkadian incantations; Archiv für Orientforschung, Beiheft 11, Graz, 1958.

87. SCHMIDT, E. F.,

Excavations at Tepe Hissar, Damghan philadelphia, 1937.

88. —————————— ,

«Excavations at Fara», 1931, The Museum Journal, Philadelphia, XXI, 1932, pp. 192-245.

89. SOLLBERGER, E.,

Corpus des inscriptions Royales présargoniques de Lagash, Genève, 1956.

90. SPEISER. E. A.,

Preliminary excavations at Tepe Gawra, New Haven, 1929.

91. —————————— ,

Excavations at Tepe Gawra,I.University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1935.

92. STARR, R. F. S.,

Nuzi, Report on the excavations at Yorgan Tepe, near Kirkuk, Iraq, 1927-1931, I. Vol. de texte, 1 Vol. of plates, Cambridge, Mass., 1937-1939.

93. STEELE, F. R.,
«The code of Lipit-Ishtar», American Journal of Archaeology, 52, 1948, pp. 425-450.

94. STEPHENS, F. J.,
Notes on Some Economic Texts of the Time of Urukagina, Revue d'Assyriologie, 49, 1955, pp. 129-136.

95. SWINDLER, D. R.,
Study of the Carnial and Skeletal Material excavated at Nippur, Philadelphia, 1956.

96. THOMPSON, R. C.,
The British Museum Excavations at Abu Shahrain in Mesopo tamia in 1918, Archaeologia LXX, 1920, pp. 101-144.

97. THUREAU-DANGIN, F.,
Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften Vorderasia tische Bibliotek, I Band, Abteilung I, Leipzig 1907.

98. ——————,
Les cylindres de Goudea from Lagash, 1925.

99. —————— (ed.),
Les cylindres de Goudea, Vol I, Transcription and translation, 1905.

100. ——————, GENOUILLAC, H. de AND, DELAPORTE, L,
Inventaire des tablettes de Tello conservés au Musée Impérial Ottoman, Fouilles de E. de Sarrec, Textes des époques presargonique d'Agade et d'Ur, 5 Vols. 1910-21.

101. ——————, and DUNAD, M.,
Tell Barsib, Pts. I & 2, 1932.

102. TUFNELL, O., INGE, C. H. & HARDING, L.,
Lachish, Vol. II: The Fosse Temple, London, Oxford University Press, 1940.

103. ——————,
Joint expedition of the British Museum and of the Museum of Pennsylvania to Mesopotamia, Ur Excavations, London, 1927.

104.

Legrain, L, London, 1936. Archaic seal-impressions,

105.

Deutsche Forschungsgameinschaft, Berlin... vorläufiger Bericht über die von der Notgemeinschaft der Deutschen Wissenschaft in Uruk-Warka unternommenenAusgrabungen(Preussische,Akademie der Wissenschaften Philos-Hist-Klasse. Abhandlungen), Berlin, 1930.

106. VOUTE, G.,

A prehistoric find near Razzaza , Sumer 13, 1957 , pp. 135-148.

107. WISEMAN, D. J.,

Cylinder seals, Uruk, Early Dynastic. Catalogue of the Western Asiatic Seals in the British Museum, Vol. I. 1962.

108. WITZEL, P. M. ,

Gudea inscriptions, statues A-L, Cylinders A & B , Rome, 1932.

109. WOOLEY, C. L.,

Excavations at Ur, London, Ernest Benn, 1954.

110. ——————— ,

Ur Excavations II:The Royal Cemetry,London and Philadelphia British Museum and University Museum, 1934,
IV, The early periods, Ibid, 1956.

111. ——————— ,

The Royal Cemetry, A report on the Predynastic and Sargonid Graves excaveted between 1926 and 1931, London and Philadelphia, 1934.

112. ZIEGLER, C.,

Die Keramik von der Qal'a des HaggiMohammed,Berlin,1953

رابعاً : الكويت

تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا (الكويت) ، ١٩٥٨ — ١٩٦٣ وزارة التربية والتعليم ، قسم الآثار والمتاحف .

خامساً : المغرب

1. ALIMEN, H.,

La Station rupestre de Marhoume (Sahara occidental), I. R. S., Mémoire No. 1, 1954.

2. ALMASY, L. E.,

Récentes Explorations dans le Désert Libyque, (1932-6). Pub. de la Soc. Roy. de Géographie d'Egypte, pp. 67-73, Cairo 1963.

3. ANONYME, M.,

Archaeological field work of the University of Minnesota in 1930, Science, Vol. LXXII No. 1877, 1930, pp. 622-623.

4. ——————— ,

American School of Prehistoric Research 36th.
Report on the Peabody Museum of Archeaology and Ethnology, Harvard University, 1951-1952,(1953), pp. 21-22 North African Archaelogy.

5. ANTOINE, M.,

Notes de Préhistoire Marocaine, I: Station Néolithique desOuled (Hoddou), Bull. de la Soc. de Préh. de Maroc, t. II, 1928, No. 3-4, pp. 12-33.

6. ——————;

Les Fouilles Américaines à Tanger, Un point d'histoire avant l'Histoire, c. r . des séances mens. de l'Inst. des Hautes-Etudes Maroc., Hesperis, t. XXXVII, 1950, pp. 469-470.

7. ——————,

Un Microatelier au Sahara, Soc. des Sc. nat. du Maroc, c. r des Séances mens. 1950, p. 144.

8. ——————,

Notes de Préhistoire Marocaine XXI: Un microatelier néolitique à l'Assi Chamba (Sahara marocain), Bull. de la Soc. de Préh. du Maroc, n. s. 1950, pp. 29-34.

9. APARISI, J. S. V.,

La primera Culture Agricola Hispanica y sus Relaciones en el Mundo Mediterraneo (Atti del Congresso Internazionale di Preistoria Protestoria Mediterranea), 1950, p. 140, Firenze, 1952.

10. ——————,

Ceramica Neolitica Valenciana: an Chronologia y Relactiones Euroafricanas, ibid., p. 147.

11. ARAMBOURGE, BOULE, VALLOIS & VERNEAU.,

Les Grottes Paléolithiques des Beni Segoual (Algérie), A. I. P. H., Mém. 13, Paris. 1934.

12. BALOUT, L.,

Essai de Coordination des Phenomenes Géologiques Quaternaire et des Industries Préhistoriques, Actes du Congres International, Zurich, 1953, p. 163.

13. ——————,

Les fouilles Américaines de la «Grotte Haute» (Mougharet el-Aliya, zone de Tanger) et la question s' baikienne, Bull. de la Soc. d'Hist. nat. de l'Afr. du N. t. XXXIX; 1948, pp. 22-30.

14. ——————,

Le Peuplement Préhistorique de l'Algérie, Doc, Algér., Sér.

Culturelle, Préhistoire, No. 5, 1950, 4 pp. Id., in XIII[e], Congr. Préhist. de Fr., Paris, 1950 (1952), pp. 106-114.

15. BARDIN, P.,

Note sur le Gisement Néolithique de la Grotte du Kof el-Agab (Djebel Hairech, Tunisie Septentrionale), Bull. de la Soc. des Sc. Nat. de Tunisie, t. IV, 1951, pp. XXXV et 23-34.

16. ——————————,

La Grotte du Kef el-Agab (Tunisie) Gisement Néolithique; avec une Note sur les Ossements Humains par le Dr. H.V. Vallois, Libyca, t. I, 1953, pp. 271-308.

17. BAUMGARTEL, E. J.,

Tunis: Neolithikum, Reallexikon der Vorgeschichte, Vol. XIII 1929, pp. 456-482.

18. ——————————,

Funde aus einer Vorgeschichtlichen station bei Villa Cisneros (Rio de Oro), Prähistorische Zeitschrift, Vol. XII, 1931. pp. 88-101.

19. BERTHELOT, S.,

Lettre sur les Caractères Hiéroglyphique Gravés sur les Roches Volcaniques aux canaries, Bull. de la Soc. de Géog. Paris, 1875

20, ——————————,

Antiquités Canariennes, (planches), Paris, 1879.

21. BOSCH - GIMPERA, P.,

Néo - Enéolithique Espagnol et Africain, Actes du II[e] Congr. Panaf. de Préh.; Alger, 1952 (1955), pp. 503-508.

22. BRAUNHOLTZ, J.,

Stone Implements of Palaeolithic and Neolithic Types from Nigeria. Geological Survey of Nigeria, Occasional Papers, No. 4, London, 1926.

23. BREA, B.,

The Prehistoric culture sequence in Sicily, University of London, Inst. of Archaelogy, 6th Annual Report, pp. 18-29, 1950.

24. BREUIL, H.,

Gravures Rupestres du Désert Libyque identiques à celles des Anciens Bushmen, L'An. Vol. XXXVI, 1926. pp. 125-127.

25. CADENAT, P.,

PiècesNéolitiques Rares de Foyer de Columnata, Bull. de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran. t. LXI, 1940. pp. 211-216.

26. CADENAT, P.,

Deux faciès de l'industrie Néolithique aux Environs de Tiaret, Bull. de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran, t. LXXIV, 1951. pp. 35-40.

27. ——————————,

Note préliminaire sur une Station Microburins de la Banlieue de Tiaret (Oran), XIVe Congr. Préh. de Fr. Strasbourg 1953.

28. CAPRINO, C.,

Nuovi studi sulle incisioni rupestri del Fezzan e della Transgiordania, Bulletino di Paletnologia Italianna (N.S.) Vol. IV 1940, pp. 203.

29. CATON - THOMPSON, G.,

Kharga Oasis in Prehistory, University of London Athlone Press, 1952.

30. CHAMPAGNE R.,

Les StationsPréhistoriques de la Région de Sétif, Bull. de la Soc. Hist. at Géogr, de Setif, t. II, 1941. pp. 9-24.

31. CHASSELOUP - LAUBAT F. de
Art Rupestra au Hoggar. Paris, 1938.

32. CHOPPY, J.,
Peintures Rupestres dans la Région d'Ifrane, Bull. de la Soc. de Préhist. du Maroc, n. s., 195, pp. 101-105.

33. CLARIOND, L.,
«Les Gravures Rupestre d'Ait Saadana», (Maroc Saharien), Ibid, t. VII, 1933, pp. 90-95.

34. DALLONI, M.,
Matériaux pour l'étude du Sahara Oriental. Institut de Rech. Sah. de l'Univ. d'Algér. 1948.

35. DEBRUGE, A.,
«La Grotte d'Ali Bacha» A. F. A. S., (Montauban), Vol. II, pp. 866-883.

36. ——————,
«Fouilles de la Grotte Ali Bacha à Bougie» XXXI^e Congr, Ibid., 1902, pp. 866-883.

37. ——————,
«La Grotte Sépulcrale (Ali Bacha)» reprise de la Fonille, Bougie (Algérie), Rec. des Not. et Mém. de la Soc. Archéol de Constantine, t. XL, 1906, pp. 134-157.

38. ——————,
«Essai de Chronologie sur les Escargotières», Ibid., t. LV, 1923-1924, pp. 53-82.

39. DEMOULIN, F.,
«Gravures et Inscriptions Rupestres Sahariennes». La Nature, No. 2726 (July 3rd. 1926), Paris.

40. DESIO, A.,
«Sculture rupestri di nuove localita del Tibesti settentrional del Deserto Libico» Gli Annali dell' Africa Italiana, Vol. IV, No. I, pp. 201.

41. DOUMERGUE, F.,
La Cimetière des Escargots, B. S. G. A. O., Vol. IXL, Fasc. 157, 1921.

42. ——————— ,
«La Grotte de la Guethna (Lourmel)», Bull. de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran, t. XLIII, 1923, pp. 41-48.

43. ——————— ,
«La Grotte du Cuartel (Oran)», Ibid., t. XLVI, 1926, pp. 185-204.

44. LE., Du. R.
«Les Gravures Rupestres de la Région de Tébessa» Rec.des Note et Mém. de la Soc. archéol. de Constatine, t. LXIII, 1935-1936, pp. 107-124.

45. ——————— ,
«Gravures Graffiti et PeinturesRupestres de la Vallée de l'Oued Hallail et du Djebel Tagermnount (Région de Tébessa)», III[e] Congr. de la Fédér. des Soc. sav. de l'Afr. du N., Constantine, 1937, t. II (1938), pp. 647-667.

46. ENNOUCHI, E.,
«La Faune Néolithique de Toulkine (Haut-Atlas)», C. r. Séanç Mens. Soc. Sc. nat. du Maroc, 1954, pp. 140-141.

47. ESTAUNIE, D.,
«La Polissoir Néolithique de Bab el-Quermodin à Tlemcen» Bull, de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran, t. LXII, pp. 24-28.

48. FLAMAND, G. B. M.,
«Les Premiers Habitants des Hauts-plateaux et du SaharaAlgérien d'après les Monuments Rupestres», Comptes rend. des Travaux du Cong. nat. des Soc. fr. de Géogr., XXème session, Alger, 1899, p. 207 & pp. 218-19.

49. ——————— ,
«Nouvelles Observations sur les Pierres Écrites(Hadjrat Mektoubat), Gravures et Inscriptions Rupestres du Djebel Amour et de la Chaine des Ksour (Sud-Oranais)», Comptes rend. de l'Acad. des Inscr. et Belles-Lettres, séance du 12 Juillet 1899, pp. 437-438.

50. — — ———————

Note sur les Outils etObjets Préhistoriques et leur Figuration sur les Hadjrat Mektoubat (Pierres Ecrites) du sud de l'Agérie et du Sahara leur Nature et leurs Gisements d'Origine A. F.A.S. (Paris), pt. I. 1900, pp. 210-212.

51. GOETZ, CH.,

«La Céramique Néolithique en Oramie», Bull.de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran, t. LXIII, 1942, pp. 60-106.

52. GRAZIOSI, P.,

«Recherches Préhistoriques au Fezzan et dans la Tripolitaine du Nord», l'An., Vol. XLIV, 1934, pp. 33-43.

53. ———————— ,

«Graffiti del Gebel du Ghneba nel Fezzan» A. I., Vol. V, 1935, pp. 188-197.

54. ———————— ,

«L'Arte Rupestre, della Libia,» 2 Vols. Edizone della Mostra d'Oltremare, Naples, 1941.

55. GRUET, M.,

Gisements Atériens et Néolithique du Nord de Bizerte(Tunisie) l'Anthr., t. LI, 1947, pp. 363-367.

56. HENCKEN ,

«The Prehistoric Archaeology of Tangier Zone (Morocco),Proc of the Amer. Philos. Soc. t. XCII, 1948, pp. 282-88.

57. HOWE, B and MOVIUS, H. L. Jr.,

«A Stone Age Cave Site in Tangier»,Preliminary Report on the Excavations at the Mugharet d'Aliya or High Cave, in Tangier, Papers of the Peabody Mus. Vol. XXIII, No. 1, 1947.

58. KOEHLER, R. P. H.,

«La Céramique de la Grotte d'Achakar(Maroc) et ses Rapports avec celle des Civilisations de la Péninsule Ibériq... Rev. Anthr., t. XLI, 1931, pp. 156-167.

59. KOEHLER, R. P. H.,

«Le Vase Néolithique de la Grotte d'Achakar,» Bull. de la Soc. de Préhist. du Maroc, t. III, 1929, pp. 32-34.

60. ——————————,

La Grotte d'Achakar au Cap. Spartel, Bordeaux, 1931.

61. LAFANECHERE, Lt. R.,

«La Station Néolithique de Taounate»,Bull.de la Soc. de Préhist. du Maroc, n. s. 1950, pp. 49-60.

62. LELUBRE AND COUSIN,

Peintures et Gravures Rupestres Nouvelles «de la Tefedest Meridionale», (Ahaggar, Sahara Central), (L'An, Vol. LV, 1951, pp. 24-49.

63. LOGEART, F. et VAUFREY, R.,

Les Gisements Capsiens Supérieurs et Néolithiques des Environs d'Ain M'lila (Département de Constantine)», Bull. de la Soc de Géogr. et d'Archéol d'Oran, t. LXVIII, 1947, fasc. 222, pp. 79-97.

64. MALHOMME, J.,

«Gravures Rupestres de Grand Atlas», C. P. des Séanc. de l'Institut des Hautes-Etudes Marocaines, Decembre, 1951, cf. Hespéris, t. XXXVIII, 1951, p. 462.

65. ——————————,

Corpus des Gravures upestres du Grand Atlas,1ère Partie, Rabat, 1959; 2ème. Partie, Rabat, 1961.

66. MARCHAND, H.,

« Types Rares et Types Inedits de Points Néolithiques Sahariennes», B. S. H. N. A. N., Vol., XXIV, 1933, pp. 47-51.

67. MARCHAND, H.,

«Harpons et Aiguilles Néolithiques du Sahara algérien», B.S. P. F., Vol. XXXIII, 1936, pp. 678-680.

68. ——————————,

«La Station Néolithique du Lac Halloula», Bull. de la S. P.F., t. XXX, 1933, pp. 200-204.

69. ————————————,

«Pointe Néolithique Saharienne sur le littoral de Grande Kabylie», Bull. de la Soc. d'Hist. nat. de l'Afr. du N., t. XXV, 1934, pp. 118-120.

70. ———————————— ,et AYME, A.,

«Les Peintures Rupestres d'Ain Ghozlan(Dépt. d'Alger)», Ibid., t. XXXVIII, 1937, pp. 388-392.

71. ———————————— , et CADEAC, A.,

«Une station du néolithique ancien à Ain Akbou (commune de Damiette)», Ibid, t. XXIII, 1932, pd. 98-101.

72. PALLARY AND TOMMASINI,

La Grotte des Troglodytes. A. F. A. S. (20ème Sess.), Marseille, Vol. II, 1891, pp. 633-649.

73. PEEL, R.F.,

«Rock Painting from the Libyan Desert», Antiquity, Vol. XIII, p. 389 ff.

74. REYGASSE, M. et LATAPIE, M.,

«Une Grotte Néolithique dans le Massif du Meloula,prês Claifontaine, province de Constantine (Algérie)», Bulletien de la S. P. F., t. IX, 1912, pp. 164-5.

75. ROUBET, F. E.,

« Découvert d'un Foyer Néolithique par un Obus, place de France. à Oran», Bull. de la Soc. de Géogr. et d'Archéol. d'Oran, LXIX, 1947, pp. 67-73.

76. RUHLMANN, A.,

Volubilis Préhistorique, Casablanca, 1933.

77. ———————————— ,

Encientes Préhistoriques Marocaine, Casablanca, 1938.

78. ———————————— ,

La Grotte Préhistorique de Dar -.es Soltan. Paris (Hesperis), 1951.

79. ———————————— ,

Gravures Rupestres de l'Oued Droal Maroc Saharien, Pub. du Service des Antiquités du Maroc, fasc. 3, Rabat 1938.

80. ———————————— ,

Une Exploitation de Sel à l'Epoque Néolithique dans la Vallée de l'Oued Beth, Ex. du B. S. P. M. Vol. XII, 1938.

81. ——————————,
«Enceintes Préhistoriques Marocaines», Bull. de la Soc. de Préhist. du Maroc. t. X, 1936, pp. 41-67.
82. RUSSO, P.,
«Sur les Gravures Rupestres de l'Oued Draa (Maroc merid).» B. S. P. M. Vol III, 1934, pp. 3-6.
83. SOLIGNAC, M.,
Les Pierrés Ecrites de le Berberie Orientale Directions des Antiquités, Tunis, 1928, pp. IX & 164, 70 Figs.
84. ——————————,
«Les Peintures Rupestres de la Région de Djebibina» Revue Tunisienne (N. S.), No. 25, 1936, pp. 5-56, 12 pl.
85. VAUFREY, R.,
«Le Néolithique de Tradition Capsienne des Environs de Mostaganém,» B. S. G. A. O., Vol. LIX, fasc. 210, 1938.
86. ——————————,
«Le Néolithique de Tradition Capsienne au Sénégal(Collection Waterlot)», R. S. P., Vol. I, 1946, pp. 19-32.
87. ——————————,
«Le Néolithique de Tradition capsienne au Musée d'Oran», Bull. de la Soc. do Géogr. et d'Archéol. d'Oran, t. LXI, 1940, pp. 82-96.
88. —————————— ; and LE Dù,
«Gravures Rupestres Capsiennes», L'An., Vol. XLIV,Nos. 3 & 4, 1934, pp. 327-333.

سادساً : إيران

1. BURTON BROWN, T.,
Excavations in Azarbaijan 1948, London, John Murray, 1951.
2. BURNY, C. A.,
«Excavations at Yanik Tepe,» Iraq, XXIII, XXIV, 1961, 62.
3. CAMERON, G. G.,
Persepolis Treasury Tablets, University of Chicago Press, 1948.
4. CARDI, B. de,
«On the Borders of Pakistan: Recent Explorations», Arts & letters: Journal of the Royal India, Pakistan and Ceylon Society, XXIV (1950), pp. 252-57.

5. COON, C. S.,
The seven Caves, New York, 1957.

6. CONTENEAU, G. and GHIRSHMAN R.,
Foullies de Tépé Giyan prés de Néhavend, 1931 et 1932, Paris: Librarie Orientaliste Paul Geuthner, 1935.

7. EGAMI, N.,
The Excavations at Tall-i-Bakun, 1956, Tokyo, Institute for Oriental Culture, 1962.

8. FAINSERVIS, W. A. Jr.,
Preliminary Reports on the Prehistoric Archaeology of the Afghan - Baluchi Areas», Novitates, American Museum oJ of Natural History, No. 1787 (1952), pp. 1-39.

9. GHRISHMAN, R.,
Fouilles de Sialk prés de Kashan, 1933, 34, 37, Vol. II. Paris: Geuthner, 1938.

10. GOFF, C.,
«Excavations at Tall-i-Nokhodi,» Iran, I, II, 1963,٦64.

11. HOLE, F.,
«Excavations at Ali Kosh,» Iranica Antiqua, II, 1962.

12. KRUPNOV, I.,
Archoeology of Northern Caucasus, Moscow, 1960.

13. LANGSDORFE, A., and McCOWN, D. E.,
Tall - i - Bakum A: Season of 1932, Chicago, University of Chicago - Press, 1948.

14. MECQUENEM, R. de,
Fouilles de Suse 1933 - 1939, (Mémoires de la Mission Archéologique en Iran), Vol. XXIX, pp. 3-161.

15. RUTTIN, M. V.,
Les Documents Epigraphiques de TchoghaZembill, 1953.

16. SCHMIDT, ERICH F.,
Excavations at Tepe Hissar, Damghan, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1937.

17. ——————————,
Persepolis I, University of Chicago Oriental Institute Publications,
Vol. LXVIII, 1951.

سابعاً : جنوب الجزيرة العربية

1. AHMED FAKHRY,
An Archaeological Journey to Yemen I, Cairo, 1952,

2. ALBRIGHT, W. F.,
The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of the First Campaign of Excavation in Qataban, B. A. S. O. R., 119 1950.

3. HAMILTON, R. A. B.,
Archaeological Sites in the Western Adèn Protectorate, Geographical Journal 101, 1943, pp. 110-11.

4. THOMPSON, G. G.,
The Tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadhramaut), Reports of the Research Committee of the Society of Antiquaries of London XIII, Oxford, 1944,

5. ZEUNER, F. E.,
«Néolithic Sites from the Rub - al - khali Southern Arabia», Man, LIV, 1954.

ثامناً — سوريا ولبنان :

1. BRAIDWOOD, R. J.,
«Report on Two Soundages on the Coast of Syria, South of Tartous» Syria, XXI, 1940, 183 ff.

2. ——————————,
Excavations in the Plain of Antioch I, Chicago. 1960.

3. CAUVIN, J.,
Les industries Lithique de Tell Byblos, L'Anthropologie, Vol. 66, 1962.

4. Du MESNIL DU BUISSON, Comte.
«L'Ancienne Qatna...»,Deuxième campagne de fouilles, Syria, IX, 1928, pp. 6-24.

5. ——————————— ,
LE SITE ARCHEOLOGIQUE DE MISHRIFE - QATNA, Collection de textes et documents d'Orient, I, Paris, 1935.

6. DUNAND, M.,
«Rapport Préliminaire sur les fouilles de Byblos en 1957, 1958, 1959, Bulletin du Musée de Beyrouth, XVI.

7. ——————————— ,
Fouilles de Byblos, vols I, II, Paris, 1939, 1954.

8. EHRICH, R. W., ED.,
Relative Chronologies in Old World Archaeology, Chicago, 1965.

9. FUGMANN, E.,
Hama, Fouilles et Recherches, Copenhagen, 1958.

10. GARSTANG, J.,
«Explorations in Cilicia», Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology, XXIV, 1937, 52 ff.

11. ——————————— ,
«Explorationsin Cilicia», Ibid., XXV,XXVI 1938

12. GOLDMAN, H.,
«Preliminary Expedition to Cilicia, 1934 and Excavations at Gozlu Kule,.Tarsus, 1935», American Journal of Archaology, XXXIX, 1935, 526 ff.

13. HOGARTH, D. G.,
Carchemich, Part I, London, 1914.

14. INGHOIT, H.,
Rapport preliminaire sur sept campagnes de fouilles à Hama en Syrie, Copenhagen, 1940.

15. LAWRENCE T. E. et al.,
Carchemish Excavations,Vol. I-III,1914 -1953.

16. MONTET, P.,
Byblos et l'Egypte, Quatre Campagnes de fouilles à Gebeil, 1921-24, 2 Vols. Paris, 1928- 1929.

17. NELSON, H. H.,
«Fragments of Egyptian Old Kingdom Stone Vessels from Byblos» Berytus, I (1934), pp. 19-22.

18. SCHAEFFER, C. F. A.,
Les fouilles de Minet - el - Beida et de Ras - Shamra Quatrième Campagne (Printemps 1932, Syria, XIV, 1933, pp. 93-127.

19. ——————————,
Les Fouilles De Ras - Shamra,
Cinquième Campagne Printemps, 1933,
Ibid., XV 1934, pp. 105-133.

20. ——————————,
Ugaritica, IV, Paris, 1962.

21. WOOLLY C. LEONARD,
The Prehistoric Pottery of Carchemish، Iraq, I,1934,

22. ——————————,
Alalakh : An Account of the Excavations at Tell Atchana, 1937,, 1949، 1955

تاسعاً ـ فلسطين والأردن :

1. ALBRIGHT, W. F.,
The Excavations of Tell Beit Mirsim, Annals of the American School of Oriental Research, Vols. XII, XIII, XVII, XXI - II New Haven (Conn.) 1932-1943.

2. BARTHELEMY, P. MILIK, J. T. and Others,
Qumran Cave I, 1955.

3. BENOIT, F., MILIK J. T. and VAUX, R. de,
Les Grottes de Murabbat, 2 Vols. 1960.

4. CROWFOOT, J. W. & Others,
Early Ivories form Samaria, London, 1938.

5. FITZGERALD, G. M.,
«The Earliest Pottery of Beth Shan», The Museum Journal, University Museum, University of Pennsylvania, XXIV, 1935, pp. 5-22.

6. GARROD, DOROTHY & Others.
The Stone Age of Mount Carmel, London, 1937.

7. GARSTANG, J.,
«Jericho: City and Necropolis, Second Report», Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology, 1931-1936.

8. GUY, P. L. O.,
Megiddo Tombs, Chicago, 1938.

9. HARDING, G. L.,
The Antiquities of Jordan (Including Petra), 1959.

10. KENYON, K. M,
«Excavations at Jerico, 1952», Palestine Exploration Quarterly 1952, pp. 62 ff.

11. ——————— ,
Digging up Jericho, London, 1957, Archaeology in the Holy Land, London, 1960.

12. KIRKBRIDE, D., Excavation of a Neolithic village at Seyl Aqlat, Beidha, P. E. Q., 1960, I. L. N., 1963.

13. LAMON, R. S. & Others,
Megiddo I, Chicago, 1948.

14. LOUD, G.,
The Megiddo Ivories, Chicago, 1939.

15. ————,
Megiddo II: Seasons of 1935-39, Chicago, 1948.

16. MACALISTER, R. S.,
The Excavation of Gezer, 3 Vols., London, 1912.

17. McCOWN, C. C. and Others,
Tell en - Nabeh, 2 Vols., New Haven, (Conn.), 1947.

18. MAISLER, B., STEKELIS, B., & M. AVI -YONAH,
«The Excavations at Beth Yerah (Khirbet - el - Kerak)1944-46», Vol. 2, 1952.

19. MAISLER (MAZAR), B.,
The Excavations at Tell Qasile, Preliminary Report, 1951.

20. MALLON, A.,
Teleilat el - Ghassul, Vol. I, Rome, 1933, continued by R. Koeppel and others in Vol. II, Rome, 1940.

21. MARQUET - KRAOUSE, J.,
Les fouilles de Ay (et - Tell), 1933 - 35, Paris, 1949.

22. MELLAART, J.,
«The Neolithic Site of Ghrubba», Annual of the Department of Antiquities, Jordan, Vol. III, 1956, pp. 24-40.

23. REISNER, G. A., & Others,
The Harvard Excavations at Samaria, 2 Vols. Cambridge (Mass.) 1924.

24. ROWE, A.,
The Topography and History of Beth - Shan, Philadelphia (Pa.) 1930.

25. ——————— ,
Catalogue of Egyptian Scarabs, Scaraboids, Seals, and Amulets in the Palestine Archaeological Museum, Government of Palestine, Department of Antiquities, Cairo, 1936.

26. ——————— ,
«The 1934 Excavations at Gezer», Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, 1935, pp. 19-33.

27. STARKEY, J. L.,
«Excavations at Tell ed - Duweir», Quarterly Statement of the Palestine Exploration Fund, 1934.

28. TUFNEL,L. OLGA, & Others,
Lachish II: The Fosse Temple, London, 1940,
Lachish III: The Iron Age, London, 1953, Lachish IV The Bronze Age, London, 1958.

29. VAUX, R. de., BAILLET, M. MILIK, J. T.,
Les Petits Grottes de Qumrân, 2 Vols., 1962.

30. YADIN, YIGAEL, & Others,
Hazor I, 1955 Season, Jerusalem, 1953.

عاشراً — كريت :

1. ALEXION, S.,
«The Boárd's Tusk Helmet», Antiquity, 1954, p. 214.

2. BENNETT, E. L.,
A Minoan Linear B Index, 1952.

3. ——————,
The Pylos Tablets, 1951 and 1955.

4. ——————,
«The Mycenae Tablets», reprinted from the Proceedings of th: American Philosophical Society, 1953.

5. BURROW, R, M.,
Excavations in Crete, 1937.

6. CHAPOUTHIER, F.,
Les Ecritures Minoennes au Palais de Mallia, 1930.

7. ——————,
«Fouilles de Mallia», Etude Crétoires, 1922.

8. DAWKINS, R. M. and LAISTER, M. L. W.,
«The Excavations at the Kamares Cave in Crete», Annual of the British School at Athens, 1913, p. 1.

9. EVANS, A. J.,
The Palace of Minos, Vol. I, 1921.
Vol. V, 1935.

10. ——————————,

«The Prehistory Tombs of Knossos», Archaeologia, 1901.

11. ——————————,

«The Tomb of the Double Axes, etc.», Ibid, 1907.

12. FURNESS, A.,

«Some Early Pottery of Samos, etc...», Proceedings of the Prehistoric Society, 1957, p. 173.

13. ——————————,

«The Neolithic Pottery of Knossos», Annual of the British School at Athens, 1953.

14. HALL, E. H.,

«Excavations in Eastern Crete», Sphoungaras, 1910.

15. HAZZIDAKIS, J.,

«An Early Minoan Cave at Arkalokhori», Annual of the British School at Athens, 1913, p. 35.

16. HOOD, M. S. F.,

«A Mycenaen Cavalryman», Ibid., 1953, p. 89 figs. 47, 48.

17. HUTCHINSON, R. W.,

«Cretan Neolithic Figurines», Ipek, 1938, p. 50.

18. PENDLEBURY, J. D. S.,

The Archaeology of Crete, 1939.

19. PENDLEBURY, J. D. S. and Others,

«Excavations in Lasithi», Annual of the British School at Athens, 1906.

20. SEAYER, R. B.,

Excavations on the Islands of Pseira, 1912.

21. ——————————,

Exploration in Island of Mochlos, 1912.

22. TAYLOUR, W.,

Mycenaean Pottery in Italy, 1958.

23. WEINBERG, S.,

«Neolithic Figurines and Aegean Inter-relations», American Journal of Archaelogy, 1951, p. 121.

حادي عشر — مصر : Egypt

١ — عصور ما قبل التاريخ :

1. AMELINEAU, E.,
Les Nouvelles Fouilles d'Abydos, 1895-96, Paris, 1899.

2. The Archaeological Survey of Nubia, (Ministry of Finance, Egypt: Survey of Egypt) Reports for 1907-8, 1908-9, 1909-1910, Cairo, 1910-1915.

. AYRTON, E. R. and LOAT, W. L. S.,
Pre-Dynastic Cemetery at el-Mahasna, London, 1911.

4. BENEDITE, G. A.,
« Le Couteau de Gebel el-Arak», Commission de la fondation Piot, Monuments et Mémoires, XXII, 1916, pp. 1—34.

5. BONNET, H.,
Ein fruhgeschichtliches Graberfeld bei Abusir, Leipzig, 1928.

6. BONO, F. de.,
Hélouan; el Omari, Fouilles du Service des Antiquitérs 1943-1944, Chronique d'Egypte, No. 41, 1944, pp. 50-54.

7. ——————————,
«El Omari (prés d'Helouan), Exposé Sommaire sur les Campagnes de Fouilles 1943-44 et 1948», ASAE, XLVIII, 1948, pp. 561-569.

8. ——————————,
«Expedition Archéologique Royale au Désert Oriental (Kift-Kosseir),Rapport Préliminaire sur la Campagne, 1949» ASAE, LI, 1951, Pt. I. pp. 59 ff.

9. BOVIER - LAPPIERRE, P.,
«Une Nouvelle Station Néolithique (el Omari) au nord d'Hélouan, Congrès International de Géographie, Le Caire, Avril 1925, Compte Rendu, IV, pp. 268-282, Cairo, 1926.

10. BRUNTON, G.,
Mostagedda and the Tasian Culture, London, 1937.

11. ——————————,
Matmar, London, 1948.

12. ——————————, and CATON- THOMPSON, G.,
The Badarian Civilisation and Predynastic Remains near Badari, London, 1928.

13. CATON - THOMPSON, G.,
Kharga Oasis in prehistory, 1952.

14. CATON - THOMPSON, G. and GARDNER, E. W.,
The Desert Fayum, 2 Vols., London 1934.

15. ENGLEBACH, R. and GUM, B.,
Harageh, London, 1923.

16. EMERY, M. B.,
«A cylinder seal of the Uruk period», ASAE, XLV, 1947.

17. JUNKER, H.,
Bericht uber die Grabangen auf der vorgeschichtlichen Seidlung Merimde Benisalame (im Westodelta des Nils), 6 parts, Vienna, 1929-41.

18. KANTOR, H. J.,
«Further Evidence for early Mesopotamian Relations with Egypt», Journal of Near Eastern Studies, XI (1952), pp. 239-250.

19. MACKAY, HARDING and PETRIE,
Bahrein and Hemamieh, London, 1929.

20. MENGHIN, O.,
«Die Grabung der Universiât Kairo bei Maadi», Mitteilungen des Deutchen Instituts für Agyptische Altertumskunde in kairo, II, 1932, pp. 143-47.
III, 1932, pp. 150-54.
V, 1934, pp. 111-118.

21. ——————————, and AMER, M.,
The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi, Egyptian Univ. Faculty of Arts, Publications 19, 29, 2 Vols., Cairo, 1932, 1936.

22. MOND, R. and MYERS, O. H.,
Cemetries of Armant, 2 Vols. London, 1937.

23. PETRIE, W. M. F.,
Diospolis Parva, The Cemetries of Abadeyeh and Hu, 1898-99, London 1901.

24. ——————————, and QUEBELL, J. E.,
Naqada and Ballas, London, 1896.

25. PETRIE, W. M. F., WAINWRIGHT, G. A. and MACKAY, E.,
The Labyrinth, Gerzeh, and Mazguneh, London, 1912.

26. ——————————, and Others,
Tarkhan I and Memphis V, London 1913.
Tarkhan II, London 1914.

27. QUIBELL, J. E.,
Hierakonpolis, I, London, 1900.
Hierakonpolis, II, London, 1902.

28. RANDALL - MacIVER, D. and MACE, A. C.,
El Amarah and Abydos, 1899-1901, London, 1902.

29. SCHARFF, A.,
Die archaeologischen Ergelnisse des vorgeschichtlichen Graberfeldes Abusir von el Meleq, nach den Aufzeichnungen Georg Mollers (Wissenschaftliche Veroffèntlichung der Deutschen Orient - Gesellschaft XLIX),Leipzig, 1926.

30. WINKLER, H. A.,
Rock - Drawings of Southern Upper Egypt,
I, London, 1938. II, London, 1939.

٢ — العصر التاريخي :

31. ABDEL MONEIM ABOU BAKR,
Excavations at Giza 1943 - 1950, The University of Alexandria Faculty of Arts, le Caire, 1953.

32. ABDEL SALAM MOHAMED HUSSEIN,
«Fouilles sur la Chaussée d'Ounas 1941-43», ASAE, XLIII 1943, pp. 439-448.

33. AHMED FAKHRY,
The Onuments of Sneferu at Dahshur, 3 Vols.. Le Caire, 1959-1961.

34. ALLEN, T. G.,
«The Story of an Egyptian Politician», AJSLL, XXXVIII, 1921, pp. 55-62.

35. ANTHES, R.,
Die Felseninschriften von Hatnub (Unters., IX) Leipzig, 1928.

36. ——————— ,
Mit Rahineh, Philadelphia, 1958.

37. BARSANTI, A.,
«Ouverture de la pyramide de Zaouiét el Aryan», ASAE. II, 1901, pp. 92-94.

38. ——————— ,
« Rapport sur la fouille de Dahchour», Ibid; III, 1902, pp. 198-208.

39. ——————— ,
Fouilles de Zaouitét el-Aryan, Ibid.,
VII, 1907, pp. 201-210.
XII, 1912, pp. 57-63.

40. BENEDITE, G.,
«La Stèle dite Roi Serpent», Monuments et mémoire publiés par l'Academie des inscriptions et belles lettres (Fondation Eugène Piot), XII, 1905, pp. 5-17.

41. BERLIN MPSEUM,
Agyptische Inschriften aus den Koniglichen Museum zu Berlin, I, Leipzig, 1901, 1913.

42. BISSING, F. K. von,
Die Mastaba des Gem - in - Kai, 2 Vols, Berlin, 1905-11.

43. ——————— , and KEES, H.,
Untersuchungen zu den Reliefs aus dem Re - Heiligtum des Rathures (Abhandlungen der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophische, Philologische und und Historische Klasse, XXII, 1), Munich, 1922.

44. ——————— , and Others,
Das Re - Heiligtum de Konigs Ne - Woser - Re (Rathures), 3 Vols., Berlin and Leipzig, 1905-1928.

45 BISSON DE LA ROQUE, F.,
Rapports sur les Fouilles de Médamoud, 1925-1935 (Fouilles de l'Institute Françaisc d'Archéologie Orientale du Caire III-IX, XIII, Cairo, 1926-1936.

46. ——————— ,
Tôd, 1934-1936, Ibid., XVII, Cairo, 1937.

47. ——————— ,
Rapports de Fouilles à Abou - Roash, Cairo, 1924-1925.

48. ——————— ,
«Le Trésor de Tôd», Chronique d'Egypte, XII, 1937, pp. 21-26.

94. BLACKMAN, A. M.,
The Rock tombs of Meir, 3 parts, London, 1914-1915.

50. BORCHARDT, L.,
Das Grabdenkmal des Konigs Ne - User - Re, Wissenschaftliche Veroffentlichung der Deutschen Orient-Gesellschaft; VII, Leipzig, 1907.

51. ——————— ,
Das Grabdenknal des Konigs Nefer - ir - Ka - ré, Ibid, XI Leipzig, 1908.

52. ——————— ,
Das Grabdenkmal des Konigs Sahure, (Ibid., XIV, XXVI), 2 Vols., Leipzig, 1910-1913, Cairo 1937.

53. ——————— , et al.,
Beitrage zur agyptische Bauforschung und Alter tumskunde, Heft I, Pyramide bei Gise, etc...

54. BREASTED, J. H.,
The Edwin Smith Surgical Papyrus, University of Chicago Oriental Institute Publications, III, IV, 2 Vols Chicago, 1930.

55. BRITISH MUSEUM,
Hieroglyphic Texts from Egyptian Stela6, etc ... in the British Museum (edited by E. A. W. Budge, H. R. Hall and I. E. S. Edwards), 8 Parts, London, 1911-1.

56. BRUNNER, H.,
Die Texte aus den Grubern der Herakleopoliten zeit von Suit Agyptologische Forschungen, V, Gluckstadt, Hamburg, New York, 1937.

57. BRUNTON, G.,
Qau and Badari, I, London, 1927. II, London, 1928.

58. BUCK, A. De.,
The Egyptian Coffin Texts, The Univirsity of Chicago, Orienta, Institute Publications, XXXIV, XLIX, LXIV,3 Vols., Chicago, 1937, 1938, 1947.

59. CAPART, J.,
Une Rue de Tombeaux à Saqqarah, 2 Vols., Brussels, 1907.

60. ——————— ,
Documents pour Servir à l'Etude de l'Art de Egyptien, 2 Vols., Paris, 1927.

61. ——————— , (ed.),
Fouilles d'el Kab, Documents, Brussels, 1940.

62. CHACE, A. B., and Others,
The Rhind Matematical Papyrus,British Museum, 10057 and 10058, 2 Vols. Oberlin, 1927, 1929.

63. CLEDAT, J.,
«Deux Monuments nouveaux de Tell el - Maskhoutah», Rec. Trav., XXXII, 1910, pp. 40-42.

64. CLERE, J. J.,
«Une Graffito du Roi Ḋjet dans le Désert Arabique», ASA E XXXVIII, 1938, pp. 85-93.

65. ——————— , and VANDIER, J.,
Textes de la Primière Periode Intermédiaire et de la XIème ynastie, Bibliothecca Aegyptiaca, Brussels, 1948.

66. COUYAT, J., and MONTET, P.,
Les Inscriptions Hieroglyphique et Hiératiques du Ouâdi Hammâmât, MIFAO, XXXIV, Cairo, 1912,

67. DARESSY, G.,
«La tombe de la Mère de Chèfren», ASAE, X, 1910, pp. 41-49.

68. ——————— ,
«Fragments de Stèles de la XI[e] dynastie», ASAE, VIII, 1907, pp. 242-247.

69. ——————————
«Chapelle de Mentouhotep III à Dendérah», ASAE, XVII, 1952, pp. 226-36.

70. DAVIERo, N. DE G.,
The Mastaba of Ptahhetep at Saggarah, 2 Vols., London, 1900, 1901.

71. ——————————,
The Rock tombs of Sheikh Said, London, 1901.

72. ——————————,
The Rock tombs of Deir el Gebrawi, 2 Vols. London, 1902.

73. ——————————,
Five Theban Tombs, 1913.

74. DIMICK, M. T.,
Memphis, the City of the White Wall, Philadelphia, 1956.

75. DRIOTON, E. and LAUER, J. P.,
Sakkarah, The monuments of Zoser, Cairo, 1939.

76. DUELL, P.,
The Mastaba of Mereruka, The University of Chicago Oriental Institute Publications, XXI, XX-IX, 2 Vols., Chicago, 1938.

77. DUNHAM, D.,
Naga - ed - Der Stelae of the First Intermediate Period, London, 1937.

78. DUSSAUD, R.,
«Nouveaux Textes Egyptiens d'Exécration Contre les Peuple Syriens, Syria, XXI, 1940, pp. 170-182.

79. EBERS, G.,
Papyrus Ebers, Das hermetische Buch uber die Arzeneimittel der Alten Agypter in hieratischer Schrift, 2 Vols., Leipzig, 1875.

80. EBBELL, B.,
The Papyrus Eberse,The Greatest Egyptian Medical Document, Copehangen, 1937.

81. EMERY, W. B.,
The Tomb of Hemaka, Service de Antiquités de l'Egypte, Excavations at Saqqara, XXII, Cairo, 1938,

82. ——————————,
The Tomb of Hor-Aha, Cairo, 1938.

83. EMERY, W. B.,
Great tombs of the 1st. Dynasty,
Vol. I, Cairo, 1949.
Vol. II, London, 1954.
Vol. III, London, 1958.

84. EMERY, W. B. and KIRWAN, L. P.,
The Excavations and Survey between Wadi es -Sebia and Adindan, 1929-1931, Service des antiquité de l'Egypte: Mission archéologique de Nubie, 1929-1934, 2 Vols., Cairo, 1929-1935.

85. ENGELBACH, R.,
«The Quarries of the Western Nubian Desert, ASAE, XXXIII 1933, pp. 65-80.

86. EPRON, L. et al.,
Le tombeau de Ti, 3 Pts. ,Cairo 1939 - 1955.

87. FIRTH, C. M.,
«Excavations of the Department of Antiquities at Saqqarah (October 1928 — March 1929)», ASAE, XXIX 1929, pp. 64-70.

88. FIRTH, C. M. and GUNN, B.,
Teti Pyramid Cemetries Service des Antiquités de l'Egypte Excavations at Saqqara) 2 Vols. Cairo, 1926.

89. —————————— and QUIBELL, J. E.,
The Step Pyramid, Ibid., XVII, XVIII, 2 Vols., Cairo, 1935, 1936.

90. FRASER, G.,
«The Early Tombs at Tehneh», ASAE, III, 1902, pp. 67-76,

91. GARDINER, A. H.,
The Admonitions of an Egyptian Sage from a Hieratic Papyrus in Leiden (Pap. Leiden 344 rects Leipzig, J. C. Hinrichs' sche Buchhandlung, 1909.

92. ——————————,
«New Literary Texts from Ancient Egypt», JEA, I, 1914, pp. 100-106.

93. ——————————,
«Royal Decrees from the temple of Min at Coptus», JEA, XXXII, 1946, pp. 323.

94. ——————————,
«A Stela of the Earlier International Period», JEA., VIII, 1922, pp. 191-192.

95. —————————— ; and PEET, T. E.,
The inscriptions of Sinai, Part I, Introduction and Plates, London, 1917.

96. GARSTANG, J.,
Mahâsna and Bêt Khallaf, London, 1903.

97. ——————————,
Tombs of the 3rd Dynasty at Reqaqnah and Bet Khallaf (Report of Excavations at Reqaqnah, 1901, 1902,) Westminister, 1904.

98. GLANVILLE, S. R. K.,
«The Mathematical Leather Roll in the British Museum», JEA, XIII 1927,, pp. 232-239.

99. GOLENISHCHEV, V. S. (ed.),
Les Papyrus hiératiques No. 115, 116A et 116B de l'Erm tage Imperial à St. Péterbourg , 1913.

100. GRAPOW, H.,
Religiose Urkunden, (Urkunden des aegyptischen Altertums, V, Leipzig, 1915-1917.

101. GRDSELOFF, B.,
«Deux Inscriptions Juridiques de l'Ancien Empire,» ASAE, XLII, 1943, pp. 25-70.

102. GRIFFITH, F. LL.,
The Inscriptions of Siût and Der Rifeh, London, 1889.

103. ——————————,
«The inscriptions of Siut and Der Rifeh», The Babylonian and Oriental Record, III 1888-1889, pp. 121-129, 164-168, 174-184, 244-252.

104. —————————— ,
«The Account Papyrus No. 18 of Boulaq», ZAS, XXIX (1891), pp. 102-116.

105. —————————— ,
Hieratic Papyri from Kahun and Gurob, 2 Vols., London, 1898.

106. GUNN, B.,
«Inscriptions from the Step Pyramid Site, III.
Fragments of Inscribed Vessels», ASAE, XXVIII (1928), pp. 153-174.

107. —————————— ,
«Iscriptions from the Step Pyramid Site», ASAE XXVI (1926), pp. 177-196.

108. HALL, H. R.,
Catalogue of Egyptian Scarabs, etc., in the British Museum, I, London. 1913.

109. HAYES, W. C.,
The Texts in the mastabeh of Se'n- Wosret-ankh at Lisht,(Publications of Metropolitan Museum of Art, Egyptian Expedition, XII., New York, 1937.

110. HOLSCHER, U.,
Das Grabdenkmal des Königs Chephern (Veroffentlichunhen der Ernst von Sieglin Expedition in Agypten-I), Leipzig, 1912.

111. JEQUIER, G.,
Le Pyramide d'Oudjebten,(Service des antiquités de l'Egypte, Fouilles à Saqqarah), Cairo, 1928.

112. ——————————,

Tombeaux de Particuliers Contemporaines de Pepi II, Ibid., Cairo, 1929.

113. ——————————,

Le Monument Funéraire de Pepi II, Ibid., 3 Vols., Cairo, 1936-1940.

114. ——————————,

Les Pyramides des Reines Neit et Apouit, Cairo, 1933.

115. ——————————,

Douze Ans de Fouilles dans la Nécropole Memphite 1924-1936, Mémoires de l'Université de Neuchâtel, XV, Neuchâtel, 1940.

116. JUNKER, H.,

Accounts of Excavations at el - Kubanieh, Ermmeneh and Tushkeh in 1910-1912, Denkschriften der Akademie der Wissenschaften in Wien, Philologischhistorische Klasse, LXII, LXIV, LXVII, LXVIII, Vienna and Leipzig, 1919-1926.

117. ——————————,

«Die Grabungen der Universität kairo auf dem Pyramidenfeld von Giza», «Mitteilungen des Deutschen Instituts für agyptische Altertumskunde in Kairo, III, 1932, pp. 123-149.

118. ——————————,

Bericht über die von der Akademie der Wiss. in Wien unternommenen Grabungen auf dem Friedhof des Alten Reiches bei den Pyramiden von Giza, 12 Vols., Vienna, 1929-1955.

119. KLEBS, LUISE,

Die Relief des Alten Reiches, Heidelberg, 1915.

120. ——————————,

Die Reliefs und Malereien des Mittleren Reiches, Heidelberg, 1922.

121. LANGE, H. O.,
«Inschriften des Gaufürsten Intf von Hermonthis», Berlin, 1914, pp. 991, ff .

122. ——————————— ,
«Statue Votive d'Ousertesen 1er à son ancètre, la Prince Antaf-aa», Rec. trav, XXII, 1900, p. 64.

123. ——————————— ,
Zwei Inschriften der Fursten von Hermonthis», ZAS, XXXIV, (1896), pp. 25-35.

124. LANGE, H. O., and SCHAFER, H.,
Grab - und Denksteine des mittleren Reichs . . . (C C G Nos. 20001-20780), 4 Vols., Berlin 1902-1925.

125. LARSEN, H.,
Vorbericht uber die schwedischen Grabungen in Abu Ghalib, Cairo, 1941.

126. LAUER, J. P.,
Le Pyramide à Degré, L'Architecture (Service des antiquités de l'Egypte: Fouilles à Saqqarah, 3 Vols., Cairo, 1936-1939.

127. ——————————— ,
«Le Temple Funéraire de Khéops à la Grande Pyramide de Guizeh» ASAE, XLVI, 1947, pp. 245-259.

128. LEGGE, G. F.,
«The Tablets of Negada and Abydos», Proceeding of the Society of Biblical Archaeology, XXVIII, 1906, pp. 252-263 ; XXIV, 1907, pp. 18-24, 70-73, 106-109, 150-154, 243-250.

129. LEPSIUS, C. R.,
Denkmaeler aus Aegypten und Aethiopien, part I and II, 6 parts, Berlin 1849-1829.

130. LUTZ, H. F.,
Egyptian Tomb Steles and Offering Stones of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California University of California Publications, Egyptian Archaeology, IV, Leipzig, 1927.

131. LYTHGOE, A. M.,
«Recent Egyptian Acquisitions», BMMA,
II, 1907, pp. 193-196.
III, 1908, pp. 220-223.

132. ——————— ; and RANSON, C. L.,
The Tomb of Perneb The Metropolitan Museum of Art, New York, 1916.

133. MACE, A. C. and WINLOCK, H. E.,
The Tomb of Senebtisi at Lisht, New York, 1916.

134. MACKAY, E. and Others,
Bahrein and Hemamiah, London, 1920.

135. MARIETTE, A.,
Catalogue Général des Monuments d'Abydos Découverts Pendant les Fouilles de Cette Ville, Paris, 1880.

136. MASPERO, G.,
La Pyramide du Roi Ounas, Rec. Trav.,
III 1882, pp. 177-224.
IV 1883, pp. 41-78.

137. ——————— ,
«Trois Années de Fouilles dans le Tombeaux des Thèbes et de Memphis», MMAF, I, pp. 188-237, Cairo 1884.

138. ——————— ,
«La Pyramide du Roi Teti», Rec. Trav., V 1884, pp. 159.

139. ——————— ,
«La Pyramide du Roi Pepi I », Rec. Trav. V 1884 pp. 157-198.
VII 1885, pp. 145-176.
VIII 1886, pp. 87-120.

104. MASPERO, G.,
«La Pyramide du Roi Mirinri I»,
Ibid IV 1887, pp. 177-191.
Ibid X 1888, pp. 1-29.
Ibid XI 1889, pp. 1-31.

141. ——————— ,
«La Pyramide du Roi Pepi II» Ibid. XII 1892, pp. 53-95, 136-195.
XIV, 1893, pp. 125-152.

142. MENGHIN, O. and BITTEL, K.,
Kasr el Sagha» Mitteilungen des Deutschen Instituts für ägyptische Altertumskunde in Kairo, V 1934 pp. 1-10.

143. MOHAMED ZAKARIA GHONEIM,
The Buried Pyramid, 1956.

144. MOLLER, G., (ed.),
Hieratische Papyrus aus den Koniglischen Museum zu Berlin III, pls. I-XVI, Leipzig, 1911.

145. MOND, R. and MYERS, O. H.,
Temples of Armant, 2 Vols., London, 1940.

146. MONTET, P.,
«Les tombeaux de Siout et Deir Rifeh»,
Kémi, III, 1930, pp. 89-111.
Kémi, VI, 1936, pp. 138-155.

147. MORGAN, J. De.,
Fouilles à Dahchour, Mars - Juin, 1894. Vienna, 1895.

148. ——————————,
Fouilles à Dahchour en 1894-1895, Vienna, 1903.

149. —————————— , and Others,
Catalogue des Monuments et Inscriptions de l'Egypte Antique Service des antiquités de l'Egypte, I: De la frontière de Nubie à Kom Ombos, Vienna, 1894.

150. MUCK, O.,
Cheops und die grosse pyramide, 1958.

151. MULLER, H. W.,
Die Felsengraber der Fürsten von Elephantine aus der Zeit des Mittleren Reiches, Aegyptologische Forschungen, 9, Gluchstad, 1940.

152. MURRAY, G.,
Saqqara Mastabas, I, London, 1904.

153. —————————— ; and SETHE, K. H.,
Saqqara Mastaba, II, 2 Vols. London 1905-1937.

154. NAVILLE, E., and PEET, T. E.,
The Cemetries of Abydos, 3 parts, London, 1913, 1914.

155. ——————————,
The IIth. Dynasty Temple at Deir - el - Bahri, 3 Vols., London, 1907-1913.

156. NEEDLER, W.,
«AFlint - Knife of King Djer», JEA. 42, 1956.

157. NEWBERRY, P. E.,
«The Wooden and Ivory Labels of the First Dynasty,» Proceedings of the Society of Biblical Archaeology, XXXIV 1912, pp. 279-289.

158. ——————————— ,
«A Sixth Dynasty Tomb at Thebes», ASAE, IV 1908, pp. 97-100.

159. ——————————— ,
Beni Hassan II, London, 1893.

160. ——————————— ,
King (Nb. Kaw - Ra) of the Story of the Eloquent Peasant ZAS, L 1912, p. 123.

161. ——————————— ,
«The Inscribed Tombs of Ekhmim», Annals of Archaeology and Anthropology of the University of Liverpool IV 1912, pp. 99-120.

162. ——————————— ,
«On the Parentage of the Intef kings of the Eleventh Dynasty», ZAS, LXXII, 1936, pp. 118-120.

163. ——————————— , and Others,
El Bersheh I, London, 1892.
El Bersheh II, London, 1893.

164. PEET, T. E.,
The Rhind Mathematical Papyrus, British Museum, 100057 and 10058, Introduction, Transcription, Translation and Commentary, London, 1923.

165. ——————————— ; and WALLE, B. von De.,
«Documents Juridiques Egyptiens», Archives d'histoire du Droit Oriental, I 1937, pp. 3-86.

166. PETRIE, W. M. F.,
The Royal Tombs of the First Dynasty, London, 1900.

167. ——————————— ,
The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, London, 1901.

168. ——————————
Gizeh and Rifeh, London, 1907.
169. ——————————,
Medum, London, 1892.
170. ——————————,
Dendereh, London, 1900.
171. ——————————,
Abydos I, London, 1902.
172. ——————————,
Abydos II, London, 1903.
173. ——————————,
Ehnasya, London, 1905.
174. ——————————,
Qurneh, London, 1909.
175. ——————————,
Tombs of the Courtiers and Oxyrhynkhos, London, 1925.
176. ——————————,
Medum and Memphis III, London, 1910.
177. ——————————,
Sedment I & II, London, 1924.
178. ——————————,
Tarkhan I, and Memphis V, London, 1913.
179. PETRIE, W. M. F. and MURRAY, M. A.,
Seven Memphite tomb - chapel 1952.
180. PIEHL, K.,
Inscriptions Hieroglyphiques Recueillies en Europe et en Egypte, 5 Vols., Leipzig, 1886-1903:
181. POLOTSKY, H. J.,
Excavation at Saqqara, 1905-1906, and 1906-1907, Cairo 1907, 1908.
182. ——————————,
. Zu den Inschriften der 11, Dynastie, Unters, XI, Leipzig, 1929.
183. QUIBEEL, J. E.,
«Slate Palette from Hierakonpolis», ZAS, XXXVI 1898, pp. 81-84.

184. ———————— ;
Excavations at Saqqara, 1905-1906 & 1906-1907, Cairo, 1907, 1908.

185. ———————— ,
Excavations at Saqqara, 1907-1908, Cairo, 1908.

186. ———————— ,
Excavations at Saqqara, 1911-1912, The Tomb of Hesy, Cairo, 1913.

187. ———————— ,
Excavations at Saqqara, 1912-1914, Archaic Mastabas. Cairo,1923.

188. QUIBELL, J. I. and HAYTER, A. G. K.,
Teti Pyramid, North Side, Cairo, 1927.

189. REISNER, G. A.,
The Hearst Medical Papyrus University of California, Egyptian archaeology, I Leipzig, 1905.

190. ———————— ,
A Provincal Cemetry of the Pyramid Age, Naga - ed - Dêr, III, Oxford, 1932.

191. ———————— ,
A History of the Giza Necropolis, Vol. I, Cambridge, Mass. 1942.

192. ———————— ,
A History of the Giza Necropolis, Vol. II, The tomb of Hetep-Heres the mother of Cheops, Cambridge, Mass., 1955.

193. ———————— ,
Mycerinus: The Temple of the 3rd Pyramid at Giza Cambridge Mass., 1931.

194. ———————— ,
Excavations at Kerma Harvard African studies, V, VI Cambridge Mass., 1923.

195. ———————— , and Mace, A. C.,
The Early Dynastic Cemetries at Naga - ed - Der, 2 Vols., Leipzig, 1908.

196. RIZKALLAH MAKRAMALLAH,
Un Cimetière Archaique de la Classe Moyenne du Peuple à Saqqarah, Cairo, 1940.

197. ROEDER, G.,
Debod bis Bab Kalabsche, 3 Vols., Cairo, 1911, 1912, Urkunden zur Religion des Alten aegypten Religiose Stimmen der Volker, Jena, 1915.

199. ROUGE, E. De.,
Inscriptions Hiéroglyphiques copiées en Egypte pendant la Mission Scientifique de ...
Emmanuel de Rougé Etudes égyptologique IX, XII, Paris, 1877-1879.

200. ROWE, A.,
«The Eckley B. Coxe Jr. Expedition Excavations at Meydum 1929 - 1930», The Museum Journal, University of Pennsylvania, XXII, 1931, pp. 5-46.

201. SCHACK - SCHACKENBURG, H.,
«Der Berliner Papyrus 6619» ZAS, XXXVIII, 1900, pp. 135-140.

202. SCHAFEER, H.,
Priestergraber ... Von Totentemple des Ne - user - rê, Wissenschaftliche Veroffentlichung der Deutschen Orient - Gesellschaft, VIII, Leipzig, 1908.

203. SELIM HASSAN,
Excavations at Giza, Excavations of the Faculty of Arts of the Egyptian University, 10 Vols., Le Caire, 1932-1960.

204. SELIM HASSAN,
Excavations at Saqqarah, 1937-1938, ASAE, XXXVIII, 1938, pp. 503-514.

205. SETHE, K.,
Urkunden de alten Reichs, Urkunden des aegyptischen Altertums, I, Leipzig, 1933.

206. ——————————,
Die altaegyptischen Pyramidentexte, 4 Vols, Leipzig, 1908-1922.

267. ———————— ,
Dramatische Texte zu alt-aegyptischen Mysteriensplelen, Unters X, Leipzig, 1928.

208. ———————— ,
Review of Weill, Décrets Royaux,Gottingische gelehrte Anzeigen, December, 1912, pp. 705-726.

209. STECKEWEH, H.,
Die Furstengrâber vonQâw Veroffentlichungen der Ernst von Sieglin Expedition in Aegypten, Vol. 6, Leipzig, 1936.

210. SMITHER, P. C.,
«An Old Kingdom Letter Concerning the Crimes if Count Sabni» JEA, XXVIII, 1942, pp. 16-19.

211. SPELEERS, L.,
Les Textes des Pyramides Egyptiennes, 2 Vols., Brussels, 1923.

212. STEINDROFF, G.,
Das Grab des Ti, Leipzig, 1913.

213. ———————— ,
Aniba, 2 Vols., Gluckstadt, Hamburg, New York, 1935-1937.

214. STOCK, H.,
«Quelques Stèles de Soldats de la Première perio de Intermédiaire», Chronique d'Egypte, XVIII 1943, pp. 21-29, XIX 1949, p. 61.

215. ———————— ,
«La Tombe d'Ankhtifi à Moalla (Haute Egypte), Comptes Rendus ... de l'Académie des Inscriptions et Belles - lettres, 1947, pp. 1-37.

216. THOMAS, W. R.,
« Moscow Mathematical Papyrus, No. 14 », JEA, XVII, 1931, pp. 50-52.

217. TOMB OF HETEB - HERES:
Bulletin of Fine Arts Museum, Boston, Vol. XXV 1928, XXVI, (1923),pp. 76-88.
Illustrated, London, News,
March 12, 1927, 26, 1927, Nov. 24, 1927.
Aug. 25, 1929 May 7, 1932 Nov. 18, 1939.

218. TOMB OF UNAS.,
Illustrated London News,
June 4, 1938 b. 1900, Feb. 26, 1944 bb. 247-249 .
Annales du Service, Vol. XLIII, 1943 pp. 439-432
pls. XXVIII-XXXII.

219. VARILLE, A.,
La Tombe de Ni - Ankh - Pepi à Zôouyet - el Mayetin, Institut Français d'Archéologie du Caire, Mémoire, Vols. 70, Le Caire, 1938.

220. WEIL, R.,
Les Décrets Royaux de l'Ancien Empire Egyptien...Paris, 1912.

221. WINLOCK, A. E.,
Excavations at Deir - el - Bahri, 1911-1931, New York, 1942.

222. ZAKY SAAD,
Royal Excavations at Saqqara and Helwan 1914-1945, ASAE III, Supp., Caire, 1947.

223. ——————,
Royal Excavations at Saqqara and Helwan Cairo, 1948.

224. ——————,
Royal Excavations at Helwan, Cairo, 1951.

225. ——————,
Ceiling Stelae in 2nd. Dynasty Tombs, Cairo, 1957.

ويبدأ الكاتب بدراسة الانسان والبيئة قبل مرحلة إنتاج الطعام والعصر الحجري الحديث في كل من مصر وبلاد الرافدين وفلسطين وسوريا ولبنان والهضبة الايرانية والسند والمغرب .

الفصل الثاني

الانسان والبيئة قبل عملية انتاج الطعام

يتجه الدارس اولا الى الانسان ثم الى البيئة :

الانسان :

بدأت الحياة الانسانية بظهور آدم عليه السلام كما نص القرآن الكريم والكتب المقدسة الاخرى وهذه حقيقة نهائية نؤمن بها جميعا والحمد لله. وقد حاول بعض العلماء البحث والتنقيب عن بقايا المجتمعات الانسانية الاولى فلاحظوا بعض ظواهر من التطور البدني والفكري ، وقد استغرق ذلك وقتا طويلا اثناء الزمن الجيولوجي الرابع الذي يقدر بحوالي مليون سنة بعصريه البليستوسين Pleistocene والحديث Recent . وهناك من العلماء من يعتقد أن تطور الانسان قد حدث في أثناء الزمن الجيولوجي الثالث وخاصة في عصر الميوسين Miocene والبليوسين Pliocene وذلك بناء على دراسة بعض الحفريات Fossils . ويرجع هؤلاء العلماء زمن تطور الانسان إلى حوالي ١٥ مليون سنة . ولكن الرأي الغالب بين العلماء أن الحفريات الإنسانية لا يتعدى تقديرها الزمني مليون سنة ، أي تنتمي إلى عصر البليستوسين ، ولكن الانسان يرجع في تطوره الأول إلى عصري الميوسين والبليوسين أي حوالي ١٠ مليون سنة على الأقل ويحتمل إلى حوالي ١٥ مليون سنة (١) . وعلى الرغم من العثور على عددمن الحفريات الانسانيةفي جهات متفرقة

---

(١) Krogman, W. M., Human Evolution, in Human origins, II. Chicago, 1949. P, 94, 72.

من العالم القديم إلا أن العلماء قد اعتبروا بقايا الهياكل العظمية الخاصة بكل من إنسان جاوة Pithecanthropus Erectus أوكما عرف باسم Java Man ،وإنسان بكين Sinathropus Pekinensis أو Peking man من أقدم الهياكل العظمية الشبيهة بالإنسان . وترجع تلك الحفريات إلى حوالي نصف مليون سنة (١) .

ولم يقتصر بحث العلماء على دراسة الحفريات الانسانية بل شمل أيضاً صناعات الانسان الحجرية الأولى . وتدل دراسة الأدوات الحجرية التي عثر عليها أنها كانت فعلا من صنع الإنسان ولم تكن من نتاج العوامل الطبيعية أو الحيوانية . ومن الأهمية بمكان القول أنه عثر مع إنسان بكين على أدوات حجرية مما كان له أثره البالغ في تأكيد توصل هذا الإنسان إلى نوع من التفكير العملي المؤدي إلى استفادته من البيئة المحيطة به واستغلاله التدريجي لخاماتها وذلك لمساعدته على القيام بأعباء حياته الانسانية الجديدة . ويغلب أن إنسان جاوة قد توصل إلى صنع أدواته أيضاً رغم عدم العثور عليها . أما في إفريقيا وغربي أوربا فقد عثر على الأدوات الحجرية التي صنعها الانسانالأول،ويقدر عمرها بحوالي نصف مليون سنة ولكن لم يعثر على عظام صانعيها (٢) .

ويمكن الباحث في التطور الانساني حصر المراحل الرئيسية لهذا التطور في النقاط التالية :

(أ) مرحلة ما قبل الانسان Prehumans في عصري الميوسين والبليوسين منذ حوالي ١٥ مليون سنة وما بعدها .

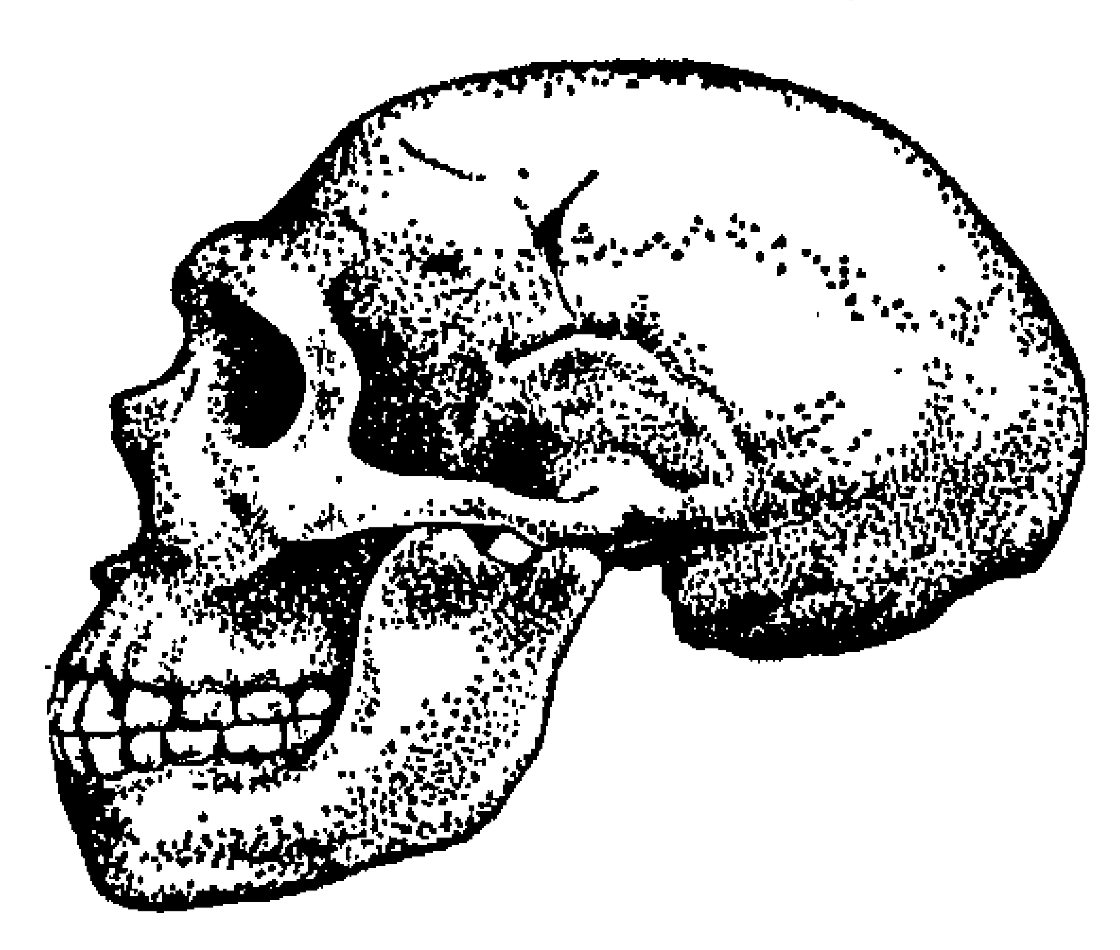
(ب) مرحلة الانسان الأول وذلك في عصر البليستوسين وتشمل مايلي :

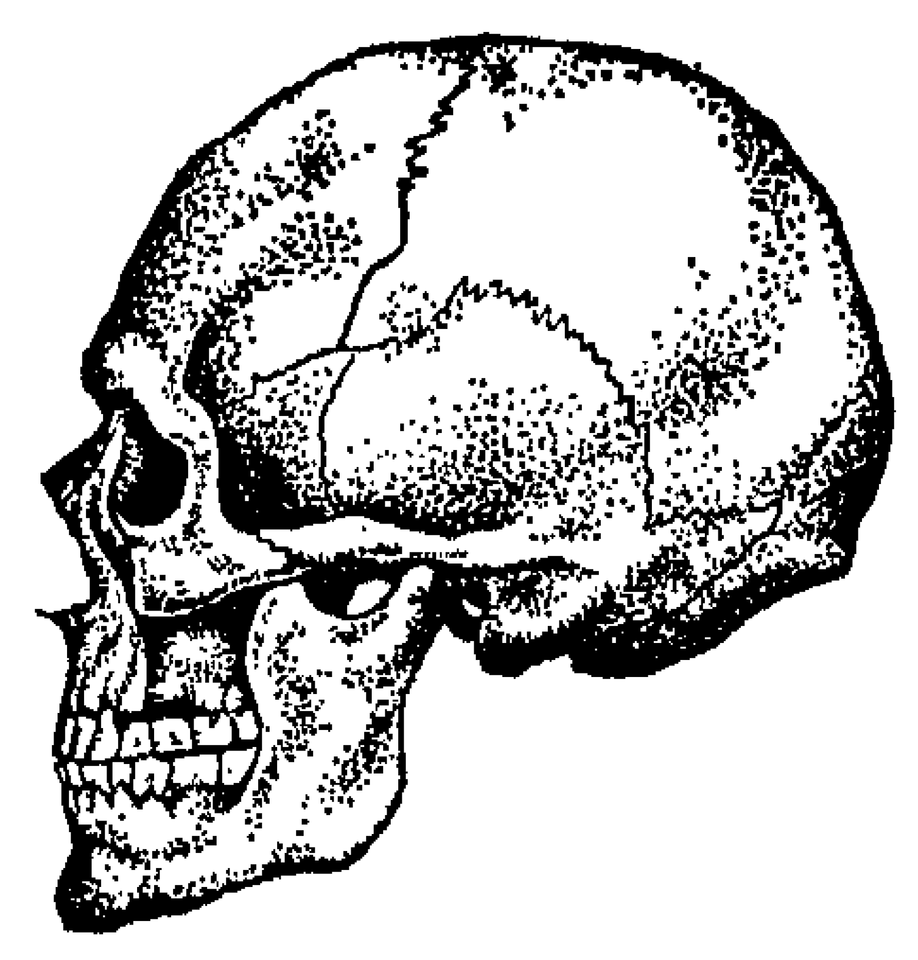
١ — مرحلة إنسان جاوة وإنسان بكين ، انظر شكل رقم (١) ، وبداية صناعة الأدوات الحجرية منذ حوالي نصف مليون سنة .

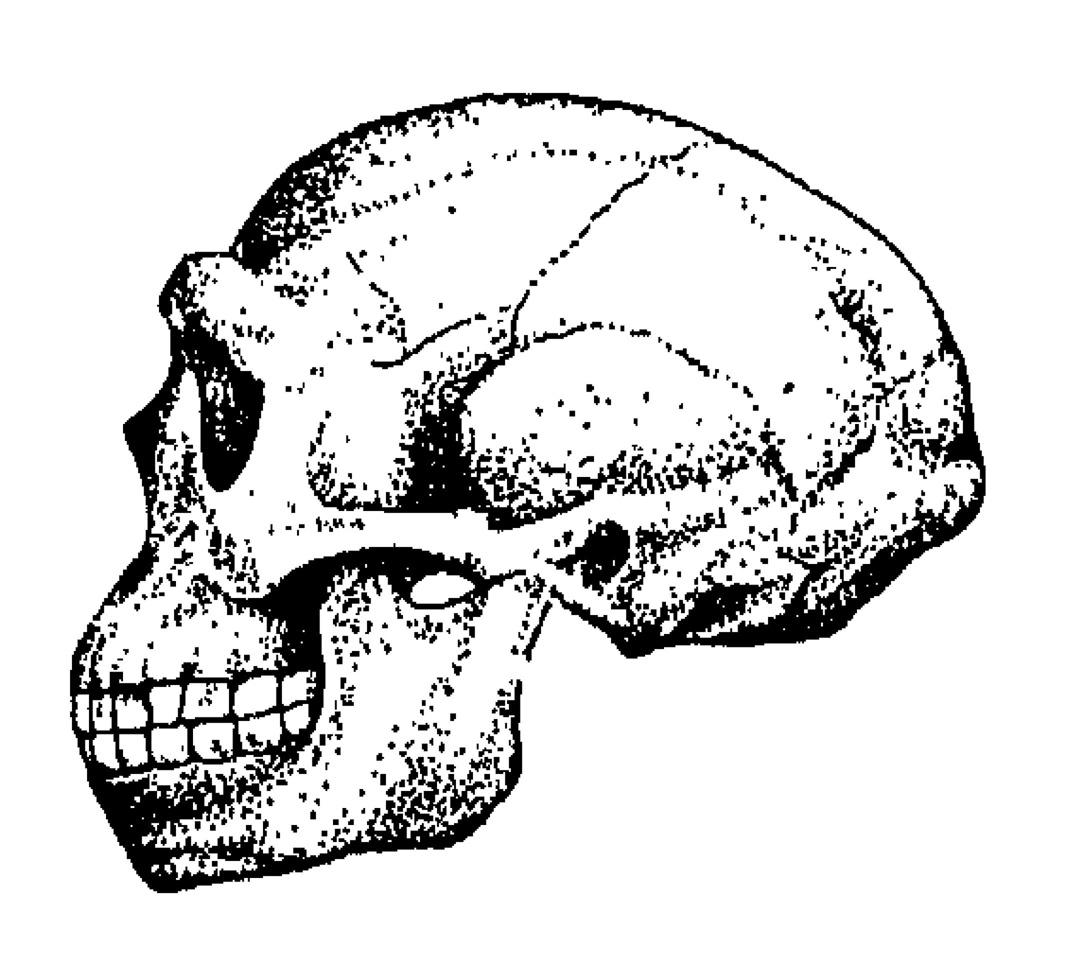
---

(1) Braidwood, R. J., Prehistoric men, Chicago, 1948, p. 19.
(2) Ibid.

٢ـمرحلةبدايةالانسان الحديث الأول Neanderthal في المانيا وإنسان هيدلبرج Heidelberg في المانيا وإنسان روديسيا Rhodesia في افريقيا وإنسان صولو Solo في جاوة .


(١) الانسان الحديث


(٢) انسان نيندرتال


(٣) انسان بكين

شكل رقم (١) رسوم للانسان الحديث وانسان نيندرتال وانسان بكين

٣ ـ مرحلة الانسان الحديث الأول Early modern man ويشمل إنسان جاللي هل Galley Hill في إنجلترا وإنسان سوانسكوب Swanscomb في إنجلترا أيضاً وإنسان ستاينهيم Steinheim في ألمانيا ، وينتمي إلى تلك المجموعة أيضاً إنسان جبل الكرمل Mount Carmel بفلسطين .

(جـ) مرحلة الانسان الحديث أو الانسان العاقل Homo Sapiens وقد ظهر منذ حوالي ٧٥,٠٠٠ سنة وما بعدها . وقدظهر هذا الانسان في أوربا منذ حوالي ٥٠,٠٠٠ سنة وينتمي إلى هذه المرحلة مجموعة إنسان كرومانيون

Gro-Magnon بفرنسا ومجموعة كومب — كابل — برن Combe-Capelle -Brunn، وإنسان جريمالدي Grimaldi ذو الصفات الزنجية بايطاليا . وهناك أمثلة أخرى تمثل السلالات البشرية المختلفة البيضاء والسوداء والصفراء أي العناصر القوقازية والزنجية والمغولية . ويتجه بعض العلماء إلى القول بوجود صلة تطورية مباشرة بين بعض هذه المراحل مثل صلة إنسان جاوة بإنسان صولو في جاوه أيضاً ، ولكن ذلك لا ينطبق تماماً على جميع هذه المراحل كافة ، ولا يزال مجال البحث والتنقيب مفتوحاً وسوف يضفي من آن لآخر بحفريات جديدة تساعد على تفهم مشكلة التطور الانساني . هذا وقد اتفق العلماء على أنه لا يوجد مايسمى بالعنصر البشري النقي pure race ولهذه الحقيقة نتائجها الحضارية الهامة . وتلزم الإشارة هنا بأن منطقة الشرق الأدنى القديم لاتزال بعض أجزائها في أشد الحاجة إلى استكمال البحث فيها مثل شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى كما أن كون هذه المنطقة أقدم مناطق العالم في الاستقرار والتوصل إلى إنتاج الطعام وإنشاء القرى والمدن لمما يساعد على ضرورة زيادة الاهتمام ببحثها (١) .

وتبين دراسة مراحل التطور سالفة الذكر على أن الأنسان قد مر بعددكبير من مراحل النمو والتطور البدني والعقلي وتمكن من تدريب عقله وحواسه وقدراته والاستفادة من تجاربه المختلفة مما كان له أثره في نقل حياته إلى مراحل أكثر تطوراً في المجالين المادي والمعنوي . وقبل التعرض إلى مظاهر حياته وحضاراته قبل مرحلة عملية إنتاج الطعام في الشرق الأدنى القديم تحسن الإحاطة ببعض المظاهر البيئية في عصر البليستوسين وهو العصر الذي ظهر فيه الإنسان . وكما كان الإنسان في هذا العصر يسير في عدة مراحل تطورية كذلك كانت

---

(١) قام بدراسة هذا الموضوع في ج .ع . م . الأساتذه سليمان حزين ، ومحمـد عوض
Huzayyin, S. A., The Place of Egypt in Prehistory, Mémoires Présentés à L'Egypte, XLIII, Cairo, 1941 .
محمد ، سكان هذه الكواكب ، القاهرة ١٩٣٦ وابراهيم أحمد رزقانة ، العائلة البشرية ، القاهرة ١٩٤١ ومحمد السيد غلاب ، تطور الجنس البشري ، الاسكندريه ١٩٥٥ .

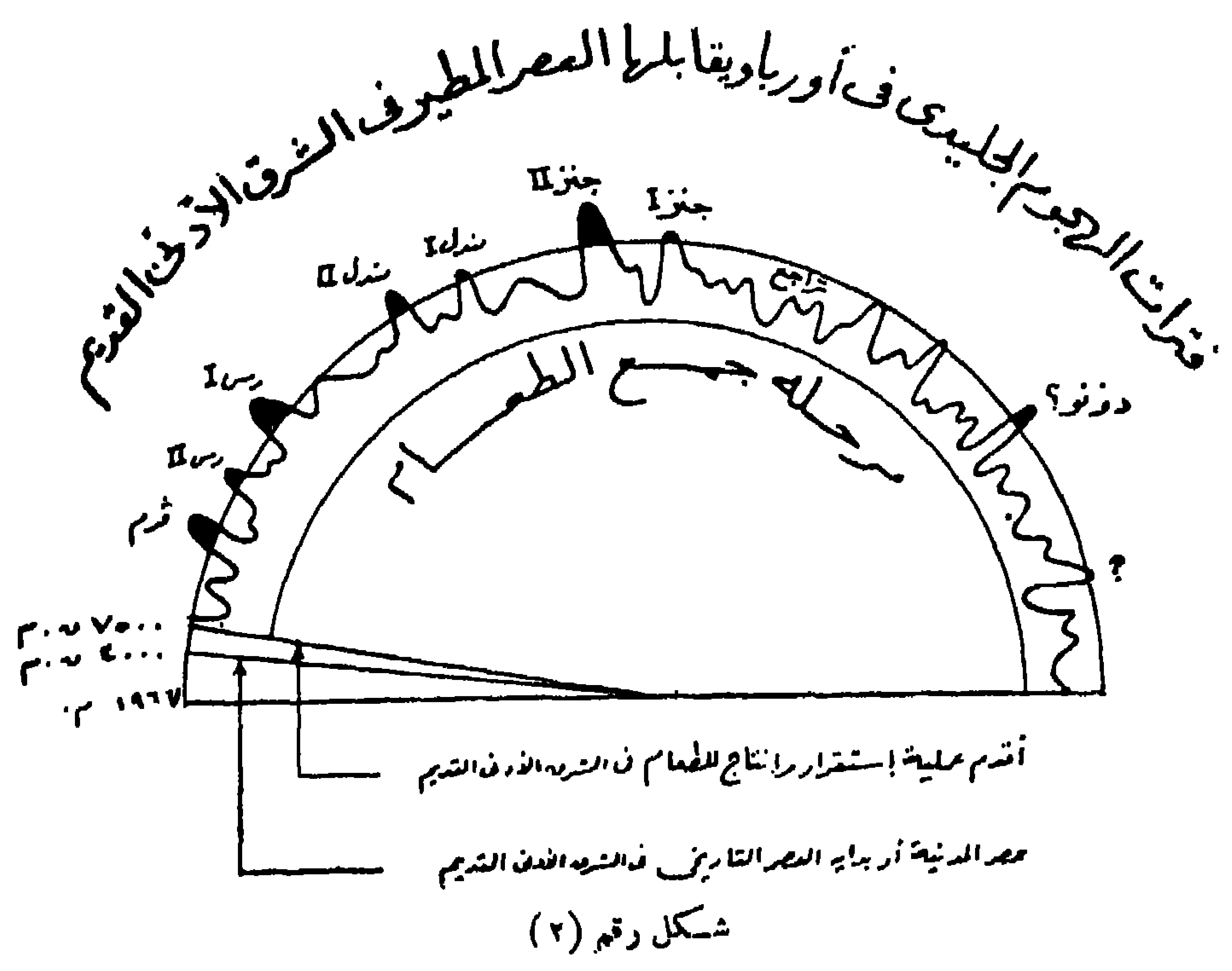
البيئة في صورة متغيرة وغير مستقرة لحد كبير مما كان له أثره في تشكيل وتوجيه حياة الانسان القاطن فيها ، وفيما يلي بعض الظواهر البيئية في ذلك الوقت .

البيئـــة :

يتميز عصر البليستوسين بالهجمات الجليدية التي كان لها أثرها في تغيير جو ذلك العصر في نصف الكرة الشمالي . ولكن هذه الهجمات الجليدية لم تستمر طواله بل كانت على عدة مراحل تتخللها فترات انسحاب الجليد نحو الشمال وبالتالي عودة المناخ إلى حالته الأولى ، وقد قام العلماء بحصر المراحل الرئيسية التي ساد فيها الهجوم الجليدي وتقدر بأربع مراحل رئيسية على الأقل (١) ، وهي مراحل جنز Gunz ومندل Mindel ورس Riss وأخيراً ڤرم Würm وذلك في أقاليم جبال الألب الأوربية . أما عن التوقيت الزمني لبداية هذه الهجمات الجليدية فلم ينته هذا الموضوع إلى رأي نهائي بعد ولكن الرأي الغالب بين العلماء أن الهجمات الجليدية قد بدأت حوالي ٥٩٠,٠٠٠ ق . م . ويميل بعض العلماء إلى القول باحتمال وجود مرحلة هجوم جليدي قبل مرحلة جنز وهي مرحلة دونو Donau وذلك في الفترة بين ٨٣٥,٠٠٠–٧٢٠,٠٠٠ ق . م . وكانت هناك فترات تراجع جليدي بين مراحل الهجوم السابقة ، فهناك فترات التراجع الأول والثاني والثالث والرابع . وفي شمال افريقيا وشبه الجزيرة العربية كان يسود العصر المطير أثناء وجود العصر الجليدي في أوربا . وكان لذلك أثره البالغ في تحول الصحراء الكبرى وصحراء بلاد العرب إلى منطقة تتوفر المياه في أوديتها وتظهر فيها حياة نباتية برية .

يتبين من دراسة حياة الإنسان وظروف البيئة قبل « الثورة » الصناعية

(١) انظر الرسم الموضح في شكل رقم (٢)



شكل رقم (٢)

رسم يمثل فترات الهجوم والتراجع الجليدي والمطيري

(بعد ميلانكوفيتش) ، وعصور جمع وإنتاج الطعام وبداية العصر التاريخي

الأولى أن الإنسان والبيئة لم يكونا مستقرين في صورة نهائية بل كان عنصر التغير والتطور مستمراً منذ البداية ، وكان لذلك أثره البالغ في تحديد طبيعة تفكير الانسان وصناعاته . وقد اضطر الإنسان إلى الالتجاء إلى الكهوف في أثناء الهجمات الجليدية والخروج منها من آن لآخر وخاصة أثناء فترات التراجع الجليدي إلى الشمال . وأخيراً وصل الإنسان إلى مرحلة الاستقرار والانتاج وإنشاء القرى أو بالأحرى عصر إنتاج الطعام وذلك بعد فترة زمنية طويلة تقدر بأكثر من ٩٩ بالمئة من حياة أمضاها جامعاً للطعام وعائشاً في تلك الظروف الجوية المتغيرة ، ولكنه على الرغم من قسوة ظروفه البيئية فقد تمكن من التوصل إلى أقلمة حياته لحد كبير بالبيئة التي يعيش فيها وتوصل إلى صنع حضارته وترك

أدواته الحجرية في مرحلة العصر الحجري القديم بأقسامه الثلاثة الأسفل والأوسط والأعلى . وكانت نقلة حياته إلى مرحلة إنتاج الطعام بمثابة ثورة خطيرة في حياته الطويلة الجامعة للطعام . وكان الإنسان في الشرق الأدنى القديم صاحب الأولوية في هذا الانتقال قبل أي مكان آخر في العالم منذ حوالي ٩,٥٠٠ (١) . وقبل دراسة كيفية حدوث الانتقال من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاجه وكذلك موضوع تقدير أزمنة حضارات الإنسان في هذه المراحل ، يتجه الدارس أولا إلى تقسيم حياة الانسان من ناحية تطوره الحضاري وذكر الدعائم الرئيسية في هذا التطور .

مراحل التطور الحضاري :

يمكن تقسيم حياة الإنسان من ناحية تطوره الحضاري وخاصة في المجال الاقتصادي والصناعي إلى المراحل التالية :

(أ) مرحلة جمع الطعام Food Collecting Period وهي المرحلة التي بدأت منذ ظهور الإنسان واستمرت إلى حوالي ٧٥٠٠ ق . م . في بعض المواقع أو بعد ذلك في المواقع الأخرى ، وهي الفترة التي عاش فيها الإنسان متنقلا في سبيل البحث عن رزقه ولم يصل طوال هذه الفترة إلى مرحلة الاستقرار الكامل ، وتعرف هذه المرحلة أيضاً باسم العصر الحجري القديم (الباليوليتي) Paleolithic وأحياناً باسم مرحلة الوحشية Savagery.

---

(١) لا يزال التحديد الزمني الدقيق محل دراسة ، وذلك تبعاً للآثار وتقويمها الزمني مما يؤدي إلى وجود اختلاف نسبي في هذا التحديد ، أنظر ،

Cole, S., The, Neolithic Revolution, London, 1961, p. 1.
Braidwood, R. J., the Near East and the Foundations For Civilization, Eugene, Oregon, 1952, p. 5.

(ب) مرحلة عملية إنتاج الطعام Food-Producing Revolution أو « الثورة » الصناعية الأولى . وهي مرحلة التحول Transformation الأول الكبير في حياة الإنسان من جامع للطعام إلى منتج له أي بداية التوصل إلى الزراعة وذلك حوالي ٧٥٠٠ ق . م . في منطقة الشرق الأدنى القديم .

(ج) مرحلة إنتاج الطعام ، وهي المرحلة التي توصل فيها الإنسان إلى بناء القرى والاستقرار المادي والمعنوي وتتضمن مرحلة العصر الحجري الحديث النيوليتي Neolithic وأحياناً يطلق عليها البربرية Barbarism ، وعصر استخدام الحجر والنحاس (الأنيوليتي) وعصور ما قبل الاسرات Predynastic في الشرق الأدنى القديم ، وقد بدأ هذه المرحلة في هذه المنطقة حوالي ٧٥٠٠ ق . م .

(د) مرحلة المدنية Civilization وهي المرحلة التي حدثت في بداية العصر التاريخي ، في الشرق الأدنى القديم والتي تميزت بتوصل الانسان إلى الكتابة وبناء المدن وتنظيم مجتمعه من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية وذلك حوالي ٣٠٠٠ ق . م . هذا وقد تطور الانسان في أثناء العصر التاريخي وهو عصر المدنية ، تطوراً سريعاً في كافة مجالات حياته ، وتوصل إلى الثورة الصناعية الثانية بتعرفه على قوة البخار في القرن الثامن عشر الميلادي وكذا إلى الثورة الصناعية الثالثة الآن بتعرفه على الطاقة الذرية .

والواقع أن التقسيم الحضاري لحياة الانسان يقوم على أساس تطور تفكيره الاقتصادي ، وقدرته الصناعية الفنية (١) Technology وأيضاً تطور تفكيره المعنوي ، وهذا التطور يعتبر من أهم المراحل التي مرت بحياة الانسان مما يستوجب قياس حضارته ونتاجه الحضاري على أساسه ، وقد اتجه إلى هذا التقسيم الحضاري

(١) Oakley, K. P., Man the tool-maker, London. 1963.

على أساس التفسير الاقتصادي والصناعي ج. تشيلد G. Childe (١) فقد قسم حياة الإنسان إلى مراحل أطلق عليها تعبير « ثورات» Revolutions ، وذلك على أساس أن هذه المراحل الحاسمة في حياة الانسان تعتبر بمثابة انقلابات وتغيرات رئيسية أو بالأحرى ثورات . وركز تشيلد اهتمامه بصفة خاصة على ثورات إنتاج الطعام Food-Producing والتوصل إلى المرحلة الحضرية Urban أو المدنية وأيضاً إلى الثورة الصناعية Industrial Revolution . ويرى الدارس أن وجهة نظر تشيلد في هذا التقسيم الحضاري صحيحة إلى حد كبير ، ولكن التعبير الذي أطلقه الأستاذ تشيلد على هذه المراحل وهو اسم « ثورات» تعبير يستوجب ضرورة الحذر في استخدامه ، وذلك لأن الثورات في حد ذاتها تحمل معاني الانقلابات والتغيرات المفاجئة . صحيح أن مرحلة إنتاج الطعام تمثل تغيراً كلياً في حياة الإنسان، مما دفع تشيلد إلى تسمية هذه المرحلة باسم ثورة إنتاج الطعام، ولكن الواقع يبين أن هذه المرحلة قد مرت بعدد من التطورات الحضارية المختلفة الممهدة لها ، ولذلك فالدارس يميل إلى استخدام تعبير عملية إنتاج الطعام، آخذاً في الاعتبار هذه التطورات السابقة لها ،ويدفعه ذلك نحو قبول هذا التعبير مع التحفظ ولذلك يكتبها بالصورة التالية « ثورة » انتاج الطعام . ويمكن تطبيق ذلك أيضاً على مراحل الانتقال التالية وهي مرحلة التوصل إلى المدنية والثورات الصناعية الحديثة .

---

(١) عبر تشيلد عن وجهة نظره في عدة كتب منها :

Childe, V. G., What happened in History, New York, 1946.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الأستاذ جورج حداد بعنوان :

ماذا حدث في التاريخ ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

Man makes himself, London. 1948.,

Social Evolution, London; 1951.,

New Light on the most Ancient East. 4 th ed., 1952.

وهناك رأي آخر يتجه اليه ر . ردفيلد R. Redfield يقسم التطور الحضاري إلى مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الأولى وهي ما قبل المدنية Precivilized وأحياناً يطلق عليها تعبير المرحلة البدائية Primitive أو تعبير ما قبل الكتابة Preliterate أو مرحلة العشائر Folk society (١) والمرحلة الثانية مرحلة المدنية Civilization ، وعلى ذلك فقد حصر ردفيلد مراحل التطور الحضاري في هاتين المرحلتين شاملا المراحل المختلفة ، وذلك على أساس أن مرحلة الانتقال إلى المدنية هي محور التقسيم الحضاري في وجهة نظره . أما مرحلة « ثورة » إنتاج الطعام فهي في وجهة نظره مجرد تحول Transformation من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاجه ، ولذلك فردفيلد لا يعتبر هذه المرحلة « ثورة » في حياة الانسان ويقول أنه من الممكن نشأة قرى دون توصل إلى الزراعة مثل قرى الصيادين الهنود الحمر في شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية وأيضاً قرى الصيادين على ساحل اسكنديناوة (٢) .

ويرى الدارس أن وجهة نظر ردفيلد تنطبق على كافة المجتمعات بوجه عام ، ولكن فيما يتعلق بمجتمعات الشرق الأدنى القديم فقد تميزت بصفة خاصة وذلك بتوصلها إلى إنتاج الطعام واكتشاف الزراعة وإنشاء القرى المتصلة بالحياة الزراعية أكثر منها بحياة الصيد ، ولذلك فمرحلة « ثورة » إنتاج الطعام تمثل حقيقة هامة في مراحل التطور الحضاري بالنسبة إلى منطقة الشرق الادنى القديم . ولذلك يميل الدارس إلى تأييد وجهة نظر تشيلد إلى حد كبير بالنسبة

---

(1) Redfield. R., the Primitive world and its Transformations, Ithaca, New York. 1957, X ff.
(2) Ibid. 5.

لمنطقة الشرق الأدنى القديم واعتبارها أكثر ملاءمة لمجتمعات هذه المنطقة من وجهة نظر ردفيلد في هذا الصدد .

وقد قام الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم بدور أصيل في مراحل التطور الحضاري السالفة الذكر . فهو صاحب الفضل الأول في الانسانية جمعاء في الانتقال بحياة الانسان من مرحلة جمع الطعام إلى « ثورة » إنتاجه . وهذه الحقيقة مدعمة بالأداة الأثرية الثابتة . ولم يقتصر مجهود الانسان في مراحل صنعه وتطوره للحضارة في هذه المنطقة على نواحي الانتاج المادي، بل أيضاً امتد إلى الانتاج الفكري وسار في هذا المجال إلى مدى بعيد . وعلى ذلك فإن التطور الحضاري في هذه المنطقة يتميز باشتماله على كافة المظاهر المادية والمعنوية للحضارة الانسانية . هذا وقد اختلف العلماء في تعريفهم للحضارة كل حسب وجهة نظره التاريخية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الانثروبولوجية (١) أو الفلسفية. ومنهم شبنجلر Spengler وكروبر Kroeber وردفيلد Redfield وتوينبي Toynbee وكولنجود Collingwood

ويمكن القول أن الحضارة تمثل في الحقيقة مجموعة النشاط الانساني (٢) بمختلف مظاهره المادية والمعنوية ، وهي نتيجة مباشرة لمجهوداته وعاداته وتقاليده وسلوكه وتفكيره واستجابته (٣)، وترتبط في نشأتها وتطورها بحياة

---

(١) تختص الدراسة الأنثروبولوجية بتتبع موضوعات تطور حياة الانسان وسلوكه ومجتمعاته من النواحي البدنية والاجتماعية والثقافية منذ ظهوره على الأرض .

(٢) وقد عبر عن ذلك الأستاذ فؤاد زكريا في كتابه عن الانسان والحضارة في العصر الصناعي ، القاهرة ، ١٩٥٧ ص ٢٠ بالقول انه (تشتمل على الأوجه السياسية والأجتماعية والاقتصاديه والفنيه والعلميه والادبيه والدينيه من نشاط الانسان)

(٣) Linton, R., Tree of Culture, New York, 1955.

وترجمه للعربية الأستاذ أحمد فخري ، شجرة الحضارة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥ .

صانعها (١) الانسان ومدى تطور تجاربه المتوارثة والمحلية بالإضافة إلى المؤثرات الخارجية . وهذا المفهوم الشامل للحضارة يتمثل بصورة واضحة في منطقة الشرق الأدنى القديم . وقبل دراسة المراحل الحضارية السالفة الذكر في هذه المنطقة يجدر بالباحث التعرض أولا إلى موضوع التقويم الزمني لهذه المراحل وطرق التوصل إلى هذا التقويم حتى يمكنه وضع كل حضارة منها في مكانها الصحيح تاريخياً وكذلك دراسة هذه الحضارات دراسة مقارنة على أساس تقويمي سليم .

طرق التقويم الزمني :

تعتمد الشواهد الحضارية في تقدير قيمتها التاريخية فيما تعتمد ، على تقويمها الزمني لأن تقدير عمرها يساعد الدارس على تحديد مكانها الزمني في سجل الأدلة الأثرية المختلفة التي تكون في مجموعها مادة التاريخ. فالتقويم الزمني أساس رئيسي من أهم أسس المادة التاريخية التي يقوم الدارس ببحثها ، وبواسطته يتمكن المؤرخ من إثبات وجود الصلات التجارية والحضاريةوالسياسية بين مختلف المراكز الحضارية . وينطبق ذلك بصفة خاصة على صلات مصر بغربي آسيا منذ عصور ماقبل الأسرات وأثناء العصر التاريخي . ولذلك يعتبر من الضروري للباحث في التاريخ وفي موضوع الصلات التاريخية بكافة مظاهرها أن يصل إلى حل سليم في موضوع التقويم الزمني الخاص بالأدلة الأثرية التي يعتمد عليها. وقد

---

(١) Turner, R., The Great Cultural Traditions, The Foundations of Civilization, Vol. I, The Ancient Cities, New York and London, 1941, P. 16.

(٢) سيتعرض الكاتب في الفصول القادمة إلى مناقشة مدى تأثير العوامل المحلية والخارجية في حضارات منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا وأيضاً مدى تجارب الانسان لهذه المؤثرات المختلفة ونتائج ذلك المباشرة وغير المباشرة في مدى أصالة هذه الحضارات .

اتجه العلماء إلى عدد من الطرق منها طرق تقويمية مباشرة وطرق غير مباشرة استخدمت فيها كافة الأدلة النباتية (١) والحيوانية والأثرية في محاولة الوصول إلى تقدير الزمن الصحيح الذي يمكن للدارس الاعتماد عليه في تأريخه . ويمكن حصر هذه الطرق التقويمية فيما يلي : —

أ — طريقة تقويمية مباشرة :

١ — طريقة الكربون المشع Radiocarbon dating .

٢ — طريقة النقويم الفلكي The lunar and civil calendars .

ب — طرق تقويمية نسبية Relative chronologies .

١ — طريقة التوقيت المتتابع Sequence dating .

٢ — طريقة الطبقات Archaeological Stratification .

٣ — طريقة حلقات جذوع الأشجار Tree ring dating .

٤ — طريقة الدراسة المقارنة Comparative archaeology .

ويبدأ الدارس بالطرق التقويمية المباشرة :

طريقة الكربون المشع :

تعد هذه الطريقة من أحدث الطرق العلمية في التعرف على أعمار بعض الأدلة الأثرية وبالتالي أزمنة الحضارات التي تنتمي اليها هذه الأدلة . وتعتمد هذه الطريقة على الأبحاث العلمية الخالصة(٢) حيث أمكن تطبيق بعض النظريات التي

---

(١) Balout, L., Préhistoire de L'Afrique du Nord, Essai de Chronologie, Paris, 1955, 83 ff.

(٢) قام بهذه الأبحاث عدد من العلماء وبصفة خاصة و. ف. لبى أستاذ الكيمياء في معهد الدراسات النووية بجامعة شيكاجو .

سبق أن توصل اليها العلماء فيما يتعلق بكربون ١٤وعلاقته بالاشعة الكونية .
ويمكن تلخيص الحقائق الرئيسية الخاصة بهذه الطريقة في أن الأشعة الكونية
الصادرة من الشمس بصفة خاصة تصل إلى الغلاف الجوي للكرة الأرضية
فتصطدم به . وحيث أن كل ذرة من هذه الأشعة تتكون من نواة nucleus
والألكترونات المحيطة بها وهي شحنات كهربائية سالبة ، والنواة بدورها
تتكون من الشحنات الموجبة وتسمى البروتونات protons والشحنات المتعادلة
وتسمى النيترونات Neutrons فقد ثبت بالتجارب العلمية أن النيترونات الخاصة
بهذه الأشعة الكونية سرعان ما تتفاعل مع النيتروجين الموجود في الهواء ، وينتج
عن هذا التفاعل كربون ١٤ أي كربون وزنه الذري (١٤)مضافاً اليه هيدروجين
وزنه الذري ١ وذلك حسب المعادلة التالية :

$$N14 + n = C14 + H1$$

أي نيتروجين ١٤ + نيوترونات = كربون ١٤ + هيدروجين ١

ومن الملاحظ أن الاوكسجين الموجود في الهواء لا يتفاعل إطلاقاً مع
النيوترونات الخاصة بالأشعة الكونية . ويحمل كربون ٤ ١ الناتج عن هذا التفاعل
الصفة الإشعاعية radioactivity ويتحول بمجرد تكونه إلى ذرات غاز ثاني
اكسيد الكربون المشع ويمتزج هذا الغاز بثاني أكسيد الكربون الموجود في الجو.
وتنتقل هذه الذرات الكربونية المشعة بدورها إلى النبات الذي يعتمد في حياته
على ثاني أكسيد الكربون وبالتالي إلى الحيوان الذي يعيش على النبات . وعندما
تنتهي حياة النبات يبدأ كربون ١٤ في التحول التدريجي وبسرعة ثابتة إلى
كربون وزنه الذري ١٢ فاقداً ظاهرة الإشعاع . وقد توصل العلماء إلى تقدير
نصف عمر كربون ١٤ وهو ٥٥٦٨ ± ٣٠ سنة (٢). وعلى ذلك فعندما يعثر

---

(١) Libby, W. F., Radiocarbon Dating, Chicago, 1952, p. 2 ff.

(٢) Ibid, 35

علماء الآثار على بقايا مواد عضوية مثل القمح والخشب يمكنهم قياس بقايا كربون ١٤ المتخلف في هذه المواد واحتساب عمرها الأصلي بعد اعتبار الزمن الذي يستغرقه هذا التحول من كربون ١٤ إلى كربون ١٢. وبذلك يمكن التوصل إلى عمر هذه الآثار وبالتالي عمر الحضارة التي تنتمي اليها هذه الآثار. وقد طبقت هذه الطريقة العلمية على عدد من الأدلة الأثرية المختلفة في منطقة الشرق الأدنى القديم وثبتت نسبيا دقة التقويمات الزمنية التي أدت اليها . أما الطريقة الثانية فهي طريقة التقويم الفلكي .

طريقة التقويم الفلكي :

تعتمد هذه الطريقة على دراسة بعض الكواكب والزمن الذي تستغرقه في دوراتها، فقد ثبت فلكياً أن الأرض تدور حول الشمس في فترة عام يعرف بالعام الشمسي ويقدر ذلك بمدة ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات وثمانية وأربعين دقيقة وستة وأربعين ثانية أي ما يقرب من ١/٤ ٣٦٥ يوماً . وبالإضافة إلى هذا العام الشمسي هناك أيضاً السنة القمرية .

وقد بذل الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في كل من مصر وبلاد الرافدين مجهوداً كبيراً في سبيل التوصل إلى نظام توقيتي سليم يساعده على تنظيم حياته الاقتصادية والسياسية . وكان الاتجاه بين العلماء أن المصريين قد تمكنوا من التوصل إلى اختراع التقويم الزمني السنوي في عصور ماقبل التاريخ وخاصة في المرحلة الأخيرة من هذه العصور، أي قبل بداية العصر التاريخي، وكان اتجاههم هذا مبنياً على أساس أن المصريين قد ربطوا بين ظاهرة مجيء الفيضان في صيف كل عام بانتظام وبزوغ نجم الشعرى اليمانية سبدت (Spdt) أو Sirius أو Sothis وهي أولى مجموعة النجوم المعروفة بالكلب الأكبر، في الشرق قبل

طلوع الشمس ، وبتكرر ملاحظاتهم تمكنوا من حساب السنة المدنية على أساس ٣٦٥ يوماً . وقد اتجه إلى هذا الرأي الأساتذة ماير Meyer وبرستد Breasted وزيته Sethe وغيرهم . ولما كان الزمن الفعلي للسنة الشمسية يقدر ١/٤ ٣٦٥ يوماً فقد كان هناك فارق يقدر بربع يوم بين التقديرين الحقيقي والمصري القديم ، وهذا الفارق يتضح كل أربع سنوات، بيوم واحد وكل ١٢٠ سنة بشهر إلى أن يتفق طلوع هذا النجم مع بداية السنة وذلك يحدث كل ١٤٦٠ سنة . وقد سجل المؤرخ اللاتيني سنسورينوس Censorinus توافق بداية السنة المدنية مع ظهور هذا النجم سنة ١٣٩ م، ويمكن احتساب حدوث هذا التوافق سنة ١٣١٧ق.م(١) وسنة ١٧٧٣ ق . م . ، وعلى ذلك أمكن حساب تواريخ بعض الحكام المصريين الذين سجلوا ظهور هذا النجم مثل تحتمس الثالث وأمنحتب الأول وسنوسرت الثالث ، فقد سجل تحتمس الثالث طلوع هذا النجم في الشهر الحادي عشر واليوم الثامن والعشرين ولم يذكر سنة معينة من حكمه، أما أمنحتب الأول فقد ذكر طلوع هذا النجم في السنة التاسعة ، في الشهر الحادي عشر ، اليوم التاسع . وسجل سنوسرت الثالث طلوع هذا النجم في السنةالسابعة، الشهر السابع ، اليوم الخامس والعشرين من حكمه . وقد ساعد ذلك على التوصل إلى السنوات التقريبية التالية في عصور هؤلاء الملوك وهي سنة ١٤٦٩ ، ١٥٤٥ ، ١٨٧٧ ق . م . (٢) بالنسبة لهؤلاء الملوك على التوالي. ولكن أوتو نيوجباور Otto Neugebauer (٣) اتجه اتجاها آخر في تفسير توصل المصريين إلى اختراع التقويم الزمني السنوي ،

---

(١) Gardiner, B., Egyptian Grammar, London, 1950, p. 205.

(٢) Ibid.

(٣) Neugebauer. Otto, Die Bedeutugslorigheit der ‚Sothisperiode' fur die alteste agypische Chronologie, Acta Orientalia, XVII, 1938, 169-95, and the origin of the calendar, Journal of Near Eastern Studies, I. 1942, 366-403 .

فقد رأى عدم وجود ارتباط بين سنتهم المدنية وبين ظهور نجم الشعرى اليمانية. وأخيراً اتجه باركر Parker (١) إلى دراسة وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع وأيد وجهة نظر أوتو نيوجباور بعدم ارتباط السنة المدنية في بدايتها بظهور نجم الشعري اليمانية ولكنه يتجه في تفسيره الخاص بتوصل المصريين إلى تقدير السنة المدنية بـ ٣٦٥ يوماً إلى القول بأن التقويم القمري Lunar calender كان هو الأساس الأول في توصل المصريين إلى تقويمهم الزمني . ويقترح باركر احتمال كون المصريين قد أخذوا متوسط (٢) السنة القمرية في عدة سنوات وتوصلوا بذلك إلى تفسير طول هذه السنة بـ ٣٦٥ يوماً .

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر العلماء في تفسير أصل السنة المدنية المصرية، إلا أن هذه الحقائق تعاون الباحث على دراستها ومقارنتها بالحقائق الفلكية، الحديثة ثم التوصل بالتالي إلى تقدير الزمن الذي حكم فيه الملوك المصريين في أثناء العصر التاريخي . ولا تخل هذه الطريقة من وجود نسبة من التقويمات الزمنية التقريبية في تأريخ بعض الأحداث والملوك، ولكن ذلك لا يمنع من فائدة هذه الطريقة لحد كبير في محاولة التوصل إلى التاريخ الحقيقي .

وفيما يتعلق بالمراحل السابقة للعصر التاريخي فانها بالتالي تؤرخ على أساس كون نهايتها تمثل بداية العصر التاريخي . وبمساعدة الطرق التقويمية يتمكن الدارس من الوصول إلى تقدير عمر الأدلة الأثرية المختلفة المنتمية إلى عصور ما قبل التاريخ، وأيضاً تقدير حضارتها .وبالإضافة إلى هاتين الطريقتين التقويميتين هناك عدة طرق أخرى تساعد الدارس على التوصل إلى تقويم زمني نسبي Relative Chronology .

(١) Parker, R., The calendars of ancient Egypt, Chicago, 1950.

(٢) Ibid., 53.

١ ـ طريقة التوقيت المتتابع Sequence dating

بدأ بتري Petrie بدراسة الأواني الفخارية التي عثر عليها في جبانة نقاده والبلاص دراسة مقارنة من حيث طريقة الصنع وأشكال هذه الأواني وطرق التزيين المختلفة . وذلك على أساس حقيقة التطور في الصناعات منذ البداية ، بمعنى أن أية أدلة أثرية قد مرت بعدة مراحل تطور في إنتاجها . وعندما يعثر علماء الآثار على مجموعات من هذه الأداة المختلفة يستطيعون بالدراسة المقارنة ترتيب هذه الآثار حسب طرازها Typology آخذين في الاعتبار الامكانيات الخاصة بكل منطقة وظروف الانسان فيها ومستواه الحضاري في كل موقع على حدة . وقد قام بتري بتطبيق ذلك،فصنف الأواني الفخارية تصنيفاً دقيقاً واعتمد في نظامه على الترقيم ، فقسم هذهالأواني إلى مجموعات من رقم ٢١ إلى ٢٩ فيما يتعلق بحضارات العصر الحجري الحديث وعصر الحجر والنحاس تاركاً ماقبل ذلك لما يحتمل أن يستجد به البحث والتنقيب . ومن رقم ٣٠ إلى ٣٧ بالنسبة لعصر حضارة نقاده الأولى ، وما بعدها بالنسبة إلى حضارة نقاده الثانية أو حضارة جرزة الأخيرة . ولا تعطي هذه الطريقة تأريخاً ثابتاً بل هي إحدى الطرق التقويمية النسبية التي تساعد على ترتيب التطور الحضاري للأدلة الأثرية وخاصة الأواني الفخارية ، وبذلك يتمكن الدارس من وضع كل حضارة في مكانها الصحيح بناء على ترتيبها التطوري في فنية الصناعة والشكل والحجم والوظيفة. وقد ساعدت هذه الطريقة العلماء في ترتيب الحضارات المصرية السابقة للعصر التاريخي ولكن حدث تعديل في الترقيم بناء على الدراسات المقارنة وكذا العثور على بعض الأدلة الأثرية الجديدة ، وعلى ذلك فهذه الطريقة طريقة نسبية صرفة ، وهناك طرق أخرى نسبية أيضاً مثل طريقة الطبقات .

٢ ـ **طريقة الطبقات** Archaeological Stratification :

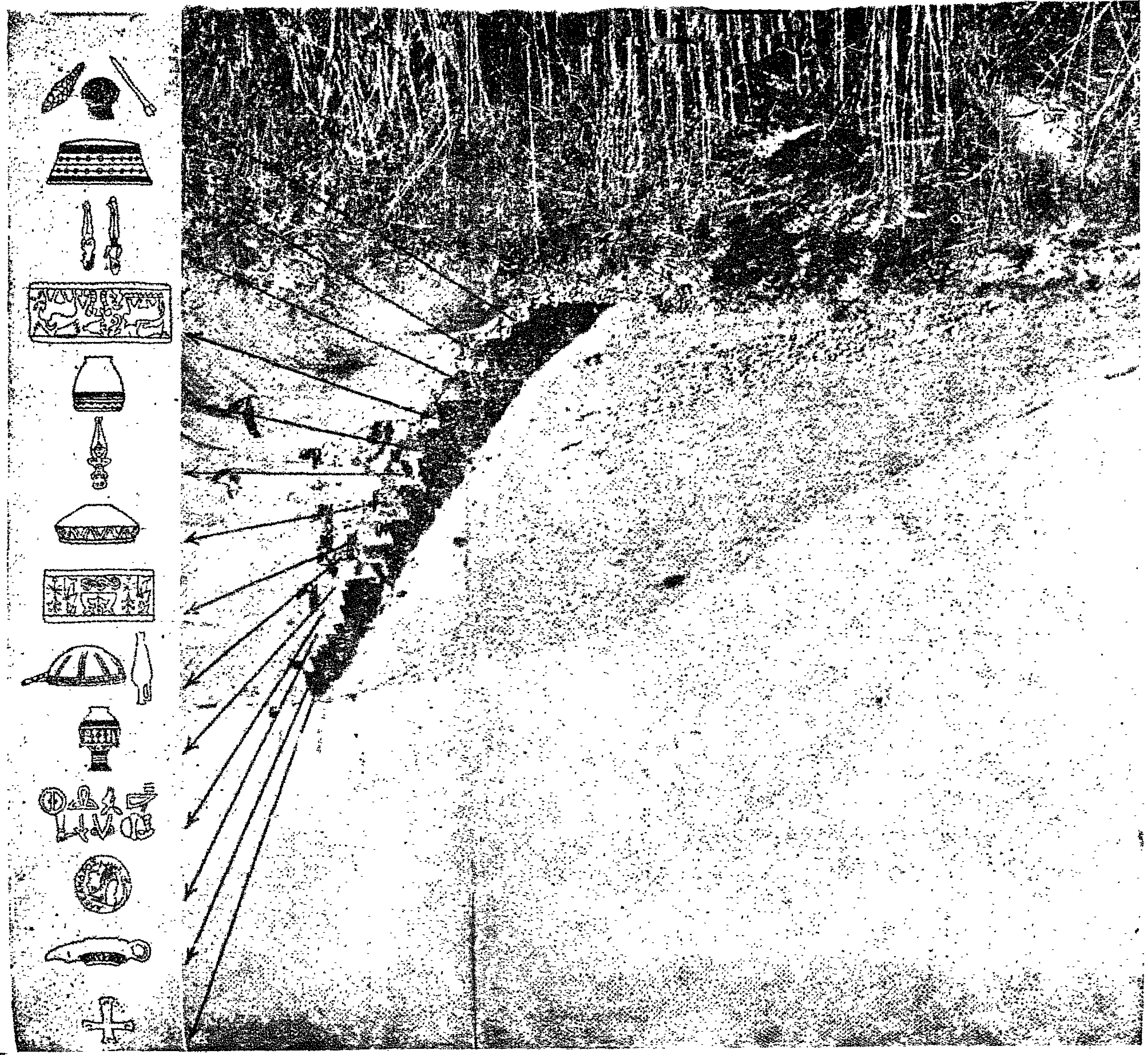
يقوم العلماء بدراسة الطبقات المختلفة Layers في التلال (١) والأكوام والكهوف التي كان يسكنها الإنسان . وقد تكونت هذه الطبقات كنتيجة طبيعية لسكنى الإنسان في منطقة ما ، ثم هجرته منها ربما لأسباب اقتصادية أو بيئية أو سياسية ، ثم سكنى مجموعة بشرية أخرى في نفس هذا المكان بعد ذلك ثم تركها له ومجيء مجموعة بشرية ثالثة مما أدى إلى تكوين طبقات تمثل آثار سكنى وإقامة هذه المجموعات البشرية على التوالي ، وتجمعت هذه الآثار بعضها فوق بعض مكونة طبقات التلال والأكوام. ويبين شكل رقم (٣) أحد هذه التلال في شمال سورية ، ويلاحظ فيه توالي الطبقات المختلفة منذ عصور ما قبل الأسرات حتى العصر الروماني . ويقوم العلماء ببحث الأدلة الأثرية المختلفة التي يعثر عليها الأثريون في هذه الطبقات ، وأيضاً يقومون بدراسة سمك هذه الطبقات أي مدى مكوث الإنسان واستقراره في هذه المنطقة أو تلك ، آخذين في الاعتبار مختلف العوامل البيئية والجوية والظروف السياسية والدينية التي يحتمل أن تؤثر على مكوثهم أو رحيلهم من هذا المكان . وهذه الدراسة تساعد المؤرخ على التعرف بصورة نسبية على مدى عمر هذه الحضارة أو تلك كما هو مبين في طبقات هذه التلال . هذا وبمعاونة الطرق التقويمية الأخرى يتمكن الدارس من الوصول إلى تأريخ هذه الحضارات .

٣ ـ **طريقة حلقات جذوع الاشجار** Tree ring dating :

تتلخص هذه الطريقة في أنه لما كان النبات يعتمد في نموه على كمية المياه وأشعة الشمس ونوع التربة التي ينمو فيها ، فقد لوحظ أن مراحل هذا النمو تظهر في شكل دوائر أو حلقات في داخل جذوع الأشجار ، ويتضح ذلك في

---

(١) هناك عدة تسميات للتلال في الشرق الأدنى القديم منها كلمة كوم Kom . وكلمة تل Tell وكلمة تبة Tepe وكلمة Hüyük .



١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥

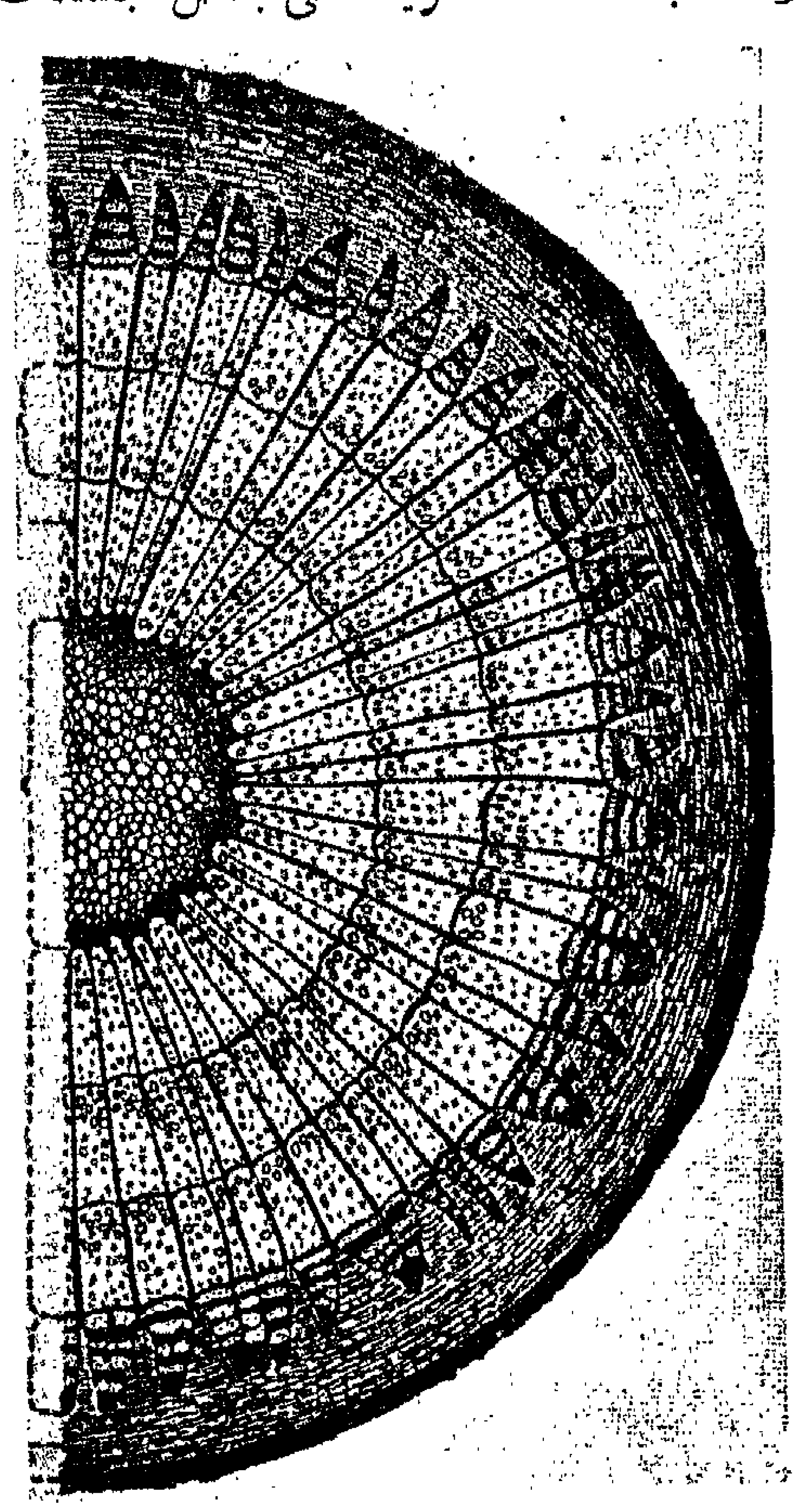
(١) شكل رقم ٣

أحد التلال في شمال سوريا ويلاحظ فيه توالي الطبقات الحضارية

الطبقة	العصر	التاريخ
١ — طبقة تبين آثار كنيسة مسيحية	العصر الأول	٣٠٠ — ٦٠٠م.
٢ — طبقة تبين آثار قرية معاصرة في جزء منه للقديس بطرس	العصر الثاني	٦٤ ق.م — ٣٠٠ م.
٣ — طبقة تبين آثار احتلال الامبراطورية الفارسية	العصر الثالث	٥٠٠ — ٦٤ ق.م.
٤ — طبقات تبين آثار المملكة السورية الحيثية	العصر الرابع	١٠٠٠ — ٥٠٠ ق.م.
٥ — طبقة تبين آثار فخارية تنتمي إلى « شعوب البحر »	العصر الخامس	١٢٠٠ — ١٠٠٠ ق.م.
٦ — طبقة تبين آثار التحركات البشرية واتساع مدى استيراد الفخار	العصر السادس	١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق.م.
٧ — طبقة تبين الاتصال الحضاري مع الشرق	العصر السابع	١٨٠٠ — ١٦٠٠ ق.م
٨ — طبقة تبين أواني فخارية مزينة تتصل بفخار الهكسوس في مصر	العصر الثامن	٢٠٠٠ — ١٨٠٠ ق.م.
٩ — طبقة تبين ابتداء ظهور مجموعة من التماثيل الصغيرة الطينية تمثل إلهة الأمومة	العصر التاسع	٢٤٠٠ — ٢٠٠٠ ق.م.
١٠ — طبقة تبين أدلة أثرية تثبت وجود اتصال تجاري مع شمال ميزوبوتاميا	العصر العاشر	٢٦٠٠ — ٢٤٠٠ ق.م.
١١ — طبقة تبين استيراد الأختام الأسطوانية من أور	العصر الحادي عشر	٣١٠٠ — ٢٦٠٠ ق.م.
١٢ — طبقة تبين ابتداء استخدام المعادن	العصر الثاني عشر	٣٤٠٠ — ٣١٠٠ ق.م.
١٣ — طبقة تبين فخار مزين ومصنوع باليد	العصر الثالث عشر	٣٨٠٠ — ٣٤٠٠ ق.م.
١٤ — طبقة تبين ابتداء تكوين القرى السورية	العصر الرابع عشر	٤٥٠٠ — ٣٨٠٠ ق.م
١٥ — ٦ قدم تحت سطح الماء . . . الأرض البكر		

(١) Chiera, E, They Wrote on Clay' Chicago, 1938, P. 34, 85.

القطاع الأفقي لها ، انظر شكل رقم (٤) وتتفاوت المسافات بين هذه الحلقات على مدى تأثر الأشجار بالظروف الطبيعية التي تساعد على النمو وخاصة كمية الأمطار . وقد طبقت هذه الطريقة على بعض مجتمعات الهنود الحمر في جنوب



شكل (٤) مقطع مستعرض نصفي لجذع شجرة تظهر فيه الحلقة السنوية

غربي الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث لوحظ أن أكواخ هذه المجتمعات مسقفة بواسطة جذوع هذه الأشجار التي تظهر فيها حلقات النمو السالفة الذكر . وبالدراسة المقارنة والبحث العلمي في الزمن اللازم لمراحل نمو النبات أمكن التوصل إلى عمر هذه الأشجار وبالتالي عمر المجتمعات التي استخدمتها .

٤ — طريقة الدراسة المقارنة Comparative Archaeology :

تقوم هذه الطريقة على مقارنة الأدلة الأثرية المختلفة في كافة المراكز الحضارية ويتطلب ذلك إلماماً كافياً بالتراث الأثري في كل موقع على حدة وفي أماكن متفرقة حتى يتمكن من مقارنتها على أساس سليم والوصول منها إلى تقدير معاصرة أو أسبقية بعض الحضارات على الأخرى .

هذه الطرق التقويمية المختلفة يعاون بعضها بعضاً في التعرف على أزمنة الأدلة الأثرية المختلفة ولا يجب الاقتصار على طريقة واحدة منها بل من الضروري الاعتماد على أكثر من طريقة حتى يكون هناك مجال للتأكد والتثبت من تأريخ هذه الأدلة . ومن الأهمية بمكان القول بأن التقويم الزمني هو الأساس الأول المنظم للتاريخ الإنساني . ولذلك فالتثبت من هذا التقويم يساعد على تأريخ الحضارات المحلية تأريخاً صحيحاً من ناحية ، وعلى إثبات أو نفي وجود صلات حضارية أو سياسية أو اقتصادية بين هذه الحضارات وغيرها من ناحية أخرى .

مرحلة جمع الطعام :

تعددت المدارس التاريخية التي تفسر التراث الانساني وذلك حسب الاتجاهات التي يقوم العلماء بتتبعها فهناك المدرسة الاقتصادية التي تركز على الجوانب الاقتصادية في حياة الانسان وتفسر الأحداث التاريخية على هذا الأساس ، وهناك المدرسة الاجتماعية التي تتتبع التطور المجتمعي من حيث طبقاته وتقاليده وعاداته وعلاقات أفراده بعضهم بالبعض ، هذا بالإضافة إلى المدارس السياسية التي تركز خاصة على التطورات السياسية المختلفة . ويمكن اعتبار المدرسة الاقتصادية صاحبة الأولوية في التاريخ الانساني لأن حياة الانسان منذ حمله للصفة الانسانية تعتمد أولا على توفير احتياجاته المادية ثم البحث عن العوامل الموفرة للطمأنينة والمفسرة لكافة الجوانب المادية والفكرية في حياة الكائن البشري .

وعلى ذلك بدأ الإنسان حياته الأولى جامعاً للطعام وذلك منذ حوالي نصف مليون سنة على الأقل . واتصل الانسان خلال هذه المرحلة بمختلف مظاهر الحياة الحيوانية والنباتية كما واجه الصعوبات البيئية والجوية والمائية البحرية والنهرية . فقد كانت حياته تعتمد على الصيد والجمع والالتقاط واستمر على هذا المنوال فترة زمنية طويلة ، وذلك لأن حياته في تلك المرحلة لم تكن من السهولة بمكان بل كانت تكتنفها الكثير من الانتقالات والصعوبات . ومع ذلك فقد كان يحاول المحافظة على كيانه الانساني والتغلب على هذه المشاكل وتكييف حياته في حدود إمكانياته وصنع ما يمكنه من التحكم في هذه البيئة مستغلا ما منحته الطبيعة إياه من قدرات حسية وعقلية وبدنية تميزه عن كافة المخلوقات الأخرى .

وقد قام العلماء بالبحث عن آثار هذا الإنسان في هذه المرحلة فاتجهوا إلى مناطق الصحارى والهضاب ووديان الأنهار والشواطىء والمدرجات المؤدية إلى المنخفضات والواحات والعيون والآبار وغيرها من المناطق للبحث عن مخلفات هذا الإنسان الأول سواء أكانت هياكل عظمية إنسانية ، أو حيوانية تمكن من التحكم فيها والاعتماد عليها في غذائه ، أو كافة مخلفاته الأخرى وبصفة خاصة الحجرية . وقد بدأت عمليات الدراسات العلمية لهذه الآثار في أوروبا ولذلك يلاحظ أن اصطلاحات العصور الحضارية المنتمية إلى هذه المرحلة تحمل أسماء أماكن أوروبية وبصفة خاصة فرنسية مثل الحضارات الشيلية والأشولية والموستيرية وغيرها . وقد قام العلماء بتصنيف تلك المادة الأثرية وذلك حسب التقاليد الصناعية المتبعة في تشكيلها وكذلك كميتها ووظيفتها ، ونجم عن ذلك ثلاث مراحل حضارية رئيسية تنتمي إلى هذه الفترة : —

أ — مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل .

ب — مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط .

ج — مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى .

ويلاحظ الدارس أن المادة الحجرية هي المادة الرئيسية التي اتجه الانسان إلى استخدامها لصنع أدواته المختلفة وذلك لأن الحجر وبصفة خاصة حجر الظران له مزاياه الخاصة بالإضافة إلى كونه متوفراً بسهولة في البيئة، فهو حجر وحيد التركيب يسهل قطعه إلى شظايا تؤدي وظيفة القطع مما يساعد الانسان على تحقيق أغراضه المختلفة . ولا شك أن الإنسان لم يصل إلى هذه الحقيقة السالفة الذكر بمحض الصدفة بل قد كان ذلك على أثر خبرة طويلة بالبيئة المحيطةبه، حيث تبين له صلابة هذه المادة الحجرية وملاءمتها لتحقيق أغراضه وقد استخدم الانسان هذه الأدوات الحجرية في كافة مظاهر حياته السلمية والدفاعية . ولم يقتصر في هذا الشأن على هذه المادة فقط بل لقد استخدم مواداً أخرى كالعظم والخشب والعاج وغيرها . وعملية صناعة الآلة الحجرية عملية فنية من الدرجة الأولى ذلك لأن الإنسان يقطع الحجر ويشكله في شكل أداة خاصة تصلح لتحقيق غرضه ، ويتطلب هذا التشكيل تجارب طويلة وتدريب يستخدم فيه قدراته الحسية كالنظر واللمس مع قدراته العقلية وبذلك يحقق أقدم جهد إنساني ويثبت كيانه الفريد والذي يميزه عن عالم الحيوان . ولقد أصبحت تجاربه هذه بمثابة خبرة لها اعتبارها لمن خلفه من أجيال، مما ساعد على تطور هذه الصناعات الحجرية في المراحل التالية . ويبدأ الدارس بالمرحلة الأولى وهي مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل .

مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل :

تمثل تلك المرحلة الجهد الانساني الأول في مجال صنع حضارته . ويعتبر الفأس اليدوي Hand axe أو Coup de Point الأثر المميز لهذه المرحلة .

وقد اصطلح العلماء الأوربيون على تسميتها باسم الحضارتين الشيلية والأشولية وتنبغي الإشارة إلى أن الصفات العامة المميزة لهذه الحضارة تتشابه لحد ما في

عدد كبير من جهات العالم، ولذلك فإن استخدام الاصطلاح الدولي كالحضارة الشيلية مثلا في غير مناطقها الأصلية كمصر وغربي آسيا والمغرب القديم يعتبر متفقاً مع واقع وجه الشبه الفني في الصناعات الحجرية في هذه المواقع السالفة



شكل رقم (٥)
منظر لكهف باليكورا شمال شرقي العراق

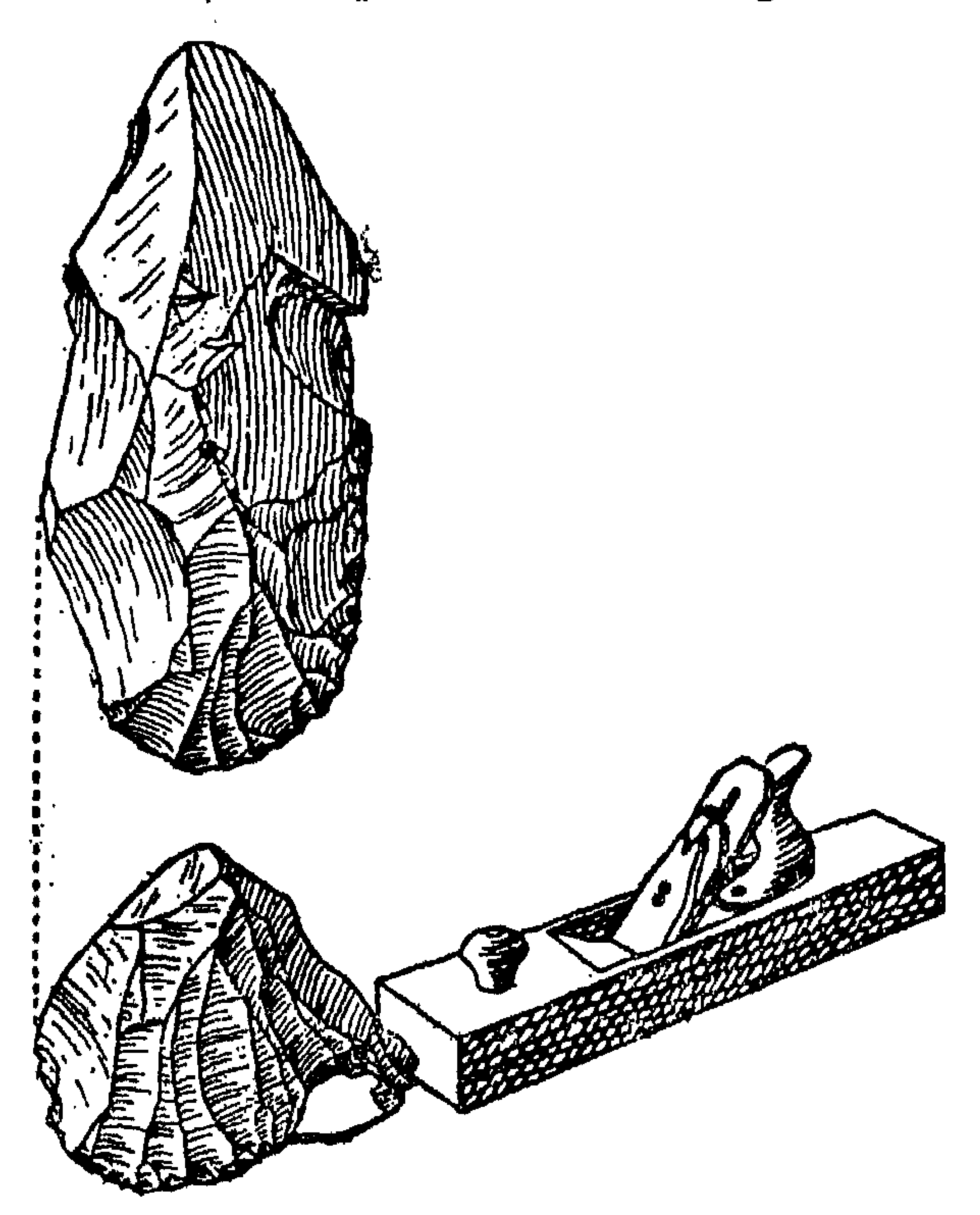
الذكر . وقد سبقت الإشارة إلى التغيرات الجوية التي مرت بالعالم في عصر البلايستوسين مثل المراحل الجليدية والمطيرة والجافة ، ولكن على الرغم من انتشار طابع معين في مناخ هذا العصر فإن المواقع الحضارية تختلف من حيث طبيعتها من مكان إلى آخر ، فيلاحظ الدارس مثلاً أن آثار العصر الحجري القديم الأسفل في مصر تتوفر على الهضاب المطلة على نهر النيل وكذلك في بعض المناطق الصحراوية المحيطة. وقد عثر مثلا على الفؤوس اليدوية في أبيدوس والفيوم وقنا

كما أدى الكشف عن طبقات المحاجر في شمال شرق القاهرة في موقع العباسية إلى التعرف على طبقات آثار العصر القديم الأسفل في الطبقات السفلى ولكن في فلسطين وغيرها من مواقع غربي آسيا مثل شمال شرق العراق وكذلك في المغرب يلاحظ الدارس انتشار آثار هذه المرحلة ليس فقط في المواقع السطحية بل أيضاً في داخل الكهوف والمغارات ، (انظر شكل رقم ٥ (لأن الإنسان كان يتجه في تلك المناطق إلى الاحتماء بتلك التجاويف الطبيعية في الهضاب لحماية نفسه ليس فقط من الأحوال الجوية بل أيضاً من الأخطار التي تهدد حياته . أما المرحلة التالية فهي مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط .

ب ــ مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط :

اتجه الانسان إلى بداية هذه المرحلة الجديدة في حياته بصناعة أدوات حجرية مشتقة من الفؤوس اليدوية وهي الشظايا وتتميز هذه الأدوات الحجرية بصغر حجمها وتنوع أشكالها وذلك لكي تمكن الانسان من تحقيق أغراضه المختلفة وقد صنعها الإنسان بفصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج اليها . وتعرف تلك المرحلة الحضارية بالنسبة للحضارات الأوروبية بالحضارة الموستيرية نسبة إلى كهف موستييه بفرنسا . ورغم هذا التقدم النسبي في تلك الصناعة فلا يزال الانسان في تلك المرحلة جامعاً للطعام متنقلا من مكان إلى آخر بحثاً عن البيئة المناسبة لصيده الجديد ومعيشته المؤقتة في الأماكن التي تتناسب مع الأحوال الجوية في ذلك الوقت . وفيما يتعلق بمنطقة شمال افريقيا والشرق الأدنى القديم فقد كان الجو يميل إلى الدفء مما أدى إلى حياة الإنسان في المناطق المفتوحة ولكنه يضطر إلى الالتجاء إلى الكهوف والمغارات في الهضاب والمرتفعات حين تشتد البرودة . وقد صنع الانسان في هذه المرحلة في هذه المناطق السالفة الذكر أدواته الحجرية المناظرة لحد كبير لتلك الأدوات التي صنعها زميله في المناطق الأخرى، ولذلك اصطلح على سبيل المثال

استخدام اسم الحضارة الموستيرية المصرية بالنسبة إلى الصناعات الحجرية المنتمية لتلك المرحلة في مصر . ومن الأهمية بمكان الاشارة إلى أنه من أهم مميزات هذه المرحلة الحضارية خروج الانسان عن دائرته التي كان يطرقها في المرحلة السابقة



شكل رقم (٦)
منظر لمحكة قديمة وبجوارها محكة حديثة

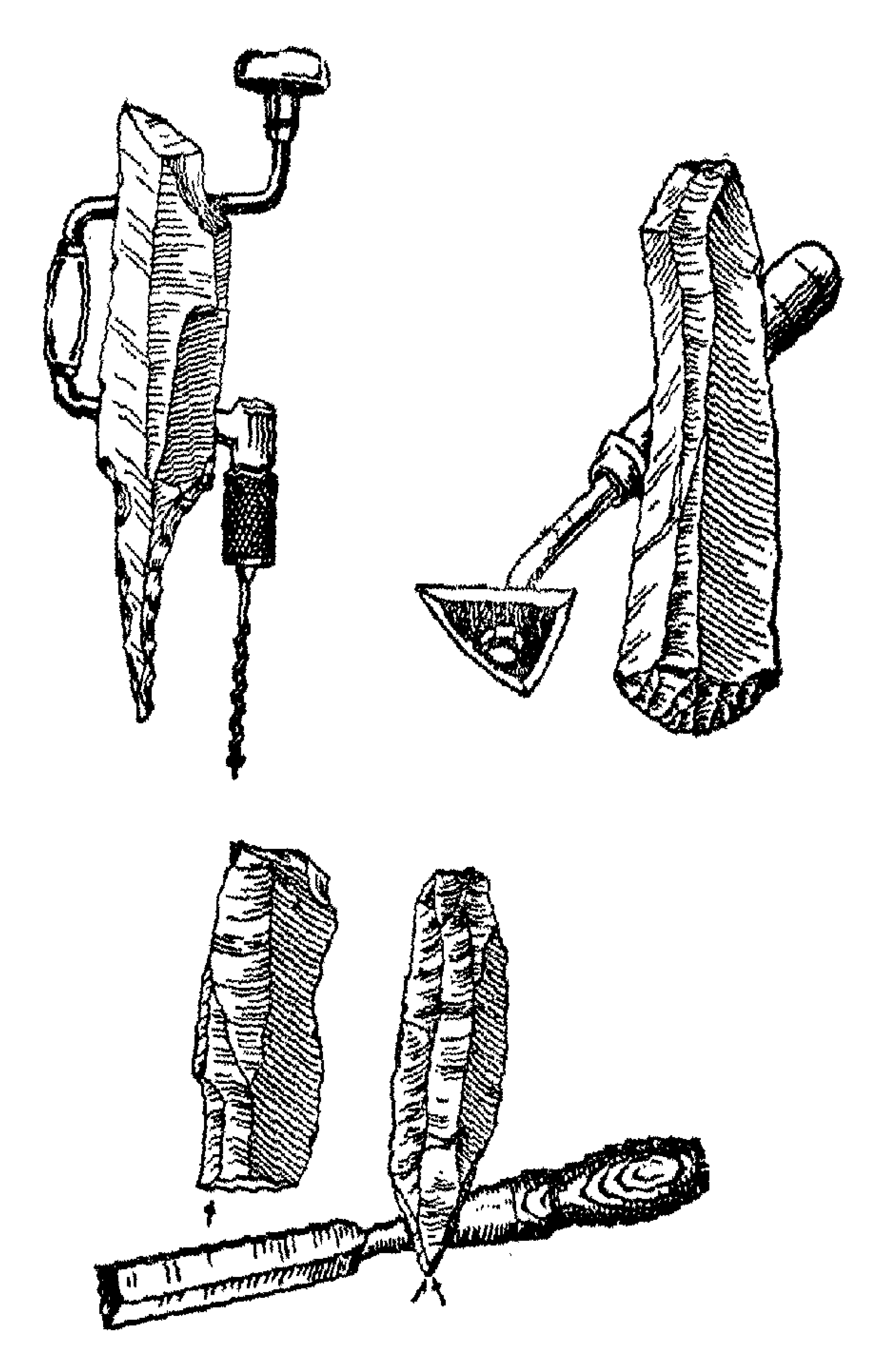
واتساع نطاق اتصالاته الخارجية والتأثير والتأثر بالمجهودات الصناعية والحضارية الأخرى في المناطق التي يتصل بها ، ويمكن تلمس نماذج من هذه الاتصالات في الدراسات المقارنة للصناعات الحجرية في الحضارة العاترية في المغرب نسبة إلى بئر العاتر في جنوب تونس من ناحية والصناعات الحجرية في مصر في منطقة الواحات الخارجة حيث تلاحظ شواهد الاتصالات الحضارية . وتنبغي الإشارة

أيضاً إلى أن صناعة الشظايا قد تطورت في عدة أشكال لتأدية وظائف أدوات مختلفة مثل الأزاميل والمكاشط والمحكات ، أنظر شكل رقم (٦) .

وهذا التنوع في الصناعة الحجرية يبين بوضوح اتساع دائرة تفكير الانسان في تلك المرحلة وتعدد احتياجاته التي تستوجب صنع تلك الأدوات الجديدة . كل ذلك قد أدى إلى انتقال الانسان إلى المرحلة الجديدة وهي مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى .

جـ ـ مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى :

تعتبر تلك المرحلة نهاية العصر الحجري القديم،وتتمثل فيها التجارب الطويلة التي تعرف عليها الانسان في تلك المرحلة ، وتتميز بصناعة حجرية جديدة هي صناعة الأسلحة النصلية ، أنظر شكل رقم (٧) . وهي عبارة عن أدوات حجرية دقيقة وحادة تمكن الإنسان من صنعها بصورة تفوق دقة عن مجهوداته السابقة وتعرف باسم الأسلحة الميكروليثية أي الحجرية الدقيقة، ولا شك أن الانسان قد سهل عليه حمل هذه الأسلحة والانتقال بها إلى أماكن جديدة بيسر بسبب صغر حجمها وفاعليتها كأداة قاطعة ، وكان لذلك أثره في زيادة اتصالاته بالمناطق الجديدة التي يفد اليها . ولقد كان المناخ في تلك الفترة في منطقة الشرق الأدنى وشمال أفريقية يميل أيضاً إلى الدفء ولكن يلاحظ أن بداية الجفاف قد ظهرت معالمها بعد عملية انسحاب الهجمات المطيرة والباردة نحو الشمال وانحسار المياه المتجمعة في البحيرات والمستنقعات والواحات والآبار . ويمكن الاستدلال على هذه الظواهر المناخية من البقايا العظمية الحيوانية ، حيث يلاحظ انتماء هذه العظام إلى حيوانات تتفق مع المناخ الجاف كالنعام والغزلان وغيرها . وتتمثل تلك المرحلة الحضارية في مصر في الحضارة السبيلية نسبة إلى بلدة السبيل بجوار كوم امبو ، كما تتمثل في المغرب في الحضارة القفصية والحضارة الوهرانية ،



شكل رقم (٧)
يمثل أسلحة حجرية كالأزاميل والمكاشط وغيرها
وبجوارها ما يناظرها في الاستخدام الحديث

وكذلك هناك الحضارات المماثلة لها في فلسطين وشمال العراق القديم . ولم تقتصر هذه المرحلة الحضارية على قدرتها المادية بل لقد نجح الانسان في دفع حياته نحو الأمام ومحاولة التعبير بالرسم والحفر على جدران الكهوف والمغارات من الخارج

والداخل كما أنه من ناحية أخرى بدأ يعتقد بصورة أولية في وجود قوى كامنة في بعض الظواهر الطبيعية تستوجب الاحترام والتقدير الخاص وذلك على أثر تجارب معينة واجهها ذلك الانسان في تلك المناطق .ويستدل على ذلك بوجود بعض أكوام حجرية تنتمي إلى هذه المرحلة تتوسط المواقع الأثرية وقد عثر على الآثار الحجرية بجوارها . وتعتبر هذه الظاهرة بمثابة مرحلة مبكرة من مراحل الإيمان بوجود قوى مقدسة تتحكم في حياة الكائن البشري ومصيره وتستوجب محاولة الانسان إرضاء تلك القوى للاطمئنان على كيانه ومستقبله .

كل ذلك قد دفع الانسان إلى نقلة خطيرة في حياته الانسانية اعتبرها بعض العلماء بمثابة ثورة اقتصادية وحضارية غيرت كيانه ووظيفته ومستقبله تغييراً كلياً . هذه المرحلة الجديدة هي مرحلة إنتاج الطعام والعصر الحجري الحديث .

الفصل الثالث

عملية إنتاج الطعام في جنوب غربي آسيا
وشمال أفريقيا

١ — كيفية وأسباب قيام عملية انتاج الطعام :

يحاول العلماء البحث عن كيفية حدوث هذه النقلة الخطيرة في حياة الانسان من مرحلة الجمع والالتقاط والصيد وعدم الاستقرار إلى مرحلة الزراعة وإنشاء القرى وبداية التنظيمات المستقرة . وتحقيقاً لذلك قام العلماء بالبحث عن المواقع الأثرية التي تبين خط سير التطور الطبيعي من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاجه . وتبين هذه الدراسة وجود فجوات كثيرة لاتزال تستوجب مداومة البحث والتنقيب عن مواقع يمكن تتبع خط التطور فيها كاملا ، وعلى ذلك فحتى الوقت الحاضر يمكن القول بأن عملية النقلة ذاتها وكيفية حدوثها لا تزال في حاجة إلى تدعيم واضح بالمادة الأثرية . ولكن هناك عدة نظريات ومحاولات تعمل لعلاج هذا المشكل وتحاول التوصل إلى حل له . أول تلك النظريات تتجه إلى الاعتقاد بأن العامل البيئي كان بمثابة العامل الأول الذي دفع الانسان إلى إحداث تلك النقلة ، فكما سبقت الاشارة اضطر الانسان إلى ترك المناطق الجافة على أثر تراجع العصر المطير واتجه إلى مناطق الأودية والآبار والعيون والواحات

حيث يستطيع الاستقرار بصورة مؤقتة ولكنه لا شك قد لمس في هذه البيئة الجديدة بعض الظواهر التي استلفتت إنتباهه وخاصة بعد إطالته نسبياً الاستقرار المؤقت فيها بعد تجواله الطويل في المناطق الجافة ، وتنحصر تلك الظواهر في ازدياد منسوب المياه في بعض الأوقات وتهديدها للانسان القاطن بجوارها ثم انحسار تلك المناسيب مرة أخرى وتكرار هذه الظاهرة عاماً بعد عام ، وقد عبر أرنولد توينبي عن هذا المظهر بالقول أنه كان يعتبر تحدياً للكيان الانساني مما اضطر الانسان إلى مجابهة هذا التحدي وتفهم تلك البيئة والتوصل إلى محاولة التحكم فيها والنجاح في هذا الاتجاه ، وتعرف نظرية توينبي بنظرية التحدي والاستجابة Challenge and Response . وعلى ذلك فقد حاول الانسان أن يواجه هذا التحدي البيئي بمحاولة التحكم في مياه الأنهار بمختلف الوسائل مثل إنشاء السدود والجسور والقنوات والحواجز وغيرها ، التي تعمل على محاولة تحقيق هذا التحكم وانقاذ الانسان من تهديد المياه لحياته . وقد لمس الانسان في أثناء عمليات هذا التحكم بوادر انتاج الطعام في بزوغ الحياة الزراعية البرية على الشواطىء المطلة على هذه الأودية والعيون والواحات حيث تنبثق الحياة الزراعية البرية كنتيجة طبيعية للثروة الغرينية والمائية بصورة تلقائية شبه منتظمة ومتصلة بظاهرة مجيء هذه القوى المائية وانحسارها بعد ذلك في أوقات معينة من السنة مما كان له أثره في خلق الوعي التجريبي الكافي لمحاولة تقليد الطبيعة وصنع الزراعة ونقل حياته من الجمع إلى الانتاج .

وقد لحقت بذلك عدة تجارب وملاحظات مستمرة ساعدته على تأكيد هذه الظواهر السالفة الذكر والاستقرار لأول مرة في حياته بجوار هذه الأنهار والواحات والعيون والآبار والمنخفضات المائية . ومثل هذا التفسير في حاجة إلى تدعيم بالأدلة الأثرية رغم منطقية إمكانية حدوثه . وتتفاوت تلك الأدلة من منطقة إلى أخرى . وقبل الاسترسال في تتبعها يتعرض الباحث إلى إثارة بعض

النقاط التي تستوجب الدراسة في هذا المجال . يتساءل الدارس في الأسباب التي أدت إلى إمكانية حدوث هذه النقلة في منطقة وادي النيل الأدنى بالذات ولماذا لم تحدث في وادي النيل الأعلى في السودان أو اثيوبيا مثلا ، وكذلك بالنسبة إلى القوى المائية الأخرى في مختلف جهات العالم . ولا شك أن هذه النقلة قد حدثت في جميع تلك الأماكن ولكنها لم تحدث في تلك الفترة الزمنية المبكرة التي حدثت في مصر . ويمكن الرد على هذا التساؤل بالقول بأن البيئة المصرية في وادي النيل الأدنى فريدة في طبيعتها حيث أن الهضاب المطلة على وادي النيل في تلك المنطقة تسمح للقاطن عليها بتتبع هذا المجرى المائي الهائل الآتي من الجنوب والحامل للقوى الغرينية التي تؤدي فاعليتها في خلق أرض جديدة سرعان ما تحمل حياة نباتية برية تنبثق منها . هذه الملاحظة واضحة ومنتظمة بدرجة فريدة في وادي النيل الأدنى يلمسها الانسان عاماً بعد عام بينما في المناطق الأخرى ربما كان لتعدد القوى المائية ومواجهتها الصعوبات الصخرية في الجنادل والشلالات وتعدد البيئات المطلة عليها ، كان لكل ذلك أثره في عدم تركيز ذهن الانسان إلى تتبع ومداومة ملاحظة طبيعة هذا النهر على مدار الأيام . وهناك نظريات أخرى تحاول تفسير حدوث تلك النقلة منها نظرية التفوق البشري على أساس أن العنصر البشري صاحب تلك النقلة كان يفوق العناصر الأخرى قدرة وذكاءاً مما أدى إلى صنعه هذه الحياة الجديدةقبل غيره. ولكن ثبت من الدراسات الانثروبولوجية الحديثةعدم صحة نظرية التفوق الجنسي بل والوصول إلى حقيقة مجردةهيعدموجودأي ارتباط بين الجنس أو العنصر البشري وبين التفوق في عملية بناء حضارة أو مدنية . ويمكن القول بأن توصل الشرق الأدنى القديم إلى مرحلةإنتاجالطعام هذه قد جاء نتيجة تطور طبيعي في الصناعات المختلفة التي تمكن انسان هذه المنطقة من انتاجها في مرحلة انتاج الطعام . ولكن لا شك أن عامل انتظام البيئة بالنسبة لمصر كان مساعداً في التوصل إلى الزراعة والاستقرار . فالنيل كما سبقت الاشارة يفيض في وقت

معين وبصورة منتظمة كل عام وقد لا حظ الانسان ذلك عندما قطن بجوار هذا النهر ، كما لا حظ أيضاً شروق الشمس وغروبها أي ولادتها وموتها بصورة واضحة في البيئة المصرية . وكذلك لاحظ ظهور واختفاء بعض الجزر الصغيرة الموجودة في مجرى نهر النيل وذلك أثناء ارتفاع مياه الفيضان وانحسارها بعد انتهائه (١) ، وكذلك ما يترتب على مجيء الفيضان من القذف بكميات من الغرين مما يساعد في ظهور بعض النباتات ، أي مظاهر من الحياة الزراعية التي لا شك أنها استرعت انتباهه مما أدى إلى تعرفه على عدد من التجارب المختلفة المرتبطة بهذه البيئة ذات النشاط المنتظم . ولا شك أن ذلك قد مهد إلى توصله التدريجي إلى مرحلة إنتاج الطعام . وقد حدث ما يشبه ذلك مع اختلاف في الأوضاع البيئية في منطقة بلاد الرافدين . وتجدر الاشارة هنا إلى أن ثورة إنتاج الطعام قد استغرقت حوالي الألف عام (٢) حتى تمكن الانسان من الانتقال الفعلي إلى مرحلة الزراعة والاستقرار . وقد أمضى الانسان تلك الفترة في التعرف على عدد من التجارب المختلفة التي ساعدته في الانتقال بحياته إلى المرحلة الجديدة . وبوصوله إلى مرحلة الزراعة هذه بدأ في إنشاء القرى وبناء المساكن والمخازن والمقابر والمعابد والأسواق والطرقات وما يلزم للحياة المستقرة في مجتمعه الجديد .

وفيما يتعلق بموضوع الأدلة الأثرية التي تثبت حدوث تلك النقلة من الجمع إلى الانتاج تنبغي الاشارة إلى أن الأدلة الكائنة حالياً تشير إلى مرحلة إنتاج الطعام

---

(١) وقد عبر المصري أثناء العصر الفرعوني عن حقيقة بزوغ بعض الجزر بعد انحسار مياه الفيضان بالرمز الهيروغليفي « خع . Kha ».

Erman &. Grapow, Wörterbuch der Aegypischen Sprache III, Leipzig P., 339.

Nadoury, R. el, The Egyptian Term Kha-Nswt and the Problem of the Accessin of the Egyptian King, Manuscript, Chicago 1953.

(٢) Braidwood, R.,Prehistoric men, Chicago 1948, P. 88.

أي العصر الحجري الحديث الممثل في القرى السالفة الذكر ، ولكن الأداة الأثرية التي تبين تتابع خط سير التطور يمكن ملاحظتها في بعض المواقع الأثرية التي تنتمي حضارتها إلى الفترة الواقعة بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث ، وعلى الرغم من قلة هذه المواقع إلا أنه لا يزال البحث جارياً عن مواقع جديدة تنتمي إلى تلك المرحلة ، ومن أهم المواقع المعبرة عنها مواقع الحضارة النطوفية في فلسطين .

ب ـ الحضارة النطوفية :

تحمل تلك المرحلة الحضارية اسمها نسبة إلى وادي النطوف شمال غربي القدس في فلسطين ، وقد عثر في طبقات هذا الموقع على آثار في غاية الأهمية تمثل تلك النقلة ، فهي تشمل مرحلة جمع الطعام من ناحية ، أي آثار الصيد ، وآثار بداية الانتقال نحو الاستقرار من ناحية أخرى ، فهناك الأدوات الحجرية ورؤوس السهام وغيرها من آثار العصر الحجري القديم الأعلى بالإضافة إلى المناجل والأجران التي تمثل عنصراً حضارياً جديداً يقترب بالانسان إلى إنتاج الطعام والاستقرار أكثر من انتمائه إلى مرحلة الجمع والالتقاط . فالمنجل وظيفته قطع النباتات البرية أو المزروعة ومن الممكن استخدامه في إحدى الوظيفتين . ومن ناحية أخرى يلاحظ أن بعض عظام الحيوانات المتخلفة عن تلك الحضارة قد دلت عمليات فحصها على اتفاقها مع الحياة المستأنسة أكثر من الحياة البرية مما يدعم الاتجاه نحو الانتقال إلى بداية الاستقرار ، مع استمرار بعض أفراد مجتمع تلك المرحلة في حياة الجمع والصيد بما يتضمنه من صيد الأسماك والحيوانات والطيور . ولكن هناك اتجاه آخر يميل إلى الاعتقاد بعدم توصل الحضارة النطوفية إلى استئناس الحيوان ، وهناك اختلاف في الرأي بالنسبة إلى الكلب النطوفي حيث

يتجه البعض إلى اعتباره ذئباً (١) . وعندما تستكمل دراسة المادة الأثرية في المواقع المكتشفة أخيراً يزداد اتضاح وحسم هذا الموضوع .

وقد جمعت الحضارة النطوفية في مواقعها الأثرية بين الكهوف والساحات الممتدة أمامها وبصفة خاصة في نواحي جبل الكرمل ، انظر شكل رقم (٨) ،



شكل رقم (٨) الكهوف في وادي مغارة في جبل الكرمل .

وبين مواقع القرى في وادي نهر الأردن حيث يلاحظ اتضاح التطور الحضاري . وقد تضمنت الحضارة النطوفية ثلاثة مراحل حضارية مبكرة ومتوسطة ومتأخرة . وقد اختلف العلماء في تأريخها ،واعتماداً على طريقة الكربون المشع تؤرخ بحوالي ١٠,٠٠٠ سنة ق . م . في بدايتها ولكن هذا التقدير الزمني ليس نهائياً حيث يتجه البعض إلى تأخير هذا التاريخ . ومن الناحية البشرية ينتمي أصحاب تلك الحضارة إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط المختلط بنسبة زنجية

(1) Mellart, J., Earliest Civilizations of the Near East, London, 1965, p. 23.

قارن ذالك بما ذكرته

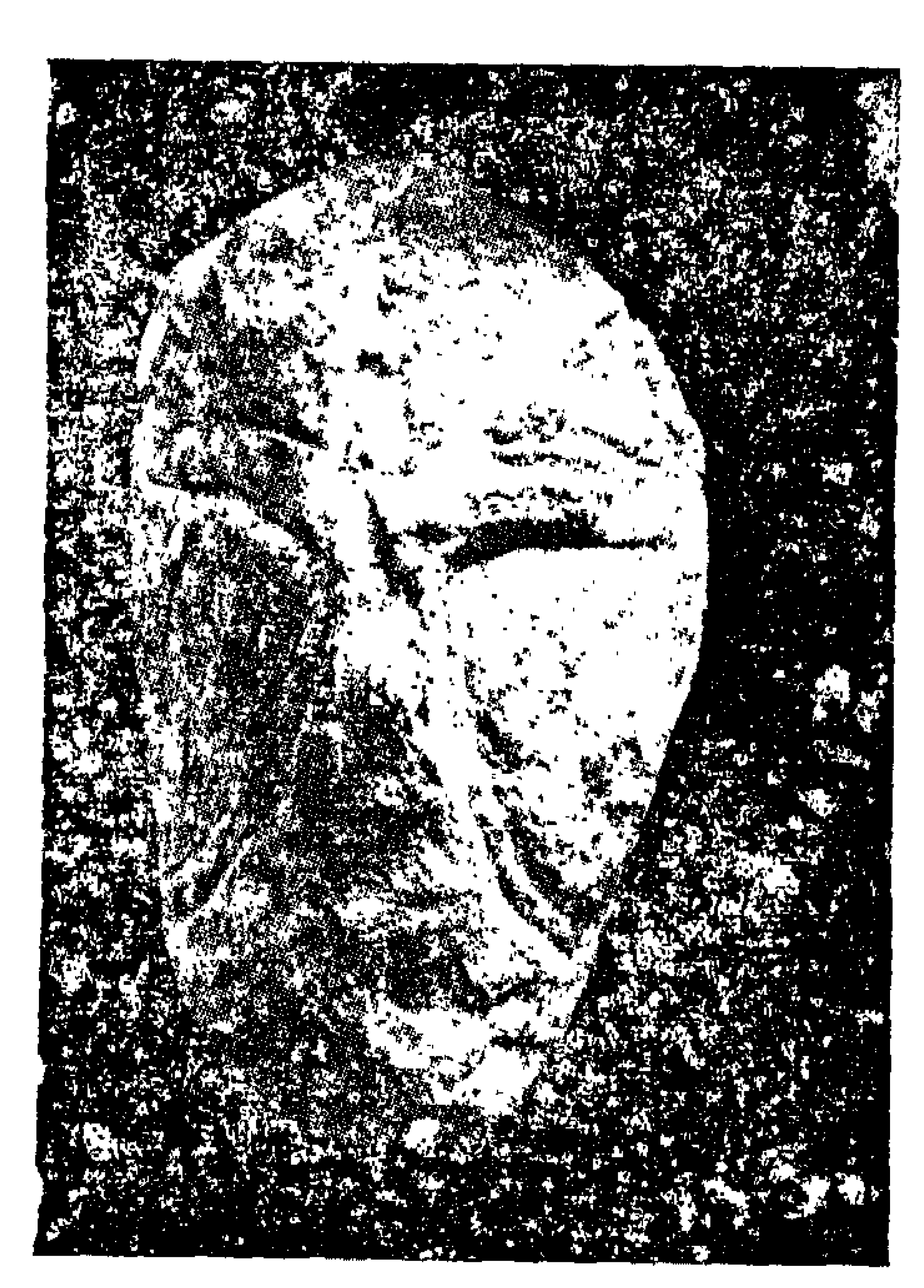
Kenyon, K. M., Archaeology in the Holy Land, London, 1965, p. 39.

محدودة. ولا تقتصر آثار تلك الحضارة على الأدوات الطرانية الميكروليثية بل لقد تميزت بصناعتها العظمية خاصة أيادي المنـاجل ، انظر شكل رقم (٩) وكذلك السنانير والإبر والدبابيس .

ومن أهم مواقعها الأثرية في منطقة وادي نهر الأردن موقع عين ملاحة شمال غرب بحيرة الحولة حيث عثر على عدد من القرى التي تتميز بمنازلها الدائرية والمبنية من الحجر ولكن يلاحظ أن أرضياتها دون مستوى سطح الأرض . وقد ترك انسان تلك الحضارة في تلـك المنازل مختلف آثاره الحجرية والعظمية . هذا بالإضافة إلى بعض الآثار المعبرة عن قدراته الفنية كالتماثيل الصغيرة التي يمكن اعتبارها من أقدم أمثلة النحت في الشرق الأدنى القديم ، انظر شكل رقم (١٠) ، وكذلك الآثار المصنوعة من الخرز والأصداف



شكل رقم (٩) يد منجل نطوفي من العظم ويعشق فيه السلاح الحجري . ويلاحظ تشكيل جزئه العلوي بشكل رأس غزال وقد عثر عليه في مغارة كباره .



شكل (١٠) نحت نطوفي من عين ملاحة

وفي مجال الاعتقاد في العالم الآخر عثر على عدد من المقابر الفردية والجماعية التي تؤكد اعتقاده في الحياة الأخرى، فقد لوحظ تغطية الهيكل العظمي للمتوفي بالكتل الحجرية، انظر شكل رقم (١١) وهذه الظاهرة تمثل مرحلة مبكرة للغاية من مراحل المحافظة على المتوفي وتطورت فيما بعد إلى تخصيص بناء عاوي للمقبرة.

ومن الأهمية الاشارة إلى تواجد ظاهرة ذر التراب الأحمر في المقابر تلك الظاهرة التي يلمسها المؤرخ في بعض الحضارات الأخرى وخاصة في الهضبة الايرانية ربما لارتباط ذلك التراب الأحمر بموضوع الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر.

شكل رقم (١١) مقبرة نطوفية في عين ملاحة شمال غربي بحيرة الحولة ويلاحظ أن الهيكل العظمي قد غطي بالأحجار.

وقد ترك انسان تلك الحضارة النطوفية بعض أدوات الزينة مع المتوفي كالعقود وغيرها، كما زينت جمجمته أحياناً بالأصداف.

كل ذلك يبين أهمية تلك الحضارة في مرحلة الانتقال نحو الاستقرار فهي تمثل خطوات رئيسية في هذا الصدد.

جـ ـ الانتقال إلى مرحلة انتاج الطعام ونشأة المجتمعات المستقرة :

يداوم العلماء البحث عن محطات حضارية أخرى تستكمل معرفة الباحث عن هذه المرحلة الحاسمة في خط سير تطوره الحضاري . ولا شك أن الانسان. قد مر بمرحلة انتقال مهدت إلى احداث هذه الثورة الاقتصادية الهامة في حياته والتي أدت إلى نقلته نحو إنشاء القرى الأولى والاستقرار فيها ومواصلة تقدمه الجديد في كافة المجالات المادية والفكرية، وبادئاً بذلك المرحلة الحاسمة وهي مرحلة العصر الحجري الحديث .

ولا شك أن الحضارة النطوفية تعتبر من أهم مراحل الانتقال نحو إنتاج الطعام والاستقرار ، وقد عثر أخيراً في جريكو على آثار الحضارة النطوفية ولكن بصورة متصلة حضارياً تؤكد صفة الانتقال الفعلي نحو مرحلة الاستقرار وانتاج الطعام (١). ويمكن استخدام اصطلاح ماقبيل النيوليتيه «Proto - Neolithic» بالنسبة لتلك المرحلة السابقة مباشرة للعصر الحجري الحديث . وقد عثر على عدد من المواقع الأثرية المنتمية لتلك المرحلة مثل مواقع شانيدار وخاصة في الطبقة ب ١ في أقصى شمال شرقي العراق وثبة أزياب في سهل كرمنشاه غربي ايران وغيرها، ولكن موقع جريكو يمثل في الواقع حلقة الاتصال الحضاري نحو المراحل الحضارية التالية . ومن أهم آثار تلك الطبقة المبكرة في جريكو مبنى محاط بحيطان حجرية اختلف العلماء في تفسيره ولكن يغلب أنه كان بمثابة معبد، ويقع بجوار نبع جريكو ، (انظر شكل رقم ١٢) . وتحاول الأستاذة كنيون الربط بين هذا المعبد النطوفي وبين موضوع تقديس الماء، وكذلك تماثله بعض المجتمعات الأوروبية الميزوليتية. ونظراً لوجود آثار حريق في ذلك المعبد فقد استخدمت بعض الآثار المتفحمة المتخلفة عن الحريق في التأريخ بواسطة الكربون

---

(١) Kenyon, M. K., Ibid., 41 - 43.

المشع ونتج عنها التقويم الزمني ٢١٠ ± ٧٨٠٠ ق . م . (١) ولكن ينبغي التريث نسبياً في الاعتماد بصورة حاسمة في هذا التقويم الزمني .



شكل رقم (١٢)
معبد نطوفي في جريكو ويلاحظ العثور عليه فوق الأرض البكر
كما يلاحظ فيه أيضاً تواجد بعض الأجران والمخازن .

وقد مر المجتمع الانساني بمراحل عديدة من التطور الاقتصادي والاجتماعي والديني والسياسي . ويمكن تتبع هذا التطور في مختلف مجتمعات ماقبل التاريخ في العصر الحجري الحديث وفي عصور ماقبل وقبيل الاسرات ، ولكن كما سبق أن أشرت أن التطور الكبير في المجتمع الانساني حدث في العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في كل من مصر والعراق القديم

(١) Ibid.

وفلسطين حيث حدث الانتقال إلى مرحلة انتاج الطعام . وفي ذلك العصر بدأ الانسان في تكوين تقاليد صناعية جديدة بعد تعرفه على الثورة الصناعية الأولى وحاجته إلى مختلف الأدوات الصناعية الخاصة بنشأة الزراعة . كما أن تعرفه على الحياة الزراعية قد اضطره إلى الاستقرار وإلى ظهور المجتمع القروي مما أدى إلى نشأة نوع جديد من تفكير الانسان وسلوكه في مختلف مظاهر حياته، وذلك على أساس المبادىء والأسس التي يقوم عليها المجتمع الجديد . فمجتمع العصر الحجري الحديث يقوم على أساس الاستقرار الزراعي وليس على أساس الانتقال من مكان إلى آخر . وقد خلق هذا الوضع الجديد سلوكاً انسانياً خاصاً ، فالفلاح مضطر إلى ملاحظة زراعته ومحتاج إلى الدفاع عن حقله، ويدفعه ذلك إلى ضرورة التعاون مع جيرانه إلى حد كبير . وقد تطور هذا النوع من التفكير إلى وجود شعور بالارتباط بأرضه المزروعة مما أدى إلى الشعور بالوطنية المحلية .

وهكذا نشأت أقدم القرى الموجودة في منطقة جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا وهي قرى عصر حضارة الفيوم أ ومرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا في مصر وقرى ملفعات وجرمو وتل حسونة في شمال شرق العراق، وقرية سيالك أ في شمال ايران ، وقرى منطقة العمق أ ورأس شمرا في شمال سوريا وجريكو (أريحا) في فلسطين وبيبلوس في لبنان وهاكيلار وتشاتال في الأناضول، وفي شمال افريقيا هناك كهوف دار السلطان ومغارة العليا وواد بهت ووهران و مواقع الحضارة القفصية في شمال افريقيا، ويبدأ الدارس بتتبع حضارة العصر الحجري الحديث في مصر .

أولا : العصر الحجري الحديث في مصر :

يمكن تتبع آثار الانسان في العصر الحجري الحديث (النيوليتي Neolithic) في عدد من المواقع الأثرية في كل من مصر السفلى والعليا . مثل مواقع

كوم ك (K) وكوم و (W) شمال شرق بحيرة قارون وكذلك مواقع مرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا . وتمثل هذه المواقع القرى الأولى التي قامت فيها حضارة العصر الحجري الحديث في مصر . ويمكن اعتبار آثار هذه القرى بمثابة الآثار الممثلة للتطورات المختلفة التي مرت بحياة الانسان في تلك الفترة في مصر . ويلاحظ المؤرخ اختلاف هذه الآثار من قرية إلى أخرى من ناحيةالتطور والنوع والكمية. وكذلك التقاليد الصناعية . ويمكن تعليل ذلك بأن الانسان في هذا العصر قد مر بطبيعة الحال بعدد من التطورات حسب ظروف حياته وحسب البيئة التي نشأ فيهاذلك التطور . ويميل العلماء إلى تقسيم هذا العصر إلى عدد من الحضارات التي تمثل كل منها فترة زمنية ساد فيها أسلوب حضاري معين ذو تقاليد صناعية وحضارية مميزة للبيئة والمجتمع الذي نشأت فيه تلك الحضارة .

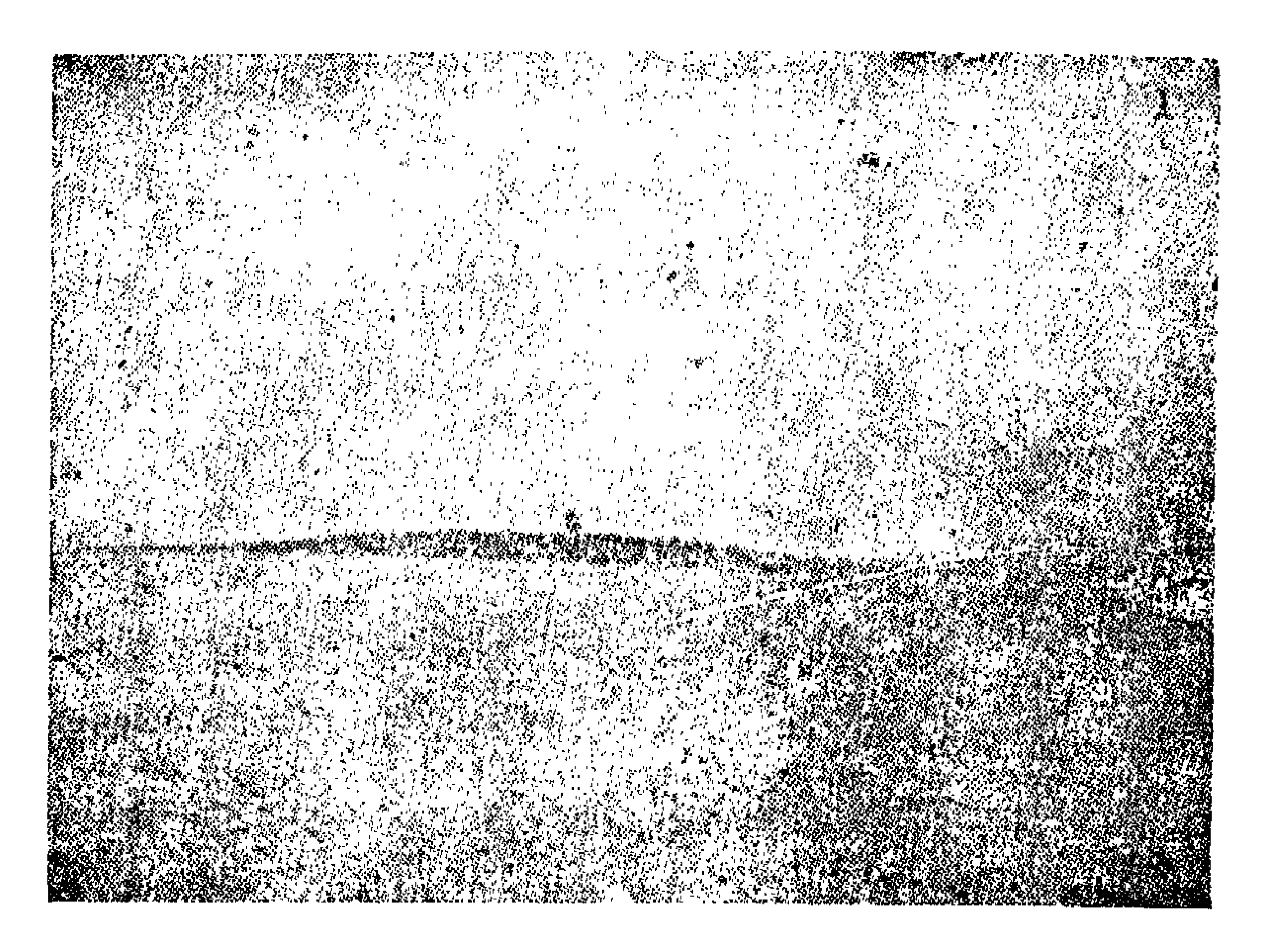
وقد أظهرت دراسة الأداة الأثرية التي تركها عصر حضارة الفيوم أ أن هذا المجتمع يمثل بداية نشأة القرى أي ابتداء استقرار (١) الانسان بصورة نهائية في مصر ، وقد اتجه الانسان في مرحلة استقراره في تلك المنطقة إلى شواطىء بحيرة قارون وكانت مياه تلك البحيرة في طريقها إلى الانحسار تاركة الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة . وقد استغل الانسان هذه الظروف البيئية المناسبة التي ربما لاحظها بعد انتهاء العصر المطير وبداية مرحلة الجفاف ، عند مواجهته لنهر النيل وكذلك في مناطق الواحات في الصحاري . واتجه الانسان إلى استغلال تلك الأراضي وتعرف — كما سبقت الاشارة— إلى الزراعة وبدأ في بناء القرى في تلك المنطقة . وقد تمكنت كاتون G. Caton-Thompson (٢) من عمل حفائر

---

(١) المقصود بكلمة استقرار Settlement هنا معنى الاستقرار الكامل بجوار الأراضي الزراعية التي قام بزراعتها وبدأ بعد ذلك في بناء المنازل والأسواق والمخازن أي مظاهر الاستقرار الكامل في الموقع الجديد .

(٢) Caton-Thompson, G., The Desert Fayum, Great Britain, 1934.

في بعض الأكوام شمال شرق بحيرة قارون وخاصة كوم و W وكوم كـ (K)
انظر شكل رقم (١٣) . وقد كشفت في هذين التلين عن قريتين وجدت فيهما

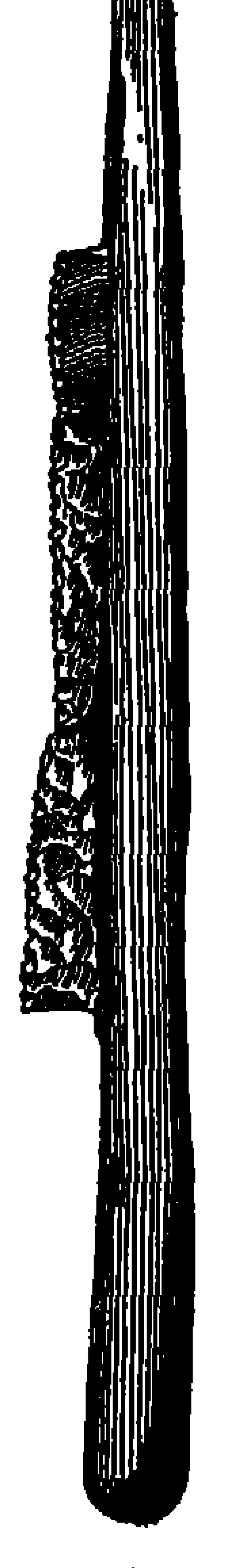


شكل رقم (١٣)
منظر لكوم و شمال شرق بحيرة قارون



شكل رقم (١٤)
سبت من حضارة الفيوم أ

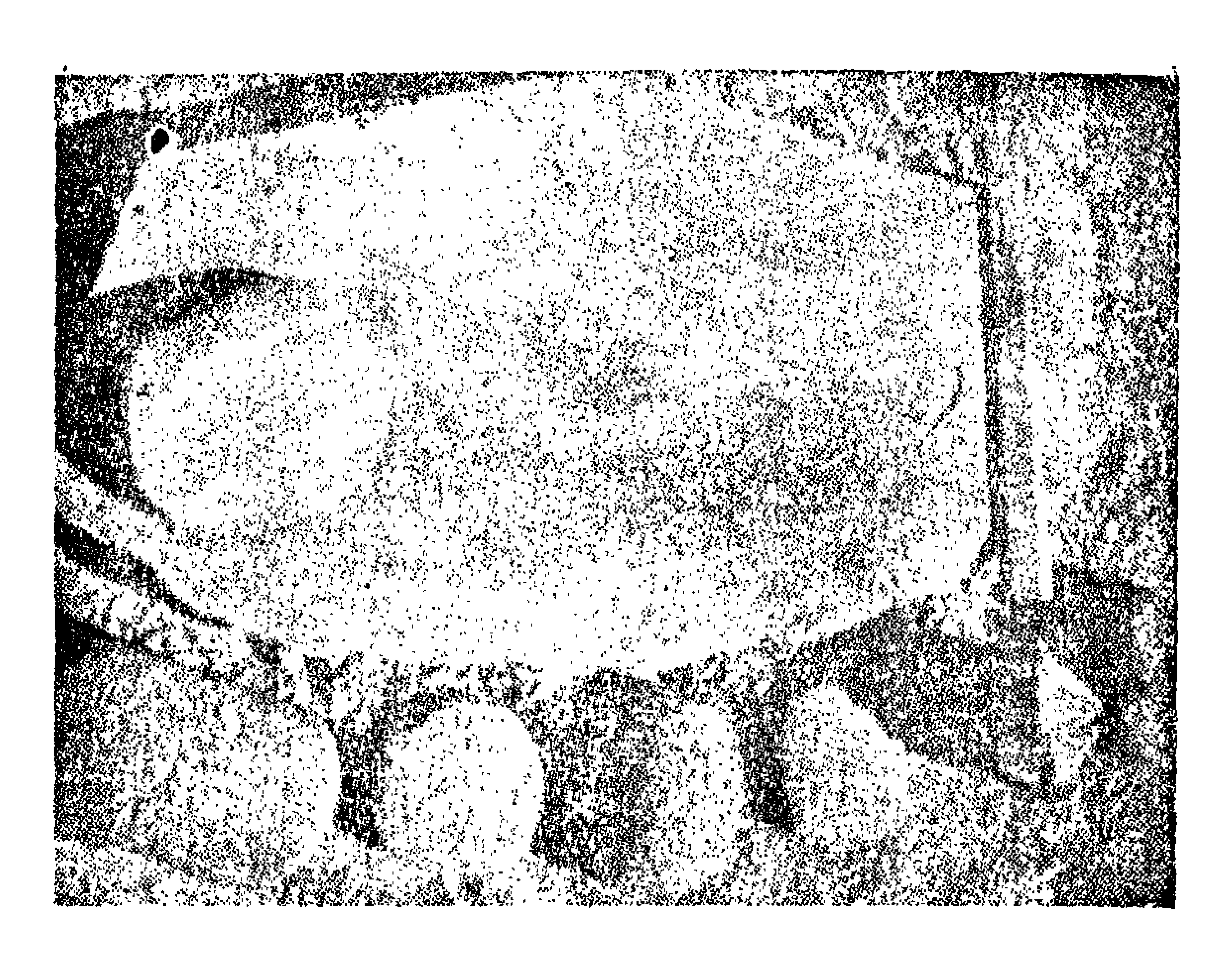
مجموعات هامة من الأدلة الأثرية التي تؤكد توصل مجتمع حضارة الفيوم أ إلى مرحلة الزراعة بصورة جيدة ، وكذلك توصله إلى صناعة الأدوات الحجرية المختلفة اللازمة لحياته الزراعية الجديدة مثل الأسبتة والمناجل والأجران، انظر أشكال (١٤) (١٥) (١٦) ، والفؤوس وكذلك صناعة السهام والرماح ، هذا بجانب صناعته للأواني الفخارية باليد، وذلك لعدم توصله في ذلك الوقت إلى استخدام عجلة الفخار.



شكل (١٥)
منجل من الفيوم أ يتكون من السلاح الظراني المعشق في اليد .

وقد تمكن انسان تلك الحضارة من الوصول إلى المستوى العالي في الانتاج الزراعي والصناعي في بيئة الفيوم أي محلياً ، وربما حمل معه أثناء انتقاله إلى هذه المنطقة بعض التقاليد الصناعية التي تمكن من معرفتها قبل استقراره في منطقة الفيوم ، ولكن التطورات الحضارية في مجتمعه الجديد نشأت بعد استغلاله للبيئة الزراعية الجديدة وبعد شعوره بحاجته إلى صناعات تكمل حياته الزراعيـــة .

وكوم (و) الذي يقع في شمال شرقي بحيرة قارون بيضاوي الشكل ويمتد حوالى ٦٠٠ قدم من الشرق إلى الغرب و ٥٠٠ قدم من الشمال إلى الجنوب . وقد قسم الأثريون هـــذا الكوم إلى عدة أقسام وأظهرت نتـــائج الحفـــائر وجود حفر يبلغ عددها ٢٤٨ حفرة كـــانت تستخـــدم كمكان لحرق الأخشاب للحصول على النار التي تستعمل في طهي الطعام . ويلاحظ الأثريون أن المادة التي استخدمت في الحرق في عصر حضارة البداري كانت من روث البهائم بينما يغلب أنـــه قـــد استخدمت هنا سيقان النباتات البرية أو المزروعة كوقود لتلك النار . ولم يستخدم انسان تلك الحضارة أي نوع من الأحجار أو كتل الطين لإحاطة هذه الحفرة كنوع من المحافظة على النار .



شكل رقم(١٦)
جرن من الحجر الجيري من كوم و مع هراسات القمح

وعثر قرب كوم (ك) على ٦٧ حفرة منها ٥٦ كانت تستخدم كمخازن لخزن المحصول الزراعي . ويلاحظ أنه وجد ٤٢ من هذه المخازن مبطناً بالقش ويبلغ قطر المخزن من ٥ قدم و ٢ بوصة إلى ١ قدم ٥ , ٢ بوصة والعمق من ٣ قدم إلى أقل من قدم واحد . وفي بعض الأحيان كسى المخزن Silo بواسطة حصير مصنوع من قش الذرة . وقد وجد في هذه المخازن القمح والشعير وقشر القمح وبذور نبات عصا الراعي كما وجد بعض القمح في حالة تكربن Carbonised . ومما يلفت النظر العثور على منجل في أحد المخازن مما يؤكد الصفة الزراعية . وفي بعض المخازن عثر على بقايا قماش وكذلك بعض الجلود ، انظر شكل رقم (١٧) . ولم تكشف الحفائر حتى الآن عن وجود مقابر وربما توجد في مكان آخر قريب لا يزال في حاجة إلى عمل حفائر فيه. ومن أهم ما وصل اليه مجتمع حضارة الفيوم أ بعض مظاهر التفكير الجماعي في المجتمع ، وذلك بناء على وجود المخازن

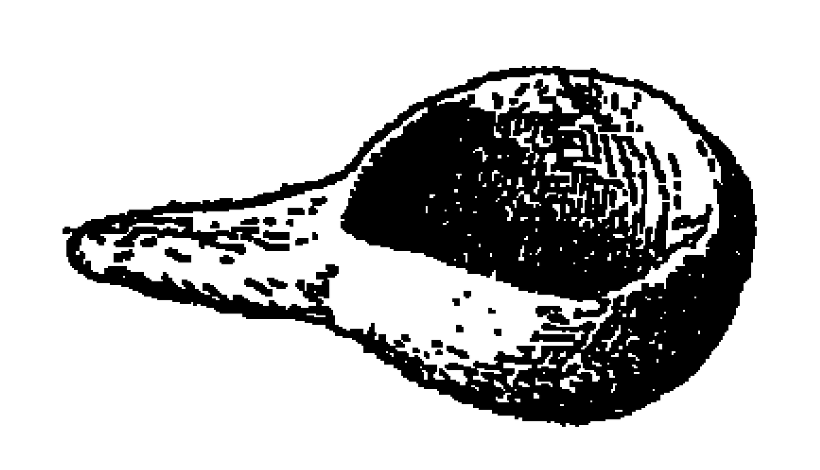
الجماعية بجانب المخازن الخاصة . كما أن العثور على عدد كبير من أدوات الصيد المختلفة ربما يكون دليلا على جمع انسان تلك الحضارة بين الزراعة والصيد . ولكن مما لا شك فيه أن جميع آثار حضارة الفيوم أ تبين انتقـــال الانسان من مرحلة الصيد وجمع الطعام إلى مرحلة الاستقرار ونشأة القرى .

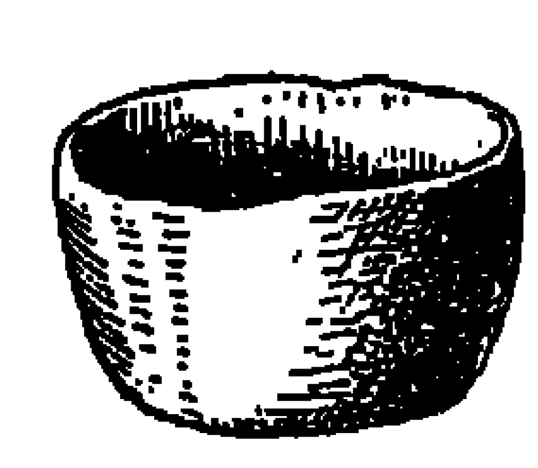


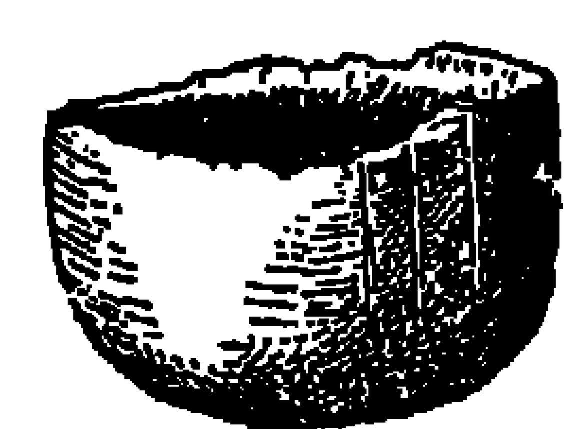
شكل رقم (١٧)
أقدم مثال لنسيج كتاني من الفيوم أ .

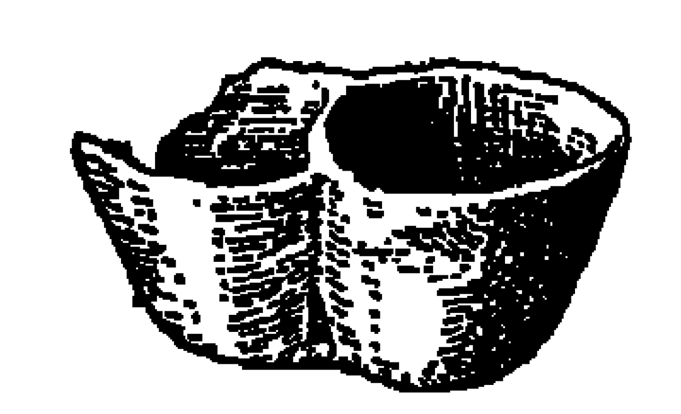
أما قرية مرمدة بني سلامة فتقـــع على الضفة الغربية لفرع رشيد بغرب الدلتا حيث تمكن الانسان من بناء قرية كبيرة الحجم إذا قورنت بقرى مجتمع دير تاسا وغيره من مجتمعات مصر العليا. كان العلماء يتجهون إلى القول بأن هذا الموقع مكون من طبقة واحدة ولكن ثبت من دراسة نتائج الحفائر أنه مكون من ثلاث طبقات . ولم تترك الطبقة السفلى أية بقايا منازل ولكنها تركت بعض المواقد والمقابر وبعض شقف من الفخار . وقد عثر في الطبقة الوسطى على عدد من الثقوب أو الحفر المنظمة في شكل بيضاوي يتوسطها أحدها ووظيفتها مرتبطة باحتمال استخدامها كمكان توضع فيه الأعمدة الخشبية ، مما يحتمل أن يبين أن منازل أصحاب تلك الطبقة الحضارية كانت مصنوعة من الخشب . أما منازل الطبقة العليا فكانت مصنوعة من كتل الطين وعلى شكل بيضاوي ، وبطريقة منتظمة تدل على تفوق التنظيم الاجتماعي في مجتمع ذلك العصر . وتدل دراسة آثار جميع الطبقات على تخزين سكانها للحبوب . ولم يعثر على المخازن التي تحتوي على الأسبتة الخاصة بهذه الحبوب إلا في الطبقة العليا فقط . وقد عثر على بقايا

هذه المخازن بجانب كل مسكن . أما البقايا العظمية الحيوانية فتدل على استخدام ذلك المجتمع للماشية . أما عن إنتاج أصحاب حضارة مرمدة بني سلامة فيمكن متابعته في الصناعات الحجرية وخاصة صناعة المناجل والسكاكين والسهام ، وكذلك في الصناعات الفخارية ، أنظر شكل رقم (١٨). ويتميز الفخار بأنه مصنوع باليد أيضاً ولكن به بعض جوانب التنوع في الانتاج وكذا ظواهر التخصص في العمل الفني . ومن ناحية أخرى آمن انسان ذلك المجتمع بالحياة الأخرى ودفن السكان موتاهم بجوار منازلهم ، وذلك يشبه إلى حد ما مجتمع حضارة حلوان العمري في وجود بعض المدافن داخل القرية . ومن ذلك يتبين أن ذلك المجتمع لم يصل في تطور تفكيره الديني إلى مرحلة تخصيص مكان معين لغرض بناء منازل خاصة بالأموات خارج القرية ، بل كان دفنهم داخل نطاق قرية الأحياء .









شكل رقم (١٨) أواني فخارية متعددة الأشكال من مرمدة بني سلامة

ومن حضارات العصر الحجري الحديث في مصر عصر حضارة حلوان العمري . وتقع هذه القرية عند قاعدة بروز صخري في حافة الهضبة يسمى رأس الحوف على بعد ثلاثة كيلومترات شمال ضاحية حلوان وعند نهاية سكة حديد المحاجر ، ويتكون الموقع الأثري من جبانتين وقرية . وقد دل البحث في هذا الموقع على اتصال ذلك المجتمع بمجتمع مرمدة بني سلامة وكذلك بمجتمع المعادي ، وهذا يدل على اتصاله بمصر السفلى أكثر من الصعيد . ويلاحظ الدارس لبقايا مساكن القرية أنها ذات نوعين ، النوع الأول منازل تعتمد على أعمدة خشبية في شكل بيضاوي ومبنية على سطح الأرض ، والنوع الثاني له أساس محفور

في الأرض ، وأبنية لها شكل دائري (١) . ولم يتبق من النوع الأول غير آثار قليلة من الأعمدة الخشبية تدل على وجوده . أما النوع الثاني فقد تبقت آثار البناء المحفور في الأرض ، هذا وتختلف أعماق ذلك البناء السفلي . كذلك عثر العلماء أيضاً على عدد كبير من المخازن المحفورة في الأرض . أما عن عادات الدفن في ذلك المجتمع فقد دفن السكان موتاهم في القرية نفسها وبجوارها وأيضاً بعيداً عنهـــا (٢) .

ويخالف التقليد الخاص بالدفن في القرية نفسها ما اعتاد عليه مجتمع دير تاسا ، ولكنه يشبه ما اعتاد عليه مجتمع مرمدة بني سلامة . ووجدت الجثث في وضع على الجانب الأيسر كما يتجه الوجه نحو الغرب والرأس نحو الجنوب ، وقد غطي الجسم بواسطة حصير وأحياناً بالجلد أو القماش . ويلاحظ الدارس أن بعض المقابر قد وزعت في صفوف منتظمة وكذلك غطيت بعضها بواسطة كوم من الحجر . ويلاحظ أيضاً أن بعض الآثار التي عثر عليها في موقع حلوان العمري تلقي بعض الضوء على المجال السياسي في ذلك العصر المبكر . ويصعب على الباحث البت بصورة نهائية فيما يتعلق بنوع التنظيم السياسي في المجتمعات المصرية المعاصرة في ذلك الوقت ولكن العثور على جثة متوفي وبجوار يده صولجان يرمز للرئاسة ليعبر بوضوح عن حقيقة وجود رئيس وبالتالي مرؤوسين أو حاكم ومحكومين ، (انظر شكل ١٩) . هذا بالإضافة إلى ملاحظة كبر حجم بعض المقابر بالمقارنة بالمقابر الأخرى مما يدعم الاتجاه السالف الذكر . ولكن لا يزال هذا الموضوع في حاجة إلى أدلة أثرية أخرى لتدعيمه بصورة أكثر وضوحاً . ومن ناحية أخرى لم يستقر الرأي بصورة نهائية حتى الآن على انتماء الجبانتين إلى نفس القرية .

---

(١) F. De Bono, Al - Omari, (Près de Helouan), Annales du Servise des Antiquités de L'Egypte, Vol. XL VIII, p. 368.

(٢) —, Ibid., p. 564.
—, Helouan El Omari, Chronique d'Egypte, Jan. 1949. p. 51.



شكل رقم (١٩) هيكل عظمي من حلوان العمري ويلاحظ وجود الصولجان بجوار يد المتوفي كرمز لرئاسته المجتمع

ومن أهم آثار مجتمع حلوان العمري والتي لم يعثر على مثيل لها حتى الآن في مجتمعات ماقبل التاريخ في مصر بقايا آثار أزهار وجدت بجانب الجزء العلوي من جسم المتوفي، وكذلك عثر أيضاً ضمن آثار تلك الحضارة على نواة تمرة (١).
كما أنتج مجتمع حلوان العمري نوعاً جيداً من الفخار الذي كان يصنع باليد، هذا بجانب صناعة الأدوات الحجرية والعظمية والخشبية والصدفية بالإضافة إلى صناعة

(١) Debono, op. cit. p. 568.

النسيج والأسبتة والمصنوعات الجلدية . ويمكن القول بوجه عام أنه على الرغم من تشابه ذلك المجتمع بمجتمع مرمدة بني سلامة لحد ما فإن آثار حلوان العمري تبين تطوراً ملحوظاً على نطاق أوسع نسبياً .

أما المجتمع المميز لمصر العليا وينتمي إلى العصر الحجري الحديث فهو مجتمع دير تاسا على الضفة الشرقية جنوب شرق أسيوط . وتنتشر قرى وجبانات ذلك المجتمع في المنطقة الصحراوية الواقعة بين الهضاب الشرقية من ناحية وبين الأرض المزروعة من ناحية أخرى . وقد وجدت مقابر التاسيين مختلطة بمقابر البداريين ، ولذلك اتجه بعض المؤرخين إلى اعتبارهم أقرباء للبداريين . كما أنتج ذلك المجتمع نوعاً من الفخار المميز له وهو الأقداح التي على شكل الناقوس . وربما كان السبب في اتخاذه ذلك الشكل هو تقليده للوعاء الجلدي الذي كان يستخدم في بداية الأمر . وقد زينت تلك الأقداح التاسية بخطوط حفرت في الآنية وملئت بطلاء أبيض . وقد أنتجت تلك الحضارة أيضاً أمثلة جديدة من اللوحات وأدوات الزينة . ويمكن القول أن مجتمع دير تاسا قد انتقل في مراحل التطور إلى مرحلة تفوق مجتمع الفيوم أ لحد ما . أما فيما يتعلق بالمقابر التاسية فكانت مستطيلة الشكل وكان الميت يوضع داخل سلة مصنوعة من الأغصان ، وكانت تغطى بالحصير . وكان الجسم يلف بواسطة الجلود ، وقد عثر على بقايا أقمشة يحتمل استخدامها أيضاً في اللف . وكانت توضع تحت الرأس وسادة من القش أو النخالة أو الجلد . ولم يعثر على مايدل على طريقة تسقيف المقبرة . وفي المقبرة رقم ٢٨٤٢ عثر على فجوة في الجزء الغربي منها ، وتلك الفجوة(١) تسع آنية فخارية . ويمكن القول أن تلك الفجوة ربما تعتبر تمهيداً معمارياً لما ظهر في صميم العصر التاريخي في مصر الفرعونية من وجود مخازن متصلة بحجرة الدفن لخزن مايحتاج اليه المتوفي في العالم

---

(١) Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Culture, London, 1937, P. 26.

الآخر . وقد عثر على بقايا شعر المتوفي في ثلاث مقابر . ومما يذكر أن الشعر كان مموجاً مما يدل على عدم انتماء أصحابه إلى العناصر الزنجية في ذلك العصر الحضاري. ولم يعثر على أي دليل يبين توصل أصحاب ذلك المجتمع إلى استخدام التوابيت الخشبية . ويلاحظ أيضاً أن جبانات مجتمع دير تاسا كانت مستقلة عن مساكن الأحياء ، وهذا يبرر تفوق ذلك المجتمع على مجتمع مرمدة بني سلامة في هذا الموضوع . أما من ناحية الحياة الزراعية فقد عثر على الأجران وعلى مخزنين للقمح مما يبين بصورة واضحة معرفة ذلك المجتمع للزراعة بجانب ممارسة أهله للصيد في البر والنهر .

ومن ذلك كله يتبين أن هناك أربعة مجتمعات في مصر تنتمي إلى العصر الحجري الحديث وهي الفيوم أ ومرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا تمكنت جميعها من التوصل إلى مرحلة إنتاج الطعام (الزراعة) وبناء القرى ومختلف لوازم الحياة المستقرة . وقد تمكن انسان ذلك العصر في مصر من صناعة الأواني الفخارية والحجرية المتصلة بالحياة الزراعية ، كما أنتج المنسوجات بجانب بنائه للمنازل والمقابر . وقد استمرت تلك المجتمعات فترة حوالي ألف عام إلى أن تمكن المجتمع في مصر من الانتقال إلى عصر جديد هو عصر استخدام النحاس والحجر . ويلاحظ الدارس في تطور مجتمعات العصر الحجري الحديث في مصر أنها بدأت باستكمال حاجات الانسان الاقتصادية أولا ثم النواحي الكمالية بعد ذلك . ومن ناحية أخرى يمكن الاستدلال من وجود المخازن الجماعية في مجتمع الفيوم أ على التفكير الجماعي في ذلك المجتمع بجانب وجود بعض المخازن الخاصة . ولا شك أن ذلك التفكير الجماعي يمكن ملاحظته في مرحلة الثورة الصناعية الأولى عندما اضطر الانسان أن يواجه تحدي النهر واضطر للتعاون للتحكم فيه . وليس معنى توصل مجتمع العصر الحجري الحديث إلى الزراعة أنه أهمل كلية التفكير في الصيد ، فتدل الآثار على العثور على عدد

كبير من أدوات الصيد بجانب أدوات الزراعة مما يبين جمع الانسان بين مهنة الزراعة وبين مايلزمه من صيد الحيوانات والطيور والأسماك . وقد رتب بعض العلماء(١)أخيراً تلك الحضارات الأربعة السالفة الذكر على أساس أن أقدمها هي حضارة الفيوم أ وأحدثها حضارة دير تاسا وذلك على أساس الدراسة المقارنة للأدلة الأثرية . ولكن تختلف الآراء في هذا الشأن وربما يعدل هذا الترتيب على أساس نتائج الحفائر الجديدة .

ثانياً : العصر الحجري الحديث في العراق :

يتمثل العصر الحجري الحديث في بلاد الرافدين في مرحلتين حضاريتين رئيسيتين هما عصر حضارة جرمو وعصر حضارة حسونة . ولكن قد سبقت هاتين المرحلتين بعض الفترات الحضارية التي تبين إلى حد معين مرحلة الانتقال من جمع الطعام إلى إنتاجه . فبينما موقع كريم شاهير شرقي كركوك وهو موقع يؤرخ بالفترة بين ٧٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ق م ، يمثل بداية الانتقال إلى انتاج الطعام لما لوحظ في آثاره من وجود بعض المناجل والأجران والفؤوس وكذلك بقايا العظام الحيوانية المستأنسة وأيضاً المواقد والمخازن ، فإنه على الرغم من ذلك لا يعتبر من صميم مرحلة العصر الحجري الحديث وذلك لعدم العثور على الحبوب المزروعة التي تؤكد صفة الاستقرار .

ومن الأمثلة الهامة السابقة لحضارة جرمو أيضاً ما كشف عنه أخيراً بريد وود Braidwood (٢) في موقع ملفعات وتؤرخ حضارتها بنهاية الألف السادس ق . م . ، وتقع بين الموصل واربيل في شمال شرق العراق ويعتبرها بريد وود أنها أقدم قرية حتى الآن في العراق القديم . وقد توصل

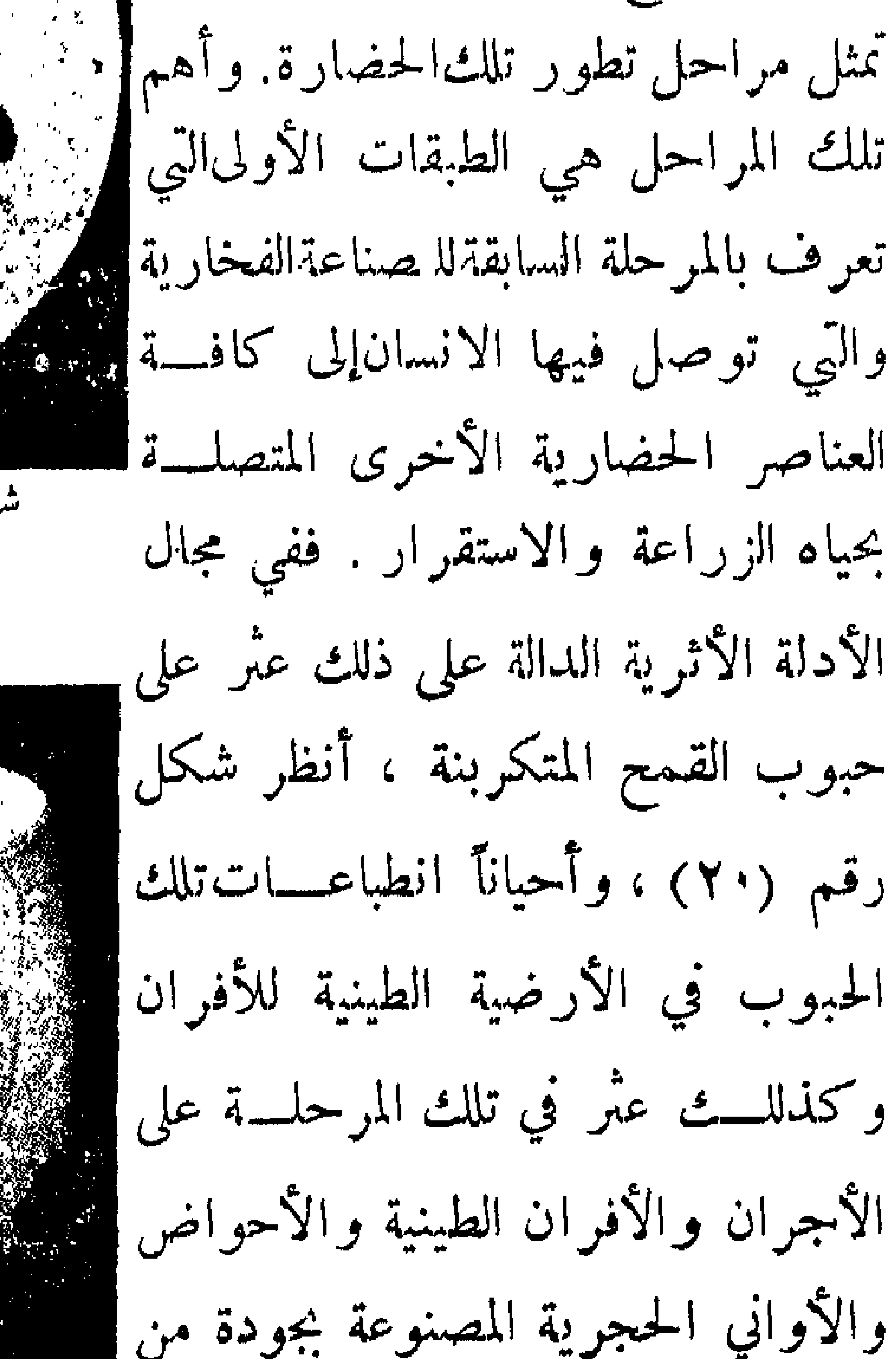
(1) Hayes, w. C., Most Ancient Egypt, Chicago and London, 1965 p.92.
(2) Braidwood, R., «The world's first farming villages,» Illustrated London News, 28 Avril, 1956, pp. 410,11.

الانسان في حضارتها إلى صنع التماثيل الطينية الحيوانية والانسانية .

أما المرحلة الأولى المميزة للعصر الحجري الحديث فهي حضارة جرمو نسبة إلى قلعةجرمو شرقي كركوكوتؤرخ حضارتها بأكثر من ٦٠٠٠ ق. م . ولكنها، لا تتعدى ٧٠٠٠ ق م . (١) وكان الاتجاه قبل ذلك يعتبر حضارة جرمو أنها تمثل مرحلة انتقال من الجمع إلى الانتاج ، ولكن ثبت الآن أنها مركزاً رئيسياً في حضارة العصر الحجري الحديث .



شكل رقم (٢٠) حبوب قمح متكربنة من جرمو



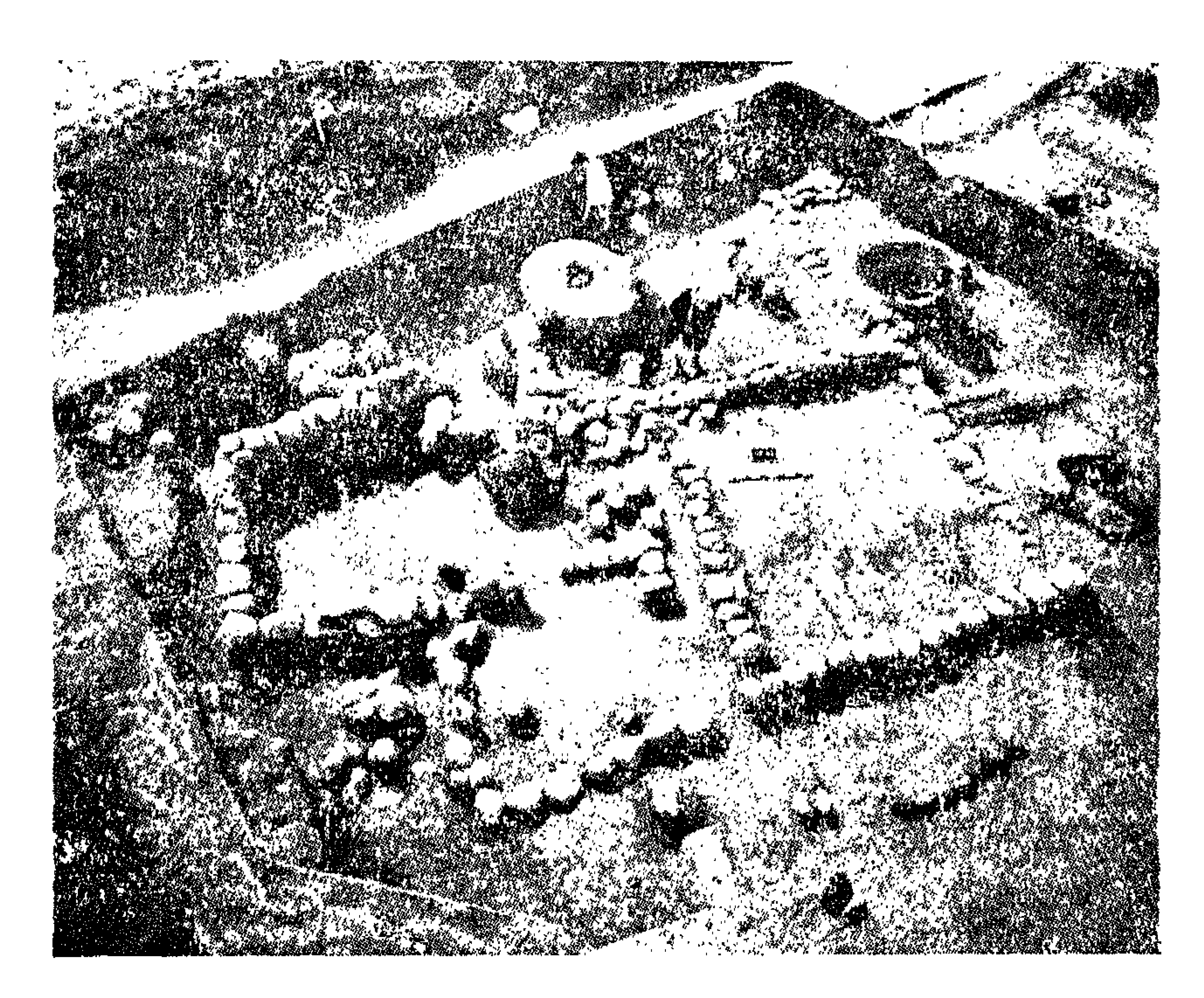
ويتكون موقع جرمو من عدد من الطبقات تمثل مراحل تطور تلك الحضارة. وأهم تلك المراحل هي الطبقات الأولى التي تعرف بالمرحلة السابقة لا صناعة الفخارية والتي توصل فيها الانسان إلى كافة العناصر الحضارية الأخرى المتصلة بحياة الزراعة والاستقرار . ففي مجال الأدلة الأثرية الدالة على ذلك عثر على حبوب القمح المتكربنة ، أنظر شكل رقم (٢٠) ، وأحياناً انطباعات تلك الحبوب في الأرضية الطينية للأفران وكذلك عثر في تلك المرحلة على الأجران والأفران الطينية والأحواض والأواني الحجرية المصنوعة بجودة من الحجر الجيري ، أنظر شكل رقم (٢١)



شكل رقم (٢١) آنية حجرية من جرمو

(1) Cole, S., The Neolithic Revolution London, 1961, p. 48.

وتتصل البقايا العظمية الحيوانية بالحيـاة المستقرة حيث يلاحظ العثور على الحيوانات المستأنسة كالماعز والاغنام والخنازير . أما فيما تعلق بالآثار المعمارية فقد ترك إنسان جرمو منازل مستطيلة مبنية من الطين المكبوس ، وأحياناً يلاحظ أن حوائطها لها أساس من الحجر ، أنظر شكل رقم (٢٢) . وربما كان عدم



شكل رقم (٢٢) أساس منزل من العصر الحجري الحديث في جرمو .

توصل إنسان تلك المرحلة المبكرة إلى الصناعة الفخارية يرجع إلى استيفائه حاجياته بصناعة الأواني الحجرية الجيدة، ولكنه في أواخر تلك الحضارة بدأ يستخدم الفخار . ومن أهم الآثار المنتمية إلى تلك الحضارة والمعبرة عن الفكر الديني في تلك المرحلة تشكيل الانسان لتماثيل صغيرة طينية تمثل آلهة الأمومة المعبرة عن ظاهرة الانتاج والخصوبة في ذلك المجتمع الزراعي المبكر، أنظر

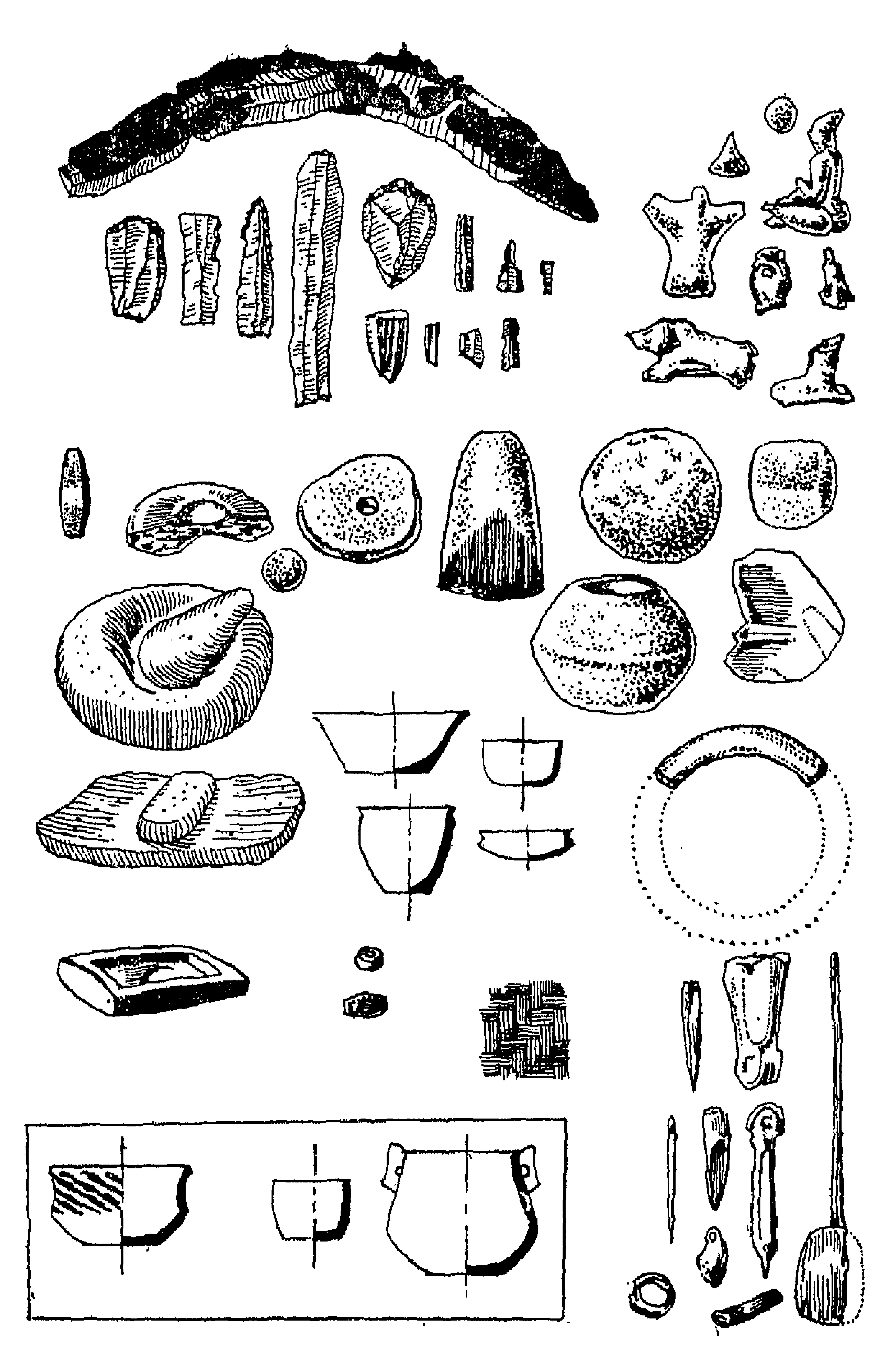
شكل رقم (٢٣) ، ويلاحظ أيضاً أن إنسان جرمو قد بدأ يخرج عن صورته المحدودة واتصل بالمجتمع الخارجي ، فقد عثر على حجر الأوبسيديان ضمن آثاره مما يزكي إمكانية إتصاله بمنطقة الأناضول . كما أن العثور على بعض الأساور والخرز يبين اتجاهه أيضاً إلى بعض النواحي الكمالية في حياته . وهناك موقع آخر يعد تالياًلجرمو هو موقع جردعلي آغاشه الي أربيل وهو يرتبط بصورة واضحة بعصر حضارة حسونة مما يؤكد الحاجة الماسة إلى العثور على بعض المواقع التي تعطي صورة متكاملة عن ذلك العصر الحضاري .

أما المرحلة الثانية المميزة للعصر الحجري الحديث في العراق فتتمثل في حضارة تل حسونة (١) .

ويمكن للدارس تتبع آثار ذلك العصر الحضاري في بعض المواقع التالية : تل حسونة في الطبقات من ١ — ٥ ويمكن اعتبار الطبقة السادسة بداية عصر حضارة حلف ، وسامرا ، وبها مجموعة من المقابر ، ونينوى في الطبقات ١ ، ٢ أ و ب . ويمثل عصر حضارة حسونة حضارة قرية مستقرة في العصر الحجري الحديث . ولم يعثر الأثريون على أي معدن في تل حسونة مما يفيد أن أصحاب ذلك العصر الحضاري لم يصلوا إلى عصر استخدام النحاس والحجر بل يمثلون صميم العصر الحجري الحديث . فقد تمكنوا من التوصل إلى الزراعة وخاصة القمح كما استأنسوا بعض الحيوانات كالأغنام والماعز والخنزير ؛ وبنوا منازلهم وأفرانهم من كتل الطين ويتكون المنزل من عدد من الحجرات تحيط بساحة في الوسط . وقد عثر الأثريون على أدلة أثرية عديدة تبين تقدم أصحاب تلك الحضارة في الصناعة الفخارية ، فهناك أمثلة من الفخار المصقول وفخار سامرا الملون الذي اتجه بعض العلماء

---

(1) Lloyd, S., and Safar, F., „Tell Hassuna, Journal of Near Eastern Studies, Oct., 1945.



شكل رقم (٢٣)
العناصر الرئيسية في حضارة جرمو في المرحلة السابقة للصناعة الفخارية

إلى اعتباره ممثلا لعصر حضاري مستقل ، ولكنه يعتبر الآن ضمن عصر حضارة حسونة الممتد على طول الطريق غرباً بين نهر دجلة والبحر الأبيض المتوسط ، والدليل على ذلك العثور على فخار حسونة في إقليم العمق وكذالك في مرسين . ويمكن القول أيضاً بوجود صلة حضارية بين تل حسونة والهضبة الايرانية ، ولكن لا توجد أمثلة أثرية جنوب سامرا تمثل ذلك العصر الحضاري . وربما كان السبب في ذلك أن جنوب ميزوبوتاميا لم يكن معتبراً مناسباً للسكنى في ذلك الوقت وذلك لرطوبته(١) هذا وبالإضافة إلى الفخار صنع إنسان حسونة الأجران والفؤوس والمناجل. ومن ناحية فكرة الإيمان بالحياة في العالم الآخر ، توصل انسان حضارة حسونة اليها ، وقد عثر على بقايا جثث للأطفال دفنوا في بعض الأواني الفخارية وكان اتجاه رأس المتوفي نحو الشمال . ويمكن تفسير بقايا الهياكل العظمية للأطفال بأن ذلك يتصل بظاهرة التضحية البشرية لاسترضاء القوى الالهية وعلى رأسها إلهة الأمومة التي عبر عنها في شكل تماثيل صغيرة . ومن الناحية البشرية لم لم يصل الأنثروبولوجيون بصورة قاطعة إلى التعرف على جنس أصحاب تلك الحضارة .

والواقع أن المؤرخ يجد صعوبة في الوصول إلى رأي نهائي إزاء موضوع أولوية التوصل إلى مرحلة الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم أو بالأحرى بين حضارة الفيوم أ ومرمدة بني سلامة من ناحية وعصر حضارة جرمو وعصر حضارة تل حسونة من ناحية أخرى . ولو أن الظواهر حتى الآن تبين أقدمية الفيوم أ ومرمدة بني سلامة في بعض النواحي وكذلك أقدمية جرمو في بعض النواحي الأخرى . ونظراً لضرورة استكمال الحفر في مواقع الفيوم أ فالموضوع لا يزال مجال البحث ، وربما تكشف نتائج الحفائر رأياً نهائياً في هذا الموضوع الهام . وتبين مقارنة نتائج الحفائر في كل من الفيوم أ وجرمو

---

(١) وتنبغي الاشارة بصورة مقارنة إلى أن الأستاذ الدكتور سليمان حزين قد عالج موضوع الجو في مصر في عصور ما قبل التاريخ ووصل إلى أنه كان رطباً في ذلك الوقت بدرجة تفوق رطوبته في العصر التاريخي .

Huzzayin,. S. A., Some New Light on the Beginnings of Egyptian Civilization, Cairo, 1936.

توصل كل منهما إلى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى، فكلاهما أنتج المناجل الحجرية وتوصل إلى الصناعات العظمية وصناعة الأجران والأسبتة في الفيوم أ والحصير في جرمو . ويأخذ المؤرخ في الاعتبار في هذه الدراسة المقارنة مختلف نواحي الانتاج المادي والمعنوي كما يتبين من مختلف الأدلة الأثرية . أما عن بقية مواقع العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم وشمال افريقيا ومستوى الانتاج الحضاري فيها ، فيتفاوت ذلك من مكان إلى آخر ، ويبدأ الدارس بمنطقة فلسطين .

العصر الحجري الحديث في فلسطين :

يتجه بعض العلماء في الوقت الحاضر إلى إعطاء أهمية خاصة إلى بعض المواقع الأثرية الفلسطينية المنتمية إلى تلك المرحلة، وذلك على أساس أن تأريخ هذه المواقع يتقدم بعض الشيء من الناحية الزمنية على المواقع الأثرية المنتمية إلى نفس العصر في كل من العراق ومصر . ويستوجب هذا الاتجـــاه والتردد نسبياً في تقبله بصورة نهائية ، بسبب ظواهره الخاصة ، وقبل الإدلاء برأي في هذا الموضوع ينبغي التعرف على بعض الآثار الرئيسية لتلك المرحلة في فلسطين . ويمكن تقسيم ذلك العصر إلى قسمين أساسيين ويتمثل ذلك بصفة خاصة في موقع جريكو IX (اريحا) — تل السلطان .

أ — مرحلة العصر الحجري الحديث غير المتضمن للصناعة الفخارية

Pre-pottery Neolithic

ب — مرحلة العصر الحجري الحديث الصميم

وبالنسبة للقسم الأول تتضمن آثار تلك المرحلة طرازاً خاصاً في كل من العمارة والنحت، فقد عثر على منازل دائرية مبنية من الآجر وحيطانها مائلة إلى الداخل، ويغلب أن ذلك يتصل بكون سقوفها كانت مقببة . أما أرضية تلك

المنازل فكانت من الطين المدكوك وتؤرخ من الناحية الزمنية بحوالي ٦٨٠٠ ق م . وهناك منازل أخرى مستطيلة تؤرخ بحوالي ٦٨٥٠ ق م . وتتميز بأن حيطانها وأراضيها مطلية بالجص . وتتميز تلك القرية بوجود خمسة حيطان متتالية أثناء تلك المرحلة مبنية من الأحجار المنتظمة ، ويمتاز الحائط الثالث فيها باستناده على برج حجري له سلم خاص وذلك كنوع من التحصين الدفاعي ، أنظر أشكال (٢٤) ، (٢٥) . وقد عثر في حجرات المساكن والمعابد على مجموعات هامة من التماثيل البشرية والحيوانية . وتتميز التماثيل الإنسانية بكونها مؤلفة من مجموعات ثلاثية ، كل مجموعة منها تتكون من رجل وامرأة وطفل . هذا بالإضافة إلى تماثيل أخرى تصور عضو التذكير كمظهر للخصوبة والانتاج والتي عمل الانسان القديم على تقديس صفتها منذ العصر الحجري الحديث . وهذه التماثيل الثلاثية فريدة في نوعها في ذلك العصر المبكر . ومن ناحية أخرى توصل انسان تلك المرحلة إلى الاعتقاد في العالم الآخر لدرجة معينة فلم يخصص مكاناً للمتوفي خارج القرية بل دفن موتاه تحت أرضية المساكن ، ويناظر ذلك مع الفارق انسان مرمدة بني سلامة في مصر . وتلاحظ أيضاً ظاهرة فريدة أخرى وهي فصل رأس المتوفي عن جسمه ووضع نموذج جصي لصورة المتوفي فوق عظام الجمجمة ، كما كان في حياته . انظر شكل رقم (٢٦) . كما يلاحظ أيضاً وجود بعض الخطوط ذات لون أسود فوق رأس المتوفي يغلب أنها تمثل رداء للرأس ، أنظر شكل رقم (٢٧) ومما يسترعي الانتباه أن هذا التقليد متبع حتى الوقت الحاضر في ميلانيزيا (١) . وتتجه كول Cole إلى اعتبار فصل رأس المتوفي عن الجسم ودفنها بصورة مستقلة ربما يتصل بعقيدة عبادة الجمجمة Skull Cult (٢).

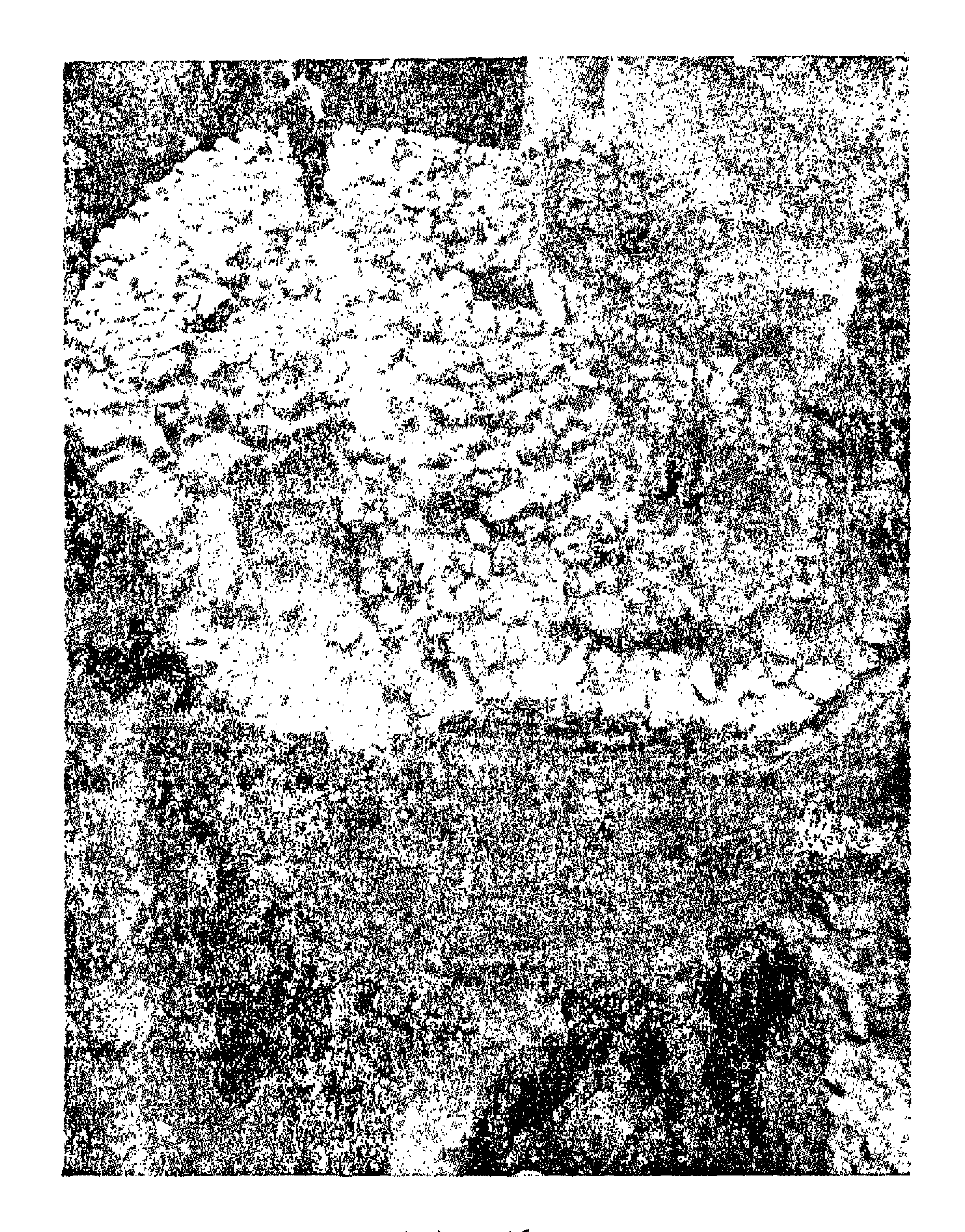
وبالإضافة إلى آثار العمارة الطينية هناك أيضاً آثار حجرية ضخمة Dolmen

(1) Sages, H. W. F., The greatness that was Babylon, London, 1962, p. 6.
(2) Cole, S.; op. cit., p. 53.



شكل رقم (٢٤)

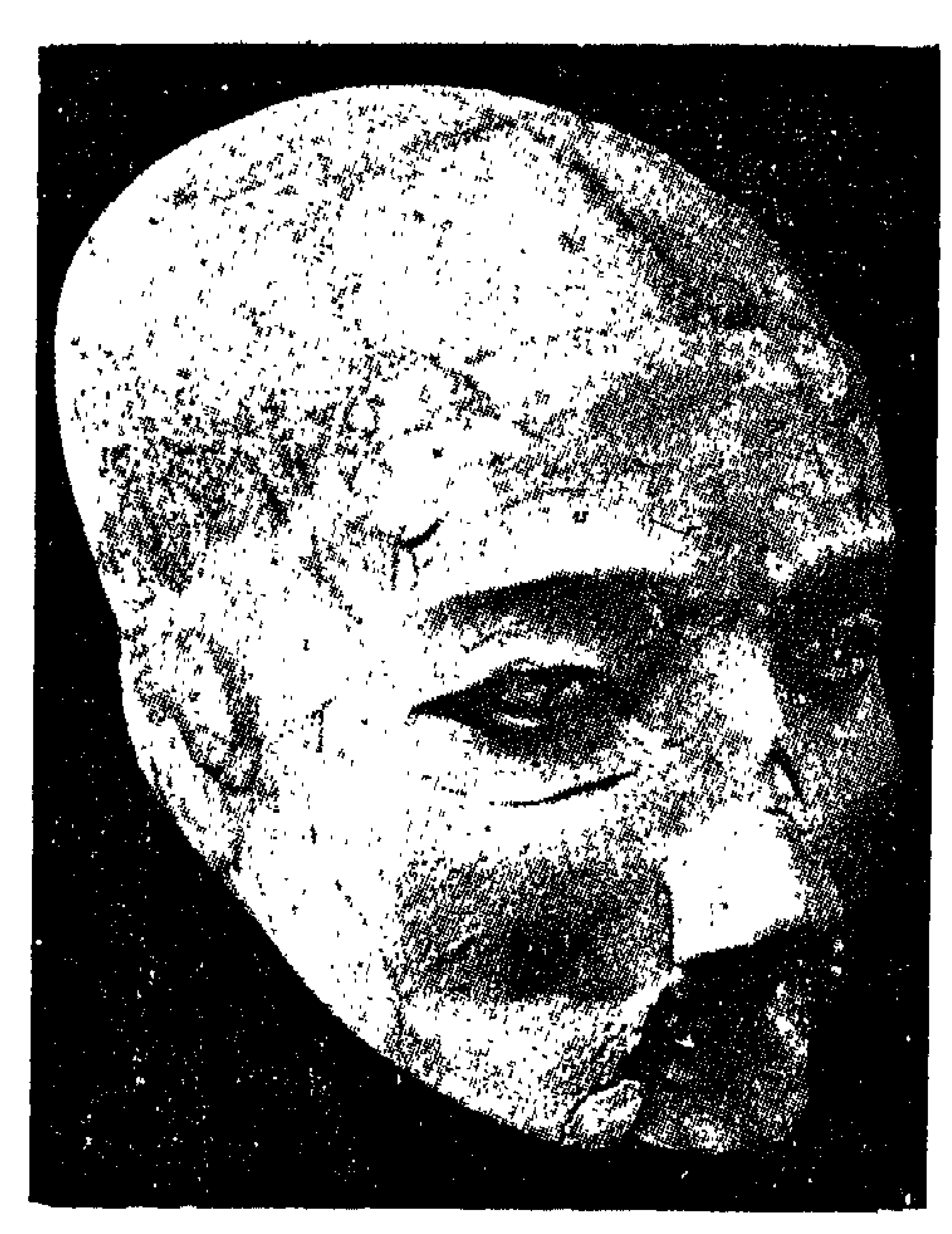
حيطان متتالية تنتمي إلى العصر الحجري الحديث في جريكو



شكل رقم (٢٥)

البرج الحجري الكبير من العصر الحجري الحديث في جريكو

تتكون من كتل حجرية هائلة تشكل حوائط حجرات وممرات وتمثل منازل ومعابد من نوع آخر غير القرى السالفة الذكر. وتنتشر تلك الآثار الحجرية المنتمية لتلك المرحلة في كل من فلسطين والأردن. ورغم وفرة الآثار الممثلة لتلك الحضارة فلم يصل انسانها إلى الصناعة الفخارية بعد. ويؤرخ هذا العصر حسب تقديرات طريقة الكربون المشع بحوالي ٦٢٥٠ ق . م .



شكل رقم (٢٦) رأس كسوة بالجص فوق الجمجمة من العصر الحجري الحديث في جريكو



شكل رقم (٢٧) مثال آخر لرأس مكسوة بالجص في جريكو ويلاحظ وجود الخطوط بالجزء العلوي من الجمجمة

وهناك فجوة حضارية بين المرحلة السابقة والمرحلة التالية التي تمكن فيها الانسان من صناعة الأواني الفخارية مما مهد للمرحلة التالية وهي مرحلة العصر الحجري الحديث الصميم. وقد عثر على آثاره في جريكو ابتداء من الطبقة التاسعة كما عثر عليه أيضا في موقع وادي اليرموك، ويتميز بالفخار المزين برسوم، وصناعة التماثيل الحجرية الصغيرة. وتؤرخ تلك المرحلة بأواسط الألف

الخامس ق . م . ويعتبر فخار تلك المرحلة أقدم فخار في فلسطين .

ويختلف العلماء في أصل تلك الحضارة هل هو محلي أم خارجي، ويصعب البت نهائياً في هذا المشكل، ولكن حقيقة أهمية الحضارة النطوفية ودورها في نقل حياة الإنسان نحو إنتاج الطعام ووجود طبقة ما قبيل النيوليتية بجريكو (١) ليساعد في إمكانية التفسير المحلي لتلك الحضارة . ومن ناحية أخرى توصل الانسان في مناطق أخرى مثل شمال العراق وبصفة خاصة موقع جرمو إلى إنتاج الطعام دون التوصل إلى الصناعة الفخارية، ومع ذلك تعتبر جرمو من أهم مواقع العصر الحجري الحديث، وبالتالي يمكن اعتبار حضارة جريكو في طبقاتها الأولى ممثلة لتلك المرحلة مع بعض الفوارق الرئيسية بينها وبين جرمو وبصفة خاصة في النتاج الزراعي الذي يعتبر دليلا قاطعاً على الاستقرار . ولكن تنبغي الإشارة إلى قرية جريكو التي تتميز بظاهرة التحصين الحجري القوي الذي يعتبر نمطاً معمارياً خاصاً في تلك المرحلة . ويرى الباحث إمكانية تفسير ظاهرة التحصين على أساس أن التسللات السامية التي كانت تداوم على التغلغل من الصحراء العربية إلى المناطق المنخفضة والأودية في عصور ما قبل التاريخ وخلال العصر التاريخي قد دفع انسان مجتمعات العصر الحجري الحديث أي المجتمعات المستقرة في القرى إلى ضرورة تحصين قراه لوقايتها من تلك العناصر.

وعلى ذلك فآثار العصر الحجري الحديث في فلسطين متنوعة وهامة ولكنها غير واضحة التكامل الموضوعي ولذلك يصعب ربطها بنفس المقياس الحضاري المتكامل لحد كبير في المواقع الأخرى ، وذلك لأنها تتضمن ظواهر معمارية وتعبيرية فريدة في نوعها وبصفة خاصة ظاهرة التحصين المعماري والنحت والتشكيل الصوري الانساني ، وتدفع تلك الظواهر الخاصة الباحث إلى توخي مداومة البحث المقارن لآثار تلك المرحلة حتى يمكن وضعها في مكانها الحضاري المضبوط بقدر الامكان .

---

(١) انظر ص ١١٧ .

أما التقويم الزمني لآثار العصر الحجري الحديث الفلسطيني فهو جدير بالاهتمام إذ يحمل أولوية زمنية فريدة ولكن من ناحية أخرى يصعب البت نهائياً الآن في التقويم الزمني للآثار المصرية أو العراقية القديمة المنتمية لتلك المرحلة على أساس إمكانية إجراء تعديل في تقويمها الزمني بعد متابعة الكشف في مواقعها وإعادة النظر في التقويم الزمني المقارن .

رابعاً : العصر الحجري لحديث في سوريا :

أول حقيقة تواجه الدارس لطبيعة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة منطقة الهلال الخصيب هي وجود نهري دجلة والفرات في الشرق ونهر النيل في الجنوب ونهري الأردن والعاصي بينهما ، أي بمعنى آخر تكون منطقة سهلية خصبة تشبه الهلال في شكلها ، وعلى الرغم من اختلاف طبيعة الأنهار من حيث مواعيد فيضانها ومدى انتظامها إلا أنها كانت بمثابة نوع من القوى الطبيعية التي واجهت الإنسان والتي لمس أثناء مراحل كفاحه معها بعض الظواهر الطبيعية الأخرى مثل ارتباط هذه الأنهار بالحياة الزراعية البرية على جانبي النهر وارتباط هذه المياه بطبيعة الحال بحياة الحيوان والانسان والنبات . وبعد عدة تجارب وكفاح بين الإنسان والبيئة أو بصفة خاصة هذه الأنهار نجح كما سبقت الإشارة ، في التعرف على بعض أسرار هذه الطبيعة وهي كيفية نمو وازدهار الحياة الزراعية . ولم يقتصر هذا التعرف على مصر والعراق القديم وفلسطين بل أيضاً توصل اليه الانسان في سوريا وإيران في وقت متقارب نسبياً . وعلى ذلك فقد كانت القدرة الحضارية بين مختلف مناطق الشرق الأدنى القديم في الملاحظة واكتساب التجارب والخلق والابتكار متوفرة . وعلى الرغم من وجود هذا التشابه النسبي في مختلف أجزاء هذه المنطقة إلا أن تلك القدرة الحضارية في التوصل إلى حياة الاستقرار والإنشاء كانت نابعة من البيئة المحلية ولكنها اختلفت من حيث تطورها من منطقة إلى أخرى .

وتمثل سوريا جزءاً هاماً في الهلال الخصيب فهي جزء رئيسي متوسط بين أجزاء هذه المنطقة الشرقية والغربية ، ولذلك كانت سوريا ولبنان وفلسطين والأردن منذ البداية تعتبر بمثابة حلقة اتصال بين محورين رئيسيين في المنطقة هما مصر والعراق القديم وتعبير سوريا هنا لا يقصد به الاقليم الذي تحدده الحدود السياسية الحالية بل المقصود بسوريا هو سوريا بحدودها الطبيعية التي تمتد شمالا حتى جبال طوروس في منطقة قيليقيا وجنوباً حتى فلسطين وغرباً يحدها البحر الأبيض المتوسط متضمنة إقليم الاسكندرونة وشرقاً نهر الفرات. وقد كان لموقعها هذا أثره البالغ في تشكيل وتوجيه تاريخ وحضارة سوريا ، حيث تحدها الحضارات العراقية من الشرق ومن الشمال اقليم الأناضول مركز المدنية و الحيثية فيما بعد ومن الجنوب فلسطين ومصر بطبيعة الحال. وعلى ذلك فسوريا تقع بين تلك المراكز الحضارية السالفة الذكر وكان لابد لها أن تتأثر بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة . والدارس لتاريخ سوريا منذ العصر الحجري الحديث وأثناء العصر التاريخي ليلمس تماماً ذلك الاتصال الكبير بين سوريا من ناحية وبين تلك القوى الحضارية والسياسية المجاورة لها من ناحية أخرى. وربما يفسر ذلك عدم تمكن سوريا القديمة من تكوين دولة سورية ذات كيان سياسي مستقل بمعنى الكلمة باستثناء بعض الفترات . ولا تقتصر عناصر الصلة المستمرة في تاريخ سوريا فيما بينها وبين بقية أجزاء الشرق الأدنى القديم على النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية بل أيضاً من الناحية البشرية . فقد تميزت منطقة الشرق الأدنى القديم بوجود عدد من التحركات البشرية السامية والهندية الأوروبية في فترات مختلفة وكانت بعض تلك التحركات تمر بالإقليم السوري تاركة بعض العناصر والتقاليد الحضارية المختلفة المنتمية إلى تلك العائلات البشرية واللغوية التي مرت واستقرت في هذا الاقليم .

وليس معنى ذلك عدم وجود شخصية حضارية سورية مستقلة ، فالدارس

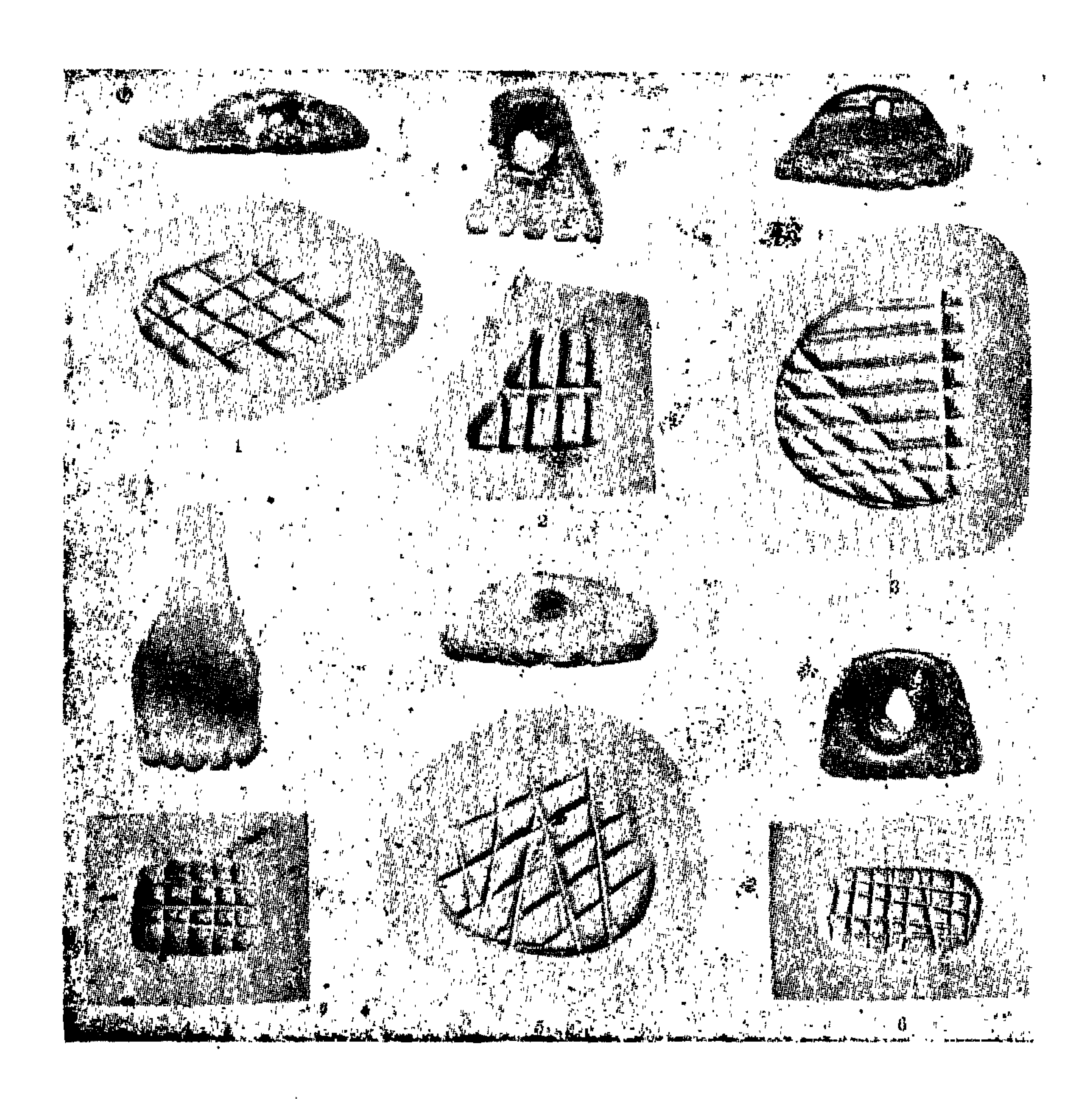
يلمس وجود تلك الشخصية في بعض الصناعات والفنون المحلية ولكنها في جزء كبير من تاريخها قد تأثرت بالعناصر الحضارية والسياسية القوية المجاورة لها. ولا يقتصر اتصال سوريا الخارجي على مصر والعراق القديم والأناضول بل أيضاً هناك اتصالها بفلسطين ولبنان وقبرص وكريت، وهي تمثل إحدى النوافذ التي أطلت منها حضارة بعض العناصر العراقية والإيرانية القديمة بعد ذلك على حوض البحر الأبيض المتوسط .

وقد قام علماء الآثار والأنثربولوجيا والتاريخ القديم بالبحث في سوريا عن أقدم مراحل الاستقرار أو بمعنى أصح أقدم القرى في هذا الإقليم . واتجه العلماء في بحثهم إلى المناطق المتاخمة للأنهار أو تجمعات المياه على أساس احتمال نشأة القرى الأولى فيها أو بالقرب منها . ومن هذه المناطق منطقة تقع في شمال سوريا قرب مصب نهر العاصي وهي منطقة العمق Amouq وهي منطقة جمعت بين السهول والأودية والمستنقعات والتلال. وعلى الرغم من أن هذه المنطقة توجد بها بحيرة في الوقت الحاضر تعرف باسم بحيرة العمق إلا أنه في العصور القديمة لم يكن لها وجود وكذا المستنقعات الحالية المحيطة بالمنطقة. وكانت هذه المنطقة من أهم جهات الاستقرار الأول في سوريا . ويبلغ عدد التلال التي تمثل بعض مراحل الاستقرار في هذه المنطقة بحوالي المائتي تل . ومن أهمهـــا تل عطشانة وتل الشيخ . ولم يقتصر الانسان على الاستقرار في هذه المنطقة فحسب بل لقد استقر أيضاً في مواقع أخرى مثل مرسين وطرسوس في قيليقيا ، وأيضاً في حماه م ورأس شمرا (أوجاريت) وقرقميش (جرابلس) . ويتجه الكاتب إلى التركيز على منطقة العمق لأهميتها وأولويتها لحد كبير بالنسبة لمرحلة العصر الحجري الحديث.

وأول ملاحظة يلمسها الباحث في المواقع الأثرية المنتمية للعصر الحجري الحديث

هي توفرها بمختلف الأدلة الأثرية في طبقة أو أكثر من طبقات التلال . ولذلك تبع العلماء التقسيم الأبجدي بالنسبة لحضارات تلال العمق ، ولا يعني ذلك غير كونه تعبيراً متداولا بين علماء مجتمعات ما قبل التاريخ كتصنيف للطبقات الأثرية . وقد عثر الأثريون ضمن آثار ذلك العصر على بقايا الآثار المعمارية وهي المنازل ، ويلاحظ أنها كانت في أسسها مبنية من الحجر ، ولم يعثر على بقايا العمارة الطينية بسبب المياه الباطنية . ولكن يلاحظ أنه في بعض الحالات المنتمية إلى تلك المرحلة والتي عثر عليها في مرسين تبقت بعض المنازل المبنية من اللبن. وقد اتخذت تلك المباني الشكل الأقرب إلى المستطيل، ويلاحظ أيضاً أن أرضية حجراتها قد طليت بالجص. ولا يمكن للمؤرخ إزاء هذه الظاهرة أن يغفل ما يلمسه من تشابه نسبي بين مجتمعات سيالك أ في إيران وجريكو والعمق أ ومرمدة بني سلامة من حيث طلاء حيطان المساكن أحياناً ، وطريقة ودفن الموتى أحيانا أخرى ، ولكن مع احتفاظ كل منطقة بوحدتها الحضارية ومميزاتها المستوحاة من البيئة المحلية في ذلك الوقت. كما كانت هناك معالم الاستقرار أيضاً ليس فقط في تلك الآثار المعمارية بل في الكهوف التي قطن الانسان على أرضيتها وترك آثاره ومخلفاته فيها .

وبجانب تلك الآثار المعمارية هناك آثار الصناعة الزراعية التي صنعها الانسان لحاجته اليها في مجتمعه الزراعي الجديد ومن أهمها الفؤوس والمناجل الحجرية والأجران والمخازن . وعلى الرغم من العثور على جميع تلك الأدلة الأثرية التي تثبت توصل الانسان إلى مرحلة الزراعة إلا أنه لم يعثر في طبقات تلك المرحلة على القمح . ومن أهم آثار الانسان في هذا العصر أيضاً الصناعة الفخارية وصناعة الأدوات والأواني الحجرية والعظمية ، كما أنه تمكن أيضاً من التعبير الفني عن مفاهيمه الدينية الأولى حيث عبر عن الخصوبة والانتاج في شكل تمثال صغير لإلهة الأمومة ، كما بدأ يميز بين الأفراد والملكيات عن طريق بعض الأختام الحجرية التي تحمل بداية ادراكه للشخصية الذاتية ، أنظر شكل رقم (٢٨) .



شكل رقم (٢٨)
ستة أختام حجرية من العمق أ وتتميز برسومها الهندسية مثل الخطوط المتقابلة

وعلى الرغم من وجود دلائل الاستقرار وإنشاء القرى الأولى في تلك المرحلة وهي مرحلة العصر الحجري الحديث إلا أنها ليست بالدرجة المتكاملة التي وصلت اليها كل من مصر والعراق القديم، حيث لم يعثر على أية آثار مقابر في هذه الطبقة باستثناء العثور على مقبرة طفل في العمق ب . وهناك اتجاه بين بعض المؤرخين يميل إلى الاعتقاد في بداية وجود نوع من التأثير الحضاري الميزوبوتامي في عصر

حضارة تل حسونة في نهاية تلك المرحلة الحضارية وأيضا أثناء المرحلة الحضارية الثانية العمق ب. وتعتبر تلك المرحلة الأخيرة مكملة للتطور الحضاري في المرحلة السابقة .

وكذلك على الرغم من توفر العامل المحلي في الحضارة السورية إلا أن عامل التأثيرات الحضارية الأجنبية يستدر فيها مثل تأثير حضارة حلف في المرحلة الحضارية الثالثة وتأثير حضارة العبيد الشمالية في المرحلة الحضارية الخامسة العمق هـ وهكذا . وليس معنى ذلك عدم أصالة تلك الحضارة بل اعتمادها على عدد من المؤثرات الأجنبية في مراحل تكوينها بالإضافة إلى العناصر المحلية الصرفة . وتلي تلك المرحلة الحضارية الثانية المراحل التالية وهي العمق جـ ، والعمق د ، والعمق هـ ، والعمق و ، كما هو موضح بالجدول(١) التقويمي المقارن. وفي تلك المراحل جميعها وهي المراحل السابقة للعصر التاريخي الذي تميزه المرحلة السابعة ز ، سار الانسان في سوريا في مستوى التطورات الحضارية التي ظهرت في كل من مصر والعراق القديم بصفة خاصة وذلك فيما يتعلق بالصناعات الفخارية والصناعات الحجرية وعمليات بناء المنازل والمخازن وغيرها من دلائل الاستقرار.

خامساً : العصر الحجري الحديث في لبنان .

يتمثل العصر الحجري الحديث في لبنان في عدد من المواقع الأثرية مثل بيبلوس (جبيل) وحراجل وبركة راما وعين ابل ونهر الكلب ونهر الزهراني وغيرها، وتعتبر بيبلوس من أهم هذه المواقع نظراً لوفرة آثارها المنتمية إلى تلك المرحلة . وربما كان موقع بيبلوس على الساحل من الأسباب التي ساعدت على توفير الحماية الطبيعية للقرى التي استقرت فيـه . ومن أهم آثار تلك لمرحلة في بيبلوس بقايا القرى التي تتمثل في آثار المنازل المستطيلة الشكل ذات

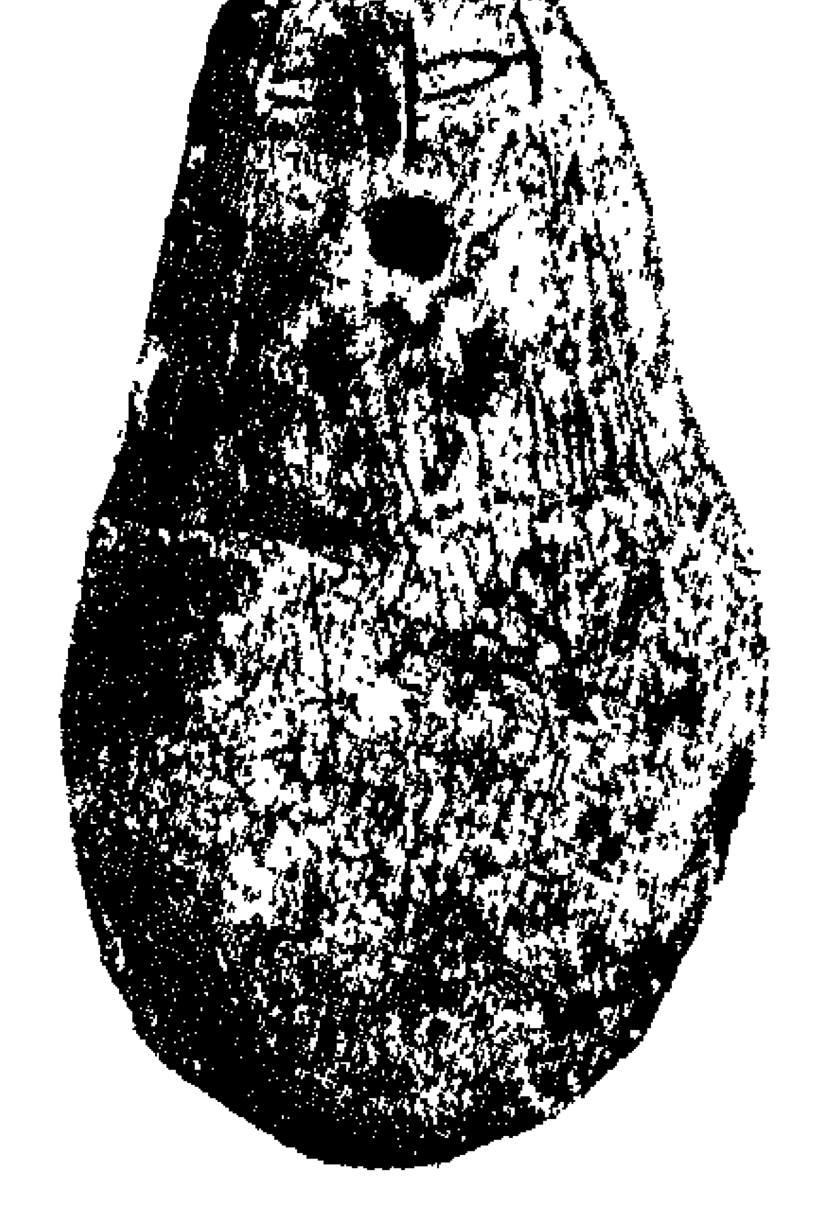
(١) انظر ص ١٧٩

الأسس الحجرية والتي طليت أرضياتها بالملاط . وقد عُثر على آثار المواقد وكافة الأدلة الأثرية المتصلة بالاستقرار والانتاج الزراعي كالأدوات الحجرية وبصفة خاصة المناجل والأدوات العظمية والأواني الفخارية ، انظر شكل رقم (٢٩) ، والمغازل وغيرها . هذا بالإضافة إلى الآثار الدالة على بعض القدرات الفنية التي تظهر في بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الحجر الجيري والتي يغلب اتصالها بعقيدة الخصوبة الانتاج ، انظر شكل رقم (٣٠) .



شكل (٢٩)
فخار من جبيل ينتمي إلى مرحلة العصر الحجري الحديث

ومن الأهمية الاشارة إلى اتساع دائرة نشاط حضارة بيبلوس في تلك المرحلة وذلك على أساس الدراسات المقارنة للمادة الأثرية ، ويتضح ذلك في الحضارة اليرموكية في وادي الأردن حيث لوحظ وجه شبه وترابط في الانتاج الحضاري بينها وبين حضارة بيبلوس مما يمكن الاستدلال منه على اعتبار الحضارة اليرموكيـة في أصولها بمثابة شعبة جنوبية شرقية لحضارة بيبلوس .



كل (٣٠)
تمثال حجري صغير من الحجر الجيري في جبيل وينتمي الى العصر الحجري الحديث

سادساً : العصر الحجري الحديث في الهضبة الايرانية

عاش الانسان في البيئة الايرانية الجبلية واتجـه إلى سكنى الأودية القريبة حيث تتجمع الحيـاة النباتية والحيوانية ، ومر في هذا المجال بمراحل العصر

الحجري القديم أي عصر جمع الطعام ومرحلة انتاج الطعام والاستقرار . وقد نجح الانسان في تلك المنطقة في الوصول إلى المرحلة الأخيرة مثل نظيره في المناطق الأخرى ولكنه تميز بصفة خاصة هي استخدامه معدن النحاس ، على الرغم من عدم توصل الحضارات المجاورة مثل حضارات العصر الحجري الحديث في العراق ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين إلى استخدام النحاس في ذلك العصر . وقد تعرف العلماء على هذه الحقيقة الهامة بعد مقارنة الأدلة الأثرية في مراكز حضارات العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم .

وقد تعددت المواقع الأثرية الايرانية في الأودية وعلى سفوح الهضاب ويمكن تقسيم هذه المواقع إلى الأقسام التالية : —

(أ) شمال وسط الهضبة الايرانية وتشمل منطقة ثبة سيالك ، وكشمة علي ، وتل حسار .

(ب) المنطقة الجنوبية الواقعة مابين بحر آرال وبحر قزوين وتتمثل في موقع أناو .

(جـ) شمال وشمال غرب ايران وهي منطقة بحيرة فانو وتشمل شاميراملتي وثبة تلكي .

(د) جنوب وجنوب غرب ايران وهي منطقة تل باكون .

(هـ) جنوب شرق الهضبة الايرانية وهي منطقة بلوخستان والسند وتشمل نال وبامبور ، وموهنجودارو وحارابا .

وتختلف التطورات الحضارية من منطقة إلى أخرى في هذه المناطق السالفة وذلك لأسباب بيئية وبشرية . ويلاحظ الدارس لحضارات هذه المناطق تمكن بعضها من التوصل إلى مرحلة العصر الحجري الحديث في نفس الوقت الذي توصلت اليه كل من عصر حضارة جرمو وحسونة في العراق القديم والفيوم أ

ومرمدة بني سلامة وحلوان العمري ودير تاسا في مصر . ولم تتمكن بعض تلك المناطق في الهضبة الايرانية من الوصول إلى تلك المرحلة في نفس الوقت ، ولكن دراسة الأدلة الأثرية في طبقاتها الأولى تبين توصل تلك الحضارات إلى مراحل تالية لمرحلة العصر الحجري الحديث . ومن ناحية أخرى يلاحظ الدارس أن بعض تلك المناطق تمكنت من إنتاج أمثلة حضارية منتمية الى مرحلة العصر الحجري الحديث ولكنها توقفت بعد ذلك .

وقد اصطلح على تسمية مرحلة العصر الحجري الحديث في تلك المنطقة باسم المرحلة الحضارية الأولى وهي تمثل أقدم مراحل الاستقرار في منطقة الهضبة الايرانية أي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة إنتاج الطعام وما يتصل بها من الصناعات اللازمة للزراعة وبناء القرى والاستقرار . وتؤرخ تلك المرحلة بحوالي الألف السادس ق.م. وهو نفس الوقت الذي تؤرخ به حضارات العصر الحجري الحديث في مصر وميزوبوتاميا . وتتمثل تلك المرحلة في حضارات سيالك أ Sialk I وباكون ب I أ Bakunbi وجيان A أ Giyan وأناو Auau وكشمة علي Chashmiah Ali . وقد سبقت الاشارة إلى بعض المظاهر الحضارية التي تميز مرحلة العصر الحجري الحديث في الهضبة الايرانية ، ومن أهم الأدلة الأثرية في العصر الحجري الحديث بوجه عام الأواني الفخارية التي يحتاج اليها الانسان في مرحلة إنتاج الطعام . وتختلف صناعة تلك الأواني الفخارية من منطقة إلى أخرى من نواحي الشكل والمادة الطينية والصناعة ، والتلوين والزخرفة ، وقد حاول العلماء تمييز الحضارات على أساس تطور تلك الصناعة . واتجه المؤرخون في هذا الصدد إلى تقويم الحضارة زمنياً على أساس التطورات التي يمكن ملاحظتها في الصناعة الفخارية ، كما تعتمد تلك الدراسة المقارنة ليس فقط على القدرة الفنية في الصناعة Technique ولكن أيضاً على أساس الكمية التي وجدت في المواقع الأثرية . ويحمل بعض فخار سيالك أ اللون الأحمر المطلي

باللون الأسود وبعضه الآخر اللون البني الفاتح أو البرتقالي Buff ware ،

ويلاحظ وجود خطوط سوداء على الفخار الأحمر . ويمكن تفسير ذلك باحتمال تقليد الصانع لتلك الأواني الفخاريـــة لبعض الأواني المصنوعة من الخوص أو الأغصان .

ومن أهم المظاهر الحضارية التي تميز تلك المرحلة الأولى من مراحل الاستقرار في الهضبة الايرانية بناء المنازل حيث عثر على بقايا حيطان وأرضيات المنازل التي بنيت في بداية الأمر من أغصان الاشجار ولكنها كسيت بالكتل الطينية حتى تساعد على تماسكها وبالتالي تكون بمثابة حيطان لتلك المنازل الأولى التي اتخذت الشكل المستطيل في تخطيطها المعماري . ومما يسترعي انتباه المؤرخ في تلك المرحلة من تطور حياة الانسان بقايا المنازل الأولى التي عثر عليها في مرمدة بني سلامة والتي تتميز أيضاً بوجود الكتل الطينية المكونة لحيطان المنازل ، ويمكن اعتبار تلك الكتل كمرحلة أولية مهدت إلى التوصل إلى مرحلة الآجر أو القرميد في تطور العمارة . ومن أهم خصائص تلك المرحلة توصلها إلى بعض الصناعات الحجرية كصناعة المناجل والفؤوس المتصلة اتصالا وثيقاً بالزراعة وأيضاً صنعها لبعض الأدوات النحاسية لأول مرة في العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأدنى القديم ، ويستدل على ذلك من العثور على بعض الدبابيس النحاسية في ثبة سيالك . ويعطي هذا التفوق الصناعي باستخدام معدن النحاس عصر حضارة سيالك أ أولوية لها اعتبارها في التطور الحضاري لحياة الانسان في تلك الفترة ، مما يؤكد خروجه عن النطاق المحلي وبالتالي اتساع دائرة تفكيره في استغلال البيئة المحيطة وما تتضمنه من معادن . كما أن استخدامه لمعدن النحاس قد اضطره إلى خلق صناعات جديدة تتطلبها عمليات التعدين من ضرب وطرق المعدن وبالتالي التحكم فيه وتشكيله في الصناعة التي يتطلبها مجتمع ذاك الوقت . ومن أهم خصائص تلك المرحلة أيضاً اهتمام الانسان بمصيره بعد الموت ، حيث اعتنى

بدفن موتاه بطريقة تدل على إيمانه بالعالم الآخر . وقد تميز انسان ذلك العصر الحضاري بدفن موتاه في أرضية المنازل ، ويلاحظ أن الجثة كانت تغطى بالتراب الأحمر Red Ochre . وقد اتجه المؤرخون في تفسير وجود التراب الأحمر في تلك المقابر إلى احتمال فائدته في إعطاء الحياة لصاحب تلك الجثة لأن هذا اللون الأحمر يرمز إلى الدم الذي يعتبر جريانه في جسد الانسان دليل على أن هذا الانسان متمتع بالحياة . وقد وجد فأس حجري في أحد مقابر سيالك أ موضوع بجوار الهيكل العظمي ، وقد وضع ذلك الفأس بطريقة تظهر للباحث أنه في متناول يد المتوفي للاستخدام مباشرة ، ويمكن الاستدلال من ذلك على إيمان أصحاب تلك الحضارة بالحياة الأخرى . وقد اتجه المؤرخون إلى اعتبار انسان حضارة سيالك أ منتمياً من الناحية البشرية إلى العنصر المعروف باسم ما قبيل الأيرانية Proto - Iranian وأيضاً إلى العنصر المعروف باسم ما قبيل البحر الأبيض المتوسط Proto - Mediteranian ولهذه الحقيقة أهمية بالغة لارتباط تلك العناصر بالعناصر التي تعرف في العصر التاريخي وخاصة في الألف الثاني ق م . بالشعوب الهندية الأوروبية والتي مرت وقطنت هضبة إيران .

سابعاً : العصر الحجري الحديث في المغرب :

لم يقتصر المجهود الانساني في مرحلة الاستقرار وإنشاء القرى على منطقة الشرق الأدنى القديم حوالي منتصف الألف السادس ق م . بل لقد اشترك الانسان في منطقة شمال افريقيا أيضاً في ذلك المجال ، ولكن يلاحظ أن انتاجه الحضاري مختلف من حيث طبيعته عن نظيره في المشرق وذلك بسبب اختلاف البيئة الطبيعية لحد كبير . فبينما اتجه الانسان في مصر مثلا إلى وادي نهر النيل وقام ببناء المجتمعات الزراعية بجوار النهر يلاحظ الدارس أن الانسان في المغرب اتجه إلى التركيز بصفة خاصة على الرعي أكثر من الزراعة وذلك لأن طبيعة تضاريس المنطقة تتطلب جهوداً مضاعفة لتحقيق التحكم في مياه الأنهار وتنفيذ

المشروعات الزراعية وهي من ناحية أخرى تساعد على تيسير الرعي، وهو نوع آخر من الاستقرار . وقد قام العلماء بالبحث عن مواقع العصر الحجري الحديث في كل من ليبيا وتونس ، والجزائر والمغرب الأقصى ولوحظ أن انسان تلك المرحلة لم يترك آثار قرى كثيرة مثل نظيره في الشرق الأدنى القديم بل لقد اعتمد على الكهوف والمغارات التي تركتها عوامل التعرية الطبيعية على طول الساحل الافريقي الأطلسي وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى الكهوف الداخلية.

وقد مهدت الحضارات المغربية في العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط والأعلى وبصفة خاصة الحضارتين القفصية والوهرانية (الايبيرو مورية) أي الممتدة من شبه جزيرة أيبيريا حتى المغرب، في الانتقال بحياة الانسان في تلك المنطقة إلى الاستقرار . وقد عثر في طبقات أرضيات الكهوف الساحلية والداخلية على آثار تلك المرحلة ، ومن الكهوف المثالية في هذا الصدد كهف دار السلطان في نواحي الرباط بالمغرب الأقصى وبصفة خاصة الطبقة ب فيه . هذا بالإضافة إلى موقع هو افتيح في الجبل الأخضر في برقة وكذلك قرية وادبهت في المغرب الأقصى . ومن أهم الآثار المنتمية لتلك المرحلة في المغرب الأواني الفخارية المصقولة المزينة وكذلك الأجران ومدقاتها والأسلحة الحجرية الميكروليثية التي تعتبر تقليداً حضارياً مستمراً من العصر الحجري القديم الأعلى . وقد عثر أيضاً على بعض الظواهر الفكرية في تلك المرحلة وهي النقوش التي سجلها انسان تلك المرحلة على صخور الهضاب والجبال، وهي نقوش تعبر عن أفكار الانسان والبيئة الحيوانية والنباتية المحيطة به في ذلك الوقت . ومن الأهمية بمكان الاشارة إلى وجود بعض التأثيرات الحضارية المصرية وبصفة خاصة في منطقة برقة ويرجع ذلك إلى أن العصر الحجري الحديث المغربي قد استمر حتى حوالي ١٢٠٠ ق م . أي كان معاصراً لعصر الدولة الحديثة في مصر مما كان له أثره في التأثر بالحضارة المصرية القديمة . ويمكن ارجاع بداية تلك الصلات الحضارية بين الطرفين الليبي

والمصري إلى حوالي منتصف الألف السادس ق . م . ويتضح التأثير المصري القديم في بعض الرسوم المشابهة الكبش الإله امون وكذلك الإله بس والإله أوزير . وتتضح بعض الظواهر الكمالية في آثار تلك المرحلة كاستخدام الخرز والأصداف لأغراض الزينة . وعلى الرغم من عدم وجود قرى زراعية بمعنى الكلمة وعلى نطاق واسع مثل المشرق فإن الانسان في هذه المنطقة قد توصل إلى الاستقرار الزراعي في نطاق محدود ، واعتمد بصفة خاصة على الرعي بسبب الظروف الطبيعية التي عملت دورها أيضاً في إطالة فترة العصر الحجري الحديث حتى صميم العصر التاريخي . ويمكن القول أن ذلك العصر يبدأ في برقة حوالي منتصف الألف الخامس ق. م . وفي بقية أجزاء المغرب حوالي منتصف الألف الرابع ق.م ويستمر حتى حوالي ١٢٠٠ ق. م . إلى أن تمكن الفينيقيون من إنشاء مراكز تجارية ساحلية على شاطيء البحر الأبيض المتوسط المغربي وكذلك على الشاطيء المغربي المطل على المحيط الأطلسي . وقد أدت هذه المراكز الفينيقية إلى نقل حياة الانسان المغربي إلى العصر التاريخي . ويمكن القول أن العصر الحجري الحديث استمر أيضاً في بعض أجزاء المغرب الداخلي خلال العصر التاريخي بعض الوقت إلى أن تكونت الممالك البربرية في الداخل وذلك حوالي القرن الخامس ق . م . ولقد كان البربر أو كما أطلقوا على أنفسهم اسم الأمازيغ أي الأحرار ، أصلا بمثابة شعبة من عائلة اللغات والشعوب الحامية اختلطت ببعض العناصر السامية والشمالية واستقرت في شمال افريقيا قرب نهاية مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث .

ثامناً : العصر الحجري الحديث في الأناضول :

كانت الأبحاث الأثرية تتركز بصفة خاصة في مواقع الهلال الخصيب باعتبار أن مادتها الأثرية من الوفرة والتكامل بدرجة تفوق كافة المناطق الأخرى ، ولكن اتجهت بعض الأبحاث الأثرية الأخيرة إلى منطقة الهضبة

الأناضولية بحثاً عن إمكانيات انسان تلك المنطقة في مجال العصر الحجري الحديث ورغم الصعوبات البيئية التي تكتنف منطقة الأناضول حيث تسود الجبال والهضاب بصورة واضحة ، فقد تمكن ملاّرت أخيراً من الكشف عن موقعين أثريين هامين ينتميان إلى تلك المرحلة . ويتجه ملاّرت (١) إلى الاعتقاد بأولوية تلك الحضارة الأناضولية على كافة حضارات الشرق الأدنى القديم، ويعتمد في ذلك على عدد من الأدلة الأثرية التي عثر عليها في كل من تل تشاتال وهاكيلار في جنوب الهضبة الأناضولية ، كما يتجه ملارت إلى الاعتماد على طريقة الكربون المشع في تأريخ تلك الحضارة وابراز أسبقيتها الزمنية إذ تؤرخ بحوالي ٧٠٠٠ ق . م . (٢) .

أما عن أهم آثار تل تشاتال فيتضح لأول وهلة ضخامة مساحـــة تلك التربة حيث تبلغ ٣٢ فداناً ، كما تظهر في الحفائر الخاصة بتلك المرحلة ١٢ طبقة أثرية ، ومن أهم مخلفاتها الآثار المعمارية كالمنازل والمعابد التي يلاحظ أنها كانت مبنية من الآجر فوق أسس من الآجر أيضاً وأحياناً من الحجر . وهناك ظاهرة فريدة في منازل تلك القرى ، وهي عدم توافر أبواب تستخدم للدخول اليها ، بل إن ذلك يكون عن طريق سقف المسكن بواسطة سلم خشبي ، ورغم عدم سهولة تلك الوسيلة، فانها من ناحية أخرى توفر الأمن والحماية وإمكانية الدفاع بالنسبة للسكان . وفيما يتعلق بتخطيط المنازل فيلاحظ أن حجرات المساكن ليست متسعة مثل منازل هاكيلار ، وقد زودت بعض الحجرات بمصاطب تستخدم للجلوس أو للنوم ودفن الموتى تحتها .

وقد اعتمد الاقتصاد في ذلك المجتمع على الزراعة وتربية الماشية والصناعة

(1) Mellart., J., Earliest Civilizations of the Near East, London, 1965, P. 77.

(2) Ibid., 80.

والتجارة بصفة خاصة في حجر الأوبسيديان Obsidian وهو حجر زجاجي بركاني أسود . وإن توفر هذا الحجر في الهضبة الأناضولية بالذات ليدل على أنها كانت بمثابة مصدر رئيسي تستورد منه تلك الحجارة التي كانت تستخدم في الصناعة الحجرية في مواقع الشرق الأدنى القديم وبصفة خاصة صناعة المرايا . وتنبغي الإشارة إلى أن انسان الأناضول لم يستخدم الأواني الفخارية في بداية الأمر ، بل اعتمد على الأواني الخشبية مكانها وبذلك اختلف لحد كبير عن بعض تقاليد حضارات الشرق الأدنى القديم .

أما فيما يتعلق بالجوانب الدينية في تلك الحضارة، فقد انفردت أيضاً بعدد من الظواهر الدينية الخاصة. ففيما يتعلق بموضوع دفن الموتى ، استخدمت أرضيات المساكن والمعابد لهذا الغرض، انظر شكل رقم (٣١ و٣٢) ، ولكن كانت عملية الدفن تتم بعد إزالة لحم المتوفي وربما كان ذلك لأسباب صحية . أما عن الوسيلة المستخدمة في إزالة لحم المتوفي فكانت

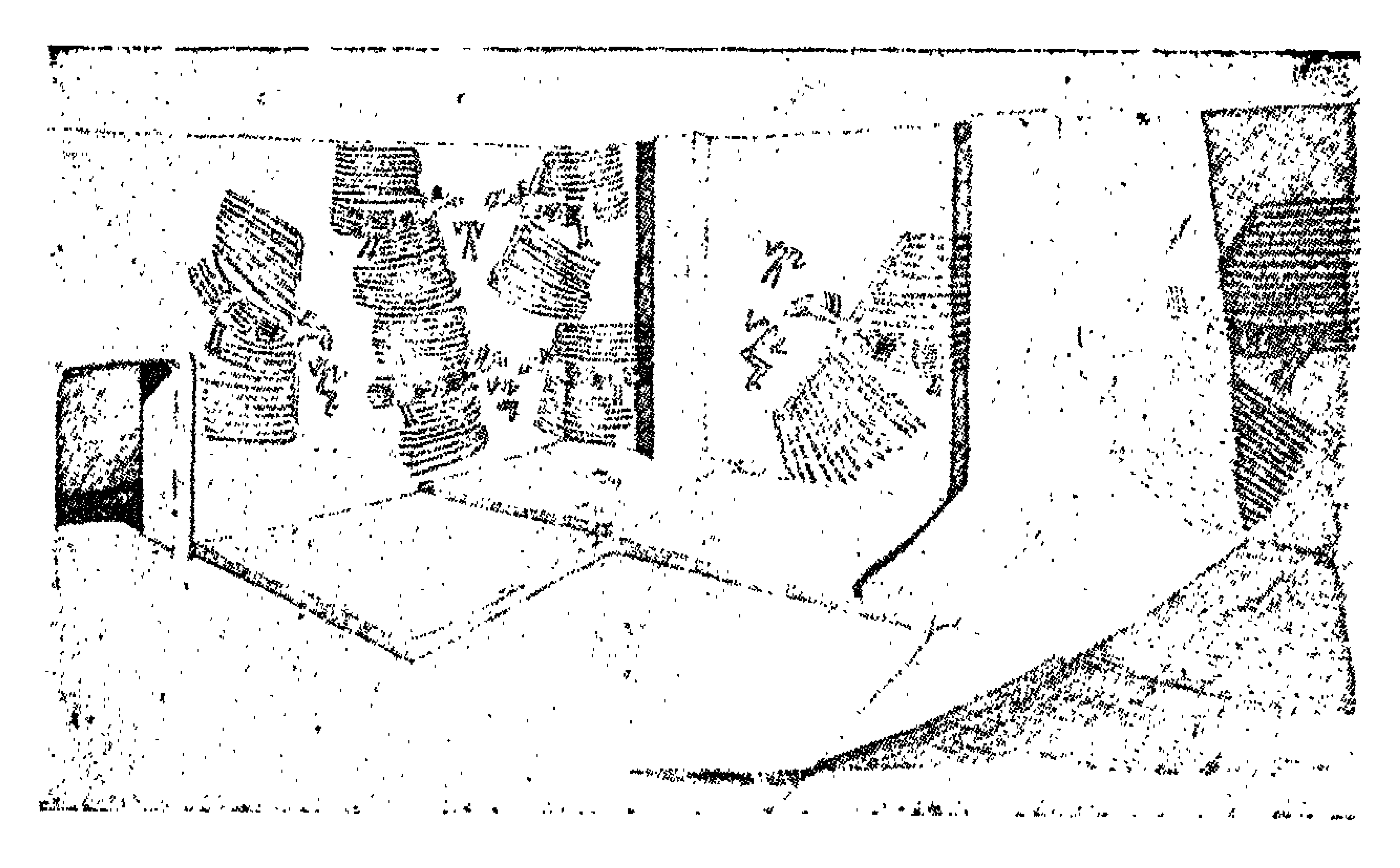


شكل (٣١) مجموعة هياكل عظمية انسانية مدفونة تحت أرضية معبد في تل تشاتال

عن طريق نقر النسور له ، وقد عبر عن ذلك في بعض الرسوم الملونة على حائط أحد المعابد في تل تشاتال ، انظر شكل رقم (٣٣) ، ثم تجمع بعد ذلك الهياكل

العظمية وتلف بالقماش أو الجلد أو الحصير تمهيداً لدفنها . وفي بعض الأحيان تدهن بالتراب الأحمر ، انظر شكل رقم (٣٤) ، وتوضع مع المتوفي بعض الهدايا الجنائزية المناسبة ، فمثلا مع النساء توضـــع العقود والأساور وغيرها ، بينمـــا توضع مع الرجال الخناجر ورؤوس السهام والأختام الطينية وغيرها ، انظر شكل رقم (٣٥) .

شكل (٣٢) دفن الموتى في سلة في موقع تل تشاتال



شكل (٣٣) ترميم لمعبد في تشاتال مزخرف برسوم ملونة على الحائط تمثل نسور تنقر الأجسام البشرية

ومن الأهميـــة الإشارة الى عدم العثور على التماثيل الصغيرة أو الأواني الفخارية في المقابر ، ممـــا يجعل تلك الحضارة تختلف في قيمها اختلافاً كليـــاً عن بقية حضارات الشرق الأدنى القديم .

شكل(٢٤) مقبرة لسيدة ويلاحظ تواجدالتراب الأحمر والسلقون وأوكسيد الزئبقفوقالجمجمة

وبالنسبة إلى موضوع العبـــادة ، فقد عثر على عدد كبير من المعابـــد التي وجدت فيها مجموعات من التماثيل الحجريـــــة والطينيـــة والانسانية والحيوانية التي تعتبر كتجسيم لمختلف المعبودات في تلك المرحلة ، انظر شكل رقم (٣٦) ، ولاشك أن العبادة المتصلة بفكرة الخصوبة والانتاج والاستمرار كانت واضحة في تلك المعبودات ، فبعضها يظهر في شكل سيدة صغيرة وأم وسيدة كبيرة السن، وفي بعض الأحيان يصحب تلك المعبودات طائر يحتمل أن يكون نسراً . ومن الظواهر الفريدة أيضاً تواجد مجموعات أو صفوف من قرون الثيران على حافات المصاطب في المعابد والمنازل ، انظر شكل رقم (٣٧) ، ويصعب تفسير تلك الظاهرة ، ولكن من الممكن القول أنها كانت لغرض حماية السكان من القوى الشريرة . ومـــن الأهمية الاشارة إلى أن ظاهرة المقاعد المميزة بوجود قرون الثيران قد عثر على



شكل (٣٥) خاتم انطباعي من الطين يحمل شكل زهرة بأوراقها عثر عليه في أحد المقابر

مايناظرها مع الفارق في مصر في بداية العصر التاريخي وذلك في سقارة (١) . ومما يسترعي الانتباه وجود بعض المناظر في المعابد الأناضولية تظهر فيها الإلهة وهي تلد رأس ثور أو رأس كبش (٢) . مما يجعل لتلك الحضارة مرة أخرى خصائصها المميزة عن بقية حضارات المنطقة .



شكل (٣٦)
تمثال من الرخام لإلـة جالس



شكل (٣٧) مقعد في معبد ويلاحظ تواجد قرون سبعة ثيران فيه وهي رموز للإله الثور

أما عن أهم آثار هاكيلار فتلاحظ ضخامة المنازل حيث يبلغ طول بعضها عشرة أمتار ونصف ، وعرضها ستة أمتار وسمك حيطانها متراً واحداً ، وقد بنيت من الآجر المربع . ويلاحظ عدم استخدام المصاطب بصورة رتيبة مثل منازل تل

(1) Emey, W., Archaic Egypt, London, 1961, pl. 8.

(2) Mellart, Op. cit., 96.

تشاتال. وقد توصل انسان هاكيلار إلى إنتاج الطعام بدليل العثور على القمح المتكربن وغيره من الحبوب وكذلك على المناجل المصنوعة من قرون الحيوانات، هذا بالإضافة إلى الصناعة الفخارية المتعددة الأشكال والألوان، وكذلك الأدوات العظمية اللازمة لحياته المستقرة. أما فيما يتعلق بالعقيدة فقد كان يؤمن بالقوة المنتجة للخصوبة والتي رمز اليها في شكل عدد من التماثيل الصغيرة التي عثر عليها في كافة المنازل مما يؤكد شعبيتها. وقد جسم انسان تلك الحضارة ذلك بصناعة عدد من التماثيل النسائية من الطين أو الحجر والتي تتعدد أشكالها حيث تصور فيها الإلهة إما جالسة أو راكعة أو نائمة أو مصطحبة طفلا معبرة بذلك عن ظاهرة الخصوبة والانتاج.

أما عن وادي السند فيعتبر مرادفاً لحد معين لكل من وادي النيل الأدنى ووادي دجلة والفرات فهناك وجه شبه في الطبيعة النهرية والسهلية وما يتصل بها من عملية إنشاء القرى الزراعية وارتباطها بظواهر الفيضانات السنوية. وقد عثر الأثريون على عدد من المواقع الأثرية المتقدمة حضارياً مثل حارابّا وموهنجودارو وشانهودارو، ولكن تلك الحضارات يتضح إنتاجها الحضاري بصفة خاصة في عصور ماقبل الاسرات.

وبعد تلك الإحاطة بحضارات الانسان في منطقتي جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا في العصر الحجري الحديث، يلزم عمل تحليل مقارن لنتاجها.

هـ - دراسة مقارنة لنتاج حضارات العصر الحجري الحديث في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا:

تعددت آثار تلك المرحلة الهامة في مناطق جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ولكن يمكن دراسة مادتها الأثرية ومقوماتها الحضارية بطريقة مقارنة كمحاولة

للوصول إلى حقائقها . وذلك لأن الدراسة المقارنة تساعد على تقييم المـــادة الأثرية من نواحي الأصالة والمستوى الحضاري أكثر من الاقتصار على التحليل المحلي الصرف ولتحقيق هذا الغرض يمكن تقسيم الانتاج الحضاري بوجه عام إلى قسمين رئيسيين :

أ ـ الانتاج المعنوي : ويتضمن التقاليد والنظم والمبادىء والقيم في المجالات الاقتصادية والدينية والاجتماعية والسياسية .

ب ـ الانتاج المادي : ويتضمن كافة النواحي الصناعية والعلمية والفنية .

ولا يمكن فصل كلا الجانبين المعنوي والمادي عن بعضهما وذلك لأن الانتاج المادي ماهو إلا تعبير عملي للنواحي المعنوية . وعلى أساس هذه المقاييس المحددة، والشاملة لكافة مظاهر الانتاج الحضاري يمكن محاولة عمل التحليل الموضوعي المقارن لآثار وحضارة هذه المناطق .

ففيما يتعلق بالجانب الاقتصادي يلاحظ الدارس أن كافة مجتمعات العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم وشمال افريقيا قد توصلت إلى الاستقرار وإنتاج الطعام وبناء القرى ولكن بشكل يتفاوت من موقع إلى آخر من حيث التكامل الحضاري في المجال الاقتصادي ، فإذا كان هذا التكامل الاقتصادي المستقر يعتمد في مقوماته على المحصول الزراعي وآلاته ومخازنه المختلفة بالإضافة إلى مساكن الانسان بجوار أرضه الزراعية فإن كلا من موقع الفيوم أ ومرمدة بني سلامة ليحقق هذا الجانب الاقتصادي بصورة واضحة ، فقد عثر فيهما على كافة الأدلة الأثرية المثبتة لذلك . وتقترب المواقع العراقية القديمة مثل جرمو وتل حسونة من هذا التكامل لحد معين وذلك لأن مجتمع جرمو لم يصل إلى الصناعة الفخارية بنفس درجة التفوق ، وكذلك فان للمحصول الزراعي وآثاره لا تقارن بالكميات الوفيرة التي عثر عليها في مصر . وهناك اتجاه إلى الاعتقاد بأن

عامل الجفاف قدساعد على المحافظة على الآثار المصرية أكثر من الأماكن الأخرى ، ولكن ذلك لا يمنع من وفرة المخازن ذاتها في مصر وتكاملها الحضاري مع الآثار الأخرى في نفس الموقع الأثري في ذلك الوقت . هذا بالإضافة إلى حقيقة وجود التعاون بين أفراد مجتمع مرمدة بني سلامة وكذلك مجتمع الفيوم أ بدليل وجود المخازن الجماعية والفردية وكذلك تخطيط القرية بطريقة تؤكد تعاون أفرادها على تحقيق ذلك . أما عن جهود إنسان جريكو والعمق أ وسيالك ١ والمغرب فهي جديرة بالاهتمام ولكن في هذا المجال الاقتصادي البحت تصل الدراسة المقارنة حتى الآن إلى أولوية إنسان الفيوم أ ومرمدة لحد كبير .

أما فيما يتعلق بحضارات الأناضول في الجانب الاقتصادي فعلى الرغم من توفر الأدلة الأثرية الخاصة بالانتاج الزراعي فإن الدارس يلمس عدم وجود خاصية التكامل القروي بنفس القوة التي يلمسها في مواقع منطقة الهلال الخصيب ، كما أنه من ناحية أخرى يلاحظ انفراد الأناضول ببعض الظواهر الحضارية الخاصة المتصلة بالبيئة الأناضولية . أما فيما يتعلق بأولوية حضارة الأناضول حسب التقويم الزمني المعتمد على طريقة الكربون المشع فإنه على الرغم من دقة تلك الطريقة فلا يزال هذا الموضوع الهام في حاجة ماسة إلى تدعيم آخر بالإضافة إلى تلك الطريقة حتى يمكن حسم هذه المشكلة .

وفي المجال الديني بذل إنسان تلك المرحلة مجهوداً كبيراً من حيث توصله إلى بداية الاستقرار الديني والاعتقاد في بعض القوى الإلهية ومحاولة تجسيم تلك القوى في شكل تماثيل تحمل صوراً إنسانية أو حيوانية أو نباتية مستوحاة من البيئة المحلية مما يساعد على تقبل المجتمع لها ، وكذلك تخصيص منازل لإقامة الآلهة أي معابد . هذا بالإضافة إلى الاعتقاد في حياة أخرى أبدية بعد الموت الدنيوي وتخصيص منازل أي مقابر لسكنى المتوفي وتوفير مايلزمه من احتياجات في العالم الآخر . وقد اختلف جهد الانسان في هذا المجال من مكان إلى آخر وذلك

حسب المقومات المحلية الدافعة لتلك المعتقدات . وتنبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن تلك المقومات الأساسية في مرحلة العصر الحجري الحديث هي الأساس الرئيسي لمعتقداته في عصور ماقبل الاسرات والعصر التاريخي . فقد تكونت هذه المعتقدات في العصر الحجري الحديث وسرعان مانمت وتطورت واستكملت مظاهرها في العصر التاريخي ولكن بدايتها المستقرة ترجع إلى مرحلة العصر الحجري الحديث، ولذلك ينبغي الاهتمام بمجهودات الانسان في تلك المرحلة الهامة . وفيما يتعلق بموضوع التقديس والعبادة يلاحظ الدارس أن جهود الانسان في جرمو وتل حسونة قد فاقت المراكز الحضارية الأخرى ، فقد شكل الانسان فكرة الانتاج والخصوبة في شكل تمثال إلهة الأمومة وكذلك بنى المعابد تأكيداً لإقامة تلك القوى الإلهية وفاعليتها في مجتمع ذلك الوقت. ولاشك أن تجسيم فكرة الانتاج في شكل تمثال إلهة الأمومة لجدير بالاهتمام والملاحظة لوجود عامل الترابط والتكامل بين الانتاج النباتي والحيواني والانساني في محيط مجتمعه ، وقد اختار الأم كرمز حيوي لتلك القوة الإلهية المحققة للانتاج . ولقد شارك انسان جريكو وانسان العمق أ زميلهما انسان العراق القديم وانسان الأناضول في هذا الصدد . وكذلك تمكن انسان جريكو من الانفراد بمظهر خاص وهو تشكيل إلهي ثلاثي — رجل وامرأة وطفل — أي تشكيل عائلي يصعب تفسيره بدقة ولكن من المحتمل أن يكون ذلك تجسيماً لفكرة الانتاج في شكلها الكامل أي زوج وزوجة وطفل ويلاحظ الدارس هذا النوع من التفكير في العصر التاريخي فيلمس ظاهرة الازدواج في أساطير وملاحم الخلق الأول والتي ترجع أصولها الأولى أيضاً إلى هذه المرحلة ، وكذلك خصص انسان جريكو معابد ضخمة لأغراضه الدينية . أما بالنسبة لجهود الانسان في مصر في هذا الموضوع بالذات فمحدودة للغاية ولكن امكانية العثور مستقبلا على أدلة أثرية في هذا الشأن قوية . وفيما يتعلق بجانب الاعتقاد في العالم الآخر فقد خلد الانسان في مصر

اعتقاده في هذا الصدد تخليداً فائقاً أكثر من أية منطقة أخرى في العالم حيث ترك منازل خاصة بالمتوفي أي مقابر ، إما تحت أرضية منازل الأحياء أو في أماكن مستقلة عن القرية . وتطورت عمارة المقابر من مجرد حفرة بيضاوية إلى حجرة سفلية مستطيلة الشكل في المراحل التالية . وقد دفن إنسان جريكو وكذلك سيالك ١ موتاه تحت أرضية المنازل أيضاً مثل إنسان مرمدة بني سلامة ، ولكن تطور عقيدة الخلود في مصر بوحي من الظواهر الطبيعية والكونية المنتظمة جعل تلك العقيدة ذات أهمية خاصة في البيئة المصرية أكثر من المناطق الأخرى . فقد كان الخلود من حق الآلهة والبشر في المجتمع المصري القديم ابتداء من مرحلة العصر الحجري الحديث ، بينما الخلود كان للآلهة فقط في المجتمعات الأخرى ، ولكن لا يمنع ذلك من عناية الانسان بالمتوفي وتهيئته مكاناً خاصاً له كمظهر من مظاهر حفظ جثة المتوفي من ناحية والإيمان إلى حد معين بالحياة في العالم الآخر من ناحية أخرى . ويلاحظ أن انسان سيالك ١ وكذلك انسان الأناضول قد تميزا أيضاً بذر الرماد الأحمر الذي يرمز إلى استعادة الحياة مرة أخرى بعد الموت ، فاللون الأحمر هو لون الدم الذي يدل جريانه على استمرار الحياة ، ولكن الجهود الدينية الخاصة باستمرار الحياة بعد الموت لم تتطور تطوراً ملموساً في المراحل الحضارية التالية باستثناء مصر مما يضفي عليها طابعاً خاصاً في هذا المجال .

وتنبغي الاشارة إلى أن انسان الأناضول قد تميز بإنتاجه الفكري الخاص المتمثل في طريقة دفن الموتى وأيضاً في ظاهرة تواجد قرون الثيران فوق المصاطب المستخدمة كمقاعد . أما فيما يتعلق بموضوع دفن الموتى فإنه يتضح من الدراسة المقارنة أن انسان تلك الحضارة كان يحاول البحث عن طريقة تحفظ المتوفي أكثر من اعتقاده في الإيمان بوجود حياة أخرى في العالم الآخر ، فإن ظاهرة نهش النسور لأجساد الموتى ربما كانت تهدف إلى تخليص الجسم من الجسد والإبقاء على العظم فقط كنوع من ضمان عدم تعفن وفناء الجسم ، وربما كان

للبيئة الأناضولية ارتباط بذلك حيث المناخ أكثر برودة من منطقة الهلال الخصيب . وينبغي على الدارس مقارنة ذلك بمصر القديمة في تلك المرحلة حيث يساعد عامل جفاف الصحراء على المحافظة على جسد المتوفي لدرجة تؤكد الخلود والاستمرار في الحياة في العالم الآخر .

أما في المجالين السياسي والاجتماعي فقد ترك انسان مرمدة بني سلامة وحلوان العمري في مصر آثاراً ذات أهمية بالغة في هذين المجالين، فقد سبقت الاشارة إلى تخطيط قرية مرمدة بني سلامة بطريقة تنم عن تعاون أفراد المجتمع ، كما أن وجود مظهر أولي للرئاسة في مجتمع حلوان العمري جدير بالملاحظة ومن ناحية أخرى يلاحظ أيضاً أن مجتمع جريكو قد ترك آثار تحصين القرية بالحيطان القوية مما يؤكد بطريقة غير مباشرة وجود تنظيم سياسي قوي عمل على حماية مجتمع تلك القرية من التغلغل السامي الآتي من البادية.. وهناك شبيه بذلك مع الفارق الزمني في عمارة نهاية عصور ما قبل الأسرات والعصر الثيني في مصر حيث يلاحظ في نخب (الكاب) شمال ادفو وكذلك في شونة الزبيب بأبيدوس (العرابة المدفونة) الحيطان والأسوار الضخمة المبنية من اللبن ، وأيضا الحواجز الحجرية في البداري. كما أن قرية واد بهت بالمغرب الأقصى تتميز بظاهرة التحصين ، كما تستمر هذه الظاهرة أيضاً في المجتمعات القبلية البربرية في المراحل التالية كنوع من الحماية من مختلف المخاطر سواء كانت بشرية أو حيوانية ، ولا شك أن مجتمع جريكو يحمل أولوية في هذا الجانب الدفاعي .وقد انفرد مجتمع الأناضول في منازله بطريقة دخولها عن طريق السقف بدلا من الأبواب ويغلب أن ذلك كان لغاية دفاعية أيضاً.

أما فيما يتعلق بالانتاج المادي، فقد توصل الإنسان في كافة حضارات هذه المرحلة إلى صناعة الآلات الزراعية كالمناجل والأجران وصناعة الأواني الحجرية والأواني الفخارية الخشنة والمصقولة والمزينة ، باستثناء حضارة جرمو وجريكو

في بدايتهما . ولقد تفوّق انسان حضارةحسونةبصفة خاصة في زخرفة الأواني الفخارية بالرسوم الهندسية، وكذلك تميزت حضارة جريكو بالعمارة الحجرية بالإضافة إلى استخدام اللبن الدائري ، ومن ناحية أخرى تمكنت حضارة الفيوم أ من صناعة الأنسجة الكتانية والأسبتة .

من ذلك كله يتبين أن كل حضارة من حضارات العصر الحجري الحديث قد تميزت بطابع معين يفوق أحياناً مايناظره في المجتمعات الأخرى . ولا شك أن النتائج الحالية قابلة للتعديل مستقبلا بعد إعادة الحفر في نفس المواقع السالفة الذكر أو استكمال الحفر فيها . ولكن الدراسة المقارنة للمادة الأثرية يمكن التعقيب عليها من جوانب مختلفة وعلى ذلك يتفاوت الحكم عليها، ولكن الدارس يعتقد أن الجانب الاقتصادي يحمل الأولوية بين هذه الجوانب المختلفة وذلك لأن العنصر الأول في العصر الحجري الحديث هو الاستقرار الناجم عن التوصل إلى الزراعة . وقد تطلب هذا المجتمع الزراعي المستقر كافة وسائل الأمان والطمأنينة لتحقيق غاياته الاقتصادية، فكانت العقيدة وما اتصل بها من ضرورات دينية ، لذلك يمكن القول أن الدراسة المقارنة للجانب الاقتصادي تعطي مجتمع الفيوم أ ومرمدة بني سلامة في مصر حتى الوقت الحاضر مكاناً خاصاً بين مجتمعات هذه المرحلـــة .

هذا ولقد تطورت الحياة الانسانية في مجتمعات العصر الحجري الحديث وبدأت تتطلع إلى توسيع دائرة إمكانياتها ومجالاتها فبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الانسانية هي مرحلة عصر الحجر والنحاس .

الفصل الرابع

التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي السابق للعصر التاريخي في المنطقة

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل تاريخ الانسانية لأنها مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي ، فقد اتجه الانسان بعد نجاحه في الاستقرار وإنشاء القرى في العصر الحجري الحديث إلى تطوير حياته وتنميتها في كافة المجالات متأثراً بمقوماته البيئية الاقليمية ، وكذلك ببعض العناصر الخارجية التي اتصلت به . ويمكن تتبع خطوات هذا التكوين والتشكيل في المجالات المادية والفكرية عندما بدأ فعلا يخرج بوعي وإرادة عن نطاق قريته ويكتسب التجارب الجديدة في حياته . وتتضمن تلك المرحلة الهامة عصور الحجر والنحاس وما قبل وقبيل الاسرات والنقلة إلى بداية العصر التاريخي ، ويبدأ الدارس بعصر استخدام الحجر والنحاس .

أ ـ مرحلة عصر الحجر والنحاس :

اتجه العلماء إلى اعتبار هذا العصر بمثابة مرحلة جديدة من مراحل التطور التاريخي لأن الانسان قد بدأ فيها خطوة نحو الامام وذلك عندما خرج عن نطاق قريته وبحث عن إمكانيات مادية جديدة في البيئات المحيطة به حيث

عشر لأول مرة في تاريخ الانسانية على معدن النحاس وذلك حوالي منتصف الألف الخامس ق . م . ولقد اختلف العلماء في كيفية توصل الانسان إلى هذا المعدن وهل كان ذلك بمحض المصادفة أثناء عملية صنع الفخار ،حيث أنه من الجائز تواجد بعض ذرات نحاسية مختلطة بالطين تظهر أثناء الحرق ؛ أم أن ذلك قد تم بعد البحث والتنقيب والتوصل إلى اكتشاف هذا المعدن . وهناك مشكلة أخرى وهي أن كمية الآثار النحاسية قليلة في مواقع تلك المرحلةمما أدى إلى احتمالية الاعتقاد بأنها مستوردة وغير مصنوعة محلياً ، ويطبق ذلك على كل من حضارتي البداري وحلف . ولكن قلة الآثار النحاسية لاينبغي اعتبارها عاملا رئيسياً في تفسير عدم توصل الانسان إلى اكتشافها محلياً وتصنيعها في هاتين المنطقتين ، فلا شك أن هذه المادة كانت جديدة في استخدامها وعلى ذلك كانت آثارها محدودة نسبياً ، هذا بالإضافة إلى الجهود المضنية في عملية تصنيعها وتشكيلها . ويلاحظ الدارس أن مجتمع سيالك ١ في الهضبة الإيرانية قد توصل إلى استخدام النحاس لأول مرة في العالم القديم ولكن ذلك يرجع إلى طبيعة البيئة الايرانية الجبلية وتوفر هذه المادة في محيط انسان هذا الاقليم قبل غيره في المناطق الأخرى .

ويتمثل عصر الحجر والنحاس في مصر في عصر حضارة البداري وعصر حضارة الفيوم بحيث لم يقتصر الانسان على استخدام هذا المعدن بل أيضاً إلى التقدم في الصناعات الفخارية والحجرية والعاجية والعظمية . وقد تميز فخار حضارة البداري بقمته السوداء ويعتبر ذلك مكملا لمرحلة حضارة دير تاسا . ولكن يلاحظ وجود بعض العلامات المميزة للأواني الفخاريةمما يوحي ببداية تفكير انسان تلك المرحلة في الملكية الشخصية . وكذلك تطور الجانب المعنوي في حضارة ذلك العصر فازداد إيمان انسان البداري بعقيدة الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر،كما تطورت عمارة المقابر بالمقارنة بالجهودالسابقة في ذلك المجال ، فقد تميزت بعض المقابر البدارية بعدم كونها عمودية بل منحدرة

قليلا في بنائها السفلي مما يجعل أرضية المقبرة أصغر حجماً من فوهتها . وكذلك عثر على بقايا الحصير على جوانب المقبرة لوقاية المتوفي من سقوط الرمل عليه . كما عثر على ثقب في أحد جوانب إحدى المقابر ووجد فيه بقايا خشب ربما ترتبط وظيفته بمسألة تسقيف المقبرة أو لغرض ديني آخر يتصل بتخزين ما يحتاج اليه المتوفي . كما عثر على بعض لفائف من الجلد أو القماش حول جسم المتوفي وهذا مظهر آخر من مظاهر التطور في تأكيد الاعتقاد في أبدية الحياة في العالم الآخر . ومن ناحية أخرى كان لدفن البداريين لبعض الحيوانات أهمية خاصة في تطور الفكر الديني المتصل اتصالا وثيقاً بربط تفكير الانسان بالبيئة الحيوانية والنباتية والكونية واعتقاده بأن ظواهرها المختلفة تمر بنفس المراحل التي يمر بها الانسان، مثل دورة الحياة والموت والخلود. ومن أهم آثار حضارة البداري توصل انسان تلك المرحلة إلى تشكيل أفكاره في هيئة تماثيل صغيرة يغلب أنها ترتبط بفكرة إلهة الأمومة . وهناك اشكال ثالث يتصل بهذا العصر، وهو موضوع أصل أصحاب تلك الحضارة البدارية ؛ هل يرجع إلى تطورات محلية أم إلى هجرات سامية أو هندية أوربية . والواقع أن مشكلة العنصر البشري الذي كان يسكن وادي النيل الأدنى في ذلك الوقت ترتبط بالمراحل الحضارية السابقة واللاحقة وذلك لأن مصر قد تعرضت إلى هجرات وتسللات بشرية ابتداء من نهاية العصر الحجري القديم الأعلى سواء كانت حامية من الغرب والجنوب أو سامية أو هندية أوربية أو غيرها من الشرق والشمال ، ولا شك أنه حدث نوع من الاتصال البشري بين هذه العناصر المختلفة ولكن ذلك الاتصال لم يصل إلى مداه القومي إلا في بداية العصر التاريخي. ويمكن تتبع العناصر البشرية الأولى في هذه المراحل في بقايا الهياكل العظمية والجماجم التي عثر عليها في المقابر والتي تبين دراستها هذه الفوارق البشرية في ذلك الوقت .

أما العصر الحضاري الممثل لعصر حضارة الحجر والنحاس في العراق القديم فهو عصر حضارة حلف، ويختلف المؤرخون في أصل تلك الحضارة؛ ومن الممكن القول باحتمال كون مركزها في المنطقة الممتدة من الموصل شمال شرق العراق إلى منطقة الخابور في شرق سوريا. وهناك احتمال آخر وهو إرجاع تلك الحضارة إلى أصل أرميني. والاتجاه التقليدي لدى المؤرخين هو اعتبار نشأتها في تل حلف ذاتها وذلك على أساس أن فخار حلف المميز لتلك الحضارة قد بدأ العثور عليه هناك. هذا ولم تتصل حضارة حلف بصميم منطقة إيران وذلك لوجود الحواجز الطبيعية وخاصة جبال زاجروس التي عملت على منع حضارة حلف من دخول إيران. وكذلك لم تمتد تلك الحضارة في جنوب العراق القديم وذلك لعدم سكنى الجنوب بعد في ذلك الوقت، ولذلك امتدت تلك الحضارة في منطقة الموصل وكذلك في منطقة سنجار عبر نهر الخابور وفي منطقة جبل عبد العزيز وغرباً في سوريا حتى منطقة العمق ورأس شمرا وكذلك في حدود الأناضول الجنوبية الشرقية. ويتمثل ذلك العصر الحضاري في مواقع تل حلف وتل أرباشية وثبة كورا وسامرا وتل حسونة ونينوى وتل شاغير بازار وقرقميش. ويتميز بصفة خاصة بأوانيه الفخارية الملونة التي تمثل تفوقاً صناعياً لأصحاب تلك الحضارة في هذا المجال. وقد دلت الأدلة الأثرية الناتجة عن ذلك العصر الحضاري في موقع تل أرباشية على تعدد أشكال وألوان وزخارف الأواني الفخارية إلى درجة ندرة تواجد الأواني غير الملونة والمزخرفة. وتجمع أشكالها بين الطاسات ذات القواعد المسطحة والأواني المقعرة والصحون المسطحة الشكل وغيرها. أما الرسوم الزخرفية التي تغطي أسطحها فتجمع بين الرسوم الهندسية ذات الأشكال المثلثة والمربعة وذات الخطوط المتعرجة والمستقيمة. ومن الرسوم الفريدة على فخار حلف رسم مركبة على آنية فخارية توحي باحتمالية اختراع المركبات ذات العجلات في ذلك الوقت. هذا وقد عثر على بعض

الأفران التي تستخدم في تلك الصناعة ولكن على الرغم من تفوق فخار حضارة تل حلف من حيث نوع الطين المستخدم وفنية الصناعة واستخدام الألوان فإن ذلك لا يصل (١) إلى المستوى المتقدم الذي توصلت اليه حضارة سامرا . وكذلك تمكن انسان حضارة حلف من صناعة الأواني الحجرية والأسلحة والأدوات الحجرية والعظمية والطينية والنحاسية . هذا بالإضافة إلى صناعته الدلايات الحجرية ذات الأختام Seal pendants وهي عبارة عن قطع حجرية منقوشة ومثقوبة لغرض التعليق وتستخدم كأختام مما يؤكد أهمية التعامل التجاري في تلك الفترة في تاريخ بلاد الرافدين ،ومما يعتبر خطوة أولية رئيسية في التطور الفكري نحو اختراع الكتابة والتعبير بالرموز في المراحل التالية . ومن ناحية أخرى صنع أصحاب حضارة تل حلف أختام الطابع Stamp seals تأكيداً لذلك ، وقد عثر على انطباعات تلك الأختام على الطين .

ومن أهم آثار حضارة حلف تلك الآثار المعمارية الخاصة والتي يطلق عليها تعبير Tholoi وهي عبارة عن مبان أساسها من الحجر ويغلب أن تكون حيطانها من اللبن ، وهي تتكون من حجرة دائرية الشكل قطرها خمسة أمتار ونصف متر ويتصل بتلك الحجرة ممر مستطيل. وهناك اختلاف في الرأي حول وظيفة تلك المباني ولا يعرف بصورة قاطعة الغرض منها (٢) ، ولكن يغلب أن تكون لها وظيفة دينية تتصل بعبادة إلهة الأمومة . ومما يؤيد ذلك كثرة التماثيل النسائية الصغيرة التي تعتبر معبرة عن فكرة الأمومة والخصوبة في تلك الحضارة ، ويلاحظ أن بعض تلك التماثيل تبين أن صاحباتها حوامل. ومما يساعد إلى حد ما على تزكية الاتجاه القائل بالصفة الدينية الخاصة بتلك العمارة

(1) Perkins, A., The Comparative Archaeology of Early Mesopo tamia, Chicago, 1950, p. 21.
(2) Perkins, Ibid., 39.

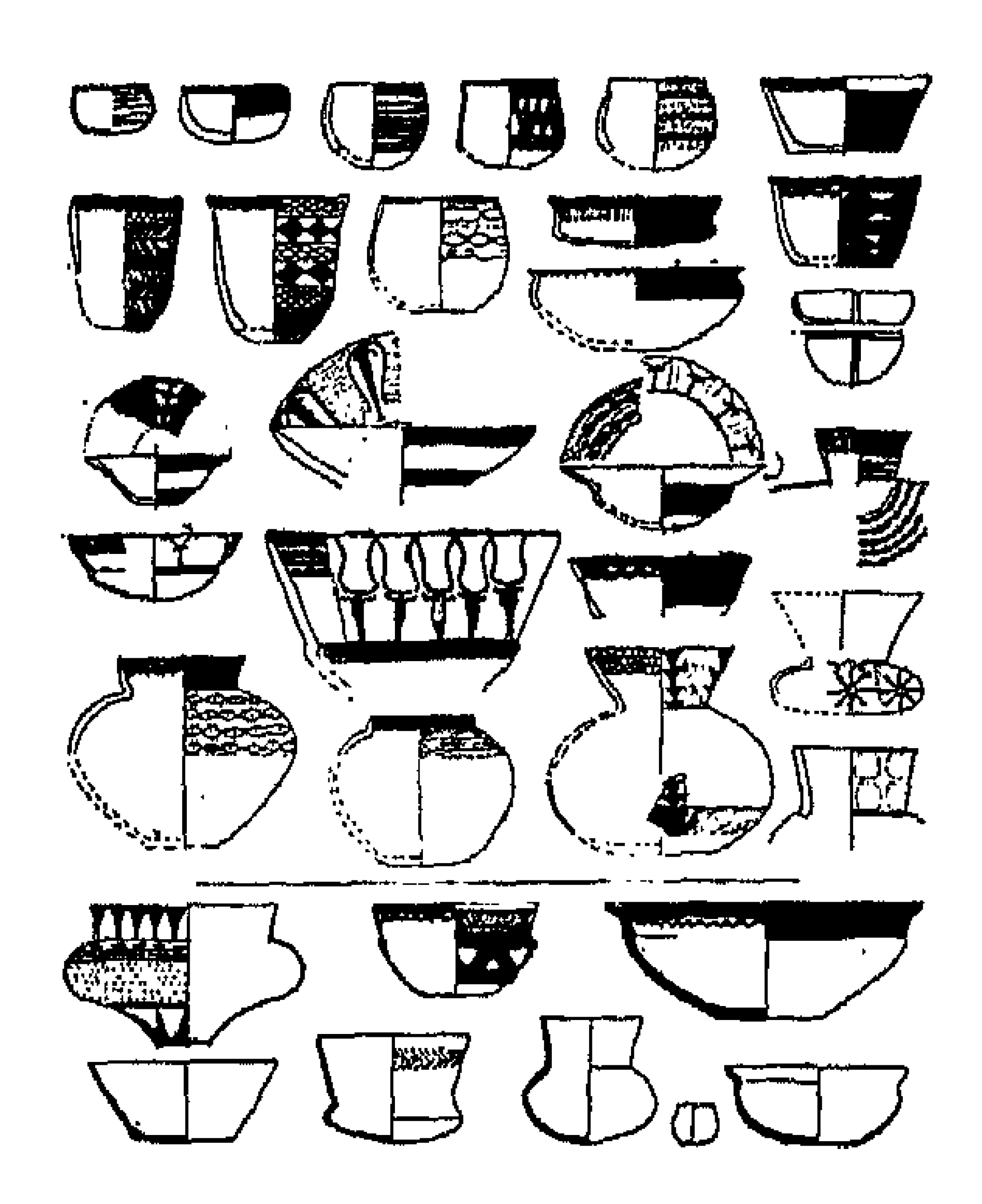
العثور على مقابر تحت أسس بعضها وأيضاً قريبة منها . ولكن تتواجد تلك الظاهرة أيضاً في العمائر الأخرى ذات الصفة الدنيوية . وقد عثر أيضاً على بقايا معمارية أخرى غير تلك السالفة الذكر وذلك مثل المنزل المحروق المنتمي إلى صانع الأواني الفخارية وقد عثر فيه على فرن خاص لذلك الغرض وكذلك على مجموعة من الحجرات المبنية من اللبن ، وأيضاً على مقابر تحت أرضيات المساكن. وقد وضع مع المتوفي احتياجاته الأساسية من الأواني الفخارية والأدوات اللازمة . هذا بجانب المقابر الأخرى المستقلة والموجهة من الشرق إلى الغرب ، كما استخدم أيضاً أحد الآبار في ثبة كورا كمكان للدفن الجماعي . ويختلف العلماء في تفسير ذلك من حيث احتمالية كونه ذات صلة بالتضحية البشرية أو لأي سبب آخر محلي حربي أو صحي .

ولم يقتصر انسان حضارة حلف على تشكيل تماثيله في شكل إلهة الأمومة بل لقد عثر على تماثيل انسانية أخرى يحمل بعضها زخارف معينة ربما تعبر عن وشم خاص أو عن زينات في الملابس ، وكذلك عثر على تماثيل حيوانية . ومن أهم التماثيل الحجرية التي عثر عليها تمثال رجل في تل أرباشية اعتقد بعض المؤرخين أنه سومري ولكن يصعب تأييد هذا الرأي بصورة نهائية . ومن الأهمية الاشارة إلى استخدام انسان تلك الحضارة المواد الطينية والحجرية والأصداف وغيرها والتي تؤكد خروجه عن الإطار المحلي واستكشافه الأقاليم القريبة والنائية مما وسع ادراكه وتجاربه المادية والفكرية وساعده على الانتقال إلى المراحل الحضارية التالية .

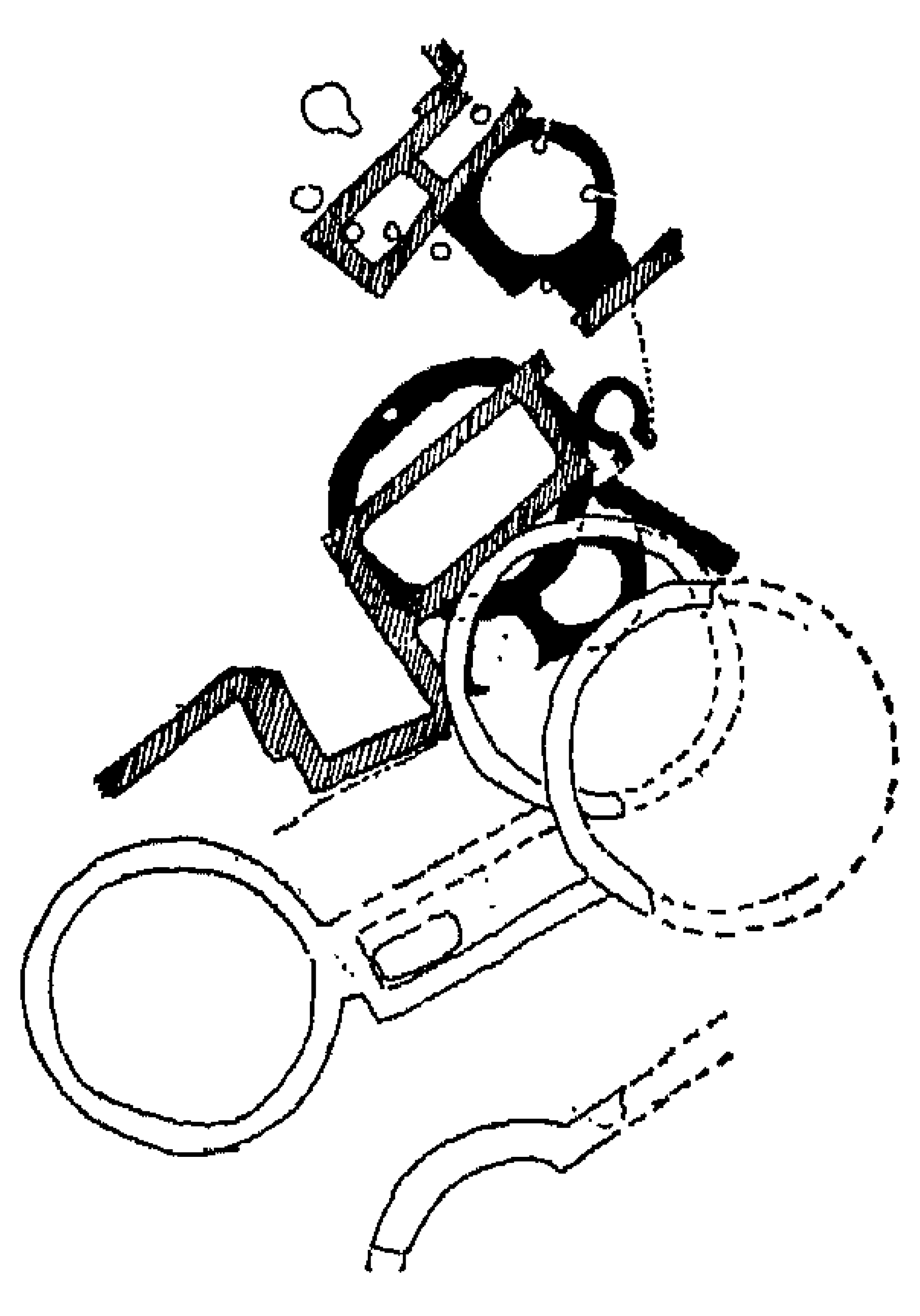
وقد اتسعت دائرة نشاط عصر حضارة حلف لحد كبير في شمال سوريا وبصفة خاصة في منطقة العمق ج و د ، وأيضاً في مواقع منطقة قيليقية ، وكذلك في الساحل السوري بصفة خاصة في الطبقة الرابعة من موقع رأس شمرا .

(1) Ibid, 41.

ولا يعني ذلك انعدام الصفة المحلية بل قد تداخلت جوانب الانتاج المحلي مع التأثيرات الحضارية الخارجية، ويتضح ذلك بصفة خاصة في الصناعة الفخارية حيث تظهر تأثيرات حضارة حلف ، انظر شكل رقم (٣٨) . ويلاحظ الدارس كذلك في مجال العمارة ظاهرة الامتزاج الحضاري، ففي قرقميش عثر على منازل دائرية ، انظر شكل رقم (٣٩) ، مبنية من الكتل الطينية فوق أسس حجرية، ويتضمن ذلك المسكن حجرة داخلية مستطيلة. هذا بالإضافة إلى العثور على مظاهر الحضارة المستقرة المتطورة عن العصر الحجري الحديث كمخازن القمح والمواقد وآثار الاستقرار والصناعات الزراعية .



شكل (٣٨) فخار من يونس بجوار قرقميش شمال سوريا وأيضاً من رأس شمرا ومن العمق ج وينتمي إلى عصر الحجر والنحاس .

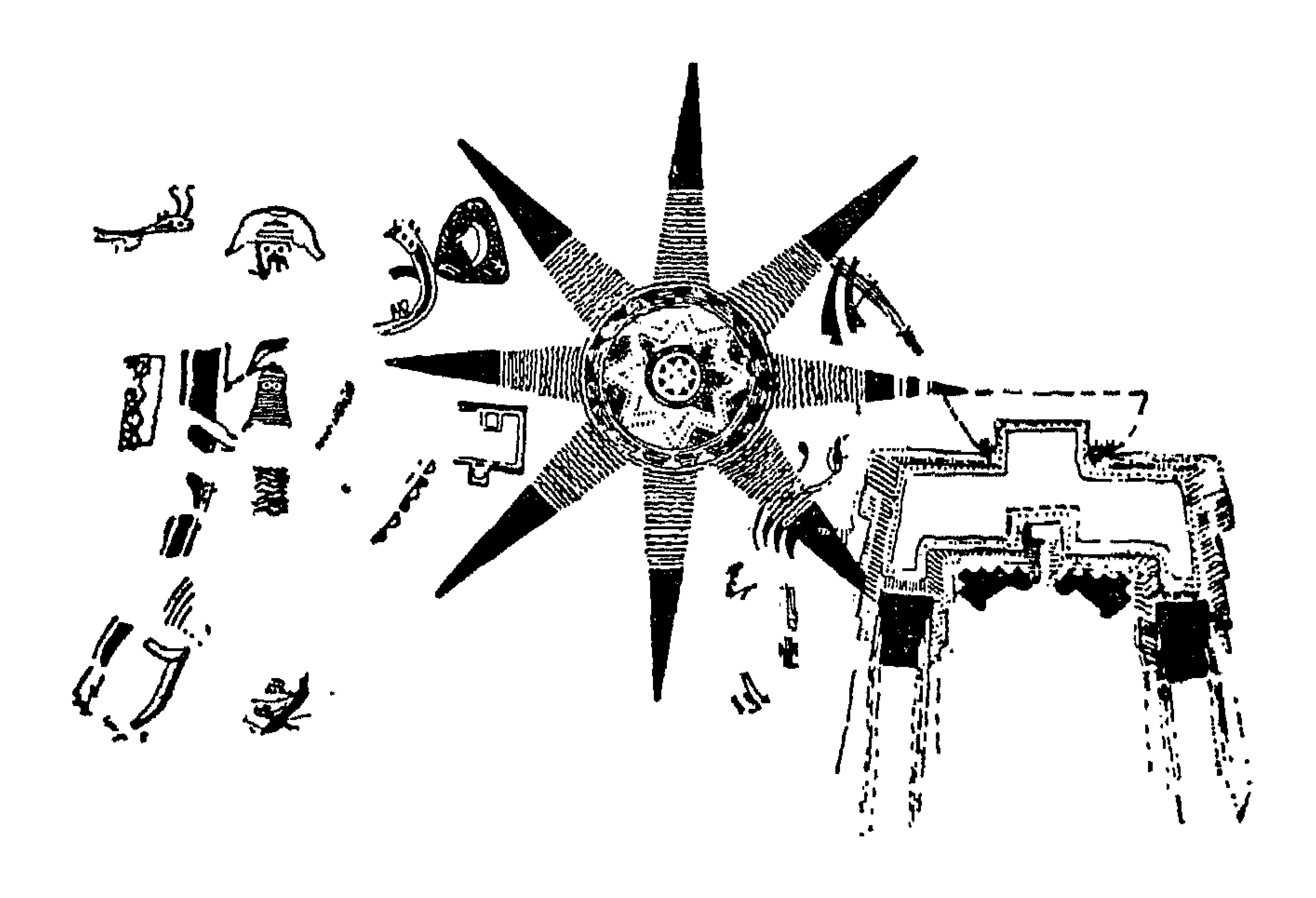


شكل (٣٩) بقايا منازل دائرية وأفران من عصر الحجر والنحاس من يونس شمال سوريا

أما بالنسبة إلى فلسطين فتنبغي الاشارة أولا إلى أن حضارة حلف لم تمتد في تأثيراتها الحضارية جنوباً حتى فلسطين بل لقد ظهرت في تلك الحقبة حضارات محلية معاصرة لحضارة حلف ويمكن تقسيم تلك الحضارات إلى ثلاث مراحل متصلة، أولاها تتمثل

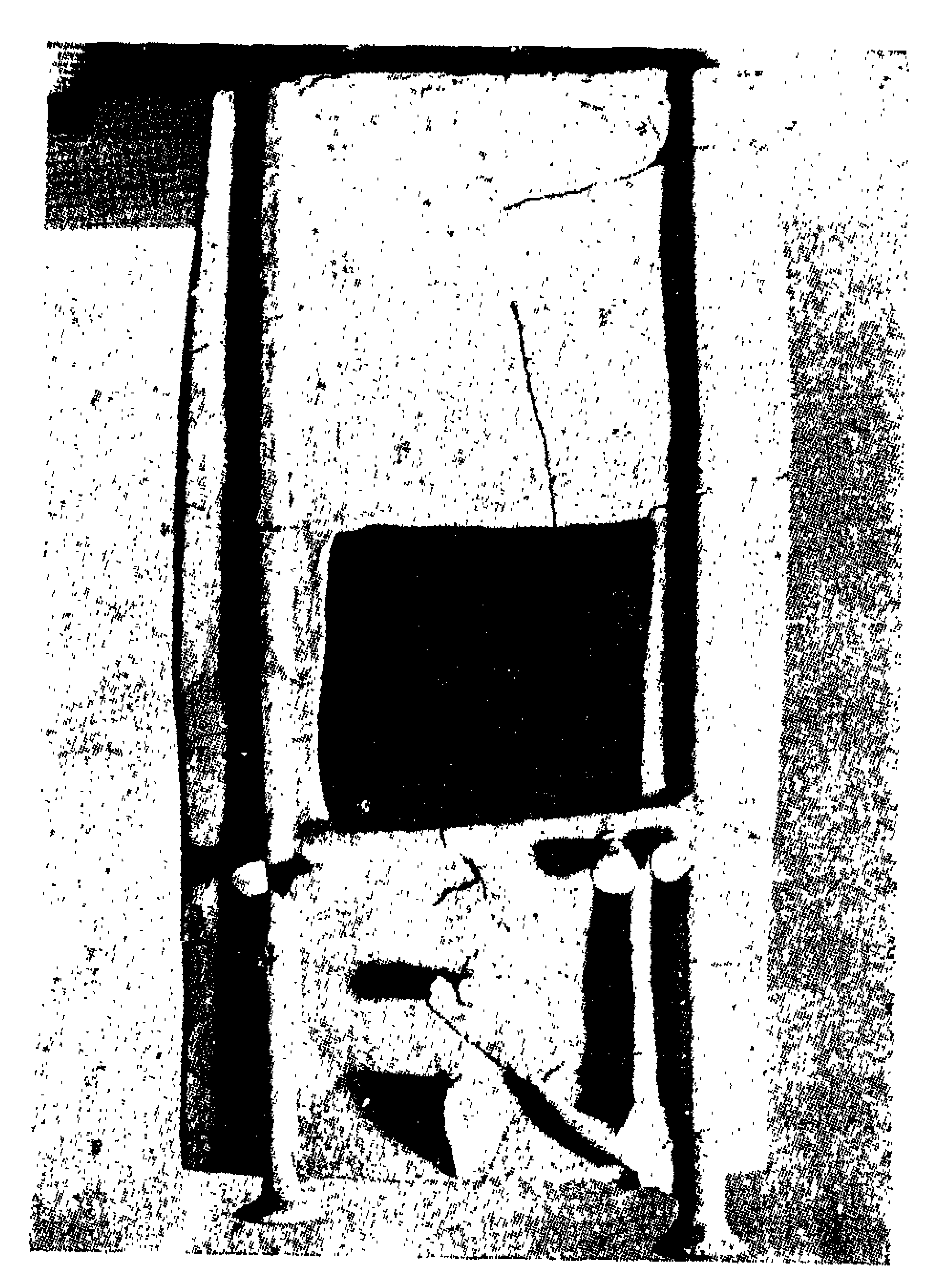
في كل من الطبقة الثامنة من تل جريكو وأيضاً في حضارة وادي غزة ، والمرحلة الثانية تتمثل في الحضارة الغسولية نسبة إلى تليلة الغسول التي تقع في سهل الأردن شمال شرق البحر الميت، والمرحلة الأخيرة تتمثل في حضارة بئر سبع . وتمتد تلك الحضارات زمنياً في نهاية العصر الحجري الحديث حتى أواسط الألف الرابع ق . م . وعلى ذلك فهي تتداخل مع عصور ماقبل الأسرات في كل من مصر والعراق . وقد تطورت الحياة بكافة مظاهرها في ذلك العصر في فلسطين وذلك بعد التوصل إلى استخدام معادن النحاس .

أما فيما يتعلق بالحضارة الغسولية فقد عثر الأثريون على آثار الحياة الزراعية ولكن يلاحظ أن عمارة منازلها تتعدد في تخطيطها كما أن أحجامها متوسطة ،



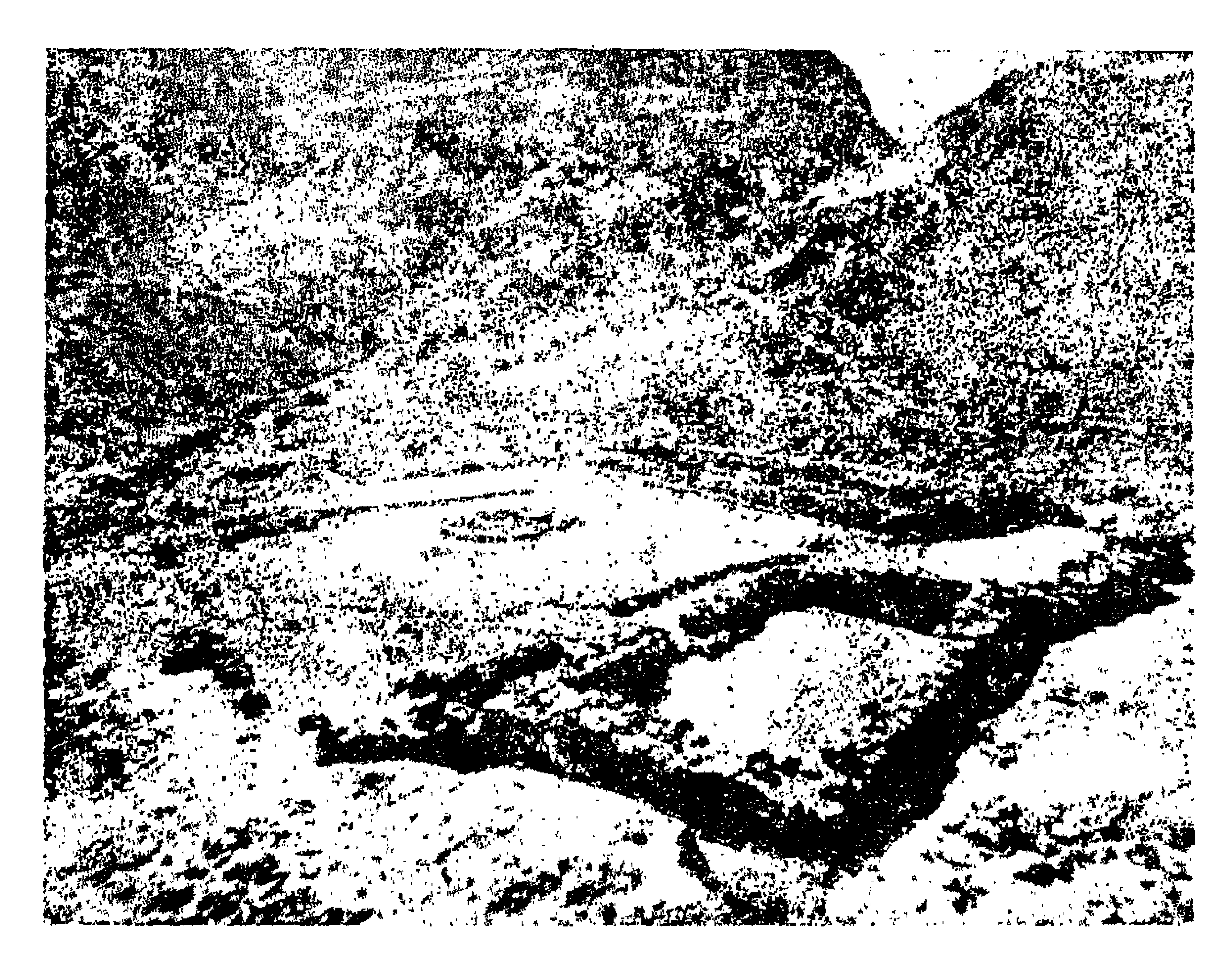
شكل (٤٠) رسم ملون على الحائط في تليلة الغسول تظهر فيه نجمة كبيرة تحيط بها رسوم ورموز ، وإلى اليمين ترميم للمبنى

وكانت تلك المنازل تبنى من الآجر على أسس حجرية وقد زخرفت حيطانها الطينية برسوم ملونة مثل نجمة ثمانية تحيط بها رسوم ورموز غير عادية ، أنظر شكل رقم (٤٠) . ولم تحدد القرية بتحصينات في شكل أسوار حولها كما يلاحظ في مرحلة العصر الحجري الحديث في جريكو . وقد توفرت لدى القرى مستلزمات الحياة المستقرة كمخازن الغلال والأجران والمواقد والأواني الحجرية والأدوات النحاسية . وتنفرد الحضارة الغسولية بظاهرة استخدام بعض الأواني الفخارية التي تتخذ شكل منازل لها أسقفها الدائرية وذلك لحفظ عظام الموتى ،



شكل (٤١أ) مستودع عظام في شكل مسكن ينتمي إلى الحضارة الغسولية

أنظر شكل رقم (٤١) . ولم يقتصر على ذلك بل كانت هناك أيضاً المقابر المغطاة بالكتل الحجرية . ومن أهم الآثار الدينية أيضاً العثور على معبد كبير ينتمي إلى الحضارة الغسولية يتكون من ساحة تحيط بها المباني الرئيسية الخاصة به ، انظر شكل رقم (٤٢) ، ففي الجهة الشمالية يوجد المبنى الرئيسي وفي

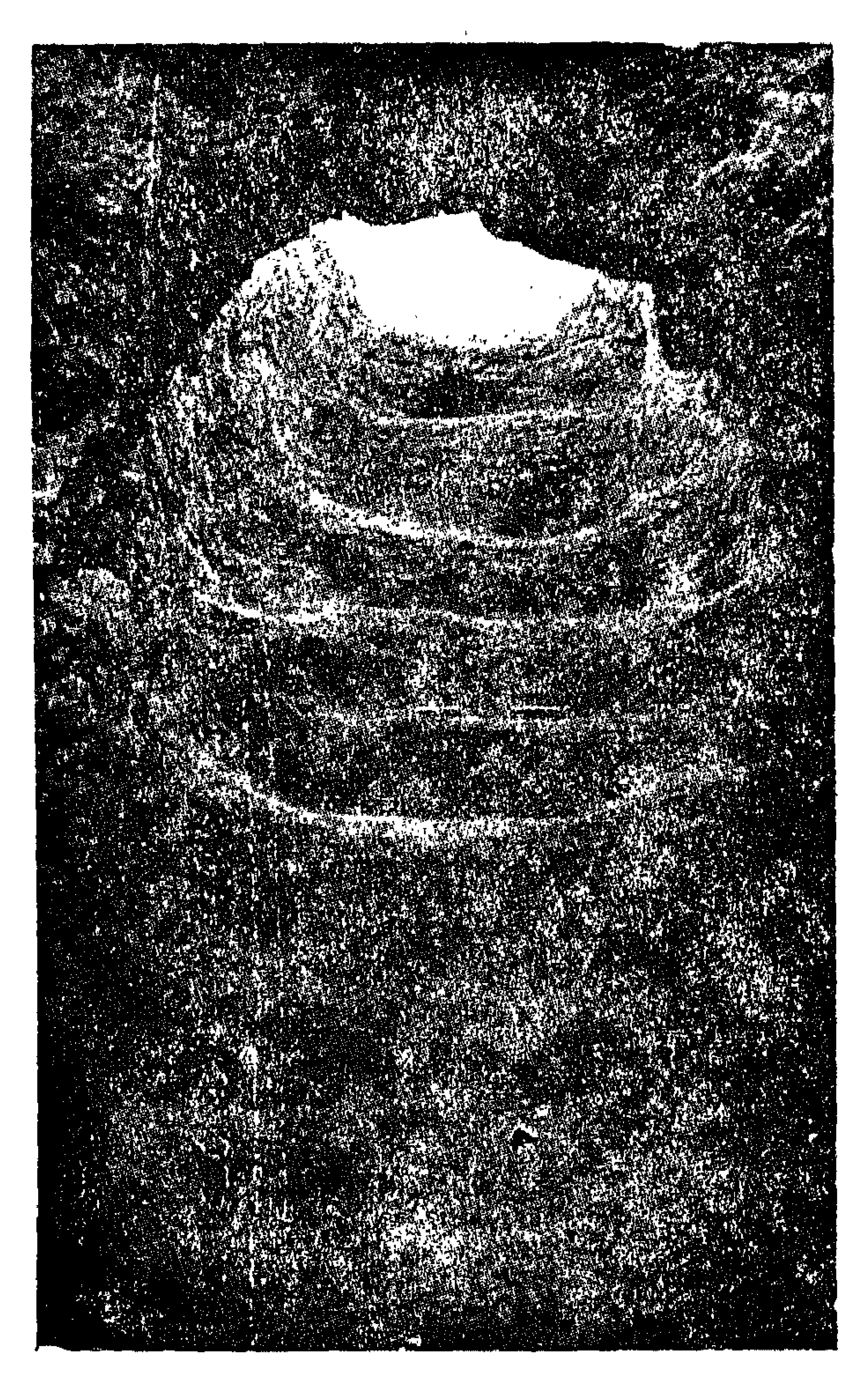


شكل (٤٢) بقايا معمارية عبارة عن معبد ينتمي إلى الحضارة الغسولية

الجهة الجنوبية يوجد المدخل في مواجهة البئر . هذا بالإضافة إلى مدخل آخر في الجهة الشرقية ، وحائط حجري يربط بين تلك المباني . ويبلغ طول هذا المعبد عشرين متراً ، كما يلاحظ وجود مذبح في مواجهة المدخل حيث عثر على بقايا عظام حيوانية وشقف فخارية ، ومن ناحية أخرى يلاحظ وجه شبه بين هذا المعبد ومعبد مجدو (١)

(1) Mellart, J., The Chalcolithie and Early Bronze Ages in the Near Eest end Anatolia, Beirut, 1960, p. 35.

أما عن حضارة بئر سبع فقد جمعت بين الرعي والزراعة ، وقد عثر على كافة الأدلة الأثرية المتصلة بالحياة الزراعية كالأجران والمناجل والمخازن . أما



شكل (٤٣) درج يؤدي إلى منزل سفلي ينتمي إلى حضارة بئر سبع

بالنسبة للمنازل فقد كانت أشبه بالكهوف فهي عبارة عن حجرات سفلية مستديرة أو بيضاوية يصل اليها السكان بواسطة درج يؤدي اليها أو أنفاق

أو آبار رأسية ، أنظر شكل رقم (٤٣) . وتؤدي تلك المداخل إلى ممرات أفقية تتفرع بدورها إلى الحجرات . وقد اتجه بعض العلماء إلى محاولة إيجاد ترابط حضاري بين الحضارة الغسولية وحضارة بئر سبع . وإذا كان ذلك تدعمه مقارنة الأدلة الأثرية فإن اتجاه مللارت (١) إلى إرجاع حضارة بئر سبع إلى أصل أناضولي على أساس دراسة البقايا العظمية والصناعات العاجية كبعض التماثيل النسائية ، أنظر شكل رقم (٤٤) ، والمعدنية ليستوجب التريث في تقبله . وإذا قورنت آثار تلك المرحلة في فلسطين وسوريا ولبنان بما يناظرها في العراق ومصر لتتضح أولوية حلف والبداري .



شكل (٤٤)
تمثال من العاج لامرأة ينتمي إلى حضارة بئر سبع

أما في الهضبة الإيرانية فيتمثل هذا العصر في حضارة سيالك ٢ ، وكشمه علي ١ وباكون ب ٢ وجيان ٥ ب وأناو ١ (أنظر الجدول التقويمي التالي) . وتؤرخ تلك المرحلة بحوالي نهاية الألف الخامس وبداية الألف الرابع ق . م . وقد توصل الانسان فيها إلى استخدام اللبن وكذلك الكتل الطينية غير المنتظمة كما دهنت حيطان المساكن باللون الأحمر ربما لغرض الزينة . وقد استمر استخدام أرضيات

---

(1) Mellart, Op. cit., 35.

جدول تقويمي مقارن لحضارات العصر الحجري الحديث والحجر والنحاس وما قبل الأسرات في الشرق الأدنى وشمال افريقيا

زمن	اسم العصر الحضاري	مصر السفلى	مصر العليا	العراق	فلسطين ولبنان وسوريا	ايران	الأناضول	المغرب
حوالي الألف السادس ق . م.	العصر الحجري الحديث	الفيوم أ رمدة بني سلامة حلوان العمري	دير تاسا	لمفات جرمو حسونة	جريكو ١٠ و ٩ وبيبلوس والعمق أ ، ب وحماه م	سيالك ١ باكون ب١	تل تشاتال و هاكيلار	كهف دار السلطان ووادبهت
الألف الخامس ق. م.	عصر الحجر والنحاس		البداري	حلف	اليرموكية الغسولية وبيبلوس جريكو ٨ والعمق ح ،	سيالك ٢ باكون ب ٢	"	"
الألف الرابع	عصور ماقبل الاسرات	جرزه (الأولى) جرزه الأخيره	نقادة الأولى نقادة الثانية	العبيد الوركاء جمدة نصر	عصر البرونز الأول وبيبلوس العمق هـ ، و	سيالك ٤ ٣	"	،

المنازل كمكان لدفن الموتى مثل المرحلة الحضارية الأولى الممثلة للعصر الحجري الحديث ، هذا بالإضافة إلى استخدام معدن النحاس على نطاق واسع في تلك المرحلة الحضارية ، ويعتبر ذلك استمراراً لاستخدامه لأول مرة في الانسانية في العصر الحجري الحديث .

وفي الأناضول تطول فترة عصر الحجر والنحاس حيث تمتد من حوالي ٥٦٠٠ — ٣٥٠٠ ق م . وتستمر في حضارتها مكملة انتاج العصر الحجري الحديث في عمارة المنازل والمعابد والأسوار ولكنها تميزت بصناعة الفخار الملون ذوالرسوم الهندسية . ومن الأهمية الاشارة إلى انفراد أحد المنازل بوجود ثلاثة مقابر تحت أرضيته لنساء وأطفال ومعهم بعض الأواني الفخارية ، وكذلك انقطاع صنع تماثيل إلهة الأمومة الممثلة في شكل امرأة وطفل . وقد حدثت بعض الحرائق التي دمرت الكثير من آثار تلك المرحلة وجاءت مجموعة جديدة ، من المستقرين مارست لحد معين اتجاهات الحضارة السابقة في مجال الدفن ولكن اختلفت عنها في الصناعة الفخارية .

أما في المغرب فقد ظل العصر الحجري الحديث سائداً حتى النصف الثاني من الألف الثاني ق م . وهناك بعض الشواهد على استخدام النحاس ولكن في نطاق ضيق للغاية وذلك أثناء الألف الثاني ق . م .

وعلى ذلك فالدراسة المقارنة للانتاج الحضاري في تلك المرحلة في منطقتي الشرق الأدنى وشمال افريقيا لتبين بوضوح أولوية كل من الهضبة الإيرانية والعراق ومصر في هذا الشأن . ولكن يلاحظ أن الانسان في كل من حضارة حلف والبداري قد تطور بحضارته بدرجة ملموسة في كافة العناصر المادية والفكرية باستثناء الصناعات النحاسية التي كان لانسان سيالك ٢ أولويته الواضحة فيها . وقد مهدت كافة تلك التطورات إلى مرحلة عصور ماقبل الأسرات الأولى.

ب ـ عصور ما قبل الأسرات الأولى:

تعتبر تلك المرحلة من أهم مراحل تاريخ الانسان لأنها خلاصة تجاربه الطويلة في عصور ماقبل التاريخ ، وهي المرحلة التي حدثت قرب نهايتها الدفعة الانتقالية الهامة نحو بداية العصر التاريخي . هذا بالإضافة إلى أنه أثناء تلك الفترة تكونت المبادىء والتقاليد السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت بمثابة الأسس الرئيسية لتاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم أثناء العصر التاريخي . وقد دامت تلك المرحلة حوالى ألف سنة من حوالي ٤٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ ق م . ولكن يختلف المستوى الحضاري المادي والفكري أثناء تلك المرحلة لازدياد واختلاف جوانب التطور على نطاق كبير مما يدفع الدارس إلى ضرورة تقسيم تلك المرحلة الحضارية الهامة تقسيماً زمنياً وإقليمياً ، أنظر الجدول التقويمي السابق . هذا وقد اختلف العلماء في تفسير أصول حضارات تلك المرحلة وأيضاً علاقاتها الحضارية والسياسية، ولا تزال هذه المشاكل محل دراسة العلماء في ضوء الأدلة الأثرية الحديثة الاكتشاف . وقد تفاوت الانتاج الحضاري من منطقة إلى أخرى ولكن كان للانسان في كل من مصر والعراق دور رئيسي في تلك المرحلة .ويبدأ الدارس بالتعرض إلى هذا العصر في مصر .

عصر ما قبل الاسرات الأولى في مصر :

تنقسم تلك المرحلة الحضارية الهامة في مصر تقسيماً إقليمياً إلى منطقتين هما مصر السفلى ومصر العليا ،وأساس هذا التقسيم يتصل بالمقومات الحضارية المختلفة التي تعرضت لها كل من الاقليمين بحكم الموقع الجغرافي ، فبينما يلاحظ الدارس أن مصر العليا كانت محصورة لحد ما بوادي النيل الذي تحده الصحاري الشرقية والغربية والجنوبية مما أدى إلى تطور حضارة مصر العليا تطوراً محلياً مع وجود بعض المؤثرات الأجنبية المحدودة ؛ يلمس الباحث أن منطقة مصر السفلى قد

تأثرت بصورة واضحة بالمؤثرات الليبية في الغرب وكذلك فلسطين وجزر شرقي البحر الأبيض المتوسط . وقد وصلت أهمية العناصر الحضارية الأجنبية بالنسبة إلى مصر السفلى في عصور ماقبل الأسرات إلى الاعتقاد بأن أصل حضارة مصر السفلى يرجع إلى تلك المؤثرات الأجنبية . وهناك آراء أخرى تعارض ذلك وتعتقد أن أصل حضارة نقادة يرجع إلى الدلتا ، ويصعب الوصول إلى رأي نهائي في هذه المشكلة لأن الدلتا وتربتها الطينية تغطي آثار تلك المرحلة الأولى ؛ ولذلك يتجه الدارس إلى المناطق الجنوبية من مصر السفلى مثل جرزه وأبو صير الملق . وقد عرفت المراحل الأولى في ذلك العصر في الشمال باسم عصر حضارة جرزة الأولى .

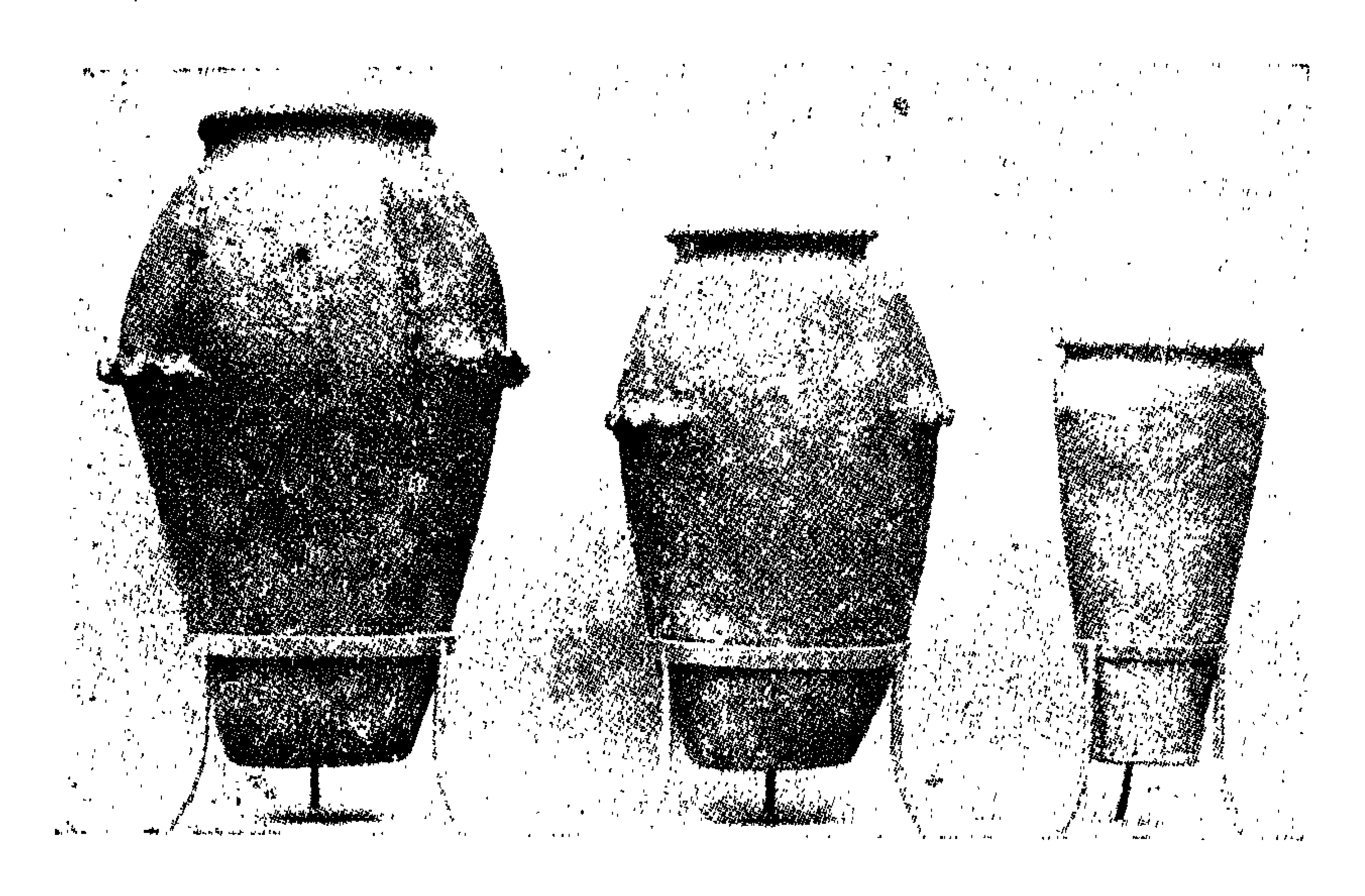
وبالإضافة إلى هذا التقسيم الاقليمي هناك التقسيم الزمني المبني على الأساس الحضاري المميز لكل قسم :

أولا : عصر ما قبل الأسرات الأول ويمتد من حوالي ٤٠٠٠ ق . م . إلى ٣٦٠٠ ق م . ويتمثل في ثلاث حضارات هامة هي عصر حضارة جرزه الأولى في مصر السفلى وعصر حضارة العمره وعصر حضارة نقادة الأولى في مصر العليـــا .

ثانياً : عصر ما قبل الأسرات الأوسط ويمتد من حوالي ٣٦٠٠ ق . م . إلى حوالي ٣٤٠٠ ق . م . ويتمثل في تلك الحضارات السالفة الذكر ، بالإضافة إلى عصر حضارة المعادي في مصر السفلى .

ثالثاً : عصر ما قبل الأسرات الأخير ويمتد من حوالي ٣٤٠٠ ق . م . إلى حوالي ٣٠٠٠ ق . م . وهو مرحلة التداخل السياسي والحضاري بين مصر السفلى ومصر العليا ومحاولة الوحدة السياسية والوصول إلى الدولة المصرية المتحدة لأول مرة في التاريخ .

أما بالنسبة إلى عصر ماقبل الأسرات الأول في مصر السفلى فيتميز ببعض المميزات الخاصة ، ففي المجال المادي يلاحظ تواجد الفخار الرمادي أوالبرتقالي المصفر وقد غطته الزينات الملونة باللون الأحمر . هذا بالإضافة إلى الفخار ذي الأيدي المموجة وهذا النوع من الفخار يرجع إلى أصل فلسطيني وبصفة خاصة في الطبقة الثامنة عشرة في بيت شان ، وعلى ذلك فهو دليل مادي قاطع على وجود صلات حضارية بين كل من مصر السفلى وفلسطين ، أنظر شكل رقم (٤٥).



شكل (٤٥) فخار ذو أيدي موجة

كما تتميز حضارة الشمال بالرأس الكمثري الشكل للصولجان والتي تعتبر من صناعة منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط . هذا بالإضافة إلى الآثار المتصلة بالجوانب الكمالية من حياة انسان تلك المرحلة مثل أدوات الزينة كاللوحات الأردوازية والأساور النحاسية والعاجية . وفي المجال المعنوي يلاحظ الدارس أن انسان حضارة جرزة الأولى قد بنى مقابره البيضاوية أو المستطيلة الشكل مما يؤكد اعتقاده في استمرار الحياة في العالم الآخر . وقد دفن انسان جرزه

موتاه مع جعل وجوهها تجاه الشمس المشرقة ، ويمكن الاستدلال من ذلك على إمكانية وجود عقيدة شمسية في ذلك الوقت في الشمال ، كما يرتبط ذلك بالدور الحضاري والسياسي الهام الذي قادته مدينة اون (هليوبوليس) في محاولة توحيد الوجهين القبلي والبحري ، وكانت السيادة الحضارية والسياسية في تلك الوحدة الأولى للشمال . ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن البقايا العظمية تنتمي إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط مما يؤكد مرة أخرى تواجد عنصر الصلات الأجنبية البشرية الحضارية بين مصر السفلى والعالم الخارجي .

أما في مصر العليا فيتمثل ذلك العصر في حضارة نقاده الأولى وحضارة العمرة ولكن كانت السيادة الحضارية لحضارة نقاده الأولى التي تميزت بانتشار طابعها الحضاري في عدد من المواقع الأثرية في الصعيد مثل نقادة ودير البلاص والدير وهو والعمرة والمحاسنة . وقد وصلت حدود مجالها الحضاري في الشمال حتى شطب وفي الجنوب حتى الكوم الأحمر وأجزاء من النوبة .

وفي مجال الصناعات الفخارية تمكن انسان نقادة الأولى من صنع عدد من الصناعات الفخارية والحجرية المتعددة الأشكال والزينات . ومن أهم تلك الصناعات الفخار الأحمر المصقول والأحمر ذو القمة السوداء والأسود ذو الخطوط البيضاء . وقد تضمنت أشكال الأواني الفخارية أشكال الزبادي والأباريق وغيرها من الأشكال اللازمة لاحتياجات ذلك المجتمع النامي في ذلك العصر . وقد جمعت زينات تلك الأواني بين الأشكال الهندسية والنباتية والحيوانية . هذا وقد اختلفت الآراء بالنسبة إلى أصول تلك الزينات وهل هي محلية أم مستوردة من الحضارات الأخرى . واتجهت باوم جارتل (١) إلى

(1) Baumgartel E. J., The Cultures of Prehistoric Egypt, London, 1955, pp. 54-71.

اعتبار حضارة سوسه العيلامية ذات تأثير خاص في الزخارف الهندسية النقادية ، ولكن هذا الرأي ينبغي التردد في تقبله بصورة نهائية ، ولكن لا يمنع ذلك من ازدياد نشاط الانسان في المجال الاستكشافي للبيئات المجاورة له في ذلك الوقت. وإن تعددأنواع الأحجار التي صنع الانسان منها الأواني الحجرية لتشهد بخروجه إلى النطاق الخارجي واستغلاله إمكانيات البيئة المحيطة ، فقد استخدم أحجار الظران والبازلت والجرانيت والاردواز وكذلك الأحجار الجيرية في صنع الأواني الحجرية واللوحات ذات الأشكال المتعددة والمقامع القرصية الشكل والمثاقب وغيرها . ولم يقتصر انسان نقاده الأولى على تلك الصناعات بل لقد استخدم العاج والعظم والنحاس والذهب والفضة والرصاص في الكثير من صناعاته الضرورية والكمالية . هذا بالإضافة إلى صناعات الأقمشة الكتانية والحبال وكذلك الصناعات الجلدية .

وفي المجال المعنوي توصل انسان تلك الحضارة إلى الاعتقاد في عدد من القوى الإلهية مثل حتحور ونخبت وحورس وست ومين ولكن يلاحظ أن إلهـة الأمومة التي عبر عنها في عدد من التماثيل النسائية قد احتلت مكانة خاصة . وكذلك آمن انسان تلك الحضارة بعقيدة الخلود وترك الأدلة المادية المثبتة لذلك كالمقابر الدائرية والبيضاوية والمستطيلة ؛ بجانب الدفن أحياناً في أرضيات المنازل ، ولكن انفردت حضارة نقاده الأولى بظاهرة خاصة اختلف العلماء في تفسيرها ، تلك هي ظاهرة عدم تواجد الهياكل العظمية للمتوفين كاملة بل مجزءة وقد عثر على جماجمها في بعض الأحيان. وكان التفسير العام لتلك الظاهرة هو أكل انسان تلك الحضارة للحوم موتاه اكتساباً لخصالهم مما أدى إلى انفصال أجزاء الأجساد في المقابر ، وهذا التفسير قابل للصحة لحد ما ويمكن إرجاعه إلى أصول مجتمعية إفريقية تهدف إلى توارث صفات المتوفي بتلك الطريقة .

ومن أهم الظواهر الفكرية في حضارة نقادة الأولى التوصل إلى التعبير بالرموز

النباتية والحيوانية على الأواني الفخارية ، وتعتبر تلك العلامات الدالة على الملكية الشخصية ، والتعبيرية الدينية خطوة هامة في مجال التعبير بالرموز الذي يمهد في المراحل التالية إلى الكتابة الصورية . وفي نجال الكماليات صنع انسان تلك الحضارة الامشاط والدبابيس والابر وألعاب الأطفال ، ذلك بالاضافة إلى صناعة التماثيل الملونة ببعض الألوان التي تمثل الملابس .

هذا وقد اختلف العلماء في مصدر تلك الحضارة وأصولها التاريخية فبينما يتجه مسولارد (١) إلى اعتبارها محلية الاصل قد تطورت عن حضارة البداري ، يتجه عدد غير قليل من الدارسين إلى اعتبارهامن أصل أجنبي .ويتفاوت الرأي ، في مدى قرب أو بعد ذلك المصدر الاجنبي فبينما يرى شارف (٢ (أن ذلك المصدر يرجع إلى أصول حامية آتية من شبه الجزيرة العربية والنوبة وشرقي أفريقيا ، فيلاحظ من ناحية أخرى أن ارتباط حضارة نقاده الأولى بالعناصر الحامية في الصحراء الغربية يبدو أكثر منه بالصحراء الشرقية ، كما يتضح ذلك من الدراسات المقارنة لتلك الرسوم (٣) المنقوشة على صخور وادي لحمامات وصخور الصحراء الغربية . كما يلاحظ أيضاً أن آثار القرية القريبة من واحة لقيطة (٤) في الطريق بين قفط والقصير ليغلب اعتبارها معاصرة لحضارة نقاده الأولى . والواقع أن الجذور الحضارية المصرية الأولى لترجع إلى

---

(1) Masoulard, E., Prehistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris, 1949, p. 171 FF.

(2) Scharff, A., and Moortgat, A., Agypten und Vorderasien im Altertum, Munchen, 1950, p. 13 f.

(٣) قام بتلك الدراسة تحت إشراف عزمي لبيب مرقس في رسالته لدرجة الماجستير في موضوع حضارة اقليم نقادة في عصر ما قبل الاسرات الأول .

Debono, F., „Expedition Archeologique Royale au Desert Oriental Keft-Kosseir, A.S.A., LI,I, 1951, p. 67 f.

الأصول الحامية الافريقية الغربية والجنوبية (١) .

وعلى الرغم من انتشار حضارة نقاده الأولى فقد كانت تعاصرها حضارة العمرة التي تشتهر بفخارها المزين بالرسوم البيضاء والزخارف الهندسية . ويمكن القول بعدم وجود وحدة حضارية كاملة في مصر العليا في ذلك الوقت لان مصر في عصر ما قبل الاسرات الأول كانت لا تزال تمر بمرحلة التطور الحضاري الاقليمي ، ولا تزال حضارتها تسير في مجال الاتصال الحضاري والبشري ولم تصل بعد إلى مرحلة الاندماج القومي الواحد الذي يتجسم أثناء العصر التاريخي بصورته الكاملة إبتداء من عصر الأسرة الرابعة المصرية .

أما بالنسبة لعصر حضارة جزرة الأولى وهي ا لحضارة الممثلة لمصر الشمالية فمن المعتقد تواجده على أساس اعتباره بمثابة مرحلة حضارية سابقة لمرحلة جرزه الاخيرة الممثلة لعصر ما قبل الأسرات الأخير وهي مرحلة مؤكد معاصرتها لعصر حضارة نقاده الثانية . ويلاحظ أيضاً أن التوقيت المتتابع لحضارة جرزه الأولى هو ٤٠ ــ ٥٠ مما يؤكد تأخرها الزمني نسبياً عن مرحلة ما قبل الأسرات الأولى . وتبين الدراسة المقارنة لكل من نقاده الأولى والعمرة وجرزه الأولى سيادة الحضارة النقادية في تلك المرحلة الأولى من عصور ما قبل الأسرات في مصر .

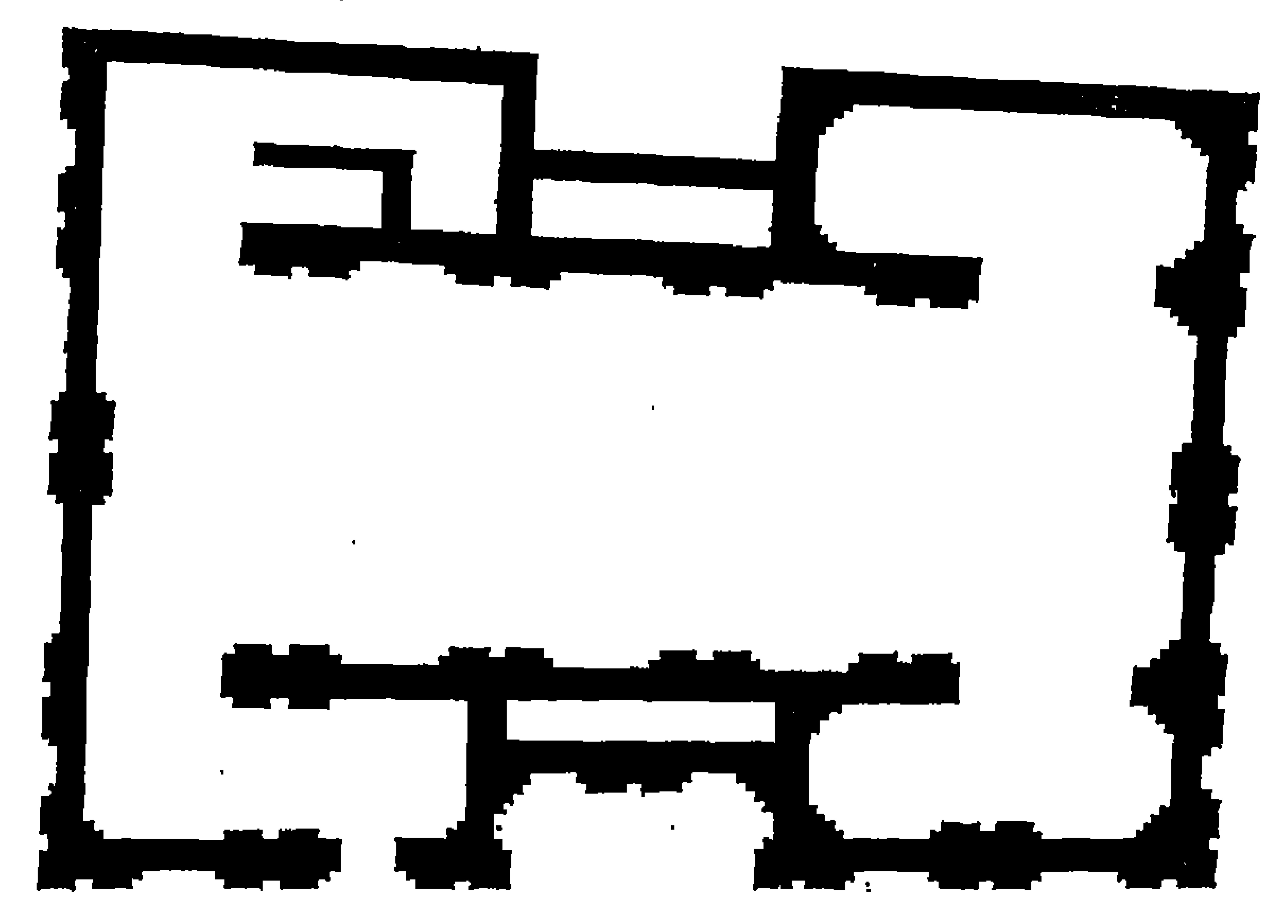
أما في العراق القديم فتنقسم عصور ما قبل الأسرات إلى ثلاث مراحل حضارية هامة هي عصر حضارة العبيد وعصر حضارة الوركاء وعصر ما قبيل الكتابة الذي يطلق عليه أيضاً عصر حضارة جمدة نصر . وتقابل تلك المراحل الحضارية عصور ما قبل الأسرات الأول والأوسط والأخير في مصر .

أما بالنسبة لعصر حضارة العبيد فتتميز تلك المرحلة الحضارية بأنها تظهر في

---

(١) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير ، العصور القديمة : أسسها التاريخية الحضارية والسياسية ، اسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٨ .

في شمال وجنوب العراق، وتلك ظاهرة حضارية هامة لأنهاتمثل أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب رغم كونها جنوبية الأصل، فقد عثر على آثارها في الشمال في ثبة كورا ونوزي وتل حسونة ونينوي وحلف وغيرها. وفيما يتعلق بالجانب المادي لحضارة العبيد الشمالية فقد صنع انسان تلك الحضارة الأواني الفخارية الملونة والمزينة وكذلك الأواني الحجرية والادوات العظمية والنحاسية والطينية مثل المناجل والأجران ؛ ولقد كانت تلك الأدوات الطينية تستخدم عملياً ولا تعتبر مجرد نماذج .كماقد تفوق أيضاً في المجال المعنوي حيث عثر على بقايا آثار المعابد المبنية من اللبن والمقابر والمنازل . ويلاحظ أن العمارة تحمل ظاهرة الفجوات المنتظمة niches انظر شكل رقم (٤٦) ، وهي تلك



شمال



شكل (٤٦) الطبقة ١٣ من معبد ثبة كورا المنتمي إلى عصر حضارة العبيد ويلاحظ وجود ظاهرة الفجوات المنتظمـــة

الظاهرة المعمارية الهامة التي تميزت بها المجتمعات السومرية إبتداء من عصر حضارة العبيد والتي وصل تأثيرها حتى مصر في عصر ما قبل الأسرات الأخيرة . وقد طليت بعض حجرات المعابد باللون الابيض ، ويلاحظ أيضاً تواجد بعض آثار عظام أسماك في معبد اريدو المنتمي لتلك المرحلة مما يؤكد ارتباط ذلك التقليد الديني المبكر بالعقيدة الدينية التالية والمتصلة بعبادة إله الماء في ذلك الموقع (١) . أما المقابر فقد بطنت بالحصير في بعض الأحيان ، كما يلاحظ الدارس بعض الظواهر الفريدة فيما يتعلق بدفن الجثث،فهناك مقابر خاصة بأجزاء من جسم المتوفي ، وأحياناً تحرق الجثث ويوضع الرماد في أوان ؛ ومن ناحية أخرى تلاحظ كثرة مدافن الأطفال في المعابد التي يغلب تقديمها كتضحية بشرية تقرباً للآلهة .

أما حضارة العبيد الجنوبية فهي تمثل أقدم حضارة في جنوب العراق حيث تستقر على الأرض البكر مباشرة ، وأهم مواقعها الأثرية تل أبو شهرين (اريدو) وتل العبيد وأور والحاج محمد والوركاء . وقد توصلت تلك الحضارة أيضاً إلى صناعة الفخار فاتح اللون الذي هو أقرب إلى اللون الأحمر أو البرتقالي أو الأخضر والذي يحمل الأشكال الهندسية الزخرفية . وكذلك صنع انسان تلك الحضارة الأدوات والأواني الحجرية . وفي المجال التعبيري جسم تفكيره عن الانتاج والخصوبة في تشكيل تماثيل طينية لالهة الأمومة ، وهي تماثيل لإناث بعضهن يحملن أطفالا ، كما شكل أيضاً تماثيل حيوانية وسفن طينية . ويلاحظ كذلك أن بعض تلك التماثيل تتميز برؤوسها غير العادية والتي تحمل طابع السخرية الذي ينم عن اعتقاد في القوى الشريرة ومحاولة اخافتها والتغلب عليها وابعادها . وفي مجال العمارة بنى انسان تلك الحضارة العمارة الدينية وبصفة خاصة المعابد

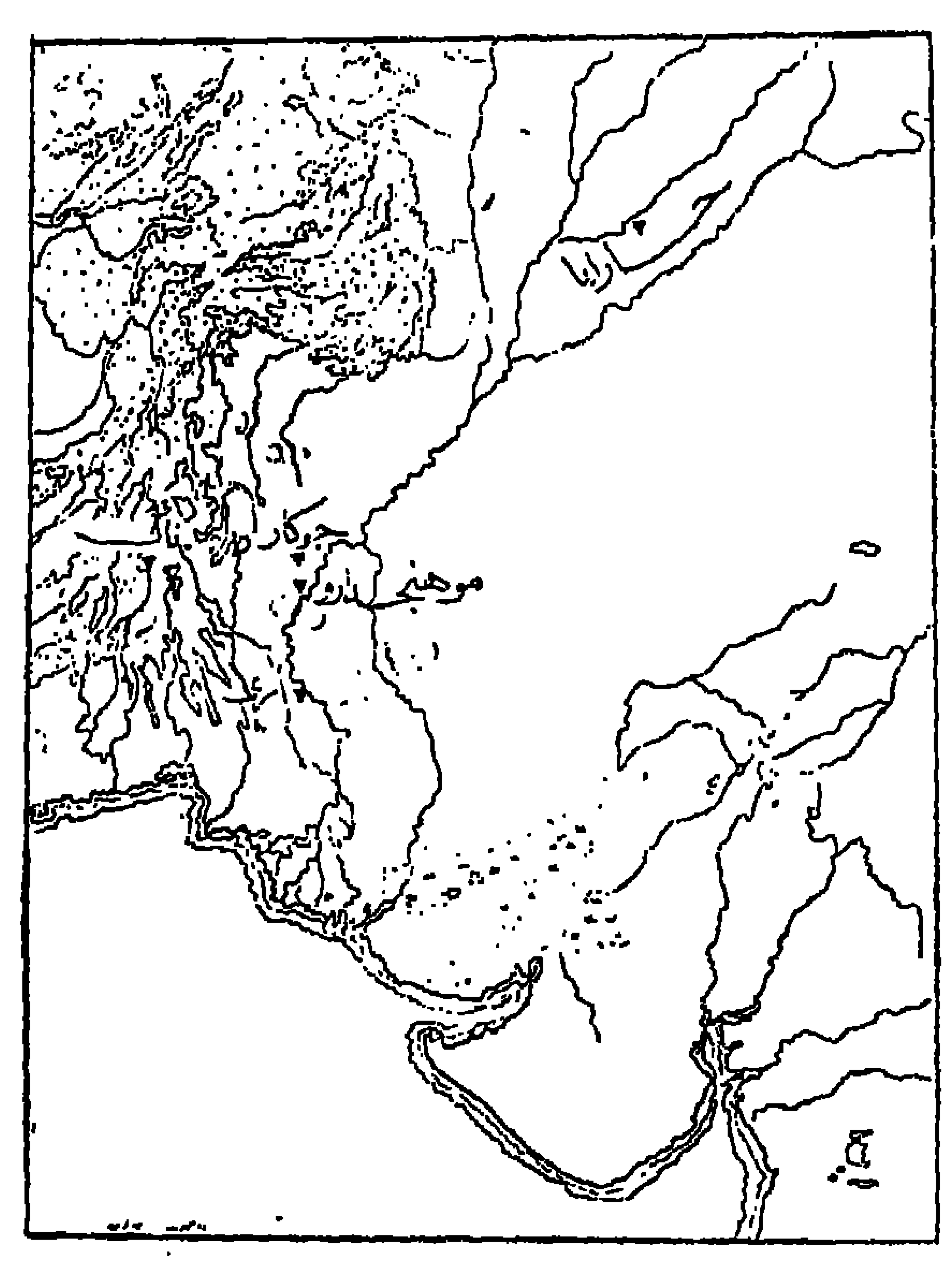
---

(1) Saggs, H. W. F., The Greatness that was Babylon, London, 1962, p. 18.

ذات الفجوات المنتظمة ، ويلاحظ أن تلك المعابد موجهة للجهات الأربع الأصلية ومبنية من اللبن . وهناك اتجاه إلى الاعتقاد بأن بعض تلك المعابد كانت لعبادة الإله آنو إله السماء وهو الإله الأول في التفكير الديني العراقي القديم ولذلك فان معبد الإله آنو في الوركاء يمكن ارجاعه إلى عصر حضارة العبيد . وقد تعرضت بعض القرى في تلك المرحلة لهجمات الطوفان أو الفيضان الكبير الذي يمكن الاستدلال عليه أثرياً من طبقات الغرين المترسبة في نفس طبقات المواقع الأثرية . كما يلاحظ أيضاً أن الآثار التي عثر عليها أسفل طبقة الطوفان هذه تنتمي إلى نفس الحضارة المستقرة فوق تلك الطبقة ، أي أن حادثة الطوفان قد اتخذت طريقها أثناء ذلك العصر . ولكن من الأهمية بمكان الاشارة إلى ان العراق القديم قد تعرض إلى عدد كبير من الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة في عصور ما قبل الأسرات ويصعب البت النهائي في أي تلك الفيضانات هو الذي يعتبر مرادفاً مع الفارق ، لطوفان سيدنا نوح عليه السلام ، ولكن من الجائز أنه ذلك الذي خلدته قائمة الملوك السومرية في بداية العصر التاريخي .

والدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية تؤدي إلى وجود تشابه واختلاف بين انتاج هاتين الحضارتين ولكنهما ينتميان أصلا إلى حضارة واحدة سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها فأعطتها شكلها المعين . أما عن أصل حضارة العبيد وأصحابها فيغلب أن ذلك يرجع إلى الشرق وبصفة خاصة إيران . ولكن يصعب على العلماءالقيامبتحديد دقيق لأقدممراحل الاستقرار في جنوبالعراق، فبينما هناك اتجاه إلى اعتبار حضارة اريدو الأولى وهي الطبقة التاسعة عشرة أقدم مراحل الاستقرار في الجنوب ، هناك اتجاه آخر يميل إلى اعتبار حضارة موقع حاج محمد بجوار الوركاء بمثابة مرحلة حضارية جنوبية أولية قبل حضارة العبيد . ولقد كانت حضارة العبيد الجنوبية هي أساس التطور الحضاري الهام في جنوب العراق في المراحل الحضارية التالية . وهناك أيضاً اتجاه إلى

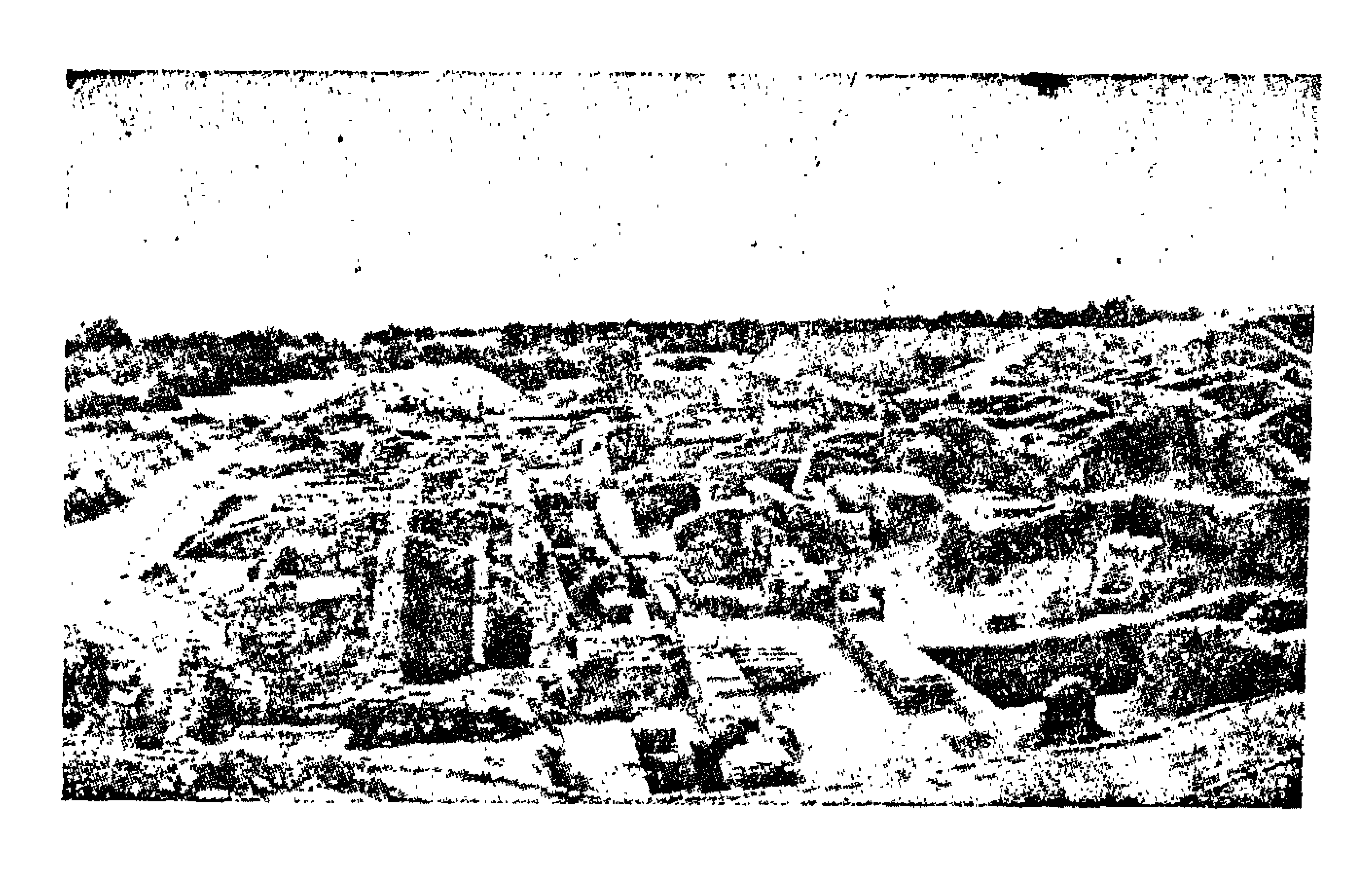
الاعتقاد بأن العنصر السومري هو صاحب تلك الحضارة . وتنبغي الاشارة في هذا الصدد إلى أنه في تلك المرحلة الحضارية دخلت الهجرات السامية والسومرية إلى جنوب العراق . أما الهجرات السامية فقد أتت من شبه الجزيرة العربية من نجد أو عمان أو اليمن ولكن الهجرات السومرية فقد أتت إلى العراق القديم من الشرق



شكل (٤٧) بعض مواقع عصور ماقبل الأسرات في وادي السند

وبصفة خاصة من شمال الهند عن طريق إيران أيضاً من الطريق البحري .وقد ثبت بالدراسة المقارنة وجود إتصال حضاري بين مواقع حضارات وادي السند مثل حارابا وموهنجدارو ، انظر شكلي (٤٧) و (٤٨) والحضارة السومرية في جنوب العراق القديم إبتداء من عصر حضارة العبيد الجنوبية .

وفي الهضبة الايرانية تتمثل تلك المرحلة في عصر حضارة سيالك ٣ وكشمه



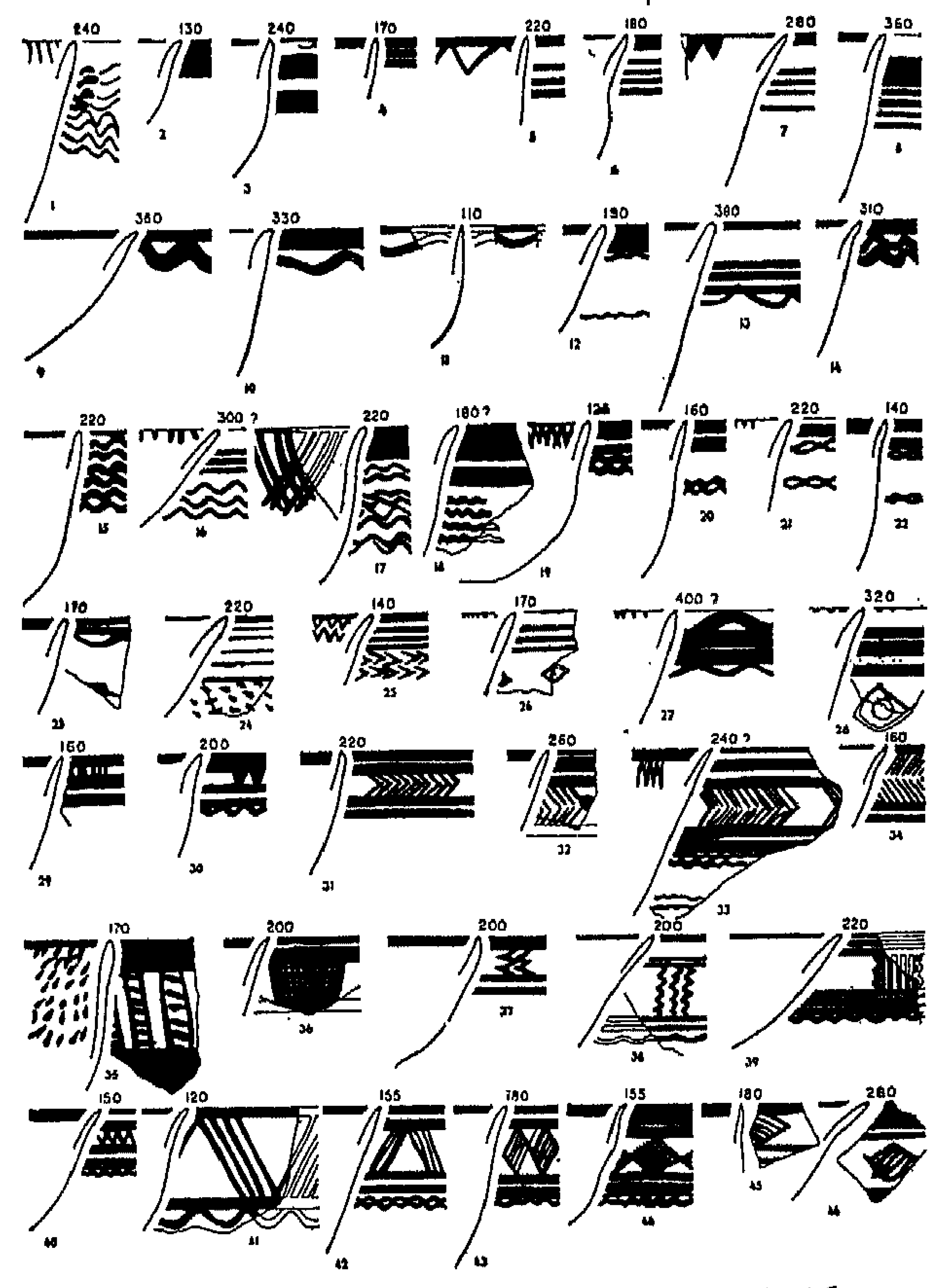
شكل (٤٨) منظر عام لموقع موهنجدارو

على ب وحسار ١ وجيان ٥ وباكون من ١ أ إلى ٥ أ وكذا بداية سوسه ١ . ومن الناحية الزمنية تؤرخ تلك المرحلة بأنها تستمر من بداية الألف الرابع ق.م. حتى حوالي نهايته وتعاصر حضارة العبيد في العراق القديم وعصر ما قبل الأسرات الأول في مصر . وفي تلك المرحلة الحضارية استخدم انسان تلك الحضارة الآجر المنظم كما روعى استخدام ظاهرةالفجوات المنتظمة في العمارة من الخارج وكذلك استمرفي دهانحيطانحجرات المنازل باللون الأحمر . أما من ناحية دفن الموتى في أرضيات المنازلفقد تابع استخدامها لذلك الغرض، كما نثر التراب الأحمر على جثة المتوفي ؛ وقد لوحظت بقايا ذلك التراب الأحمر في أرضية المقبرة . ومن الناحية الصناعة أظهرت تلك الحضارة تفوقاً ملحوظاً في الصناعات الفخارية بعد اختراع عجلة الفخار . ولم يقتصر التفوق في صنع الفخار ذاته بل أيضاً في عملية تشكيله وزخرفته ومراعاة النسب الفنية اللازمة لاتقان تلك العمليات . وكذلك تفوق أصحاب تلك المرحلة الحضارية في صنع

التماثيل الصغيرة بجانب صناعة الادوات الحجرية والنحاسية ، وقد ساعد هذا النشاط الصناعي إلى زيادة النشاط التجاري بتصدير تلك المنتجات . ومن أهم الأدلة الأثرية التي تثبت ذلك الاختام الاسطوانية التي يستخدمها التجار لختم تجارتهم وتمييزها عن بضائع التجار الآخرين . وهذه الحقيقة لها أهميتها من الناحية الاجتماعية فهي تدل على شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الخاصة في المجتمع . وقد أدى هذا التفوق الصناعي والحضاري إلى بداية العصر التاريخي في منطقة جنوب وجنوب غربي إيران وذلك بالتعرف على بداية التعبير بالكتابة الصورية المعروفة بما قبيل العيلامية . ولا شك أن التوصل إلى تلك المرحلة الهامة في حياة الانسان قد تم بعد التفوق الاقتصادي وضرورة تسجيل المنتجات الزراعية والصناعية حتى يتمكن من تنظيم عملياته التجارية الداخلية والخارجية . ومن الأهمية بمكان أن يسجل المؤرخ هنا أن منطقة جنوب وجنوب غربي إيران كانت لها أسبقية حضارية هامة في تلك الفترة بالمقارنة بالمناطق الحضارية الأخرى في الهضبة الايرانية ، وهذه المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية هي المنطقة المعروفة بوادي سوزيانا Susiana وهو الوادي الواقع جنوب غرب إيران والذي يعتبر مكملا للأودية الميزوبوتامية المتاخمة لهذه المنطقة من الهضبة الإيرانية . أما عن الدوافع التي يمكن أن تفسر استثناء تلك المنطقة عن بقية المناطق من ناحية تطورها الحضاري المستمر مع بقية مناطق غربي آسيا ، فربما يرجع ذلك إلى متاخمتها لاحدى المناطق الحضارية الهامة في العالم وهي منطقة جنوب العراق ، وهي التي تمكنت من قيادة زمام الحضارة والمدنية بصورة متفوقة بجانب مصر في منطقة الشرق الأدنى القديم . هذا بالاضافة إلى أن الصعوبات الطبيعية في الهضبة الأيرانية ربما كانت من العوائق المانعة لسرعة انتشار التقاليد الحضارية وبالتالي تطورها السريع المؤدي إلى بداية العصر التاريخي في نفس الوقت الذي تمكنت فيه الحضارات العراقية والمصرية من التوصل إليه .

أما بالنسبة إلى ذلك العصر في سوريا ولبنان وفلسطين فقــد تابعت حضارة العمق سيرها التطوري وبصفة خاصة في طبقات العمق هـ ، و ، س . وكذلك تمثل ذلك العصر في فلسطين في المرحلة الأولى لبداية استخدام البرونز .

وبالنسبة إلى شمال سوريا ولبنان فقد خضعت تلك المنطقة للمؤثرات الحضارية الآتية من جنوب العراق في عصر حضارة العبيد السالفة الذكر . وقد عُثر على آثار ذلك التأثر في عدد من الأدلة الأثرية وعلى رأسها الصناعــة الفخارية ، أنظر شكل رقم (٤٩) . ويمكن تفسير اتجاه انسان حضارة العبيد



شكل (٤٩) فخار المرحلة الحضارية من العمق هـ وتمثل مرحلة عصور ما قبل الأسرات الأولى ويلاحظ تشابه فخارها الملون بفخار حضارة العبيد

إلى شمال سوريا على أساس احتياجاته الخشبية ، حيث تتوفر الغابات في تلك المنطقة اللازمة لكافة أغراضه المدنية والدينية . ويحتمل استخدام نهر الفرات كوسيلة مواصلات لنقل تلك الكتل الخشبية من شمال سوريا إلى جنوب العراق . ولا يعني تأثر حضارة العمق بحضارة العبيد زوال خصائص الأولى بل ظلت مميزاتها الحضارية المحلية كائنة مع التأثر بالمؤثرات الخارجية . ولكن تنبغي الاشارة إلى أن حضارة ببيلوس ب قد انفردت في الاحتفاظ بخصائصها المحلية دون التأثر بحضارة العبيد في تلك المرحلة . وقد عثر على عدد كبير من آثار ببيلوس ب ، وبصفة خاصة الآثار النحاسية والفضية . وقد استخدم انسان ببيلوس ب طريقة دفن موتاه داخل الأواني الفخارية الضخمة كما استخدمت تلك الطريقة أيضاً في حماه .

أما في فلسطين فقد تميزت تلك المرحلة بتعدد العناصر البشرية التي وفدت اليها ، ويمكن الاستدلال على ذلك من تنوع الأواني الفخارية المنتمية إلى أنماط حضارية مختلفة والتي خلفتها تلك العناصر في المقابر والمنازل . ولم تنعزل تلك الجماعات الوافدة كلية بل امتزجت مع أصحاب الحضارة الغسولية مما مهّد إلى النقلة إلى بداية العصر التاريخي بعد ذلك . ومن أهم الآثار الفريدة المنتمية إلى تلك الجماعات الجديدة بقايا مقابرهم الجماعية حيث استخدمت تلك العناصر المقابر المحفورة في الصخر أو في الكهوف الطبيعية ، والتي كانت تتسع لحوالي ثلاثمائة شخص . وقد عثر في وسط كل مقبرة على كوم من الحطب الخاص بحرق جثث الموتى ، ولوحظ وجود الجماجم منفصلة حول ذلك الكوم ويغلب أن أجسام الموتى دون جماجمها كانت تحرق وتوضع بجوارها الأواني الفخارية . ولا توجد هذه الظاهرة الخاصة بهذه الصورة في المناطق الأخرى مما يجعل أصحابها جدداً على فلسطين . واذا حاول الدارس مقارنة هذا المستوى الحضاري بما يناظره في كل من بلاد الرافدين في عصر حضارة العبيـد ، وعصر حضارة الوركاء ؛

وفي مصر في عصر حضارة جرزة الأولى وعصر حضارة نقاده الأولى وعصر حضارةالعمرة،ليتبين بوضوح أولوية كل من محوري الهلال الخصيب وهما العراق ومصر في مجال التطور الحضاري الفكري في الشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت . أما المغرب فقد ظل في مرحلة العصر الحجري الحديث حتى قرب نهاية الألف الثاني ق. م. أي صميم العصر التاريخي في الشرق الأدنى القديم . وقد مهدت عصور ما قبيل الأسرات الأولى إلى المرحلة الحاسمة التالية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وهي عصور ما قبيل الأسرات .

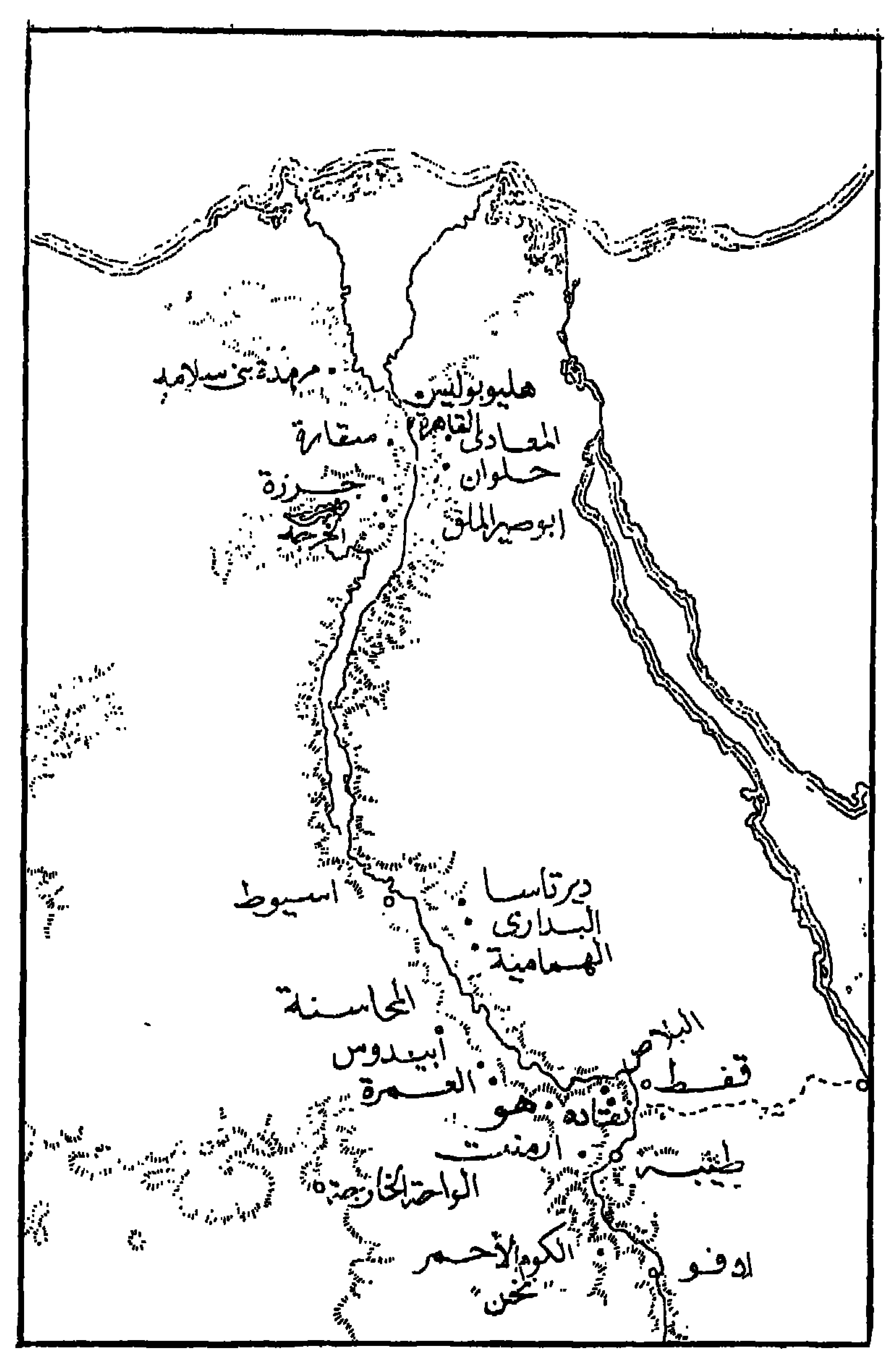
جـ ـ عصور ما قبيل الأسرات :

إختلفت المدارس فيما يتعلق باصطلاحاتها الخاصة بنهاية عصور ما قبل التاريخ في منطقة الشرق الأدنى القديم ، فبينما هناك المدرسة القائلة بعصر حضارة نقاده الثانية أو عصر حضارة جرزه الأخيرة بالنسبة إلى مصر ، هناك مدرسة أخرى تستخدم تعبير ما قبيل الكتابة بالنسبة لبلاد الرافدين ويقصد به مرحلة عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر . ولكن هناك اتجاه إلى استخدام تعبير ما قبل الأسرات ويتضمن مراحل ما قبل الأسرات الأوسط والأخير وبداية العصر التاريخي.وذلك لأن تلك المرحلة يصعب تحديدها تحديداً حرفياً لتداخل أحداثها وترابطها مما يجعلها تمثل في جملتها مرحلة نقلة فكرية من عصور ما قبل التاريخ إلى بداية مرحلة العصر التاريخي بمدنه ومدنياته ونظمه السياسية والاقتصادية والدينية المتطورة . ويبدأ الدارس بعصر ما قبل الأسرات الأوسط في مصر .

وتتميز تلك المرحلة في مصر بانتقال السيادة الحضارية بصفة خاصة من الجنوب إلى الشمال فبينما تركز النشاط الحضاري في عصر ما قبل الأسرات الأول في إقليم نقاده الذي خطى في هذا الصدد خطوات متفوقة في المجالين

المادي والفكري كما سبقت الاشارة ، فقــد كان الشمال يــؤدي دوره الحضاري في مواقع جرزه والمعادي وأبو صير الملق وطرخان ، أنظر الخريطة شكل (٥٠) ، ولكن وصل الشمال إلى دور السيادة الحضارية في ذلك الوقت على الجنوب . وليس معنى ذلك أن الشمال لم يكن له دوره الحضاري في عصر ما قبل الأسرات الأول بل كان ذلك الدور جارياً ولكن كان لحقيقة الصعوبات البيئية في الدلتا أثرها في عدم توصل الباحثين إلى المادة الموضحة لحضارة تلك المرحلة الأولى .
ومن ناحية أخرى فإن تفوق آثار الشمال في عصر ما قبل الأسرات الأوسط وازدياد الصلات الخارجية في تلك المرحلة ، كما هو مدعم بالأدلة الأثرية ، ليؤكد أن المرحلة السالفة لها كانت كائنة ومعاصرة لعصر نقاده الأول ولكن بدرجة غير متضحة المعالم بالقدر المتفوق في حضارة الصعيد . ومن أهم الظواهر الحضارية التي ميزت حضارة الشمال في عصر ما قبل الأسرات الأوسط ازدياد الصلات الخارجية ، فقد عثر على عدد من الآثار مثل المقامع الكمثرية والأواني الفخارية ذات الأيدي المموجة والتي ثبت استيرادها من المواقع الفلسطينية وبصفة خاصة بيت شان (١) . ومن الأمثلة على ذلك تلك الأواني الأجنبية الطابــع التي عثر عليها في موقع المعادي الذي يعتبر ممثلا لعصر ما قبل الأسرات في مصر .
ومن أهم آثار حضارة المعادي العثور على المنازل التي بنيت من أغصان الاشجار والتي كسيت بالطين ؛ ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن أبواب تلك المنازل كانت متجهة نحو الجنوب لتنبه سكانها إلى ضرورة حماية أنفسهم من الرياح الشمالية .
وقد أتخذت تلك المساكن الأشكال البيضاوية أو المستطيلة كما عثر داخلها على الأواني الفخارية والحجرية والنحاسية والعظمية والصدفية والخشبية . وقــد

(1) Kantor, H., "The Chronology of Egypt and its Correlation with That of Other Parts of the Near East in the Periods before the late Bronze Age,"Relative Chronologies in Old World Archaology, Chicago, 1954, p. 4 ff.



شكل (٥٠) خريطة تبين بعض المواقع الرئيسية لعصور ما قبل التاريخ في مصر

جمعت الأواني الفخارية بين الفخار الأسود المصقول والأحمر ذي القاعدة الكأسية، كذلك عثر على عدد من الأواني الحجرية الجيرية والبازلتية. ومما يسترعي الانتباه أيضاً ملاحظة وجود كهفين استخدما كمساكن في ذلك العصر وقد هيأهما انسان المعادي لغرض السكن بأن شكل لهما الدرجات اللازمة للتوجه نحوهما . وهذه الظاهره من الأهمية بمكان لأنها تشبه إلى حد كبير مرحلة العصر الحجري الحديث في المغرب حيث يلاحظ أن الانسان في تلك المرحلة مع الفارق، قد اتخذ الكهوف للسكن أيضاً وترك في أرضياتها الكثير من الأدوات الحجرية والفخارية وغيرها من آثار مرحلة العصر الحجري الحديث(١). ولكن يلاحظ أن عصر حضارة المعادي قد تفوق كثيراً على مرحلة العصر الحجري الحديث في المغرب وجمع بين المساكن المبنية والكهوف المنحوتة لغرض السكن. ولا شك أن الشمال الافريقي مترابط لحد كبير في ظواهر حضارية مشتركة في المجالات المادية والفكرية . ويلاحظ أيضاً أن انسان المعادي قد استخدم الأصداف والقواقع وقشور بيض النعام المثقوبة . ويلمس الدارس هذه الآثار بصورة واضحة في المواقع المغربية القديمة مما يدعم ظاهرة الاشتراك في انتاج حضاري معين. ولا يعني ذلك أن التطور الحضاري ناجم كلية عن المؤثرات الحضارية الخارجية حيث يصعب تحديد مجال ذلك التطور من حيث كونه محلياً أم خارجياً ، على الرغم من أن ظاهرة الاتصال الخارجي في حضارة الدلتا في عصر ما قبل الأسرات الأوسط والأخير قوية للغاية. وكانت الحضارة المصرية القديمة لا تزال في مرحلة التكوين التي تتجمع فيها العناصر الحضارية المحلية والخارجية، وتتأقلم بالطابع البيئي الخاص والمقومات الحضرية المحلية، ويتجسم كل ذلك بصورة حاسمة في نهاية تلك المرحلة إبتداء من الأسرة الرابعة المصرية . ولا يضير ذلك بأية حال من الأحوال الحضارة المصرية في أصولها الحضارية بل إن كل حضارة تمر بمراحل

---

(١) رشيد الناضوري ، المغرب الكبير في العصور القديمة ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٧ .

تكوينها وتعتمد على المؤثرات المحلية والخارجية إلى آن تتشكل بصورة نهائية قرب نهاية مرحلة التكوين، بعد أن تكون قد هضمت وأقلمت كافة تلك المؤثرات وأعطتها الشكل النهائي الخاص بها .

وفيما يتعلق بالجانب الفكري الخاص بتلك المرحلة فقد توصل انسان جرزه وانسان المعادي إلى الاعتقاد في الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر . وقد عثر على المقابر وهي مثل انسان مرمدة بني سلامة بين المساكن وأحياناً في أرضياتها، كما عثر على بعض القدور الكبيرة . وقد عثر أيضاً على جبانة وادي دجلة(١) المجاورة للمعادي وقد زودت مقابرها بمستلزمات المتوفى واحتياجاته في العالم الآخر وبصفة خاصة الأواني الفخارية والادوات الحجرية .

وفيما يتعلق بالمجال السياسي، تطور التنظيم السياسي في ذلك العصر ووصل إلى تواجد المقاطعات المستقلة بحدودها وعواصمها وحكامهــا وآلهتهــا ورموزها الخاصة بها . وإن حقيقة إشارة الجزء العلوي لحجر بالرمو الذي يعتبر سجلا هاماً في التاريخ المصري القديم ومنتمياً للأسرة الخامسة المصرية ، إلى اسماء تسعة من ملوك مصر السفلى ليؤكد مدى القدرة السياسية في تلك الفترة بالنسبة للشمال . ولا يعني ذلك عدم توصل الجنوب إلى مملكة متحدة خاصة به بل يغلب أن ذلك كان كائناً رغم عدم تواجده في النص، ولكن كانت السيادة الحضارية في ذلك العصر للشمال . ومما يؤكد ذلك تواجد الآثار الشمالية الطابع وعلى رأسها الأواني ذات الأيدي المموجة والمقامع الكمثرية الشكل في الجنوب. وقد استند العلماء على بعض الحقائق الدينية الخاصة بتلك المرحلة مثل تواجد الإله حور البحدتي في نخن ، (وهو الموقع المعروف باسم

(1) Amer,M., and Rizkana, I.,"Excavations in wadi Digla",Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo Univ., Vol., XV, Part II, 201-205.

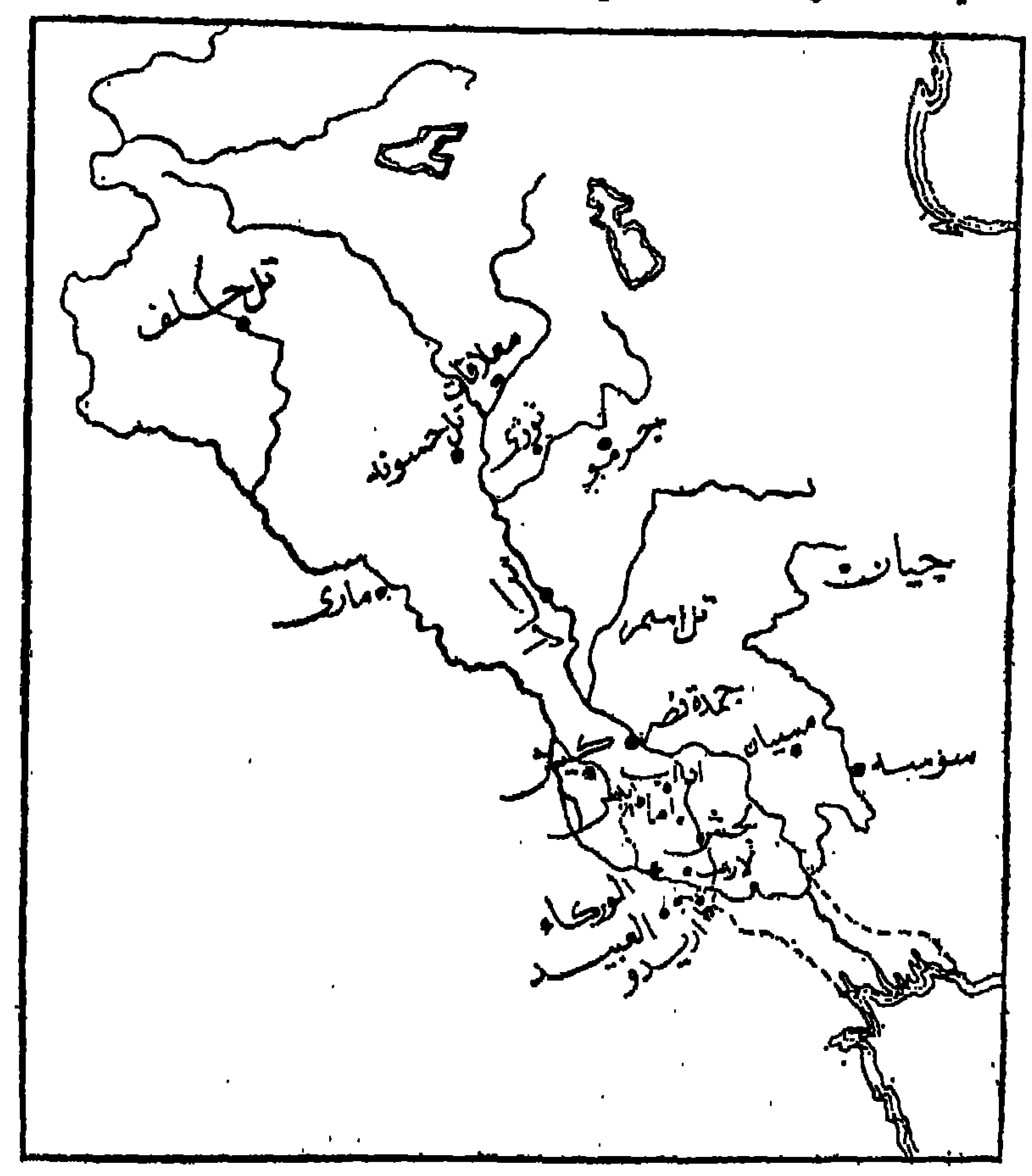
الكوم الأحمر والذي يوجد حالياً في قرية البصيلية شمال ادفو)، وكذلك، في ادفو كدليل على سيادة الشمال على الأقل في المجال الديني، وذلك على أساس أن الإله حور قد تتبع الإله ست الذي يعتبر رمزاً للصعيد، وبصفة خاصة في منطقة نوبت في نقاده. ويستطرد العلماء في هذا الصدد متخذين تلك الحقيقة دليلا على محاولة تحقيق الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب، والتي اعتبر أن الشمال في عصر ماقبل الأسرات الأوسط قد بادر اليها. وهناك اعتقاد أيضاً بأن تلك الوحدة الدينية والسياسية الأولى كانت تحت سيادة مدينة اون وهي هليوبوليس مدينة الإله رع والتي اعتبرت عاصمة لتلك الدولة الأولى. ولكن هذه التفسيرات رغم استنادها إلى بعض الأحداث، لا تعتبر نهائية ولا تزال تحتاج إلى تدعيم أقوى بالأدلة الأثرية ولكنها جائزة الحدوث في ذلك العصر.

أما عن عصر ماقبل الأسرات الأوسط في بلاد الرافدين فيتمثل بصفة خاصة في عصر حضارة الوركاء نسبة إلى موقع الوركاء Warka واسمها القديم Uruk وقد ذكرت في سفر التكوين تحت اسم «ارك» Ereck (١). وتتمثل تلك الحضارة في مواقع أخرى بجانب الوركاء مثل لجش وأور وأريدو، أنظر الخريطة، شكل رقم (٥١). وقد اختلف العلماء فيما يتعلق بأصحاب تلك الحضارة هل هم ينتمون إلى العنصر السومري الذي ثبت دخوله جنوب العراق في عصور ماقبل الأسرات بوجه عام والذي كان له دوره الحضاري الهام المتصل بكل من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصر ماقبل الأسرات الأخير، أم إلى العنصر السامي الذي سبق له الاستقرار أيضاً في جنوب العراق والذي يتجه الرأي إلى اعتباره ذو مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء على أساس وجود وجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع الفلسطينية والسورية. ويغلب أن العنصرين السومري والسامي وعناصر أخرى عيلامية

---

(١) سفر التكوين ١٠ : ١٠.

وجبلية متسللة من منطقة جبال زاجروس في غربي إيران قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، ولكن كان للسومريين أولوية حضارية خاصة في تلك المرحلة وكذلك في عصر حضارة جمدة نصر .



شكل (٥١) بعض المواقع الرئيسية في عصور ماقبل التاريخ في العراق

ويعتبر عصر حضارة الوركاء من أهم المراحل الحضارية في مرحلة التكوين الحضاري في تاريخ بلاد الرافدين ، ففي المجال المادي بدأت المدن في التكوين رغم ماتكلفته من جهود شاقة اتصلت بعملية ترسيب الغرين والصراع المتمثل بين المياه المالحة في الخليج العربي والعذبة في الرافدين وروافدهما ، ولكن بفضل

القدرة على التحكم في القوى المائية والتعاون بين العناصر المستقرة في الجنوب قد تحققت عملية بناء المدن لأول مرة في الجنوب ابتداء من عصر حضارة العبيد ، وتمثلت بصورة أوسع في عصر حضارة الوركاء . وتنبغي الاشارة في هذا الصدد إلى أن ذلك التعاون الجماعي يعتبر ظاهرة تميز بها تاريخ العراق رغم اختلاف العناصر البشرية في الجنوب وتباين لغاتها وتقاليدها الحضارية ، ولكن تجمعها تحت تأثير التفوق الحضاري السومري قد ساعد على تحقيق ذلك التعاون دون تمييز عنصري فيما بينها . وقد استمرت ظاهرة عدم التفرقة العنصرية (١) بين الساميين والسومريين وغيرهم في جنوب العراق القديم على الرغم من تمكن السومريين من التحكم في المجالات السياسية والحضارية ، إلى أن تزداد عناصر الاحتكاك والتنافس السياسي خلال الألف الثالث ق . م . والتي تؤدي إلى تناوب السيادة السياسية بين السومريين والساميين .

ومن أهم الآثار المادية لحضارة الوركاء العمارة الدينية وبصفة خاصة المعابد المبنية من الآجر ، والتي تتميز بكون أسسها من الحجر الجيري ، وتلك العمارة الدينية هي عمارة الزقورات Ziggurat وهي المعابد المدرجة . والمعبد عبارة عن مبنى موجه إلى الجهات الأربع الأصلية مبني من اللبن من ثلاث درجات يصل بينها سلم يؤدي إلى القمة حيث يوجد المكان المقدس الذي هو عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ملحق بها بعض الحجرات الجانبية . وتنبغي الاشارة إلى أن زقورات مدينة أور قد بدأت في عصر حضارة الوركاء . وهناك اختلاف في الرأي في أصل عمارة الزقورات وهل يتصل ذلك بالعناصر الجبلية المتسللة إلى جنوب العراق والحاملة لطابع الارتفاع إلى أعلى في العمارة الدينية بحكم تأثرهم بارتفاع الهضاب الوافدين منها ؟ ويصعب تقبل هذا الرأي بسهولة ، ويغلب أن

---

(1) Jacobsen, T. «The Assumed Conflict between Sumerians and Semites in early Mesopotamian History», Journal of the American Oriental Society, Vol., 59 no., 4,, pp. 485 - 495 .

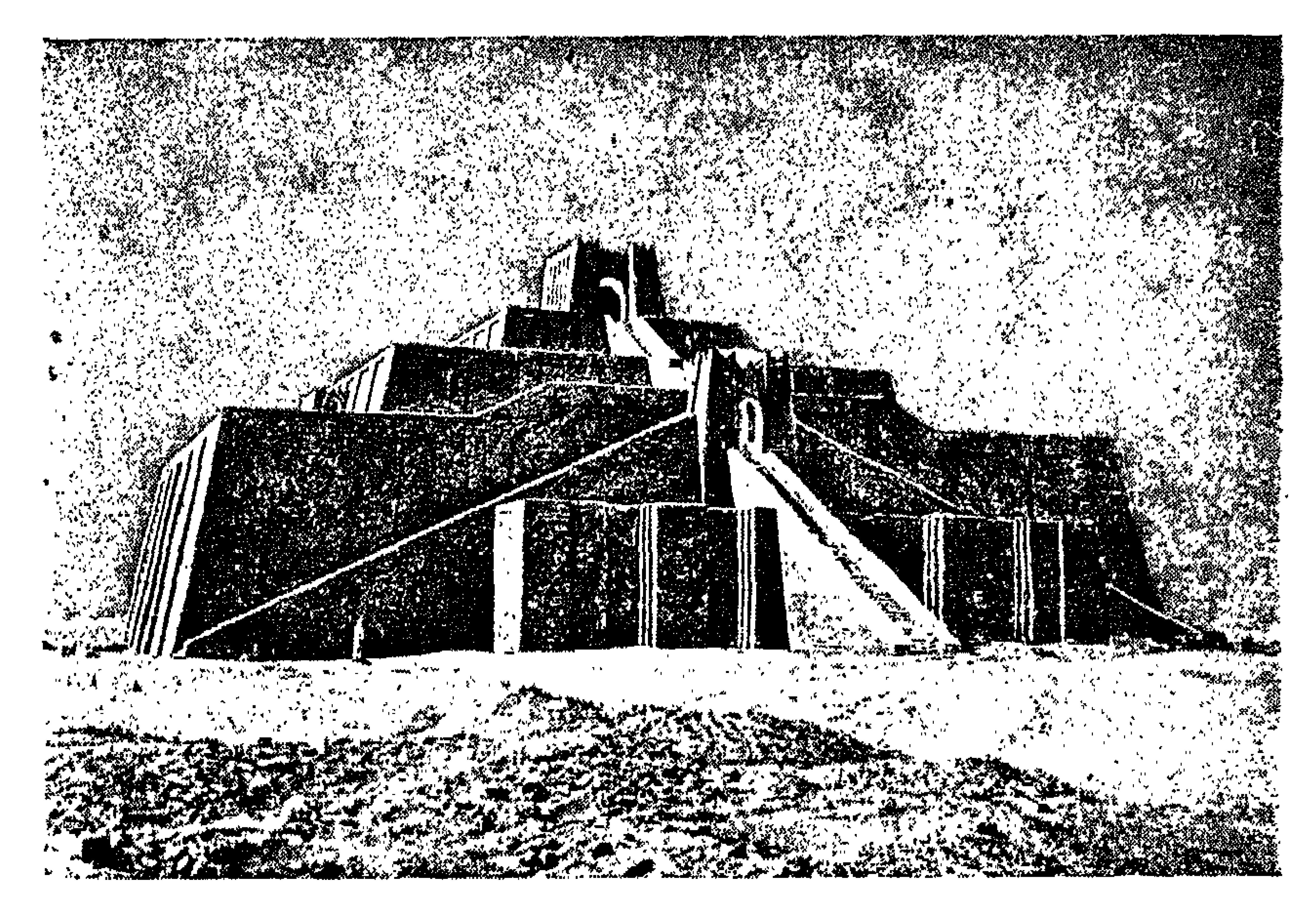
كون المعبد فوق سطح البناء المرتفع المدرج ، يهدف إلى اقتراب منزل الإله وهو المعبد من السماء التي يعتبر تأليهها في ذلك الوقت ذو أولوية خاصة في الديانة السومرية ، انظر أشكال (٥٢) و (٥٣) أ ، ب . ومن أهم الآثار الفكرية لعصر حضارة الوركاء ظاهرة التعبير بالرموز التي تؤدي إلى اختراع الكتابة التي تعتبر من أهم بوادر عناصر النقلة إلى بداية العصر التاريخي . وقد عثر على الأختام



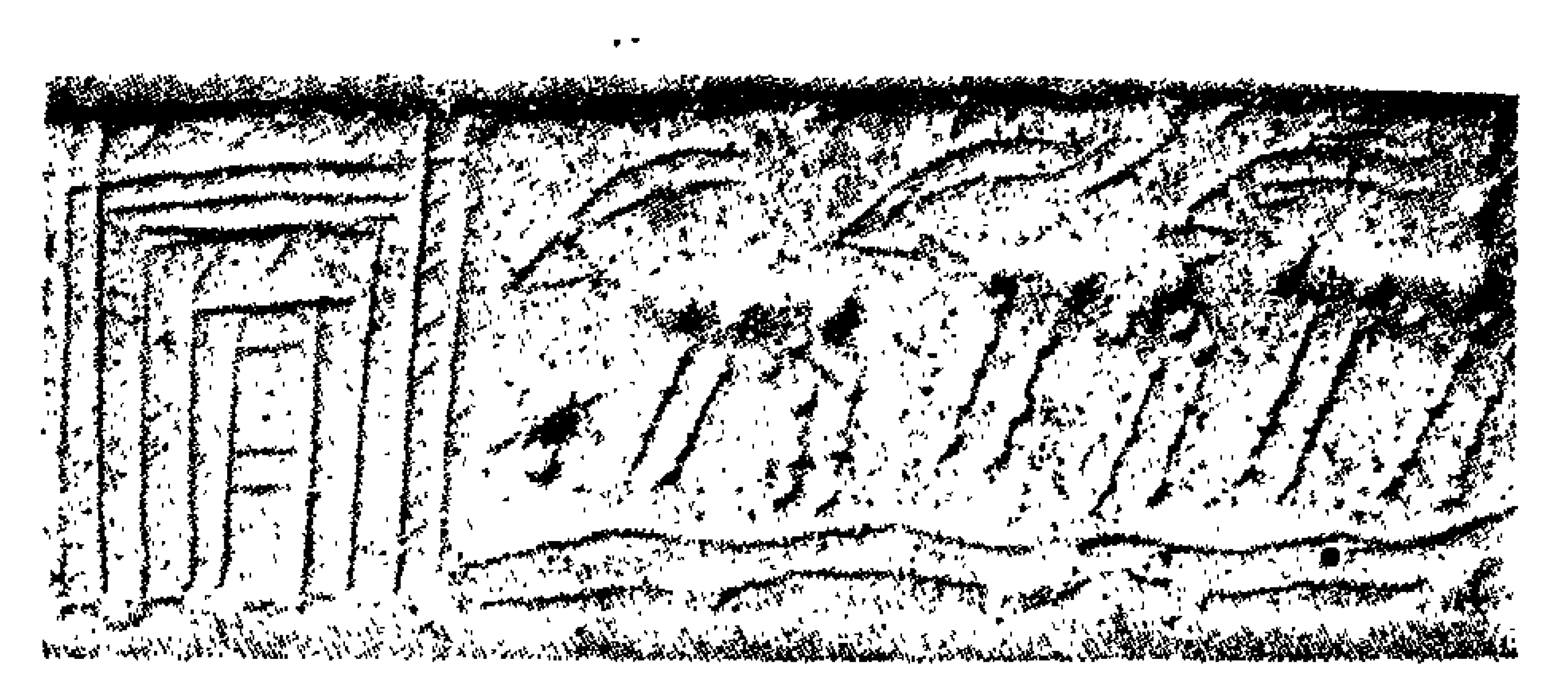
شكل (٥٢) المعبد الأبيض فوق زقورات ترجع إلى عصر حضارة الوركاء



شكل (٥٣) أ ـ زقورات أور في عهد الأسرة الثالثة



شكل (٥٣) ب ـ زقورات أور في عهد الأسرة الثالثة مرممة



شكل رقم (٥٤) انطباع خاتم اسطواني من المرمر تظهر
فيه حيوانات ذات قرون أمام معبد ، وينتمي إلى عصر
حضارة جمد نصر

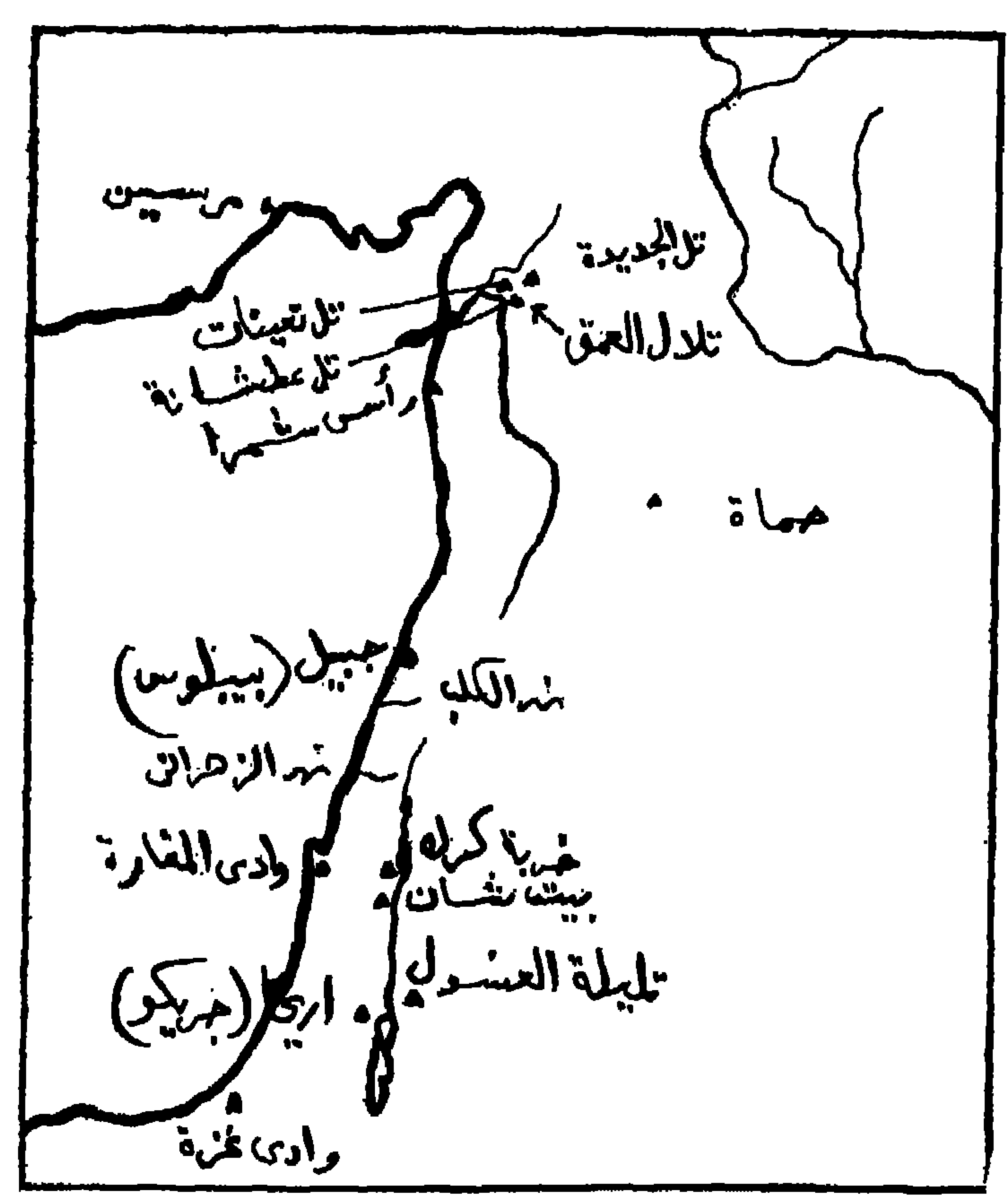


(شكل ٥٥) انطباع خاتم اسطواني من عصر حضارة الوركاء ويمثل
منظراً لصناعة جلدية

الاسطوانية ، أنظر شكلي(٥٤ و٥٥)،التي كانت تستخدم للأغراض الاقتصادية كنوع من التمييز للملكية الشخصية . وكانت تحفر وتنقش عليها الرسوم الدينية والدنيوية الحيوانية والنباتية ، والتي تعبر أيضاً عن بعض المفاهيم الخاصة بحياة المجتمع العراقي القديم في تلك الفترة ، والتي تعبر أيضاً بصورة أسطورية عن مفاهيمهم الدينية . وكان الإله الأول في عصر حضارة الوركاء هو الإله آن An إله السماء وهناك أيضاً ابنته الإلهة انين Innin وهي إلهة الخصوبة وسيدة السماء كذلك زوجها الإله دموزي Dumuzi وهو المعروف فيما بعد باسم تموز وهو إله الزراعة والرعي والانتاج . هذا بالإضافة إلى الصناعات الفخارية والنحاسية المنتمية إلى تلك المرحلة .

أما فيما يتعلق بعصر ماقبل الأسرات الأوسط في سورية ولبنان وفلسطين والهضبة

الإيرانية فقد استمرت مجتمعاته التي سبقت الاشارة اليها بصفة خاصة في العمق وبيبلوس وجريكو وسيالك ، أنظر الخريطة ، شكل (٥٦) في التطور ولكنها لم تصل إلى المستوى الحضاري الكائن في كل من مصر والعراق القديم في ذلك الوقت .



شكل (٥٦) بعض المواقع الأثرية الرئيسية في سوريا ولبنان وفلسطين في عصور ماقبل التاريخ ابتداء من العصر الحجري الحديث

أما عن عصر ماقبل الأسرات الأخير وهي المرحلة التي امتدت من حوالي ٣٤٠٠ ق . م ــ ٣٢٠٠ ق . م فهي تمثل خاتمة المطاف في سجل حياة انسان ماقبل التاريخ في المنطقة ، وتتبوأ المكاسب السياسية والدينية والحضرية المكانة الأولى

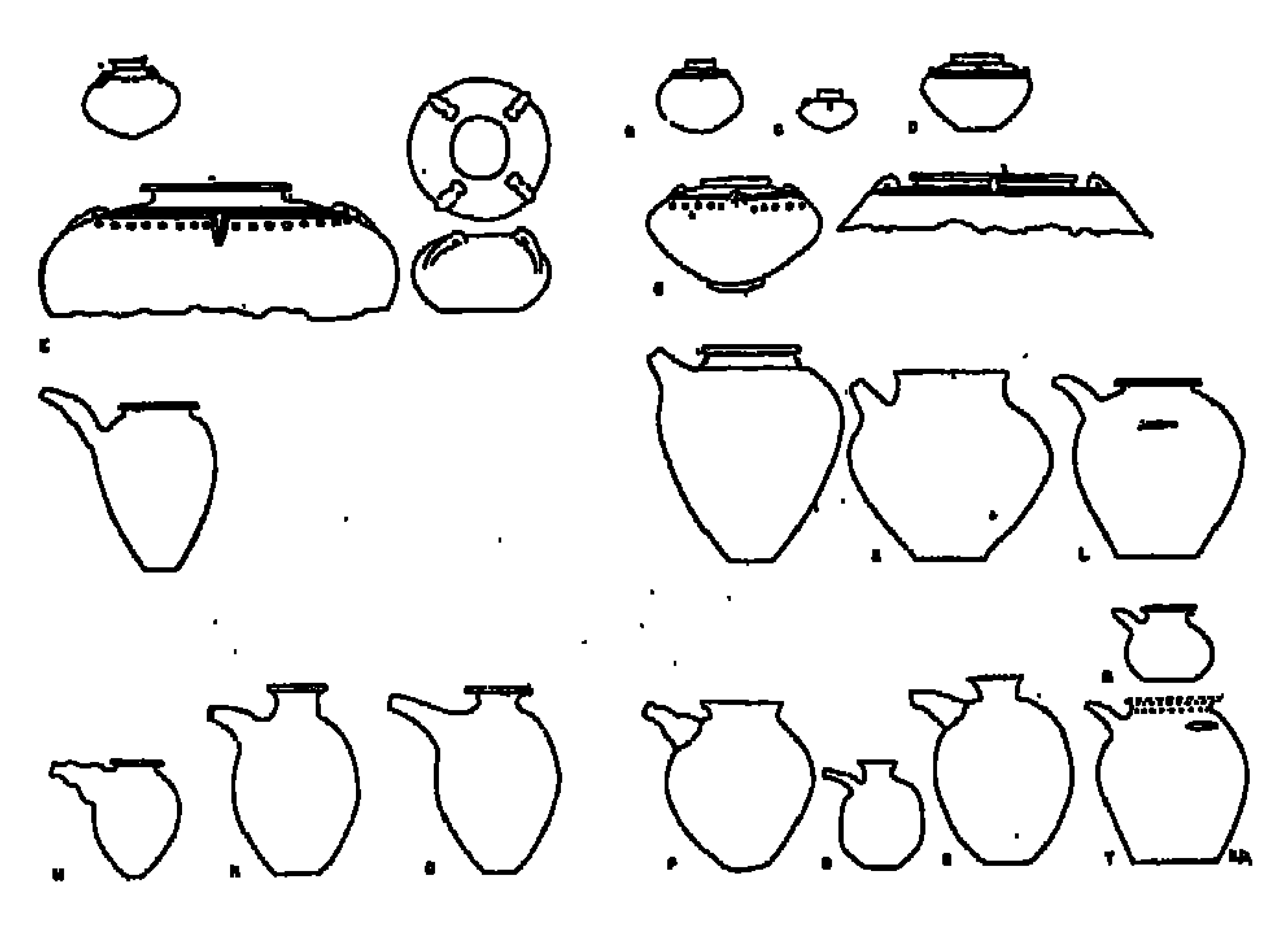
في تلك الفترة الهامة من تاريخ الانسانية . ففي عصر ماقبل الأسرات الأخير في مصر بدأت بوادر الوحدة السياسية تأخذ طريقها نحو التحقيق في تلك الفترة . وقد انتقلت فيه السيادة الحضارية والسياسية مرة أخرى إلى الجنوب الذي اتجه نحو مد نفوذه الحضاري مرة أخرى نحو الشمال . وقد تركز نشاط تلك المرحلة في عدد من المدن الهامة ، في مصر العليا مدينتي نخب (الكاب) مقر عبادة الإلهة نخبت (انثى النسر)،ونخن ونقاده وثنيس في أبيدوس بينما في مصر السفلى بوتو (تل الفراعين) ، مركز دسوق،وهي مركز عبادة الإلهة واجت التي يرمز اليها بالصل،وب، وجرزه واون . ويلمس الدارس أن تلك المدن تحمل صفتين إحداهما صفة سياسية والأخرى دينية وكان لمدينة ثنيس الصفة الدينية في الجنوب كما كانت لمدينة اون في الشمال الصفة ذاتها . وقد حملت المدن الأخرى الصفات الدينية أيضا ولكن غلبت عليها الصفة السياسية . وقد تميزت في ذلك العصر مدن الشمال ببعض رموزها الخاصة مثل النحلة والتاج الأحمر المصنوع من الأغصان المجدولة والخاص أصلا بالإلهة نيت، إلهة الدلتا ذات الطابع الحربي، بينما تميزت مصر العليا بنبات السوسن أو الحلفاء والتاج الأبيض الطويل المصنوع من الجلد ، وعلى الرغم من وجود تلك العناصر المميزة لكل من المملكتين بالإضافة إلى عواصمها الخاصة والحدود السياسية الخاصة بهما، فقد بدأت عناصر الوحدة الفكرية بين المملكتين في اعتبار الإله حورس إلها رئيسياً لكل منهما، واعترفت هاتات المملكتان بعبادته . ويستدل على ذلك من تواجد الاسم الحوري بالإضافة إلى الاسم الشخصي لملوك تلك الفترة . وفي المجال السياسي لم تتحقق الوحدة بسهولة بل لقد تطلبت حروباً طويلة بين المملكتين الشمالية والجنوبية ،كما يستدل من النقوش المسجلة على مقابض السكاكين والأمشاط العاجية واللوحات الاردوازية التذكارية . وتبين تلك النقوش العمليات الحربية ونتائجها ويظهر فيها انتصار الجنوب على الشمال واعتراف الشماليين بذلك بدليل حملهم

رموز الشمال وبصفة خاصة عصا الراعي التي تعتبر رمزاً للإله عنجتي (١) في شرقي الدلتا ، وهم أمام قصر ملك الجنوب ، كما يلاحظ تواجد أسرى الحرب في تلك النقوش . وبالإضافة إلى تلك اللوحات الهامة المتصلة بأحداث الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب في ذلك العصر هناك بعض الآثار السياسية المباشرة التي تعبر عن بعض العمليات الحربية الخاصة . ومن أهم تلك الآثار مقمعة الملك الذي أطلق عليه اسم عقرب وهي التي عثر عليها في نخن ، والتي بالإضافة إلى كون الملك يقوم فيها ببعض الواجبات الزراعية فإنه قد نقشت عليها بعض أعلام المقاطعات الخاصة بالصعيد ، وقد علقت فيها الطيور الميتة والأقواس الرامزة إلى الشماليين المنهزمين . ولكن عمليات الملك عقرب الحربية لم تصل أبعد من طره شمالا بدليل أنه لم يعثر على آثار له شمال ذلك ، مما يغلب أن الدلتا كانت لاتزال تحت سيادة المملكة الشمالية . ولكن تحققت الخطوة السياسية الحاسمة على يد الملك نعرمر الذي خلد تلك العملية الحربية والسياسية الهامة في التاريخ المصري القديم، في لوحته التي عثر عليها في نخن والموجودة حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة، والتي يظهر فيها نعرمر وهو يحتفل بانتصاره على الدلتا ويلبس تاج الوجه البحري . ويتجه التقليد أن نعرمر قد بدأ عملياته من ثنيس ، ولكن هذا التقليد ينبغي إعادة النظر في حقيقته لأن الزعامة السياسية والدينية في مصر العليا لم تقتصر على ثنيس في تلك المرحلة، بل امتدت إلى نخن ونقاده بدليل أن آثار نخن جمعت الكثير من عصر نعرمر وعقرب بالإضافة إلى كونها مركزاً سياسياً ودينياً رئيسياً في الجنوب ، كما أن الإله حور قد اتخذها مركزاً له بالإضافة إلى ادفو بعد ذلك . ومن ناحية أخرى كان لمدينة نقاده دورها الحاسم في عصر ماقبل الأسرات الأخير على الرغم من حفائر بتري في المئات من مقابر هذا الموقع، فإنه لاتزال هناك حاجة ماسة إلى استكمال الحفر وتفسير تواجد مقبرة

(1) Hayes, W., The Scepter of Egypt, New York, 1953, p. 28.

نيت حوتب زوجة نعرمر وأم حور عحا (١)أول ملوك الأسرة الأولى في هذا الموقع بالذات . هذا مع العلم بأن موقع ابيدوس كانت له أهمية خاصة في تلك الفترة ،ولكن تغلب عليه الصفة الدينية ،ولذلك يجد الدارس إمكانية كون السيادة السياسية الجنوبية في كل من نخن ونقاده بالإضافة إلى ثنيس . ولن يحل هذا المشكل بصورة حاسمة إلا بعد إعادة الحفر المقارن في هذه المواقع الثلاث الجنوبية نظراً لتكاملها في هذه المرحلة الهامة من التاريخ المصري القديم .

ومن أهم مظاهر هذا العصر في مصر اتساع نطاق الصلات الخارجية التجارية والحضارية مع فلسطين والعراق بصفة خاصة . ويتضح ذلك في تواجد عدد من الآثار التي تظهر فيها بوضوح تلك المؤثرات السومرية والفلسطينية . ذات الاهمية الخاصة. ومن أمثلة تلك المؤثرات الأجنبية الفخار ذو الأيدي المموجة الذي عثر عليه في المعادي وجرزه ونقاده وغيرها والذي يرجع في أصوله إلى فلسطين حيث عثر عليه في الطبقة الثامنة في جريكو والطبقة الثامنة عشرة في بيت شان . وفي



شكل (٥٧)

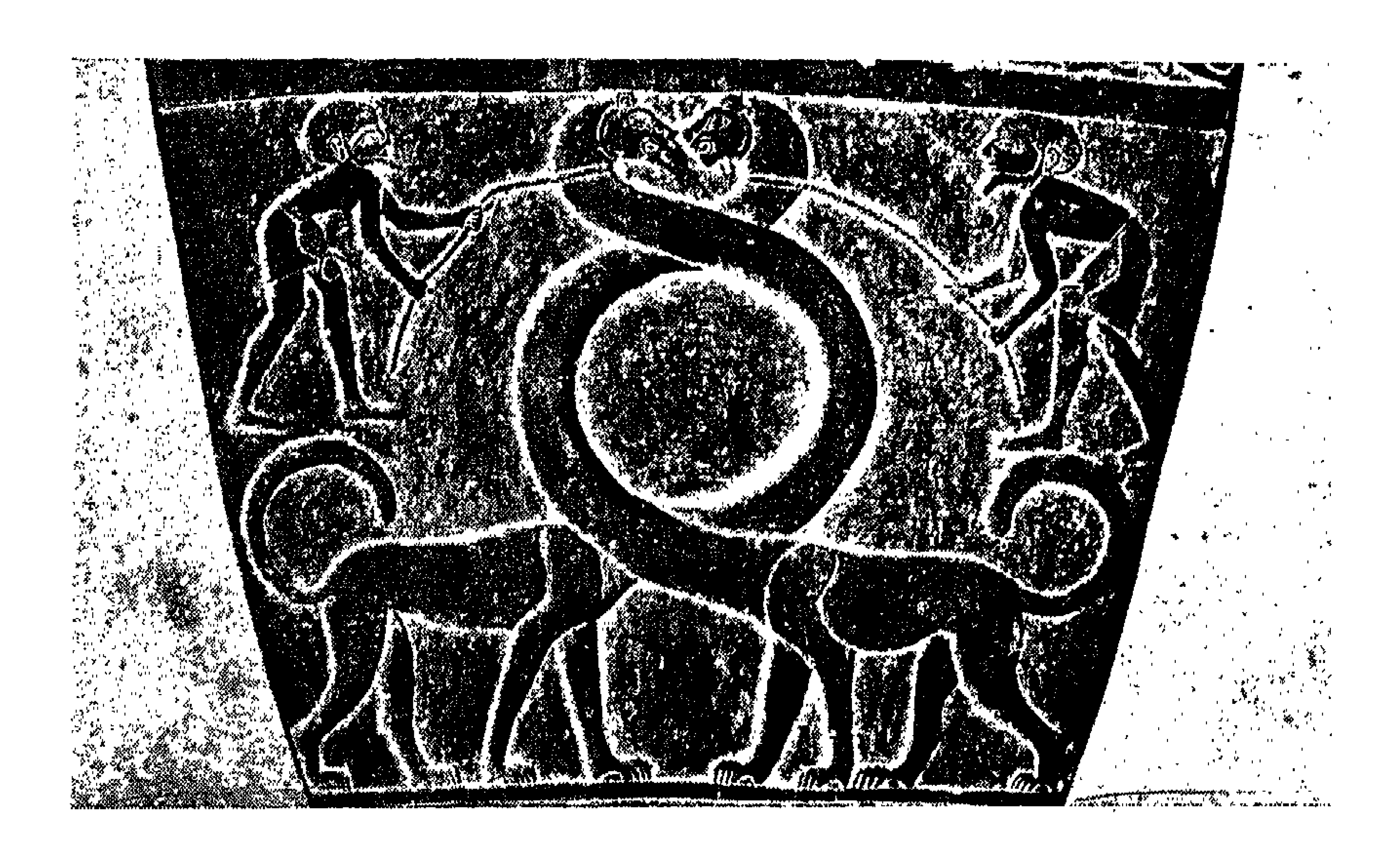
رسوم لبعض الأواني الفخارية العراقية التي عثر عليها في مصر (٢)

---

(1) Emery, W., Archaic Egypt, London, 1963., 49.

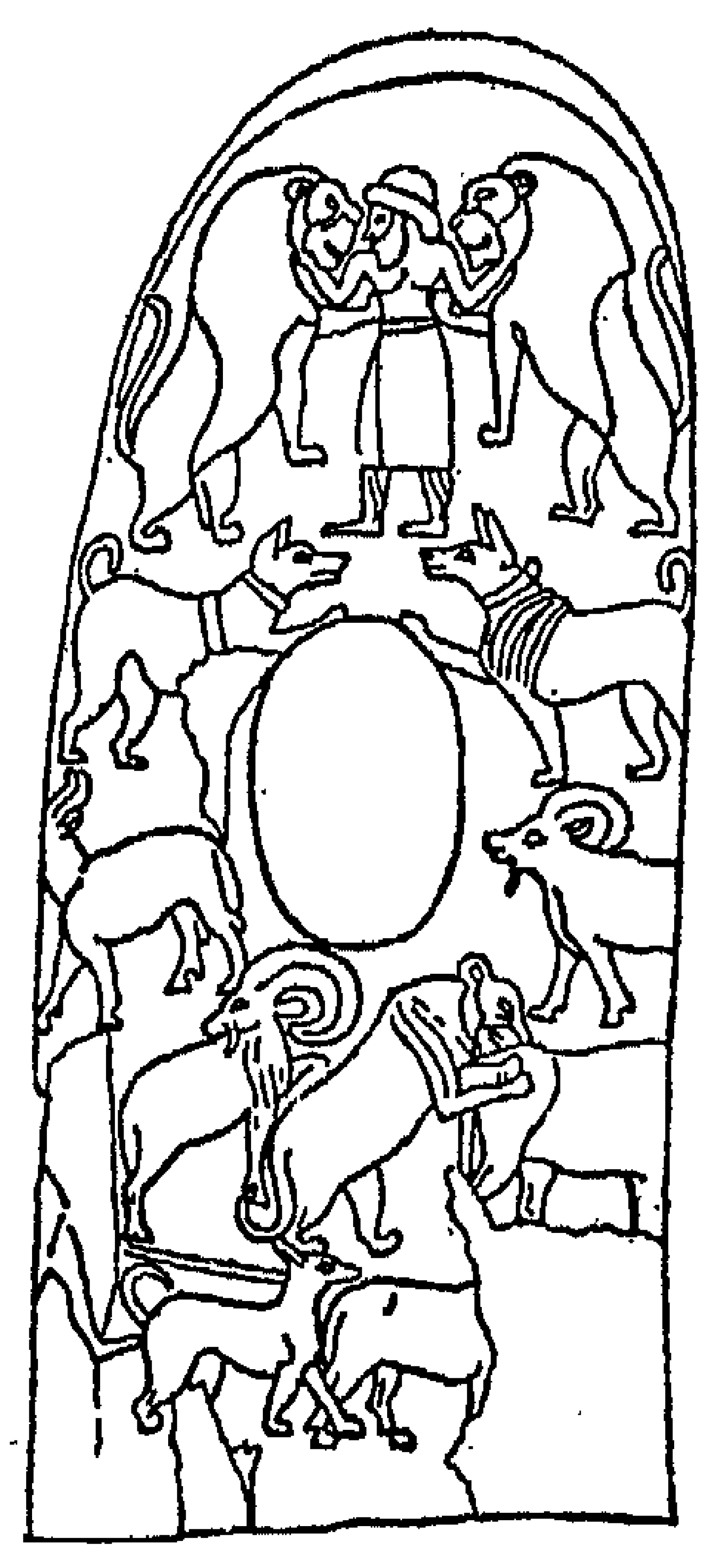
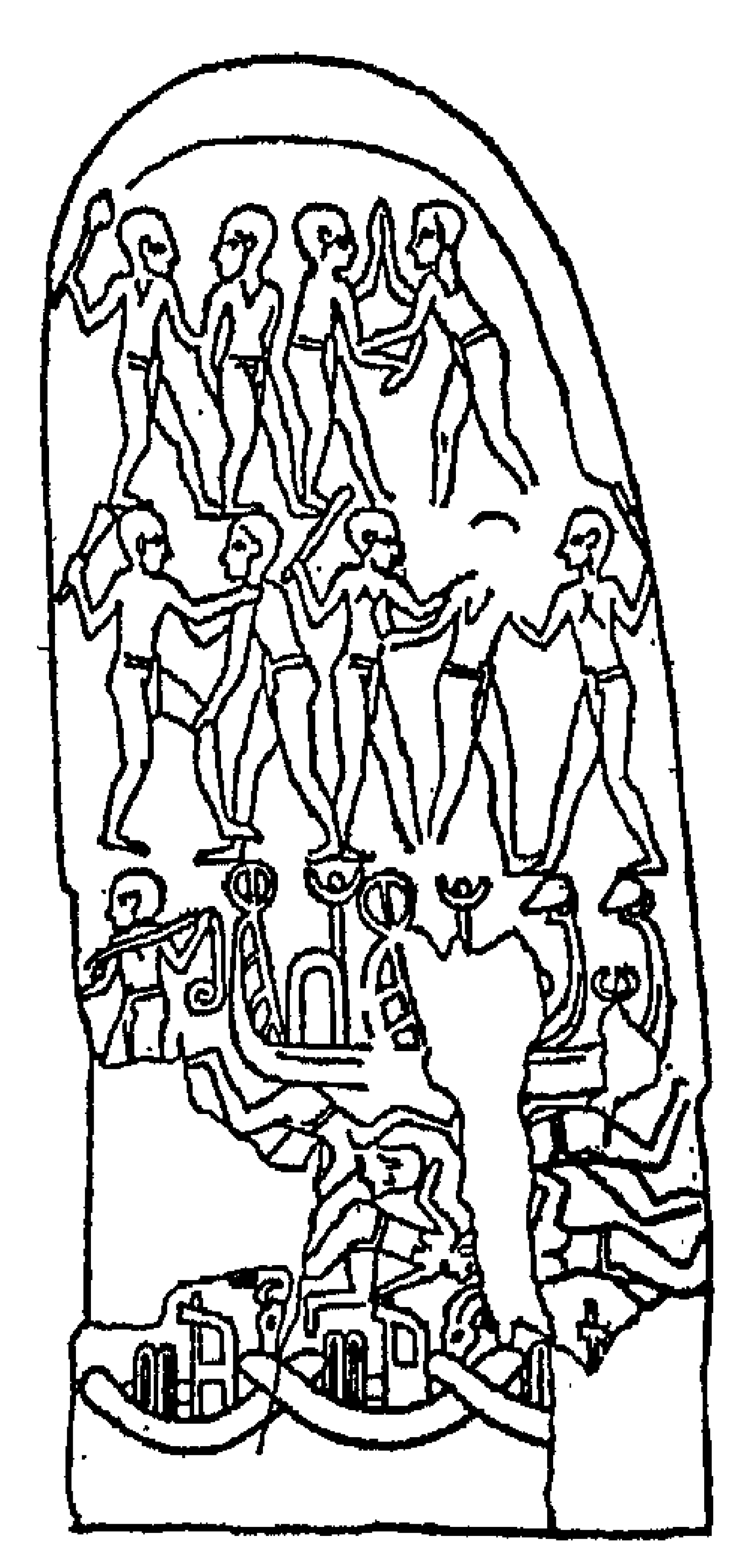
(2) Ehrich, R. W., Relative Chronologies in Old World Archaeology, Chicago, 1954, fig. 2.

مجال الصناعة الفخارية تأثر عصر ماقبل الأسرات الأخير في مصر أيضاً بالفخار العراقي القديم ، أنظر شكل رقم (٥٧) ، حيث عثر على مجموعة من الأواني الفخارية ذات الصنابير المائلة ، وكذلك علي بعض الأواني ذات الآذان المثلثة في مستجدة والبداري . وتنتمي تلك الأواني في العراق القديم إلى عصر حضارة جمدة نصر . هذا بالإضافة إلى العثور على أربعة من الأختام الأسطوانية المنتمية إلى عصر حضارة الوركاء وعصر جمدة نصر في كل من جرزه ونجع الدير(١). وفيما يتعلق بمجال التعبير الفني فقد اتضح تواجد عدد من المؤثرات الفنية السومرية الطابع على الآثار المصرية مثل رسم الثعابين المتشابكة وبطل بين أسدين ، والسفن العراقية القديمة المتميزة بمقدمتها ومؤخرتها القائمة ، أنظر أشكال (٥٨)،



شكل (٥٨) جزء من لوحة نعرمر وتظهر فيه الحيوانات المتشابكة

(1) Kantor, H. "Further Evidence for Early Mesopotamian Relations with Egypt", Journal of Near Eastern Studies, vol. XI, 239 ff.

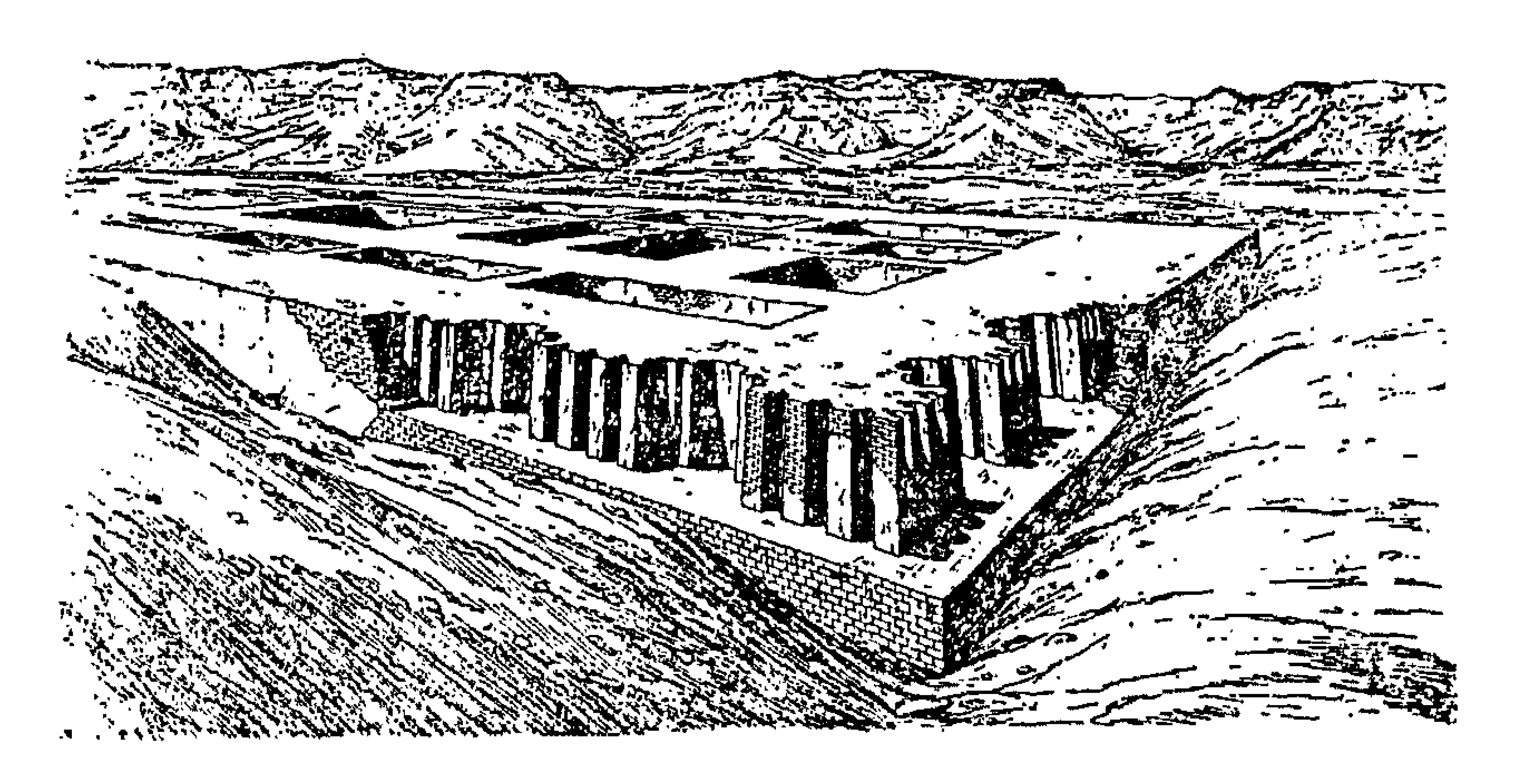
شكل (٥٩)

يد سكين جبل العرقي وتظهر فيها بعض المؤثرات الحضارية السومرية

و(٥٩). وقد وجدت هذه الآثار في مصر على مقابض عدد من أيادي السكاكين وبصفة خاصة مقبض سكين جبل العرقي ، وأيضاً على حيطان المقبرة الملونة والمنتمية إلى عصر ماقبل الأسرات الأخيرة في نخن .وقد وصلت تلك التأثيرات السومرية إلى قمتها في مصر في العمارة المتميزة بظاهرة الفجوات المنتظمة في نهاية عصور ماقبل الأسرات والتي تتضح بصفة خاصة في مقبرة الملكة نيت‌حتب في نقادة انظر شكل (٦٠) ، والتي ترجع في أصولها إلى عصر حضارة العبيد في العراق القديم (١) .

وهناك إشكال حول كيفية وصول تلك المؤثرات الأجنبية إلى مصر ، وهل

(١) انظر ص ١٨٨ .



شكل (٦٠)

مقبرة الملكة نيت حتب في نقاده وتظهر فيها ظاهرة الفجوات المنتظمة

يصل مداها إلى درجة الغزو الحربي أم تقتصر على الصلات التجارية الحاملة لبعض الأنماط الحضارية الخاصة ، ويغلب أن الصفة الأخيرة هي التي سادت تلك الفترة ، لأن العناصر السومرية بطبيعتها البحرية قد انتشرت في جنوب العراق ، واستخدمت سفنها الخاصة في الاتصال بالمراكز الحضارية في وادي السند في حارابا وموهنجدارو ، كما اتصلت أيضاً بمصر عن طريق وادي الحمامات الموصل بين قفط والقصير أو عن طريق وادي الطميلات الموصل بين جنوب شرقي الدلتا والبحر الأحمر ، هذا بالإضافة إلى أن المؤثرات الفلسطينية قد دخلت مصر عن طريق شرقي الدلتا . ومن الممكن العثور على المحطات الحضارية التي استخدمتها تلك الاتصالات بين مصر وفلسطين على طوال الطريق التقليدي بين شرقي الدلتا وجنوب فلسطين . ويتصل موضوع تلك الصلات الحضارية بالرأي المتجه إلى اعتبار أن تلك الصلات قد جاءت بعنصر بشري جديد إلى وادي النيل الأدنى مما أدى إلى ظهور المدنية الفرعونية

بعد ذلك ، ولكن هذا الرأي استند على ماحققه دري (١) في دراسته للبقايا العظمية المنتمية إلى نهاية عصور ماقبل الأسرات والتي ثبت أن أصحابها يختلفون في أجسامهم وجماجمهم عن العناصر المحلية ، مما يزكي تواجد تلك العناصر الجديدة . ولكن لاتنبغي المبالغة في الاستناد على هذا الرأي لأنه يصعب إيجاد رابطة مؤكدة بين أصحاب تلك الجماجم وبين العناصر الوافدة من العراق أو فلسطين . هذا بالإضافة إلى أن مصر في تلك المرحلة وهي مرحلة التكوين الحضاري والبشري والسياسي والاجتماعي ، كانت تقوم بعملية هضم لتلك العناصر المختلفة الحامية والسامية وغيرها ، وليس من المستبعد تواجد بعض الخصائص البشرية غير المتجانسة مع العناصر الأخرى إلى أن اكتمل ذلك الهضم وتشكل في صورته النهائية مكوناً العنصر المصري القديم في بداية العصر التاريخي . ولا تعني تلك المؤثرات الأجنبية فقدان الطابع المحلي بأية حال من الأحوال ، فسرعان ما انصهرت تلك المؤثرات داخل البوتقة المصرية وبزغ الطابع المصري القديم .

وبالإضافة إلى هذه الظواهر ، تفوق انسان عصر ما قبل الأسرات الأخير في مصر في كل من المواقع الشمالية والجنوبية في كافة الصناعات الفخارية الحجرية والعظمية والخشبية والعاجية والنحاسية ، وتطورت حياته تطوراً ملموساً في الجوانب الضرورية والكمالية مما دفعه إلى بداية العصر التاريخي .

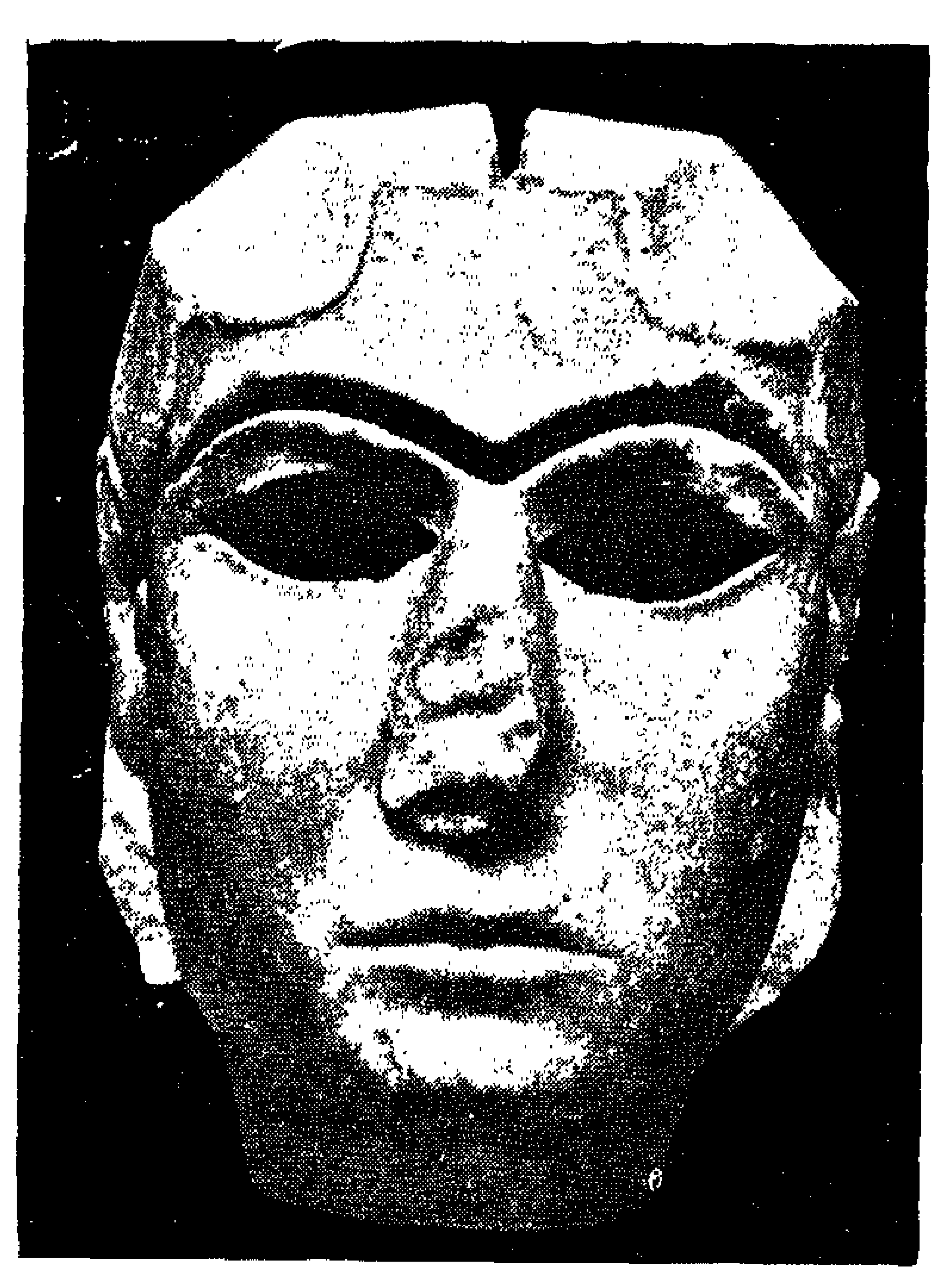
وأما في العراق القديم فيتمثل عصر ماقبل الأسرات الاخير في عصر حضارة وجمدة نصر التي تعتبر المرحلة الأخيرة لعصر ماقبيل الكتابة ، مكملة بذلك عصر

---

(1) Derry, D.E., "The Dynastic Race in Egypt," J.E.A.. Vol. 42, 1956.

حضارة الوركاء . وأهم ظاهرة يلمسها الدارس في عصر حضارة جمدة نصر هي ظاهرة ازدياد مجال الصلات الخارجية التي اتضح امتدادها حتى مصر والسند كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ويغلب أن الطريق البحري كان هو الطريق المستخدم في تلك الصلات . ومن المحتمل العثور على آثار المحطات الحضارية التي كان على تلك السفن التوقف عندها في سواحل عمان وحضرموت والبحر الأحمر. ويلاحظ أن تلك المؤثرات الحضارية العراقية القديمة كانت من طرف واحد حيث لم يعثر على مؤثرات مصرية في بلاد الرافدين منتمية إلى تلك الفترة . وقد اتجه بعض العلماء في تبرير ذلك إلى صعوبة التوجه بالسفن من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض بسبب التيارات البحرية الشديدة في منطقة بوغاز باب المندب . ولكن الصلات المصرية البشرية الحامية ،وأيضاً الجوانب الحضارية مع شرق إفريقيا وبصفة خاصة مناطق الصومال ،في طلب البخور اللازم للطقوس الدينية المصرية لتؤكد قدم تلك الصلات التي استخدمت فيها الطرق البحرية والبرية . وتنطبق أيضاً حقيقة الاتصال بالصومال على العناصر السومرية لغرض استيراد البخور اللازم للطقوس الدينية . ويصعب حسم هذا الإشكال دون إجراء الحفائر لاكتشاف تلك المحطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية وكذلك سواحل البحر الأحمر للوصول إلى حل نهائي له . ولم تقتصر الصلات الخارجية العراقية القديمة على كل من مصر والسند بل لقد اتجهت إلى عيلام وإيران وغيرها من مواقع الشرق الأدنى مما يؤكد حقيقة انتشار الحضارة السومرية وتسويق منتجاتها التجارية والمتضمنة مؤثراتها الحضارية في المنطقة المحيطة . وقد تفوق الانسان السومري في المجالين المادي والفكري حيث صنع كافة احتياجاته من الأدوات والأواني المختلفة التي اعتمد فيها على المواد المحلية والمستوردة بجانب تطويره العمارة المبنية من الآجر المحلي الخاصة بمساكنه ومعابد الآلهة ، كما تفوق

في الانتاج الفني كالنحت والنقش ، أنظر شكل رقم(٦١) وقد جمع مجتمع جمدة نصر بين العناصر السومرية بصفة خاصة وبـين العناصر السامية ، وذلك في المدن التي بدأت تتطور في كافة الشئون المدنية والسياسية والدينية .



شكل (٦١)
نحت متقن للغاية لسيدة عثر عليه في الوركاء وينتمي لعصر ما قبيل الكتابة

وفيما يتعلق بمراحل عصور ما قبيـل الأسرات في كل من فلسطين وسوريا ولبنان والهضبة الإيرانية والأناضول فيلاحظ أن التطور الحضاري قد سار متمشياً لحد كبير مع التطورات الحضارية المنبعثة بصفة خاصة من كل من مصر والعراق القديم ، فقد كانت السيادة الحضارية في تلك المرحلة متركزة بصفة خاصة في هذين المركزين السالفي الذكر . ولكن لا يعني ذلك انعدام الطابع المحلي الخاص بتلك الحضارات الأخرى بل لقد كان لها تطورها المحلي ولكنها خضعت للمؤثرات الحضارية المصرية والعراقية . وتتميز تلك المرحلة بازدياد نطاق الصلات التجارية والحضارية وبصفة خاصة في عصر ماقبل الأسرات الأخير ، مما أتاح فرصة التأثر بالحضارة المجاورة . ويتمثل عصر ماقبل الأسرات الأخير في فلسطين في المرحلة الأولى من بداية عصر البرونز Early Bronze I ،ويصطلح عليه أيضاً بتسميات أخرى مثل عصر الحجر والنحاس الأخير Late Chalcolithic ،

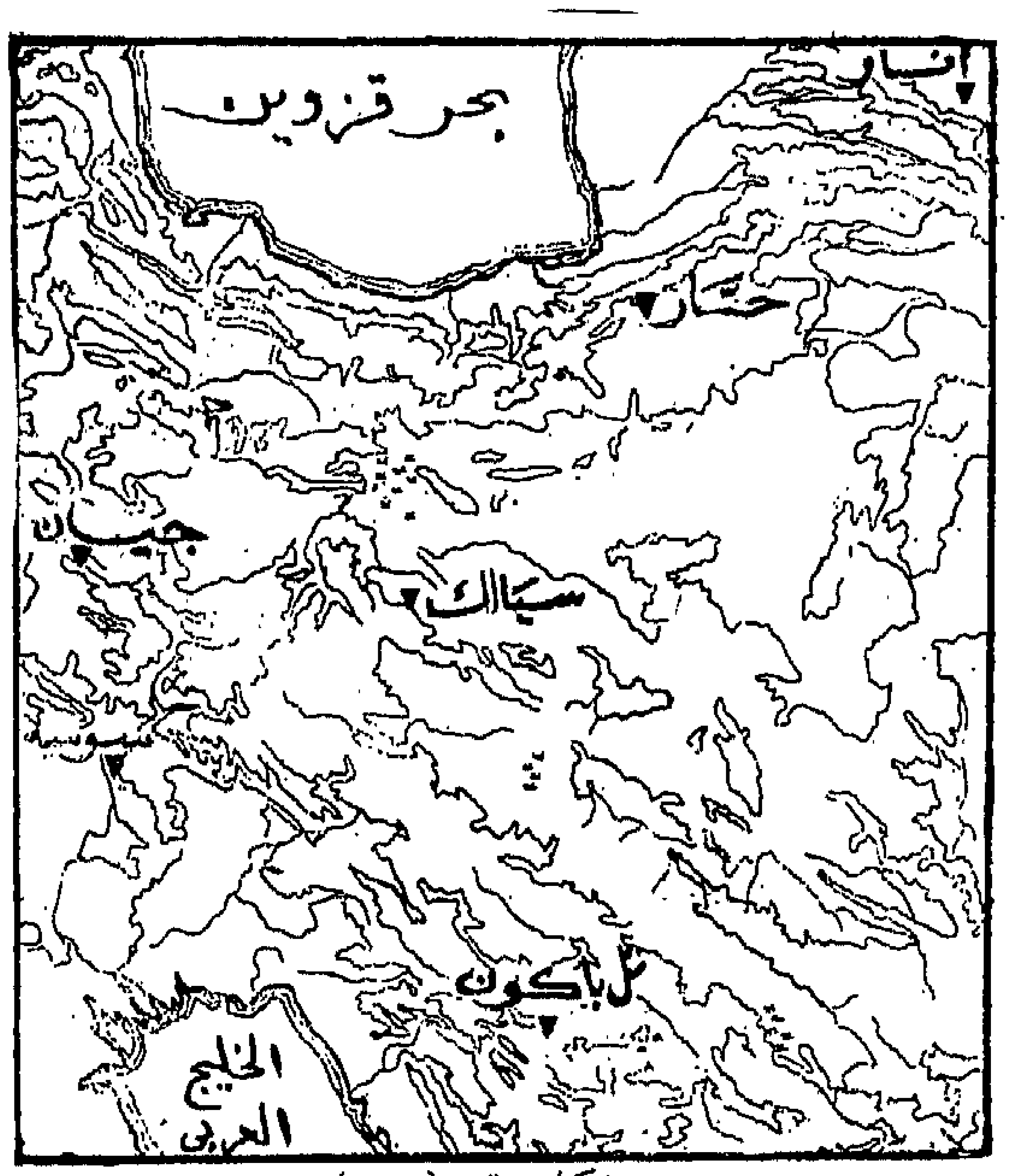
كما تتجه كنيون(١) Kenyon إلى استخدام تعبير ما قبيل المدني Proto-Urban بالنسبة اليه. ومن أهم آثار ذلك العصر الأواني الفخارية المتميزة بالخطوط المتموجة والمتقاطعة ، هذا بالإضافة إلى عمارة المنازل والمعابد والمقابر وذلك بصفة خاصة في كل من مجدو وجريكو وخربة كرك . وقد حملت المقابر الصفة الجماعية التي سبقت الإشارة اليها . وبينما استمر استخدام ظاهرة الحيطان اللبنية السميكة (٢) في بعض المواقع مثل خربة كرك ، والتي تحيط بالقرى كمظهر دفاعي ، مثلما سبق أن اتجه انسان العصر الحجري الحديث إلى استخدامها ؛ يلاحظ أن ذلك لم يكن سائداً في كافة المواقع . والحقيقة أن حضارة تلك المرحلة قد تميزت بظاهرة التعدد والمزيج الحضاري ، ويغلب أن ذلك يرجع إلى وفود مجموعات بشرية جديدة تحمل أنماطاً حضارية مختلفة .

أما بالنسبة إلى سوريا ولبنان فقد استمر انسان تلك المنطقة في إنتاجه الحضاري كما يتضح في طبقات تلال العمق وبصفة خاصة الطبقة F وبيبلوس٤ . ويمكن تلمس اتصال حضارة العمق وبيبلوس بالمؤثرات الحضارية العراقية وبصفة خاصة حضارة جمدة نصر ، هذا بالإضافة إلى اتصالها بحضارات فلسطين ومصر ، ويلاحظ ذلك في الصناعة الفخارية برسومها الهندسية والحيوانية والانسانية وكذلك في انطباعات الأختام العظمية والحجرية .

أما بالنسبة للهضبة الإيرانية فيتمثل عصر ماقبل الأسرات الأخير في سيالك ٤ ، أنظر شكل رقم (٦٢) . وقد تابعت تلك الحضارة تطوراتها في كافة المجالات ولكنها تميزت في تلك المرحلة بفخارها المزين بالرسوم الحيوانية المتناسقة والتي تنم عن تفوق ملحوظ في التعبير الفني ، أنظر شكل (٦٣) و (٦٤) .

---

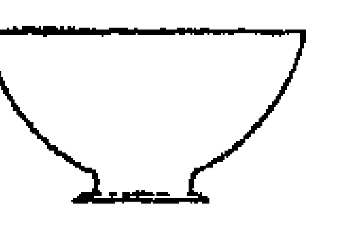
(1) Kenyon, K., Archaeology in the Holy land, London, 1965, p. 99.
(2) Albright, W., The Archaeology of Palestine, London, 1960, p. 72.



شكل رقم (٦٢)
بعض المواقع الرئيسية في عصور ما قبل التاريخ
في الهضبة الايرانية









شكل رقم (٦٣)
أمثلة من الأواني الفخارية في سوسه (السوس)



شكل رقم (٦٤)
مثال لفخار برسبوليس وتظهر فيه الزخرفة المعتمدة على أشكال قرون الوعل

وينبغي الإشارة إلى أن انسان تلك الحضارة قد توصل إلى اختراع عجلة الفخار ، كما استخدم أيضاً اللبن المستطيل الشكل وظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة ؛ هذا بالإضافة إلى صناعته الأدوات النحاسية والأختام ذات الانطباعات الهندسية وتشكيله التماثيل النسائية الصغيرة التي تعبر عن اتجاهاته الدينية بالنسبة لظاهرة الانتـــاج .

أما في منطقة الأناضول فلم تتطور الحضارة في ذلك العصر بدرجة ملحوظة تناظر المراكز الحضارية المجاورة . وفي المغرب استمر انسان تلك المرحلة في حضارة العصر الحجري الحديث . وقبل تحليل نتائج الدراسة المقارنة لتراث تلك المرحلة تلزم الإحاطة بمعالم الانتقال إلى بداية العصر التاريخي في المنطقة .

د ـ معالم عملية النقلة إلى بداية العصر التاريخي :

تتجسم معالم النقلة إلى بداية العصر التاريخي في عدد من الظواهر البيئية والفكرية الهامة التي أدت إلى هذا الانتقال الحاسم في حياة الانسان من مرحلة الحضارة إلى مرحلة المدنية . وتنطبق تلك الظواهر على أقاليم منطقة الشرق الأدنى القديم ، مع التفاوت في فاعليتها من إقليم إلى آخر ، ولكن يلاحظ توفر بعض الظواهر

المشتركة وبصفة خاصة في الجوانب الفكرية بين كافة تلك الأقاليم . ولا شك أن تلك النقلة لم تكن عملية ثورية في يوم وليلة بل لقد استغرقت خطوات طويلة تجمعت فيها عناصر تلك الدفعة الانتقالية إلى أن برزت معالم النقلة بصورة حاسمة بعد وصول تلك المجتمعات إلى مرحلة النضوج الموفر لاحداث ذلك الانتقال .ولكن هذه التطورات الحضارية التدريجية التي مهدت في خط سيرها الطويل إلى إحداث عملية النقلة إلى بداية العصر التاريخي لم تحل دون تواجد بعض الظواهر الخاصة المميزة بشكل مباشر لعملية النقلة بالذات . ولقد شعر المؤرخ القديم المعاصر سواء كان في الحضارة المصرية أو الحضارة السومرية بحقيقة التأثير الفعال لتلك الظواهر المميزة لعملية النقلة ، إلى درجة اتخاذه إياها كخط فاصل بين مراحل ماقبل التاريخ وبداية العصر التاريخي ، واستخدامها في وثائقه كتقويم يحدد على أساسه الأحداث السالفة واللاحقة .

ويمكن القول بأن حوادث الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة في العراق القديم كانت من أهم وأخطر الحوادث التي تعتبر مميزة لبداية العصر التاريخي في بلاد الرافدين ، أما الحادثة المميزة لتلك النقلة في مصر القديمة فهي حادثة تحقيق الوحدة السياسية بين الجنوب والشمال في وادي النيل الأدنى وتكوين أول دولة متحدة في كافة المجالات السياسية والحضارية والفكرية . كما تعبر هاتان الظاهرتان بوضوح عن أصول المفاهيم السومرية من ناحية والمصرية من ناحية أخرى . فقد كانت عملية النقلة إلى بداية العصر التاريخي في العراق القديم عملية بيئية بحتة وغير مطمئنة للانسان ومصيره مما أدى إلى اعتبار هذه الحقيقة عماداً تدور حوله الحضارة العراقية القديمة . بينما كانت حادثة الوحدة السياسية في بداية التاريخ المصري القديم مؤكدة استقرار الانسان واطمئنانه وتوطيد كيانه السياسي وتكوين وتشكيل مدنيته على ذلك المفهوم الواضح طوال العصر الفرعوني .

وهناك بعض الظواهر المميزة لتلك النقلة والمشتركة لحد كبير في كافة عمليات

الانتقال إلى بداية العصر التاريخي من وجهة نظر المدرسة التاريخية وأهمها التوصل إلى التعبير بالرموز . فالكتابة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات في كافة المعاملات التجارية والخاصة وأيضاً في تحرير الوثائق الحكومية وتنظيم شؤون الدولة . وقد توصل الانسان في كل من مصر والعراق إلى هذه الظاهرة الفكرية الهامة واخترع الكتابة الصورية الهيروغيليفة في مصر والمسمارية السومرية في العراق القديم . ويبدأ الكاتب في التعرض إلى تلك الظواهر المختلفة من حيث فاعليتها ونتائجها ، ويبدأ بظاهرة الطوفان .

أول حقيقة يلمسها المؤرخ في طبيعة بلاد الرافدين هي أهمية العوامل البيئية المائية والأرضية والجوية منذ البداية . ولم يكن المؤرخ السومري بعيد الذهن عن تلك الحقيقة عندما عزم على تأريخ سجل الحياة السومرية متخذاً إحدى الظواهر البيئية المحلية مقياساً يحدد المراحل السابقة واللاحقة للعصر التاريخي . فظاهرة الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة ظاهرة بيئية متكررة في العراق كما هي ملموسة أيضاً في عدد من المجتمعات الأخرى ذات القوى المائية التي يحاول الانسان التحكم فيها . ولذلك كان من الطبيعي أن يهتم الانسان في بلاد الرافدين بتسجيل تلك الظاهرة الهامة في حياة إقليمه . كما اتجهت أيضاً بعض المجتمعات الأخرى في الهند وبورما والصين والملايو واستراليا وجزر المحيط الهادي وأيضاً مجتمعات الهنود الحمر(١)إلى تسجيل قصص الطوفانات في أدبهم . ولم تكن أحداث الفيضانات الكبيرة باليسيرة على المجتمع الانساني لأنها كانت تهدد كيانه تهديداً مباشراً بل ومصيره أيضاً بعد ذلك . ولذلك اتجه بمفهومه الديني في ذلك الوقت إلى محاولة تفسير تلك الظاهرة تفسيراً دينياً يساعده على بعض الاستقرار الذهني بالنسبة إلى بيئته غير المستقرة . ومن هنا اتجه المؤرخ السومري إلى تسجيل تلك الظاهرة واعتبارها حدثاً تاريخياً هاماً في حياة السومريين بل

(1) Sollberger, E., The Flood, London, 1962, p., 11.

واعتبرها خطاً فاصلا يحدد النقلة الحاسمة بين عصور ما قبل التاريخ وبداية العصر التاريخي .

وتنبغي الإشارة إلى أن هذه الحادثة لم يقتصر الأدب السومري على الاشادة بها بل لقد التزمت بها أيضاً الآداب السامية الأكدية والبابلية والآشورية وطبعتها بالطابع السامي المتفق مع مدنياتها السامية . ولكن أصول تسجيل تلك الظاهرة ترجع إلى النصوص السومرية الأولى . فقد عثر على جزء من نص الطوفان السومري والذي سجل على جزء من اللوحة الطينية — وهو الثلث السفلي فقط في اللوحة ، وقد فقدت المقدمة والنهاية الخاصة بذلك النص — ويقدر عدد الأسطر التي يتكون منها النص في جملته حوالي ثلاثمائة سطر لم يعثر إلا على حوالي مائة منها فقط ، ومع ذلك فتعطي بقية النص صورة أساسية عن مضمون نص الطوفان السومري . ويشتمل النص على عدة موضوعات تتعلق بخلق العالم والبشر وبداية الاستقرار على سطح الكرة الأرضية ، ثم يتجه الكاتب السومري بعد ذلك إلى ذكر غضب الآلهة على البشر وتصميمها على تدمير البشرية بواسطة الطوفان . ومن الأهمية الإشارة إلى أن تلك الموضوعات تتكرر لحد كبير في النصوص السامية البابلية والآشورية في تعرضها لموضوع الطوفان ، بل إن بعض التفاصيل يلمسها الدارس في النصوص السامية أكثر من النص السومري . ففيما يتعلق بموضوع غضب الآلهة تذكر ملحمة أترام هاسيس Atram-Hasis البابلية أنه بعد خلق العالم وخلق الانسان الأول انزعج الإله انليل من ضجيج البشر وبعث إلى الجمعية العمومية الإلهية برغبته في معاقبة الانسان بكافة الوسائل الاقتصادية والمرضية ، ولكن تلك الوسائل لم تفلح مما أدى إلى اتخاذ قرار تدمير البشرية بالطوفان . وقد تفطن أحد الآلهة وهو انكى إلى هذا الاتجاه وتمكن من إنقاذ رجل واحد على الأقل من عملية التدمير ، وذهب إلى اترام هاسيس الملك التقي في مدينة

شروباك وطلب منه أن يبني سفينة ينقذ بها نفسه وعشيرته وحيواناته (١) ، وكذلك تذكر ملحمة جلجامش Gilgamesh بعض تفاصيل قصة الطوفان . وقد عثر على هذا النص الذي يتضمن الكثير من القصص السومري الأصل ولكن في قالب سامي ، في مكتبة الامبراطور آشور بانيبال في نينوى ، وترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وكذلك في نصوص أكدية ترجع إلى حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وفي ترجمة حيثية عثر عليها في أرشيفات بوغاز كوي ، وفي جزء من لوحة حورية ، ولكن تاريخ الملحمة يرجع إلى الألف الثاني ق . م . ويذكر النص السومري شخصية ملك تقي هو Zi-U-Sudra زيو سدرا ، وكان هو الشخص الذي اتجه الإله انكى إلى انقاذه من ذلك الطوفان وأشار اليه بضرورة بناء سفينة لانقاذه وعائلته . ويتعرض النص السومري بعد ذلك إلى حادثة الطوفان من حيث كيفية حدوثها ، وذلك عندما اشتدت الزوابع التي صحبت الطوفان والتي جرفت ما أمامها من مدن وقرى ، واستمرت مدة سبعة أيام بلياليها ، ولكن زيو سدرا قد تمكن من النجاة هو وعشيرته بعد ركوبه تلك السفينة ، وقد منحت الآلهة زيو سدرا صفة الخلود وسمحت له بالسكنى في دلمون Dilmun ، أنظر شكل رقم (٦٥) .

وقد اختلف العلماء في التعرف على أرض دلمون ، فأتجه البعض إلى اعتبارها جزيرة البحرين في الخليج العربي ولكن الحفائر هناك لم تثبت بصورة قاطعة هذا الرأي ، ومن ناحية أخرى يتجه كريمر (٢) Kramer إلى امكانيـة تعريفها بمنطقة وادي السند .

---

(1) Sollberger, E., Ibid, p. 24 f.

(2) Kramer, S.N. «The Indus Civilization and Dilmun, the Sumerian Paradise Land», Expedition, Philadelphia, 1964, p. 45.

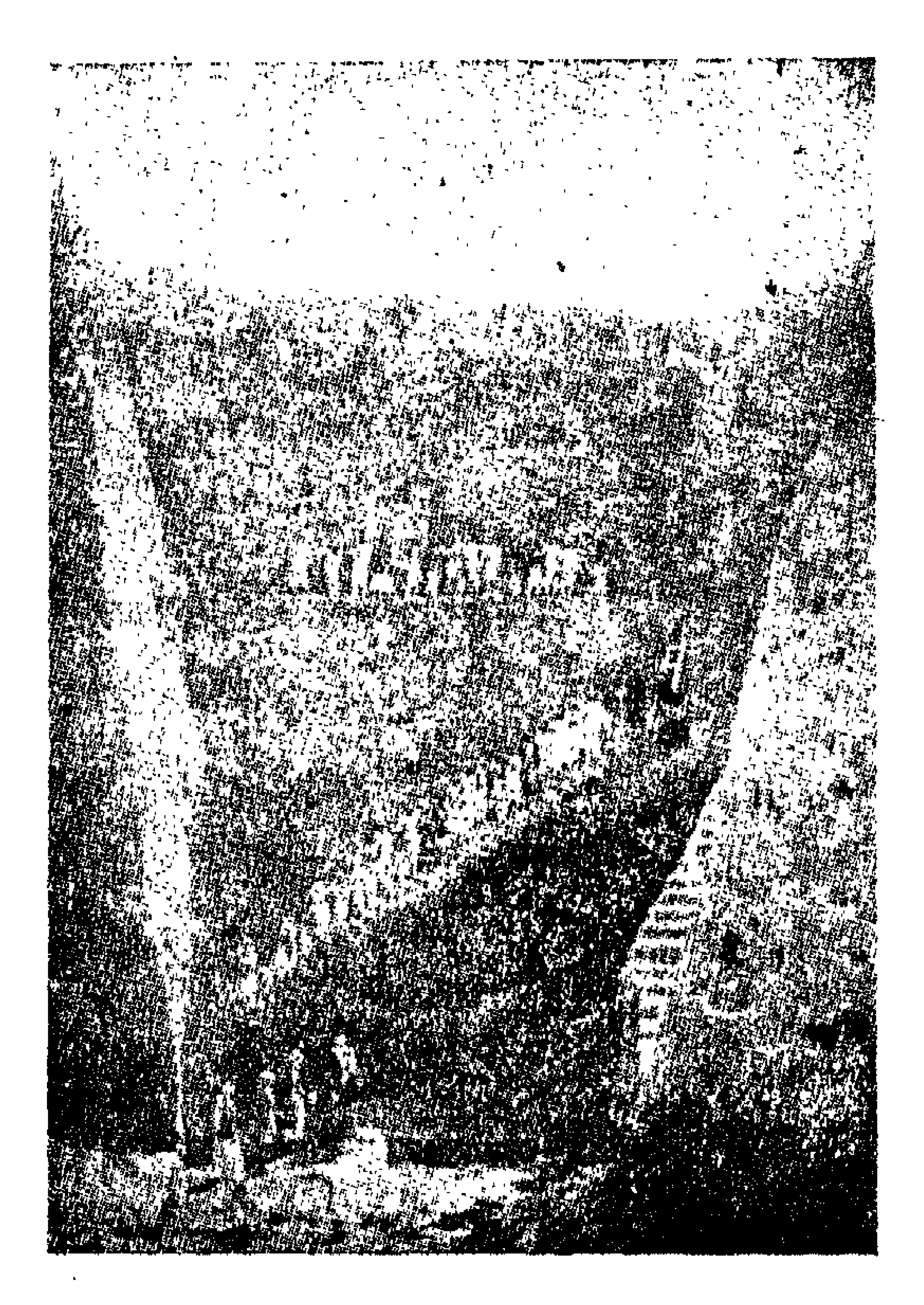
ti dingir-gin$_x$ mu-un-na-si-mu
zi-da-rí dingir-gin$_x$ mu-un-<na>-ab-e$_{11}$-dè
u$_4$-ba zi-uḍ-sud$_x$-rá lugal-àm
mu-níg-gilim-ma numun-lú-lu$_7$ uru-ag
kur-bal kur-dilmun-na ki-^{d}utu-è-sè mu-un-ti-es

شكل رقم (٦٥)

نسخة من الأسطر الأخيرة للوحة الطوفان مع الدلالة الصوتية وترجمتها العربية وهي :
مثل إله قد أعطوه (الإلهين آن وانليل اللذين أعطوه) ،
النفس الأبدي مثل إله قد أنزلوه إليه ،
وعلى ذلك زيوسدرا ، الملك ،
حافظ اسم الزراعة وبذرة البشرية ،
وفي أرض العبور ، أرض دلمون ، المكان حيث تشرق الشمس أسكنوه .

وتنبغي الاشارة إلى اختلاف الشخصية الرئيسية التي ذكرتها النصوص السومرية والسامية رغم اتفاقها في موضوع الطوفان ، فالنص السومري يطلق عليه زيو سدرا والنص الأكدي يطلق عليه اتنابشتيم Utnapishtim وأحياناً أترام هاسيس Atram-Hasis ، وفي التقليد الهلينستي اكسيسوثروس Xisuthros ، وهي الشخصيات الانسانية المرادفة مع الفارق لسيدنا نوح عليه السلام . ومن الأهمية القول في هذا الصدد إلى أن تراث الشرق الأدنى القديم يتضمن الكثير من الموضوعات الانسانية التي تعرضت إليها الكتب المقدسة ، ولا يعني هذا بأية حال من الأحوال اعتماد تلك الكتب المقدسة على التراث الانساني بل لقد ذكرتها على سبيل الوعظ والإرشاد السماوي الحكيم للمجتمع الانساني .

ومن الناحية الأثرية عثر وولى Woolley (١) في حفائره في أور على طبقة من الغرين السميك الذي يقدر بحوالي ثمانية أقدام والذي اعتبره دليلاً مادياً على الطوفان السومري نظراً لكثافة تلك الطبقة الغرينية : أنظر شكل رقم (٦٦) ، وتوافقها الزمني إلى حد كبير مع النصوص السومرية. لكن يلاحظ أن الآثار الواقعة فوق وتحت الطبقة الغرينية تنتمي إلى عصر حضارة العبيد ، وهذه تمثل عصر ما قبل الأسرات الأول في جنوب العراق . وقد اتجه وولى إلى الحفر في موقع قريب من أور يبعد حوالي ثلاثمائة ياردة إلى الشمال الغربي للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية ، فتأكد لديه ذلك عندما وصل في الحفر إلى تلك الطبقة ، وعلى ذلك اتجه إلى القول بوجهة نظره في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة ، ولكن الواقع أنه لا ينبغي الجزم بصورة حاسمة في هذا الشأن فان جنوب العراق



شكل رقم (٦٦) يمثل منظر الفجوة
التي عثر في جزئها السفلي على طبقة الغرين السميك

(1) Woolley, L., Ur of the Chaldees, London, 1950, p. 21, ff.

القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفانات ، فقد عثر على أدلة غرينية أخرى لفيضان كبير في شروباك وينتمي إلى نهاية عصر جمدة نصر ، وفيضان آخر في كيش متأخر زمنياً عن الفيضان السابق . وإذا حاول الدارس المقارنة بين تلك الفيضانات وأيهما هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، فيصعب البت بصورة نهائية في هذا المشكل ، فبينما فيضان شروباك يعتبر قريباً من مضمون نص قائمة الملوك السومرية التي أشارت إلى مدينة شروباك كآخر مدينة قبل حادث الطوفان (١) ، فإنه من ناحية أخرى يلاحظ أن طوفان أور ذو الطبقة السميكة للغاية ليسترعي الانتباه بصورة خاصة ولا ينبغي إستبعاده كلية ، إلى أن تتفتح الأدلة الأثرية بصورة أكثر وضوحاً . هذا بالإضافة إلى أن عدم العثور على الطبقة الغرينيةالموازية (٢) في كافة المدن السومرية ، لمما يدفع إلى الاتجاه باحتمالية كون الطبقة الغرينية التي كشف عنها وولى في موقع أور هي مجرد ترسيب محلي وليست لها الصفة الشاملة من ذلك كله يتبين أن تلك الحادثة البيئية المحلية كان لها تأثيرها البالغ في المجتمع السومري مما أدى إلى اتخاذها كعلامة نقلة نحو بداية العصر التاريخي .

ظاهرة ثانية هامة تميز عملية النقلة هي التوصل إلى الكتابة الصورية في الشرق الأدنى القديم وبصفة خاصة في كل من العراق ومصر . أما في العراق القديم فترجع بوادر تلك الظاهرة إلى عصر ما قبيل الكتابة Protoliterate وهي المرحلة المتضمنة لحضارتي الوركاء وجمدة نصر ، حيث عثر على بعض

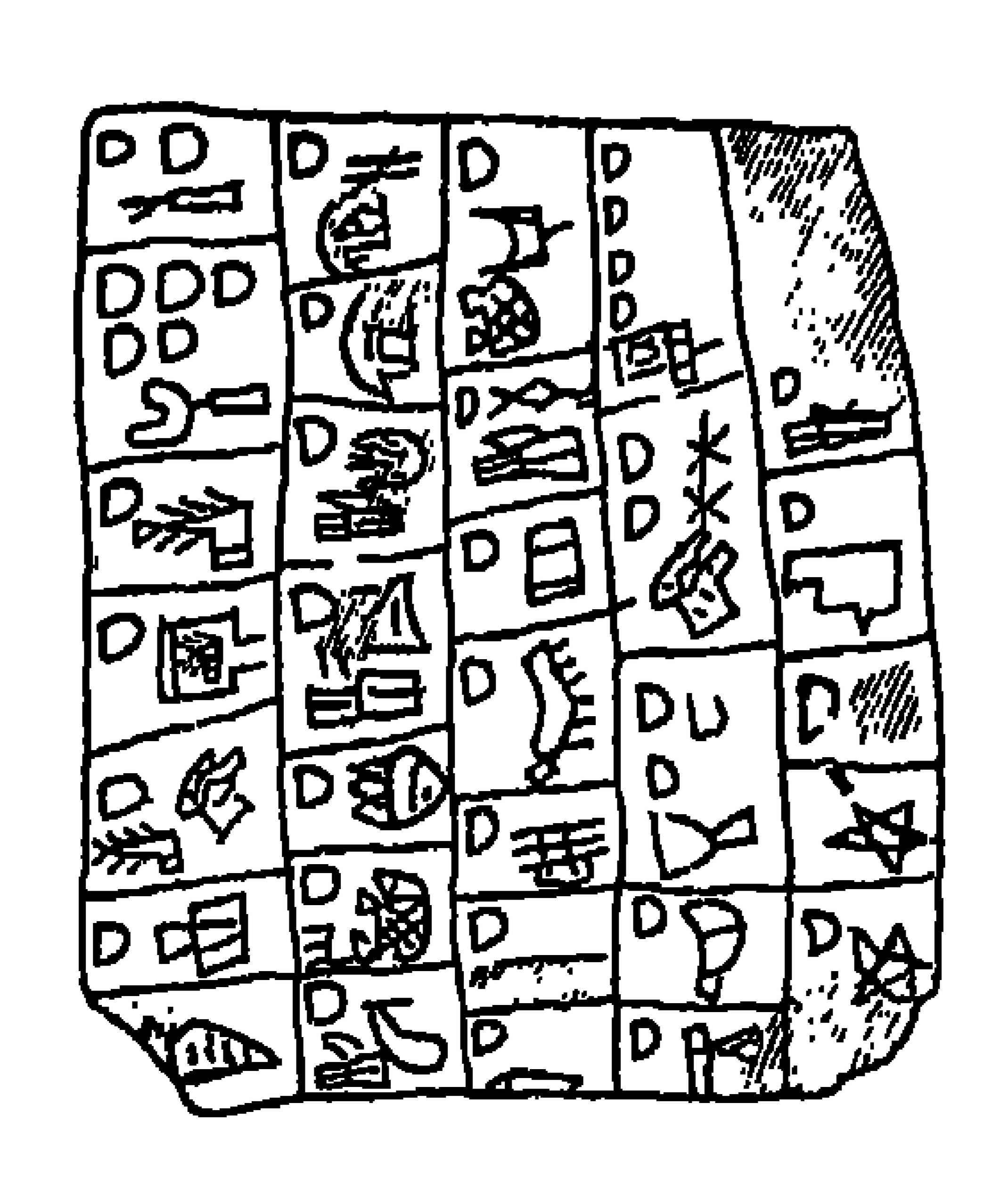
(1)Finegan. J., Light from the Ancient, Past, the archeologica Background of the Hebrew-Christian, Religion, Princeton, 1946, p. 24.
(2)Saggs, H. W. F., op. cit., footnote, pp. 34, 35.

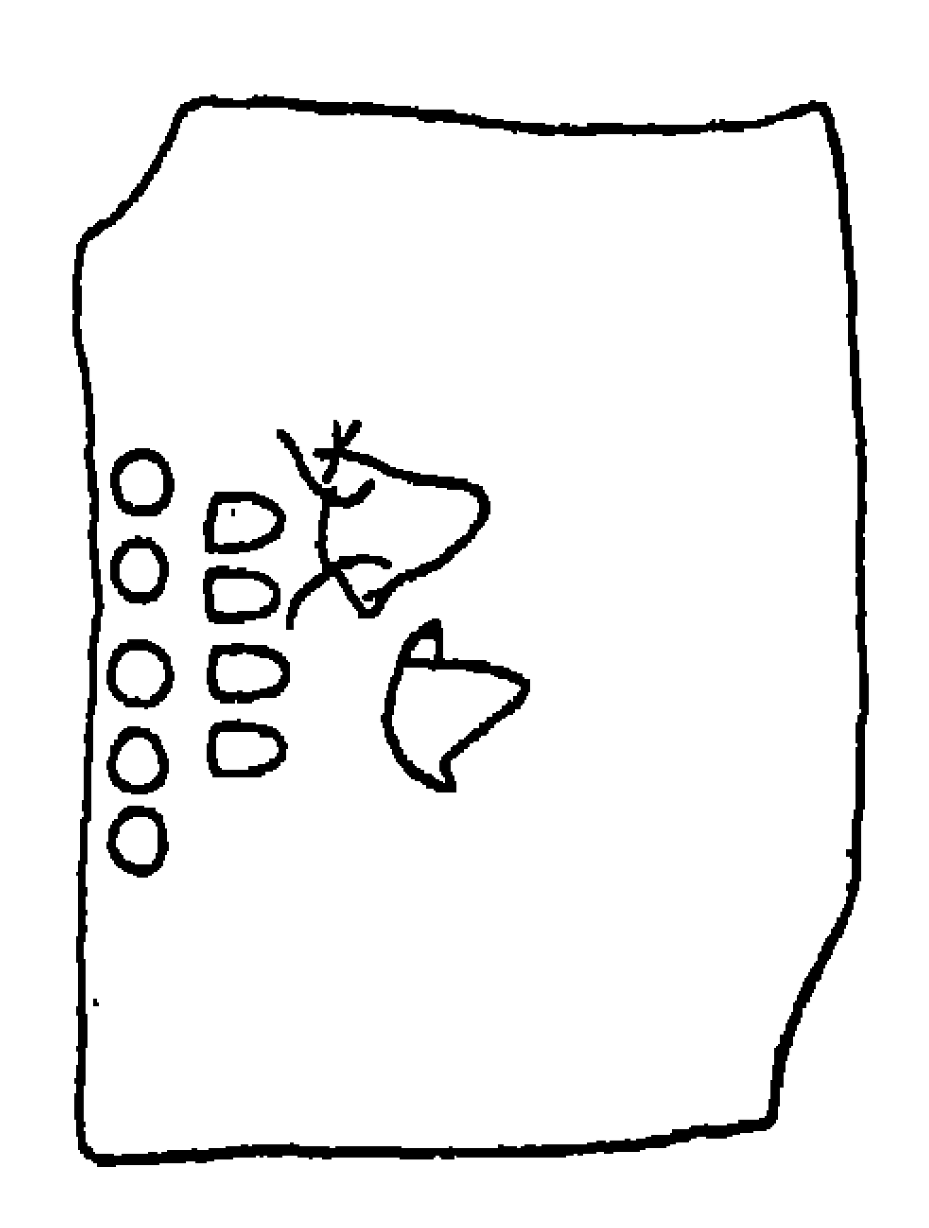
اللوحات الطينية في الطبقات الرابعة والثالثة والثانية في الوركاء ، ولوحات أخرى في كل من كيش وجمدة نصر سجلت عليها بعض الصور ، وكذلك رموز لاعدادها مما يؤكد الدافع الاقتصادي في عملية التوصل إلى اختراع الكتابة ، كضرورة ملحة استوجبتها المعاملات التجارية بجانب الدافع الديني التعبيري عن القوى الإلهية ، حيث كان للمعابد أولوية خاصة في المجتمع

طاس
سمكة
حمار
ثور
شمس
قمح
بستان
محراث
سلاح خشبي
قدم

شكل رقم (٦٧)
أمثلة لتطور الكتابة الصورية إلى الخط المسماري

السومري . وقد كانت الكتابة في مرحلتها الأولى صورية بحتة وسرعـــان ما تطورت في المراحل التالية عندما تطلبت عمليات النمو الحضاري ذلك التطوير انظر شكلي (٦٧) و(٦٨) . وكانت الكتابة في بدايتها من الجهة اليمنى





شكل رقم (٦٨)

مثال مبكر لبداية التعبير بالرموز ينتمي إلى عصر حضارة الوركاء وهو لوحة تعتبر بمثابة دفتر حسابات

العليا وتتجه إلى أسفل كما كانت الصور أيضاً تتجه نحو اليمين ، ولكن استخدام اللوحات الطينية أدى إلى ضرورة دوران اللوحة قليلاً حتى يكون الكـــاتب مرتاحاً في عملية التسجيل مما نتج عنه ميل الصور ذاتها ، وترتب عـــلى ذلك إستخدام الخطوط المستقيمة مما أدى إلى نشأة الخط المسماري Cuneiform ، وهذه الكلمة مشتقة من Cunues بمعنى إسفين أو مسمار . وهـــذه الرموز المسمارية إما رأسية أو أفقية أو مائلة وقد اتجه بعض الكتاب مثل فرانكفورت Frankfort وساجز Saggs وجلب Gelb إلى الاعتقاد بأن فكرة الكتابة عند السومريين قد أثرت على الكتابة الهيروغليفية المصرية وذلك في أثناء عملية التأثيرات الحضارية السومرية عن طريق البحر الأحمر في عصر ما قبـــل الأسرات الأخير (١) . ولكن رغم تقبل وجود صلات حضارية من جانب

(1) Saggs, R. W.F., Ibid., p. 27.
Gelb, I. J., A study of writing, The foundations of Grammatology, London, 1952. p. 215.

السومريين تجاه مصر القديمة في عصور ما قبيل التاريخ ، فإن ذلك لا يصل إلى درجة القول بوجود مؤثرات فكرية سومرية في المجتمع المصري القديم ، وبصفة خاصة في مجال التعبير بالرموز (١) ، فالكتابة الهيروغيليفية المصرية ترجع أصولها إلى البيئة المحلية البحتة كما يتبين من دراسة صورها الأولى ، انظر شكل (٦٩) على كافة الأدلة الأثرية وعلى سبيل المثال الأواني الفخارية المصرية في عصور ما قبل الأسرات والتي تؤكد دراستها أنها مستوحاة من البيئة المحلية . وقد توصل المصريون إلى فكرة الكتابة كغيرهم من الشعوب الأخرى للحاجة التعبيرية الماسة للمعاملات التجارية والدينية . ويلاحظ أن الخط البياني الذي اتجه جلب Gelb (٢) إلى التوصل إليه والمتجه نحو تأييد وجهة النظر القائلة بالأصل السومري لا يوجد به دليل قاطع يبين الصلة المباشرة بين الهيروغليفية المصرية والمسمارية السومرية ، بل إنه مجرد اتجاه في الرأي غير نهائي . والكتابة تعبير عن المفاهيم والمستوحيات المحلية ، فبينما توصل المجتمع المصري القديم إلى الخط الهيروغليفي المصري فقد توصل المجتمع الحيثي إلى الخط الهيروغليفي الحيثي ، وليست هناك أية اتصالات أو مؤثرات حضارية بين الطرفين في هذا النطاق التعبيري . وكانت الكتابة خطوة فعالة نحو نقل المجتمع من الحياة العامة إلى مرحلة أكثر تنظيماً وتسجيلاً لكافة جوانب نشاطه مما أدى إلى دفع حياته نحو بداية العصر التاريخي .

أما في المجتمع المصري القديم فقد كانت تلك النقلة تتميز بعملية سياسية بحتة هي التوصل إلى الوحدة السياسية بين الصعيد والدلتا . وقبل الاحاطة بمعالم عملية الوحدة السياسية المصرية القديمة يلزم التعرف على المقومات الرئيسية التي أدت إلى اختلاف عملية النقلة إلى بداية العصر التاريخي في كل من مصر وبلاد الرافدين . ويدور أساس تلك المقومات حول نقطة نفسية حاسمة

---

(1) El-Nadoury, R., « A Note on the Idea of Writing in Egyptian Hieroglyphic and Sumerian Cuneiform,» Bull. of the Fac. of Arts, Univ. of Alex., Vol. 20, 1966,

(2) Gelb, I. J., Op. cit., 1.



شكل رقم (٦٩)
رموز هيروغليفية مصرية معبرة عن صور انسانية وحشرية وحيوانية ونباتية
مستمدة من البيئة الطبيعية المصرية القديمة

في مشاعر المجتمعات الانسانية القديمة ، تلك النقطة هي البحث عن الاطمئنان على كفايته الانتاجية ومصيره بعد الموت الدنيوي ؛ وقد توصل انسان الشرق الأدنى القديم في هذا الصدد إلى التعرف بصورة مستقرة على بعض القوى الالهية التي تضمن له ذلك الاطمئنان والاستقرار الذهني والمادي .

وقد تحقق له بصورة مثالية هذا النوع من الاستقرار في مصر القديمة ، ولذلك كان المجتمع متجانساً مع بيئته بكافة مقوماتها المائية والأرضية والجوية مما حقق له تكاملاً فريداً في نوعه عمل على تنفيذه في المجالات الماديةوالفكرية. فقد اعتقد الانسان المصري القديم في حقيقة ذلك التكامل الدوري المنتظم الذي يلمسه في دورة الحياة والموت المنتظمة في الحياة النباتية والحيوانية والبيئية الشمسية والنهرية فآمن بكونه سائراً متمشياً مع تلك الظاهرة الأبدية في مصر القديمة ولذلك تحقق لديه ذلك الاطمئنان المتجسم في حقيقة الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر ، وتقبل الملكية الإلهية بل وعمل على ربطها بالقوى الإلهية حتى تكفل له ضمان ذلك الاطمئنان في مجامعها المقدسة . ولذلك شعر بضرورة تكامل ذلك التجانس في حياته السياسية أيضاً ، فعمل على تحقيق دولة متحدة قرب نهاية عصور ما قبل الأسرات ونجح في ذلك السبيل بصورة حاسمة بادئاً العصر التاريخي بالأسرة المصرية الأولى . أما في المجتمع العراقي القديم ، فقد كان الانسان يلمس بصورة مباشرة حقيقة عدم الاستقرار البيئي ، كما يتضح ذلك في اختلاف مواعيد الفيضانات في دجلة والفرات ، وتعدد العناصر البشرية وعدم الاستقرار البيئي في الجنوب ، والصراع الدائم بين المياه العذبة والمالحة ، مما أدى إلى صعوبة اطمئنانه ، وتجسيمه بعض القوى المتحكمة في الزوابع والعواصف في باكورة القوى الإلهية ، مثال ذلك الإله السومري انليل . وكذلك كانت تلك الصعوبات البيئية عاملاً مؤثراً في حياته إلى درجة اتخاذه ظاهرة الطوفان ، وهي ظاهرة بيئية محلية كعلامة



شكل رقم (٧٠) رأس الملك نعرمر

تميز بداية العصر التاريخي؛ومن ناحية أخرى لم يتوصل الانسان العراقي القديم إلى الايمان بعقيدة الخلود بصورة مماثلة للانسان المصري القديم ، بل قصرها على الآلهة . كل ذلك يوضح مدى فاعلية المؤثرات البيئيـــة في تشكيل العمليات التاريخية السياسية والفكرية والفنية والدينية في حياة انسان تلك المنطقة .

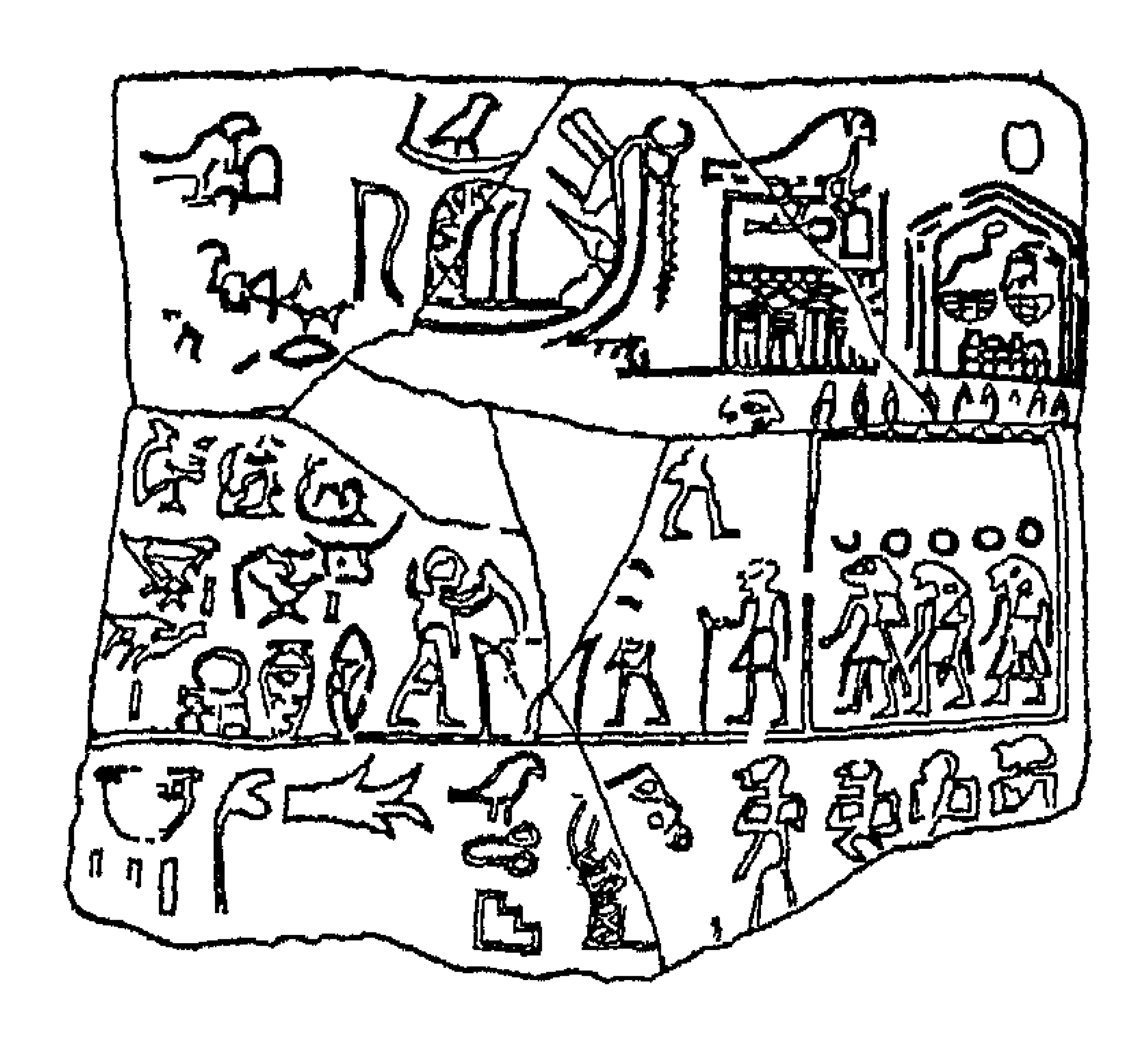
أما عن حادثة التوحيد السياسي بين مملكتي الشمال والجنوب في مصر قرب

نهاية عصور ما قبل الأسرات وبداية العصر التاريخي ، فقد اختلف العلماء في تفاصيل أحداثها ولكن الدراسة المقارنة لآثار الملوك نعرمر وحور عحا ومينا وعقرب تدل على أن التحقيق الكامل للتوحيد قد تم فعلاً في عهد الملك حور عحا الذي يمكن اعتباره على هذا الاساس أول (١). ملوك الأسرة المصرية الأولى . وهناك عدد من الأدلة الأثرية التي تسند هذا الرأي من أهمها حقيقة تواجد مقبرة حور عحا الشمالية في سقارة وهي جبانـة منف العاصمة الأولى للدولة المصرية المتحدة ، مع عدم تواجد أية آثار حتى الآن للملك نعرمر في سقارة . ولكن لا يعني ذلك أن كل الجهود المبذولة في سبيل تحقيق التوحيد السياسي بين الشمال والجنوب قد تمت في عهد حور عحـا ، بل لقد سبقت ذلك جهود طويلة حربية في عهود نعرمر وعقرب . وإن آثار نعرمر ، أنظر شكل رقم (٧٠) ، وعلى رأسها لوحته الشهيرة المصنوعة من حجرالشست الأخضر ، أنظر شكلرقم (٧١) ،ومقمعة نعرمر وكذلك مقمعة الملك عقرب لتثبت بعض العمليات التي حدثت في سبيل التوحيد السياسي ، كما أن زواجه من الأميرة الشمالية الأصل نيت حوتب ليدل أيضاًعلىمحاولته تدعيم الوحدة السياسية بالزواج السياسي . ومن الآثار الهامة في هذا الصدد أيضاً الرقعـة العاجية التي سجل عليها الاسم الحوري للملك حور عحا ،انظر شكل رقم(٧٢)، والتي عثر عليها في مقبرة نيت حتب في نقاده . وتمثل تلك اللوحة الاحتفال الخاص بالتوحيد السياسي في عهد الملك حور عحا . وإن حقيقة عدم العثور على أية آثار للملك نعرمر شمال طرخان ليدفع إلى الاعتقاد أنه حاول تحقيق تلك الوحدة السياسية ؛ كما حاولها أيضاً الملك عقرب لحد معين ، ولكن لم تكتمل تلك الجهود كلية إلا في عهـد الملك حور عحا الذي بني العاصمة المصرية الأولى منف ، وكذلك شيد مقبرته الشمالية في سقارة ؛بالاضافة

(1) Emery, W. B., Archaic Egypt, London, 1963, p. 49.



شكل رقم (٧١) لوحة الملك نعرمر



شكل رقم (٧٢) الرقعة العاجية التي عثر عليها في مقبرة نيت حتب في نقاده

إلى مقبرته الجنوبية في أبيدوس . أمـــا عن موقف الملك التقليدي مينا فقد أشارت إليه النصوص الكلاسيكية والآثار المصرية المتأخرة زمنياً ، ويغلب أنه هو حور عحا ، ولكن الحل النهائي لهذا الاشكال لن يأتي قبل استكمال الحفائر في مواقع تلك المرحلة الهامة من التاريخ المصري القديم .

أما بالنسبة لمرحلة الانتقال إلى بداية العصر التاريخي في مجتمعات الشرق الأدنى القديم الأخرى فيمكن ملاحظة ازدياد الصلات التجارية والحضارية بين تلك المجتمعات حتى أنها كانت أقرب إلى الصفة الدولية (١) أثناء تلك المرحلة. والواقع أن تلك الصلات كانت ذات فاعليـــة مباشرة في دفع تلك المجتمعات إلى الانتقال إلى بداية العصر التاريخي . ويتضح ذلك في مجتمعات سوريـــا ولبنان وفلسطين حيث أنها كانت بحكم موقعها الجغرافي على اتصال مباشر وغير مباشر مع كل من بلاد الرافدين ومصر . ولم تقتصر تلك الصلات على الاستيراد

(1) Braidwood, R, J. and Braidwood, L. S., Excavations in the Plain of Antioch, I, the Earliest Assemblages, Phases A-J, Chicago 1960, P. 517.

والتصدير بل أيضاً على الصناعة المحلية المقلدة للصناعات الاجنبيـــة ، ويظهر ذلك على سبيل المثال في الأختام الاسطوانية . ويلاحظ من ناحية أخرى أن وفرة بعض الخامات المعدنية في بيئة الأناضول كان عاملاً مساعداً في استمرار النشاط التجاري معها . وقد عثر في الطبقة س G في تل الجديدة على عدد من التماثيل البرونزية ، أنظر شكل (٧٣) التي تبين تفوق الصناعة المعدنية البرونزية



شكل رقم (٧٣) ستة تماثيل برونزية صغيرة لإناث وذكور من العمق س وتنتمي إلى فترة النقلة إلى بداية العصر التاريخي

في مجتمعات تلك المرحلة. وفي الأناضول يختلف مستوى تلك المرحلة الحضارية من إقليم إلى آخر حيث لا تتوفر الوحدة الحضارية في كافة أرجاء الهضبة الاناضولية ، ويعود ذلك إلى الصعوبات البيئية . أما بالنسبة للصناعة الفخارية فقد استخدم

انسان تلك المرحلة عجلة الفخار . ومن أهم خصائص مرحلة النقلة إلى بداية العصر التاريخي الاتجاه بالمجتمعات إلى المرحلة المدنية فقد بدأت المدن في التكوين والانتشار وتوفرت لديها الأسوار الدفاعية للمحافظة عليها ، ومن أكمل الامثلة الاثرية لذلك مدينة بيبلوس ٤ وبداية بيبلوس ٥ . أما في المجتمعات المغربية فقد استمر انسان تلك المرحلة في العصر الحجري الحديث إلى أن تمكن الفينيقيون من احداث النقلة إلى بداية العصر التاريخي قرب نهاية الألف الثاني قبل الميلاد .

هـ - نتائج التحليل الموضوعي المقارن في المراحل السابقة للعصر التاريخي

يتضح فيما يتعلق بتحليل المادة الأثرية السالفة الذكر ومقارنتها موضوعياً أنه في المجال المادي هناك شبه اتفاق بأن الانسان في كافة أرجاء تلك المنطقة قد توصل إلى تكوين المعالم الرئيسية في الصناعة الفخارية والحجزية والنحاسية والطينية ، كما تمكن من توفير الاحتياجات الرئيسية لمجتمعات القرى الكبيرة التي بدأت تأخذ طريقها في النمو والاتصال الخارجي وزيادة نشاطها الاقتصادي والحضاري . ولكن على الرغم من وجه الشبه العام في ذلك المجال فقد كانت تلك الصناعات تتسم بصفة التعبير الفني بجانب وظائفها الأساسية حيث تضمنت الكثير من الزخارف المستوحاة من البيئة المحلية والتي تعبر عن بعض المفاهيم الفكرية التي بدأت تلك المجتمعات في الاعتقاد فيها . وكان التفوق في ذلك التعبير الفني المبني على القيم الفكرية يتجسم بصفة خاصة في كل من بلاد الرافدين ومصر في تلك الفترة . ولقد كانت حضارات جريكو في فلسطين والعمق أ في سوريا ، وبيبلوس في لبنان ، وتل تشاتال وهساكيلار في الأناضول ، وحضارات مصر والعراق ، متقاربة نسبياً في إنتاجها الحضاري أثناء العصر الحجري الحديث .

ولكن تنبغي الاشارة إلى أن أقدم القرى الزراعية قد نشأت قبل تطور

الصناعة الفخارية ، مثال ذلك جرمو وتل شمشارا شمال شرق العراق وتــل السلطان (جريكو) في فلسطين وخيروكيتيا Khirokitia في قبرص (١) . ورغم ما لذلك من دلالات قوية لمجهودات الانسان في سبيل التوصـــل إلى الاستقرار فإنه يلاحظ من ناحية أخرى أن التوصل إلى الصناعة الفخارية مع الاستقرار والزراعة ليدل على مدى تأثر الانسان بالبيئة واستغلاله لكافة امكانياتها تدعيماً لذلك الاستقرار .

وقد اختلف كل ذلك في عصور ما قبل الأسرات الأخيرة حيث ساعد توصل كل من مصر والعراق إلى التعبير بالرموز ، كما هو متضح في الأختام الاسطوانية العراقيـــة والرموز الصوريـــة الممهـــدة للهيروغليفية المصرية ، على دفع تلك المجتمعات نحـــو ذلك التفوق الحضاري الفكري والمـــادي ، ممـــا أدى إلى التطور والانتقـــال الفعلي إلى بدايـــة العصر التـــاريخي . ومن ناحية أخرى كان لاتساع مجال التجارب المكتسبـــة مـــن زيـــادة الصلات الخارجية الاقتصادية والحضارية أثره الفعال في تطوير الحضارتين العراقية والمصرية ، ليس فقط في المجال المادي بما لمسناه من مختلف مستويات الصناعة في المراكز الحضارية الأجنبية ، بل أيضاً فيما اكتسبتاه من مفاهيم جديدة مقتبسة ومتطورة في نطاق حضارتيهما . وكان لكل مـــن العنصر السومري والمصري دور فعال في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الانسانية وهي مرحلة عصور ما قبل الأسرات الأخيرة والنقلة إلى بداية العصر التاريخي . وإن حقيقة اتصال كلا العنصرين في المجال الاقتصادي والحضاري ، كما هو متضح من الأدلة الأثرية السابق الاشارة إليها ، لتؤكد مدى التجاوب بين المستويات الحضارية المعاصرة في ذلك الوقت . وعلى الرغم من اتجاه بعض

---

(٢) . Brdwoodi,.JH and Braidwood, L.S., Ibid., 500.

العلماء إلى الاعتقاد باحتمالية وجود تشابك حربي أثناء ذلك الاتصال ، فانه يصعب تقبل هذا الرأي بصورة نهائية مع وجود الشواهد المحدودة الدالة عليه . وقد اتجه بعض العلماء أخيراً إلى ابداء بعض الاقتراحات بشأن تفسير الدفعة الحضارية الهامة قرب نهاية عصر ما قبل الأسرات الاخيرة والنقلة إلى بداية العصر التاريخي ، فبينما يقترح امري (١) Emery احتمال مجيء عنصر بشري جديد إلى وادي النيل الادنى ، كان بمثابة مصدر حضاري ، يتجه مللارت Mellaart (٢) إلى تدعيم تلك النظرية ، والقول بأن العناصر السامية المنتمية لمرحلة عصر الحجر والنحاس الأخير والتي ظهرت في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين كانت صاحبة تلك الخطوة الحضارية الهامة ، وعلى ذلك يستبعد استخدام طريق الخليج العربي والبحر الأحمر بين سومر ومصر ، ويزكي دور المراكز الحضارية السامية في سوريا ولبنان وفلسطين في هذا الصدد . الواقع أن هذه النظريات تحتاج إلى تدعيم أثري غير متوفر حتى الآن ، ومن ناحية أخرى تعتمد وجهة النظر الخاصة باستخدام الخليج العربي والبحر الأحمر على أدلة أثرية قوية ، بالاضافة إلى دور العنصر السومري في هذا الشأن مع أهمية طبيعته البحرية في جنوب العراق القديم .

وقد اتجه بعض العلماء أخيراً إلى تقييم الحضارات وتصنيفها الحضاري على أساس التقويمات الزمنية التي أنتجتها تجارب طريقة الكربون المشع بالذات ، والواقع أن هذا الموضوع ينبغي التزام الحذر والتريث بشأنه بشأنه دون الجزم بصورة حاسمة بأولويات معينة . ويرى بريدوود (٣) Braidwood أن جميع

(1) Emery, W., Op .38.
(2) Mellaart. J., Op. cit. 57.
(3) Braidwood, R. J. and Braidwood. L.S., Op. cit, 504.

التقويمات الزمنية الخاصة بالكربون المشع بالنسبة للشرق الأدنى القديم محيرة ، إلى أن تتوفر التجارب والأمثلة التطبيقية العديدة حتى يمكن الاستوثاق بصورة نهائية من تلك التقويمات الزمنية . ولا يعنى ذلك تجاهل تلك الطريقة العلمية البحتة بل يجب تطويرها وتدعيمها .

ومن الأهمية ملاحظة أن كلا من الحضارتين المصرية والسومرية قد اتخذت طابعاً خاصاً متمماً لظروفهما البيئية والبشرية والحضارية المحلية مما جعل كلاً منهما متميزة عن الأخرى في مرحلة التكوين ، وأصبحتا بمثابـــة محورين رئيسيين للتشكيل الحضاري والسياسي في المنطقة أثناء العصر التاريخي .

الباب الثاني

مرحلة التشكيل الحضاري والسياسى
في منطقة جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا
أثناء الألف الثالث ق م.

اتخذت منطقة الشرق الأدنى القديم طابعاً خاصاً في تنظيمها السياسي والحضاري ، بل إن كل إقليم في تلك المنطقة قد تميز بخصائص معينة استقل وتشكل بها ، ولم يمنع ذلك دون تواجد بعض العناصر المشتركة في ذلك التنظيم . ولقد كان للخطوات الحاسمة التي نجح الانسان في تلك المنطقة في تكوينها في عصور ما قبل الأسرات أثر كبير في تشكيل المرحلة التالية : وهي مرحلة العصر التاريخي ، ويمكن تقسيم تلك المرحلة إلى قسمين رئيسيين :

أ - مرحلة التشكيل السياسي والحضاري أثناء الألف الثالث ق. م.

ب - مرحلة البناء والتوسع والاتصال الدولي السياسي والحضاري أثناء الألفين الثاني والأول ق. م.

أما بالنسبة للمرحلة الأولى فقد كانت تلك المنطقة مركزاً لنشاط سياسي وحضاري كبير اتخذ شكلاً معيناً كان بمثابة الأساس الذي بنيت عليه

المرحلة التالية . وكما كانت لمنطقة الشرق الأدنى القديم أسبقيـــة خاصة في المجالات السياسية والحضارية على كافة مناطق العالم كما سبقت الاشارة بالنسبة لمرحلة إنتاج الطعام وإنشاء القرى الأولى ، فقد نجح انسان تلك المنطقة في إقرار المبادىء والقيم التي اكتسبها وصنعها طوال مراحل عصور ما قبـــل التاريخ وبدأ لأول مرة أيضاً في تسجيلها بعد اختراعه للكتابة الصورية . وكان ذلك التسجيل بمثابة توثيق لقيمه الفكرية والمادية مما أدى إلى الاستقرار والاطمئنان . وعلى ذلك بـــدأت مرحلة المدنية بعد تكون المدن واتساع دائرة اتصالاتها الداخلية والخارجية إلى مدى اقامة الوحدات الاقليمية بـــل والقطرية وتكوين الدولة بمفهومها السياسي ذات الحدود الثابتة والعـــاصمة الواحدة والفكر السياسي والحضاري الواحد .

ويبدأ الدارس بدراسة شكل التنظيم السياسي في المنطقة .

الفصل الأول

شكل التنظيم السياسي في المنطقة

اعتمد ذلك الشكل على عدة عناصر حاسمة في حياته وعلى رأسها المقومات البيئية والبشرية والفكرية . ولقد كانت تلك المقومات ذات فاعلية عامة أثناء مراحل عصور ما قبل التاريخ ، ولكن تجمعها وتركزها في حياة المدن في بداية العصر التاريخي قد أدى إلى تشاحنها وتبلورهـا بصورة خاصة أعطت شكلاً وطابعاً معيناً التزمت به لحد كبير في تنظيمها السياسي والحضاري.ويمكن تجسيم ذلك بصورة واضحة في دراسة شكل ذلك التنظيم السياسي في كل من مصر وبلاد الرافدين بصفة خاصة أثناء الألف الثالث ق.م. فبينما اعتمد ذلك الشكل في مصر الفرعونية على عدد من المبادىء الرئيسية كالملكية الالهيـة والخلود ، وذلك نتيجة المستوحيات البيئية الأرضية والفلكية والمائية ، فقد اعتمد الشكل السياسي والحضاري في العراق القديم على نمط آخر من التنظيم كالملكية الانسانية والديموقراطية الأولية وعدم الإيمان بالخلود إلا بالنسبة للآلهة ، وذلك بناء على المؤثرات المحلية الصرفة . أما بالنسبة لبقية أجزاء منطقة الشرق الأدنى القديم فقد كانت لها أشكالهـا الخاصة غير المتطورة بالنسبة لمراحل النمو والتشكيل السريع في كل من مصر والعراق اللتين كانتا بمثابة محورين رئيسيين في المنطقة تأثرت بهما المنطقة المتوسطة في الهلال الخصيب وهي

سوريا ولبنان وفلسطين ، ولكن ذلك لم يمنع دون تواجد بعض التطورات المحلية فيها في ذلك المجال . ويبدأ الكاتب بدراسة التنظيم السياسي في العراق القديم في الألف الثالث ق. م.

ينقسم تاريخ العراق القديم في الألف الثالث ق.م. إلى خمسة أقسام رئيسية :

١ – عصر بداية الأسرات السومرية ويمتد من الناحية الزمنية من حوالي ٢٨٠٠ إلى حوالي ٢٤٠٠ ق. م.

ب – عصر الأسرة الأكدية أو عصر الانتصار السامي الأول ويمتد من ٢٣٧١ ق.م. – ٢٢٣٠ ق.م.

حـ – العصر الجوتي ويستمر من ٢٢٥٠ ق. م – ٢١٢٠ ق. م.

د – عصر أسرة أور الثالثة أو العصر السومري الجديد من ٢١١٣ ق. م – ٢٠٠٦ ق. م.

هـ – عصر أسرتي ايسين ولارسا أو كما يسمى بالاحتلال الأموري والعيلامي من ٢٠٢٠ ق. م. – ١٧٩٠ ق. م. بالنسبة إلى ايسين ، و ١٧٦٠ ق. م. بالنسبة إلى لارسا .

وأول ظاهرة تلفت النظر في تلك المراحل السياسية الخمسة عدم وجود الوحدة السياسية المتجانسة في تاريخ العراق القديم ، حيث يلاحظ أن بداية الألف الثالث ق. م. قد تمت على يد العناصر السومرية التي لم تصل إلى الوحدة السياسية أو تكوين دولة سومرية شاملة لكافة مراحل ذلك العصر ، ثم تعقبها بعد ذلك الدولة الأكدية وهي تختلف كل الاختلاف عن حكومات المدن السومرية رغم توارثها للكيان الحضاري السومري . وعلى الرغم من تحقيق تلك الدولة للوحدة السياسية في العراق القديم بالقوة الحربية فانه

سرعان ما بدأت مرحلة ثالثة على أيدي العناصر الجبلية الجوتية ثم جاءت المرحلة الرابعة التي استعاد فيها السومريون سيادتهم السياسية والحضارية مرة أخرى ، إلى أن رجع التفكك السياسي بعد ذلك وتركزت حياة العراق القديم السياسية في يد أسرتين متنازعتين هما أسرتي ايسين ولارسا . وكان لتلك الحقيقة أثرها البالغ في تردد وعدم اطمئنان الانسان القديم في تلك المنطقة في التوصل إلى الاستقرار الذهني تجاه القوى الالهية ، ويتضح ذلك في كثرة المعبودات التي آمن بها والتي وصل تعدادها إلى حوالي أربعة آلاف معبوداً. وإذا قارن الدارس تلك الحالة بما يناظرها في مصر القديمة يجـد في الأخيرة استقراراً واضحاً يصل إلى حمل ملوكها الصفة الإلهية واستمرار ذلك في العالم الآخر ، هذا بالاضافة إلى عقيدة الخلود التي لم تفرق بين الحاكم والمحكوم بل شملت الجميع على حد سواء . ولقد كان للجوانب البيئية أثر بالغ في تلك النتائج التي تتضح في المجالات السياسية والحضارية ، فالبيئة في جنوب العراق غـير مستقرة ؛ وقد لمس الانسان ذلك بصورة واضحـة وعبر عنها في عدد مـن نصوصه الأدبية ، بل لقد وصل تأثره بتلك الجوانب البيئية إلى درجة اعتماده على ظاهرة الطوفان كعلامة يبدأ على أساسها تقويمه الزمني التاريخي . ومـن ناحية أخرى كان لموقـع العراق القديم وتعـدد العنـاصر البشرية السامية والسومرية والعيلامية والجبلية والهندية الأوروبية أثره البالغ في عدم توصله إلى الاستقرار السياسي والفكري الواحد في ذلك الوقت .

أما بالنسبة للعصر الأول وهو عصر فجر الأسرات السومريـة فينقسم بدوره إلى ثلاثة مراحل هي : المرحلة الأولىوالمرحلة الثانية والمرحلة الثالثة ، وهو يشغل أكثر من نصف فترة الألف الثالث ق.م. وقد كانت السيادةالسياسة في ذلك العصر للعناصر السومرية رغم كونها تكون جزءاً من المجتمع العراقي القديم بالاضافة إلى العناصر الأخرى ، وبصفـة خاصة العناصر الساميـة التي

كانت تعيش معها في نفس المنطقة . ويعتمد المؤرخ في تأريخ ذلك العصر على عدد من الوثائق السومرية المكتوبة بالخط المسماري وعلى رأسها قائمـــة الملوك السومرية . وتنتمي تلك الوثيقة من الناحية الزمنية إلى بداية الألف الثاني ق. م. ولكنها تتضمن مادة تاريخية ترجع بتاريخ العراق القديم إلى بداية العصر التاريخي بل إلى أقدم من ذلك . وتذكر قائمة الملوك السومرية أسماء المدن الأولى التي كانت قبل حادثة الطوفان، والتي ترجع إلى العصور السابقة مباشرة للعصر التاريخي ، ثم تعود بعد ذلك إلى ذكر أسماء المدن التي حكمت العراق القديم بعد تلك الحادثة . وفيما يلي قائمة بأسماء حكومات المدن وعدد الحكام وسنوات الحكم في بداية عصر فجر الأسرات السومرية كما جاء في وثيقة قائمة الملوك السومرية : —

	عدد الملوك	مدة الحكم
الأسرة الأولى في كيش	٢٣	٢٤٫٥١٠
الأسرة الأولى في الوركاء	١٢	٢٫٣١٠
الأسرة الأولى في أور	٤	١٧٧
أسرة أوان	٣	٣٥٦
الاسرة الثانية في كيش	٨	٣٫١٩٥
أسرة حمازي	(١) ؟	٣٦٠ ؟
الأسرة الثانية في الوركاء	(١) ؟	٦٠ ؟
الأسرة الثانية في أور	٤	١١٦
أسرة أداب	١	٩٠
أسرة ماري	٦	١٣٦
الأسرة الثالثة في كيش	(١) ملكة	١٠٠
أسرة أكشاك	٦	٩٩

	عدد الملوك	مدة الحكم
الأسرة الرابعة في كيش	٧	٤٩١
الأسرة الثالثة في الوركاء	١	٢٥

وتذكر قائمة الملوك السومرية (١) أيضاً أسماء المدن الخمس التي كانت قبل الطوفان وعلى رأسها مدينة اريدو وكذلك حكامها الثمانية الذين حكموا في جملتهم ٢٤١,٢٠٠ سنة ، وهي مده تظهر فيها المبالغة الواضحة، ثم جاء من بعدهم الطوفان . وتعبر تلك المرحلة عن حكومات المرحلة السابقة لبداية العصر التاريخي ، أما المرحلة التالية فهي تعبر عن الأسر التي ظهرت بعد إنتهاء حادثة الطوفان أي أسر العصر التاريخي عندما نزلت الملكية مرة ثانية من السماء وكانت حسب قائمة الملوك السومرية في كل من كيش والوركاء . ومن الأهمية بمكان الاشارة بأن الأدلة الأثرية التي عثر عليها في طبقات مدينتي اريدو والوركاء لتثبت حقيقة ما نصت عليه وثيقة قائمة الملوك السومرية من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق القديم بين تلك المدن .

وفيما يلي قائمة بأسماء المدن والحكام وسنوات الحكم الخاصة بهم كما جاءت في وثيقة قائمة الملوك السومرية ، وذلك بالنسبة للمرحلة السابقة للعصر التاريخي أي ما قبل الطوفان . وتبدأ الوثيقة بالقول أنه « عندما أنزلت الملكية من السماء كانت في مدينة اريدو » ثم تسرد القائمة :

المدينة		الحاكم		مدة الحكم
اريدو	Eridu	١ ــ الوليم	Alulim	٢٨,٨٠٠ سنة
		٢ ــ الالجار	Alalgar	٣٦,٠٠٠ سنة

(1) Jacobsen, T., The Sumerian King List, Assyrian Studies, 11, Univ. of Chicago, 1939.

بادتيبيرا	Badtibira	٣ ـــ انمينلو ـــ أنا	Enmenlu-Anna	٤٣,٢٠٠ »
		٤ ـــ انمينجال ـــ أنا	Enmengal-Anna	٢٨,٨٠٠ »
		٥ ـــ الاله دوموزي ، راعي		٣٦,٠٠٠ »
لاراك	Larak	٦ ـــ انسيبازي ـــ أنا	Ensipazi-Anna	٢٨,٨٠٠ »
سبّار	Sippar	٧ ـــ انميندور ـــ أنا	Enmendur-Anna	٢١,٠٠٠ »
شاروباك	Shuruppak	٨ ـــ اوبار ـــ توتو	Ubar-Tutu	١٨,٦٠٠ »

ومن الأهمية بمكان الاشارة إلى وثيقة متأخرة زمنياً سجلها في العصر اليوناني أحد كهنة الإله مردوك إله مدينة بابل وهو بروسوس Berossos وكان ذلك في عهد أنطيوخوس الأول الذي حكم من ٢٨١ ـــ ٢٦١ ق. م. وتبين الدراسة المقارنة لمضمون هاتين الوثيقتين بوضوح اختلاف الأسماء وسنوات الحكم ، وتزيد هذه الحقيقة من صعوبة التعرف على مدى حقيقة حكام تلك المرحلة ، فيلاحظ أن عدد الحكام حسب وثيقة بروسوس يبلغ عشرة حكام بينما وثيقة قائمة الملوك السومرية تذكر ثمانية فقط ، كما أن مجموع فترة حكمهم في قائمة الملوك السومرية يبلغ ٢٤١,٢٠٠ سنة بينما وثيقة بروسوس يبلغ مجموع سنوات حكامها ٤٣٢,٠٠٠

وفيما يلي أسماء أولئك الحكام وسنوات حكمهم كما جاءت في وثيقة بروسوس :

الحاكم		مدة الحكم
١ ـــ الورس	Alorus	٣٦,٠٠٠ سنة
٢ ـــ الاباروس	Alaparos	١٠,٨٠٠ سنة
٣ ـــ املون	Amelon	٤٦,٨٠٠ سنة
٤ ـــ امنّون	Ammenon	٤٣,٢٠٠ سنة

٥ ـ مجالاروس	Megalaros	٦٤,٨٠٠ سنة
٦ ـ داؤنوس أو داؤس	Daonos أو Daos	٣٦,٠٠٠ سنة
٧ ـ ايودور راخوس	Euedorachos	٦٤,٨٠٠ سنة
٨ ـ اميمسينوس	Amempsinos	٣٦,٠٠٠ سنة
٩ ـ اوتيارتس	Otiartes	٢٨,٨٠٠ سنة
١٠ ـ اكزيسوثروس	Xisouthros	٦٤,٨٠٠ سنة

وإن حقيقة ذكر وثيقة بروسوس لأولئك الحكام العشرة ليدفع نحو عمل دراسة مقارنة ، مع الفارق ، بين مضمون تلك الوثيقة وبين مضمون النص العبري الخاص بالعشرة رؤساء الآباء Patriarchs من سيدنا آدم عليه السلام حتى سيدنا نوح عليه السلام . ويشير بارتون Barton وفينجان Finegan (١) إلى احتمالية وجود بعض الصلة بينهما ، وفيما يلي مضمون النص العبري :

		عمره سنة	سفر التكوين
١ ـ آدم	Adam	٩٣٠	٥ : ٥
٢ ـ شيث	Seth	٩١٢ »	٥ : ٨
٣ ـ آنوش	Enos	٩٠٥ »	٥ : ١١
٤ ـ قينان	Cainan	٩١٠ »	٥ : ١٤
٥ ـ مهالئيل	Mahalaleel	٨٩٥ »	٥ : ١٧
٦ ـ يارد	Jared	٩٦٢ »	٥ : ٢٠
٧ ـ اخنوخ	Enoch	٣٦٥ »	٥ : ٢٣
٨ ـ متوشالح	Methuselah	٩٦٩ »	٥ : ٢٧
٩ ـ لامك	Lamech	٥٩٥ »	٥ : ٣١
١٠ ـ نوح	Noah	٩٥٠ »	٩ : ٢٩

(1) Finegan, J., Op. cit., 25.

وقبل الاحاطة بتاريخ تلك الأسر يعتبر من اللازم التعرض إلى العنصر السومري من ناحية مصدره ، ولا يزال أصل ذلك العنصر مشكلة يختلف فيها العلماء . وتقوم الدراسات في هذا الصدد على أساس لغوي وبشري ، فمن الناحية اللغوية لا تنتمي اللغة السومرية إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاثة وهي عائلة اللغات السامية وعائلة اللغات الحامية وعائلة اللغات الهندية الأوروبية ؛ كما ثبت عدم اتصال تلك اللغة باللغـــات الأخرى مثـــل الصينية والتبتية والدرافيدية والمجرية والافريقية والهنديـــة الأمريكية ولغات جزر المحيط الهادي (١) . ولمـــا لم يحل الجانب اللغوي من الدراسة المشكلة اتجه العلماء إلى البحث عن بعض العناصر السومرية التي يمكن تلمس وجه شبه بينها وبين بعض العناصر الأخرى سواء كان ذلك في المجال الفكري أو المادي ، وقد تبين وجود تلك الصلات بين العيلاميين والسومرين ممـــا أعطى اتجاهاً شرقياً لمصدرهم الأصلي ، ويصل ذلك الاتجاه الشرقي إلى منطقة السند وبلوخستان حيث أمكن تلمس وجه شبه بين انتاج الحضارة السومرية وحضارة حارابا في وادي السند.ومن ناحية أخرى اتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن السومريين لهم صلة بالعناصر الجبلية القاطنة في منطقة جبال زاجروس المتاخمة للحـــدود الشرقية للعراق ، وبذلك يشتركون مع العناصر الأخرى غير المحددة التعريف كالعناصر الجوتية واللولو والتي اتجه العلماء إلى إعطائها تلك التسمية الغامضة وهي اسم العناصر الجبلية على اساس عدم الاستقرار بصورة حاسمة على رأي نهائي بصددها . وكان احتمال انتماء السومريين إلى تلك العناصر الجبلية عـــلى كون الزقورات وهي المعابد المدرجة التي تعتبر مـــن أهم خصائص العمارة الدينية السومرية تقترب في شكلها وظاهرة الارتفاع فيها من الهضاب والجبال ، على أساس أنها تعبير إنساني مقتبس من البيئة الطبيعية التي كانت منطبعة في

(1) Saggs, H. W. F., Op. Cit., 31.

أذهان أولئك السومريين الأول الذين نزلوا جنوب العراق والــذين شكلوا عمارتهم بتلك الصورة ، ولكن هذا المفهوم لا ينبغي إقراره بصورة نهائيــة لأنه لا يعتمد على أدلة قوية . وعلى ذلك يغلب العلماء الرأي القائل بمصدرهم الشرقي وبصفة خاصة الهند إلى أن يستقر الرأي بصورة نهائية في هذا المشكل .
وتنبغي الاشارة في هذا الصدد إلى أن السومريين قد اتخذوا الطريقين البحري والبري في عمليات تحركهم نحو الغرب ، أما الطريق البري فكان عبر الهضبة الإيرانية إلى عيلام ومنها إلى جنوب العراق ، واتخذ الطريق البحري خط سيره الساحلي إلى الخليج العربي المؤدي إلى نفس المنطقة . ويمكن إرجاع استقرار العناصر السومرية إلى بداية الاستقرار الفعلي في جنوب العراق القديم أي ابتداء من عصر حضارة العبيد ، وذلك حوالي سنة ٤٠٠٠ ق . م .
وقد تمكن السومريون بصفة خاصة مع العناصر السامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية في موجتها الشمالية الشرقية تجاه بلاد الرافدين من تكوين عدد من المدن الرئيسية كما ذكرتها قائمة الملوك السومرية . وكان لكل مدينــة استقلالها الذاتي الأرضي والمائي وبالتالي السياسي والحضاري ، وذلك على أساس أن عملية الاستقرار في جنوب العراق لم تكن عملية متجانسة ، لما تتطلبه مجهودات تجفيف الأراضي وبناء المدن وحفر القنوات وتجهيز المكان من تفاوت من جهة إلى أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن تلك التحركات البشرية الآتية على الاقليم لم تكن دفعة واحدة وأخيرة بل غلبت عليهــا الدفعات المتعاقبة حسب المتطلبات الاقتصادية والبشرية . وقد أدى كل ذلك إلى اتسام مرحلة بداية العصر التاريخي في العراق القديم وبصفة خاصة أثناء فجر الأسرات السومرية بظاهرة حكومات المدن المستقلة وعدم تواجد الدولة السومرية المتحدة في تلك الفترة ، ولكن على الرغم من تلك الفرقة السياسية فقد كان هناك تآلف حضاري وتعامل سياسي طبيعي بين كل من العناصر

السومرية والسامية . فقد ثبت بالأدلة النصية تعاون كلا العنصرين في كافة الجوانب دون أية تفرقة عنصرية بينهما مما أدى إلى تفاعل الأصول الحضارية السامية والسومرية في بوتقة واحدة واتسام الحضارة العراقية منذ البداية بذلك الطابع الوحدوي ، كما يتضح في المراحل التالية عندما يرث الأكديون الحضارة السومرية بل والخط والأدب والأفكار السومرية ويطبعونها بالطابع السامي المناسب لدولتهم الجديدة .

ويقوم التنظيم السياسي السومري على أساس نظام حكومات المدن الذي يجعل لكل مدينة استقلالها الذاتي في حكومتها . وأول مظاهر ذلك التنظيم هو تواجد جمعية عمومية لجميع المواطنين في تلك المدينة ويتضمن ذلك احتمالية اشتراك النساء فيها . ووظيفة تلك الجمعية هي الاجتماع وقت الحاجة للبت في موضوع هام بالمدينة بأسرها مثل عملية اختيار كبار المسؤولين في حكومة المدينة . ويعتبر ذلك التنظيم السياسي مرحلة هامة في تاريخ الفكر الانساني لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي (١) في بداية العصر التاريخي وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية :

« ... اجتمعت كيش، ورفعوا إلى الملكية اجخور كيش Ipkhur - Kish رجل من كيش ... » .

«Kishi ki ip - khu-ur-ma Kishi ki auil Kishi ki mar (?) ma,ar(?) Za(?)
'at' esh - tàr Za ar ri ikh tim a - na sha (r) -
'ru' - (t) im ish - shu - ma.» (٢)

---

(1) Aymard, A., et Auboyer, J., L'Orient et Grèce Antique, troisième édition et corrigée, Paris, 1957, p. 188.
Frankort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948, p. 118.

(2) Jacobsen, T., «Primitive Democracy in Ancient Mesopo-tamia,» Journal of Near Eastern studies, vol. 11, num. 3; p. 165, n. 35.

ويتضح من هذا النص اجتماع الجمعية العمومية لمدينــة كيش واختيارها أحد رجالها .

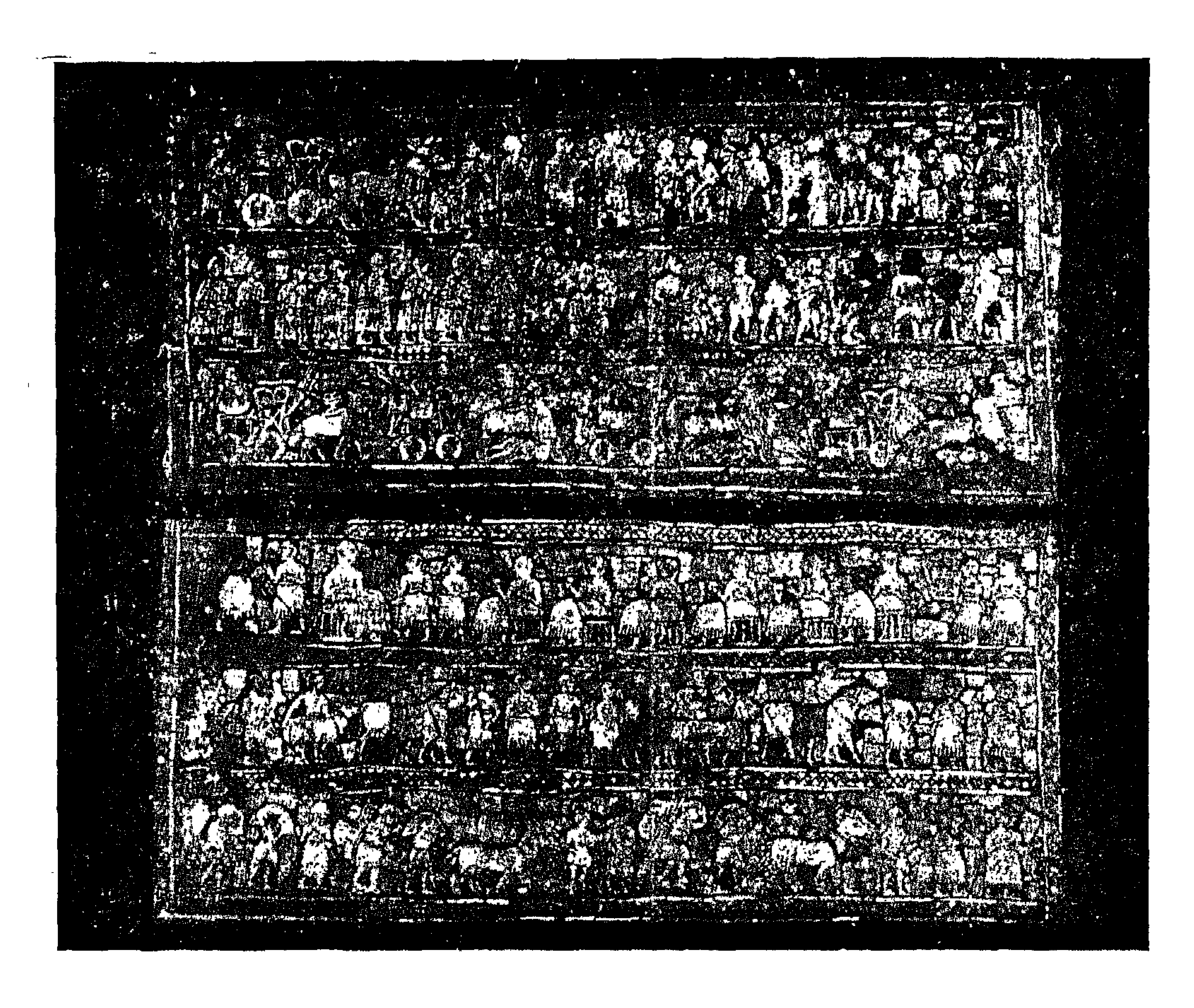
وفيما يتعلق بحكم تلك المدينة فقد تركز في عــدد من المسئولين المدنيين والدينيين ، أما بالنسبة إلى المسئول المدني فقد كان هناك المسئول الذي يحمل لقب انسي Ensi ، وكان يتفرغ للشؤون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تتصل بعمليات الرّي ، وهناك أيضاً وظيفة أخرى رئيسية هي وظيفـــة لوجال Lugal وتعني تلك الكلمة السومرية في مدلولها الحربي « الرجــل العظيم » ، وكان يتفرغ لادارة المدينة في شئونها المدنية ، وبصفة خاصةفي بعض الحالات الاستثنائية مثل مواجهة المخاطر الحربية . ولكن تلك الوظيفة قــد تطورت بعد ذلك وأصبحت تنم عن الحاكم الذي امتدت سلطته إلى مــدى أوسع من حكومة المدينة ، ووصل ذلك إلى التحكم في عدد من المدن المجاورة . أما الجانب الديني فقد كان يتركز بصفة خاصة في موظف يلقب بتعبير En (ان) السومري ويعني سيد ، وكان ال (ان) يستقر في المعبــد ويتفرغ للشئون الدينية وما يتصل بها من واجبات إدارية واقتصادية ، ولكن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت في المراحل الأخيرة مــن بدايــة عصر الأسرات السومرية واقتربت وظيفة ال (ان) من الجانب الدنيوي وانتقل مركزه من المعبد إلى القصر .

وكان ذلك التنظيم السياسي السومري يعتمد على التطورات السياسية لتلك المدن السومرية ، ذلك التطور الذي يتضح فيه عدم الاستقرار بصورة نهائية ، ويرجع ذلك إلى العوامــل التي سبقت الاشارة إليها والمتصلة بعدم الاستقرار في جنوب العراق القديم بوجه عــام . ولذلك يــلاحظ أن تلك الوظائف كانت غير دائمة أو وراثية بل كانت تتوقف على موافقة أعضاء الجمعيــة

العمومية ، ولكن سرعان مـا تمكنت بعض الشخصيات القويـة مـن جعل وظائف ال (ان) أو (لوجال) دائمـة . ويعتمـد المؤرخ في تـأريخه لحكومات المدن السومرية على الوثائق التي خلفتهـا تلك الأسر السومريـة سواء أكانت سياسية بحتـة أو أدبية . والحقيقة البارزة في تلك الأسر هي الصراع المستمر بينها حول السيادة السياسية والاقتصادية ، فقد ثارت عـدة منازعات بين تلك المدن السومرية وصلت إلى حد الحرب فيما بينها ، وكان العامل الاقتصادي وبصفة خاصة ميـاه الري والقنوات التي تمون الأراضي الزراعية بحاجاتها من تلك المياه مثـار نزاع مباشر بين تلك المدن . ومن أهم الآثار التي تعبر عن تلك الحالة المتنقلة من الحرب إلى السلام بين تلك المدن احدى اللوحات التي تنتمي إلى عصر الأسرة الأولى في مدينة أور والتي يظهر فيها تجمع من أجل الحرب ثم احتفال بالسلام ، أنظر شكل رقم (٧٤) . وأثر آخر ينتمي إلى أسرة لجش هو لوحة النسور والتي يظهر فيهـا جنود الملك ايأنناتوم Eannatum وهم مدعمون بالدروع والأسلحة ، ويلاحظ أن النسور قد حملت مخلفات المعركة كالرؤوس والعظام بعيداً (١) .

ويبدأ عصر بداية الأسرات السومريـة بالأسرة الأولى في مدينة كيش ثم الأسرة الأولى في مدينة الوركاء ثم الأسرة الأولى في مدينـة أور . ويلمس الدارس بوضوح أهمية الجانب الأسطوري في تلك الفترة حيث يـلاحظ أن بعض الحكام لهم صفتهم التاريخية ، وصفتهم الاسطورية مثل الملك اتانا Etana أحد حـكام الاسرة الأولى في كيش والملك جلجاميش أحـد حكام الأسرة الأولى في الوركاء وانمركار Enmerkar وهو ان الوركاء أيضـاً . ومن الممكن تفسير تواجـد ذلك الجانب الأسطوري في تلك المرحلـة بالذات ،

(1) Parrot, A., Sumer, Paris, 1961, .P 134 f.



شكل رقم (٧٤) لوحة أور المعبرة عن الحرب والسلام

إذ أن الانسان كان لا يزال قريب العهـد بعصور ما قبـل الأسرات وكان يربط تفسير أحداثه بالرباط الأسطوري مما يسهل تفهم كافة طبقات المجتمع له . وتتضمن الأساطير مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية ، ولذلك فهي سجل تاريخي هام لتلك الفترة ، ومن أمثلة تلك الأساطير ما ورد في نصوص الملك اتانا من أنه كان يبحث عن نبات الولادة وأنه قد وصل بـه البحث إلى أبعد مدى في السموات حيث ركب على ظهر نسر صعد به إلى

ارتفاع شاهق مما أدى إلى خوفه وفزعه وسقوطه .

وتدل تلك الأسطورة على مشاعر الانسان السومري في بداية العصر التاريخي حيث كان يحاول التعرف على الكون المحيط به ويحاول الوصول إلى الاطمئنان، ولكن القوى البيئية غير المنتظمة بل والمتضاربة كالمياه العذبة والملحة والزوابع والطوفانات قد أدت إلى عدم استقراره فكرياً وسياسياً . ولا شك أن العوامل البيئية الأرضية والجوية والمائية والبشرية والنباتية والحيوانية تتفاعل مع جهد الانسان لتشكل حضارته بطابع معين .

ومثـــال آخر لذلك الطابـــع الأسطوري ملحمة الملك جلجاميش حيث يتضح الجانب الأسطوري حتى في تصوير الأديب العراقي القـــديم لشخصية جلجاميش ، فقد جعله يجمع بين البشر والآلهة ، فثلثه انساني وثلثيـــه إلهي . وتحاول الملحمة علاج مشكلة هامة واجهت الانسان السومري وهي مشكلة الخلود بالنسبة للانسان ومصيره بعد الموت . وتبدأ الملحمة مظهرة قسوة الملك جلجامش مما أدى إلى اتجاه الإلهة ارورو إلى تشكيل منافس له وكان انكيدو الذي كان أقرب إلى انسان العصر الحجري القديم . ثم تتعرض الملحمـــة الأسطوريـــة إلى علاقات جلجاميش وانكيدو وكيف تطورت من عداوة إلى صداقة وهي في ذلك الصدد تضفي صفة انسانية للأسطورة مما يجعلهـــا أقرب إلى تفهم المجتمع لهـــا . وتتطور أحداث الأسطورة بعد ذلك وتصـــل إلى غايتهـــا الرئيسية بعد موت انكيدو ومحاولة جلجاميش البحث عن الخلود بعد الموت . ويمكن ارجاع أساس تلك الملحمة أيضاً إلى حياة الانسان السومري وظروفه البيئية المحيطة به وكيف أنه كان يأمل في الحصول على الاستقرار الدنيوي والأخروي ولكن عدم تحقق ذلك الاستقرار في بيئتـــه في ذلك الوقت قـــد أدى به إلى الخلود للآلهة وليس للانسان . ويخالف ذلك تماماً ما وصل إليه الانسان المصري في وادي النيل الأدنى عندما آمن بالخلود بالنسبة للآلهة والبشر، وجسم كل ذلك منذ استقراره في العصر الحجري الحديث وطوال العصر الفرعوني .

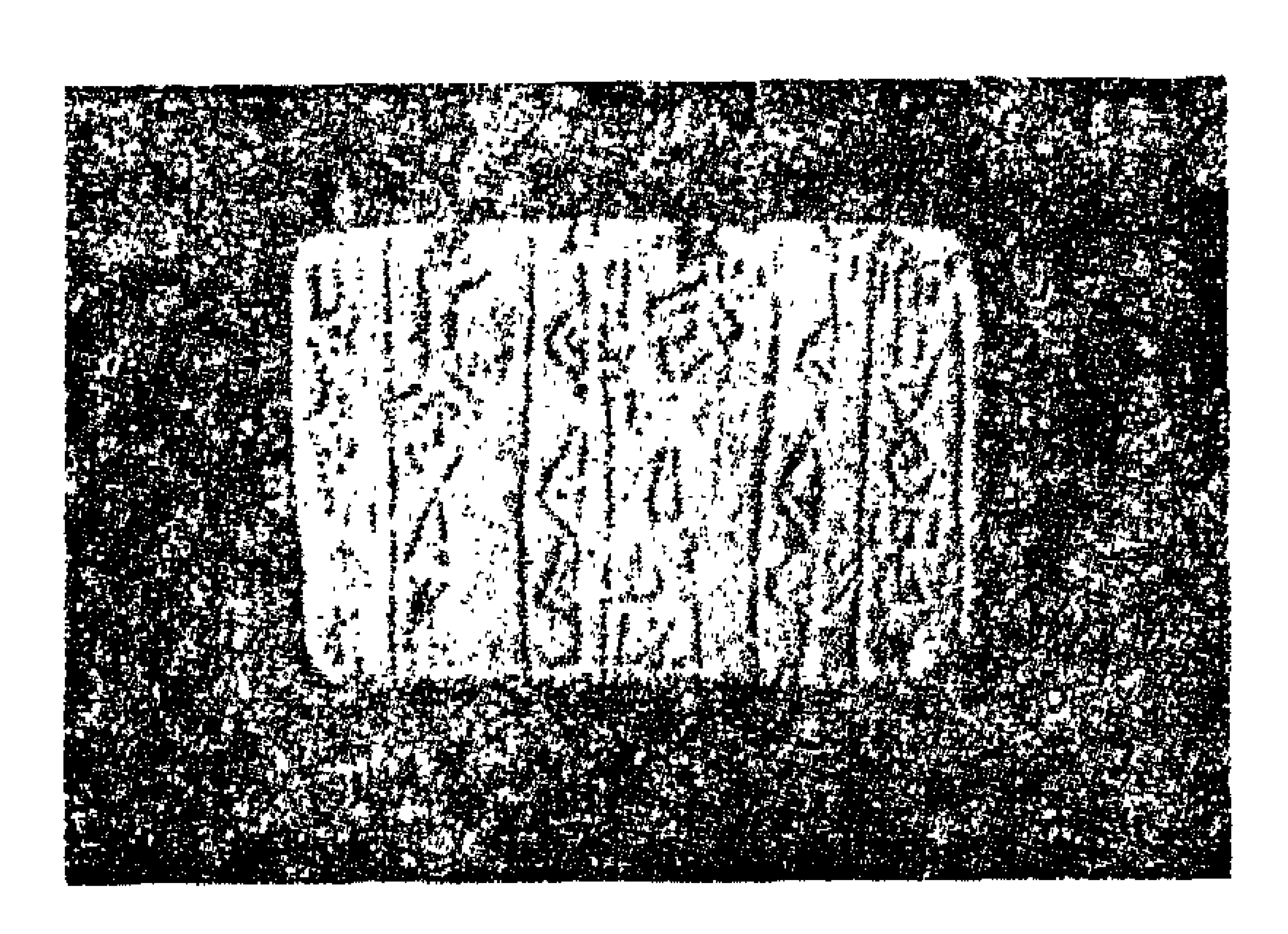


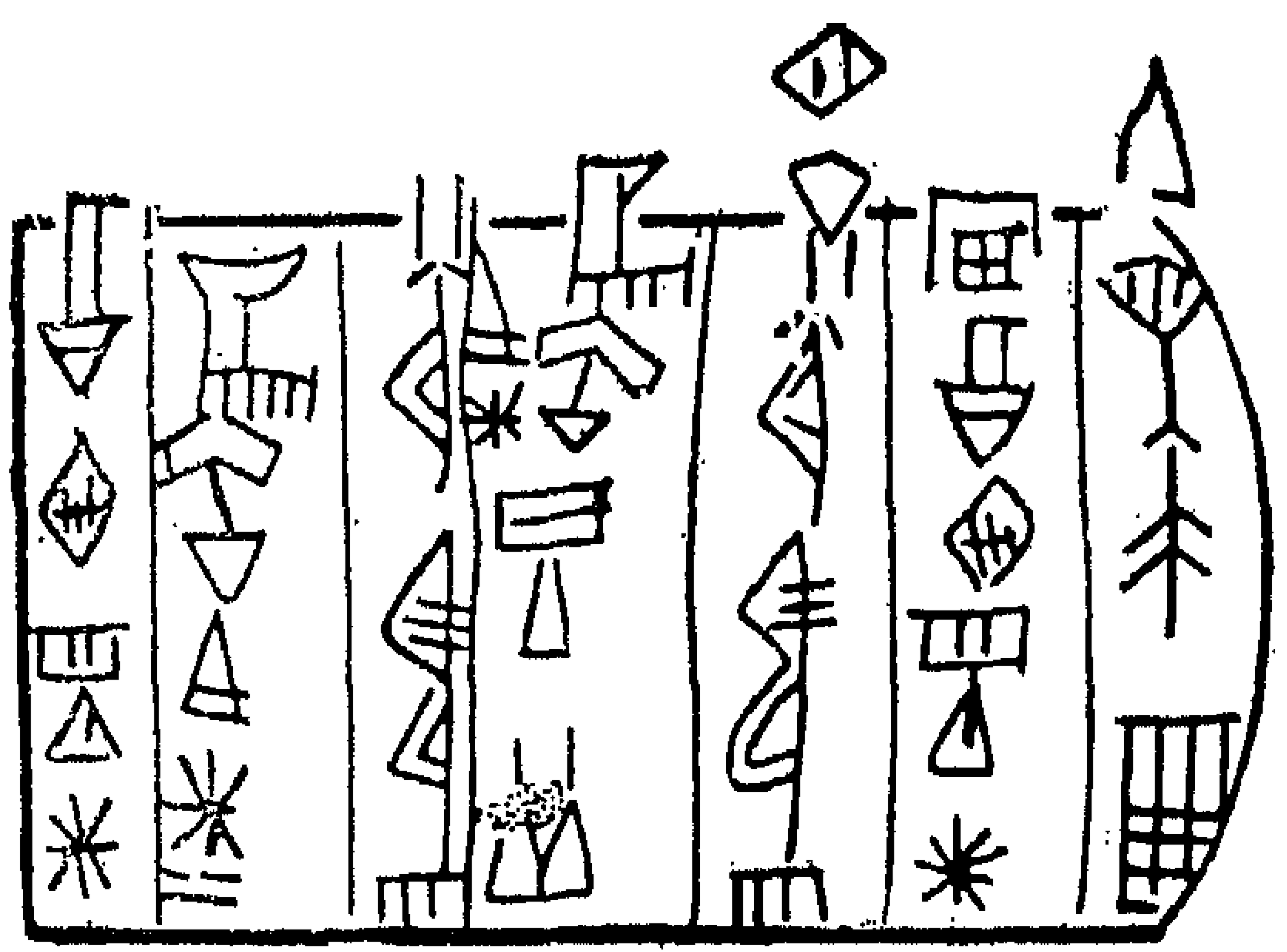
شكل رقم (٧٥)
رأس الإله آبو من معبده المربع في تل اسمر



شكل رقم (٧٦)
إلهة الأمومة من المعبد المربع للإله آبو في تل أسمر

وقد عبر الانسان السومري عن القوى الالهية في أشكال انسانية بالاضافة إلى بعض الصور الطبيعية (١) ، ولكن تعبيره الانساني عنها حمل بعض الظواهر الخاصة مثل ضخامة الأعين ، مثال ذلك تمثالي إله الخصوبة وإلهة الأمومة وقد عثر عليهما مع مجموعة أخرى مـــن التماثيل في المعبد المربع في تل أسمر (٢)، أنظر أشكال (٧٥) و (٧٦) .





شكل رقم (٧٧) ا ، ب يظهر لوحة حجرية من تل العبيد يتضح فيها اسم الملك مس – آن – ني – باد – دا أول ملوك أسرة أور الأولى

---

(١) يتعرض الكاتب إلى هذا الجانب الحضاري في الفصل الثاني .

(2) Frankfort, H., Sculpture of the Third Millennium B. C. from Tell Asmer, and Khafajah, Chicago, 1939, p. 13.

وفي المجال السياسي يتبين أن الانتقال من سيـــادة أسرة مدينة إلى سيادة أسرة مدينة أخرى كان يتم نتيجة صراع حربي ؛ ومما يؤكد ذلك ما أشارت إليه قائمة الملوك السومرية بالنسبة إلى انتقال السيادة السياسية من الأسرة الأولى لمدينة الوركاء إلى الاسرة الأولى لمدينة أور . وقد تحقق ذلك على يد الملك السومري مس — آن — ني — باد — دا Mes-an-ni-pad-da أول ملوك الأسرة الأولى في مدينـــة أور ، أنظر شكل رقم (٧٧) . ولقد خلدت تلك الأسرة تاريخها بتلك الآثار الهامة التي عثر عليها فيما سمي بالجبانة الملكية خارج مدينة أور والتي تميزت بظاهرة التضحية البشرية . وهناك اختلاف في الرأي بين العلماء في تفسير تلك الظاهرة ، ويرى الأثري وولي woolley وهو الذي قام بالحفر في موقع أور ، أن تلك الجبانة يمكن تفسيرها على كونها مقابر للملوك الذين حكموا في أور قبـــل الأسرة



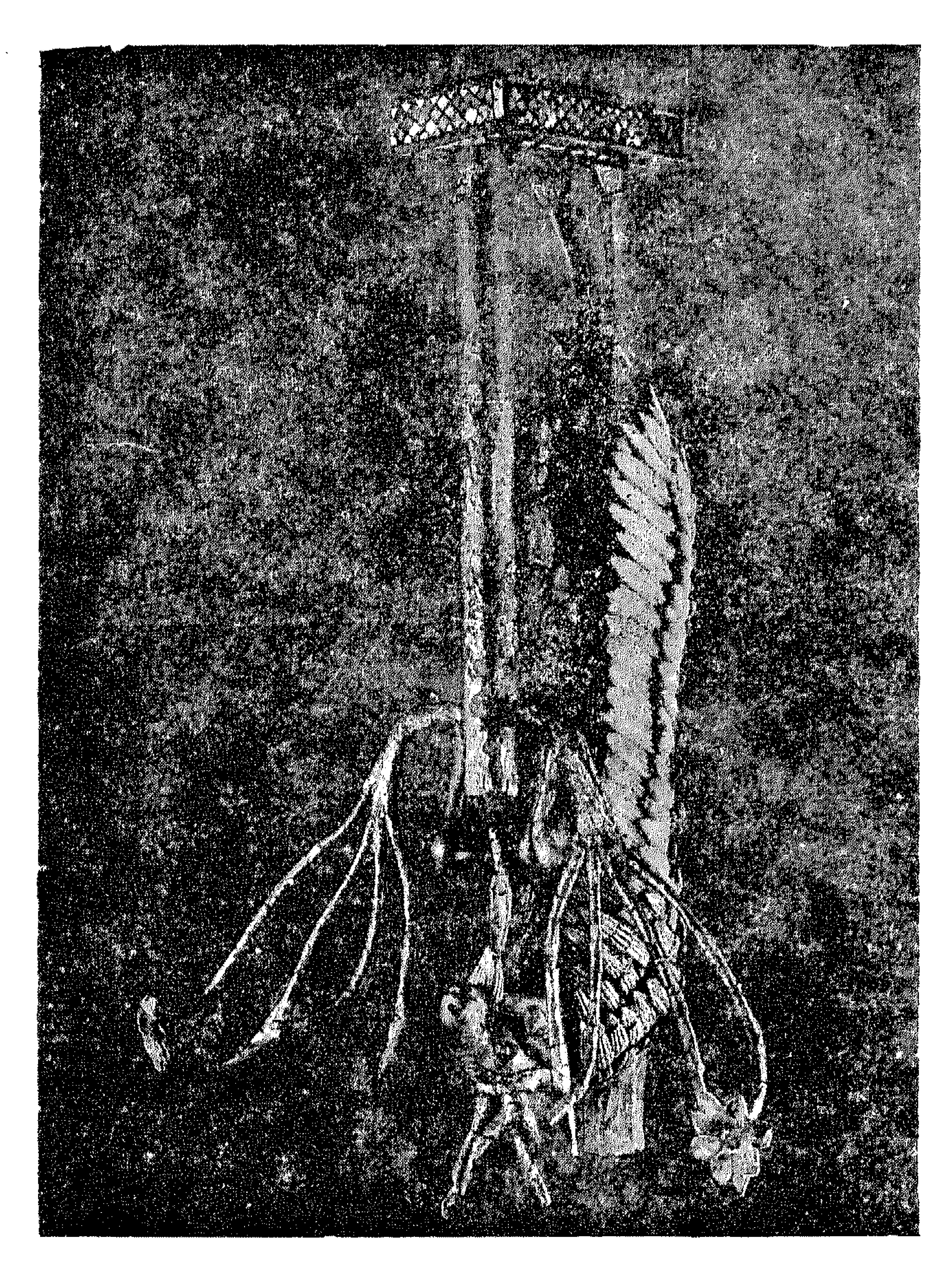
شكل (٧٨) بعض الكنوز الذهبية الخاصة (بالملكة) السومرية شوب — آد التي عثر عليها في الجبانة الملكية في أور ، وهي اواني ذهبية وراس ثور وخوذة ذهبية

الأولى في أور (١) ، وذلك على إثر العثور على آثار غنية ورائعة في ستة عشرة مقبرة منها ، وبصفة خاصة مقبرة (الملكة) شوب — آد ، أنظر الاشكال (٧٨) ، (٧٩) . والظاهرة الهامة التي صحبت تلك المقابر هي ظاهرة التضحية البشرية ، فقد عثر ، كما هو موضح في شكل (٨٠) ا و ب ، على الهياكل العظمية الخاصة بأفراد الحاشية من الرجال والنساء وكذلك المركبات وهياكل الثيران التي كانت تجرها ، هذا بالاضافة إلى تواجد الكؤوس بجوار أصحابها والتي كانوا يستخدمونها في شرب المخدر طواعية قبل الموت الجماعي كنوع من المشاركة لسيدهم في مصيره بعد موته . وبينما يرى وولى أن ذلك التقليد كان سومرياً حيث كانت تصحب الملك حاشيته في العالم الآخر ، يتجه بعض العلماء الآخرين إلى رفض ذلك التفسير على أساس أن الملك السومري كان يحمل الصفة الانسانية ولا يعتبر إلهاً مثل الملك المصري القديم . وهناك رأي آخر يفسر تلك الظاهرة بأنها ترتبط بعقيدة الخصوبة في صورتها الأولية بمعنى أن يتقدم بعض الكهنة والكاهنات بتقبل الموت ممثلين في ذلك دور الإله والإلهة في الزواج المقدس الذي يؤدي إلى خصوبة البلاد وخيرها في بداية كل عام ، وربما كان هناك ارتباط بين ذلك التفسير وبين عقيدة الاله تموز (٢) . ويغلب أن هذا الرأي أقرب إلى الصحة رغم أنه ليس نهائياً فلا تزال مشكلة تفسير تواجد تلك التضحيات البشرية قائمة . ومما يسترعي الانتباه أنه في تلك المراحل الأولى لبداية العصر التاريخي وكذلك في نهاية عصور ما قبل الأسرات مارست بعض المجتمعات الافريقية والمصرية تلك الظاهرة ولكن على أساس عقيدة الخلود ومشاركة الملك الاله في العالم الآخر ، هذا وقد استمرت تلك الظاهرة في المجتمع القرطاجي حتى العصر الروماني .

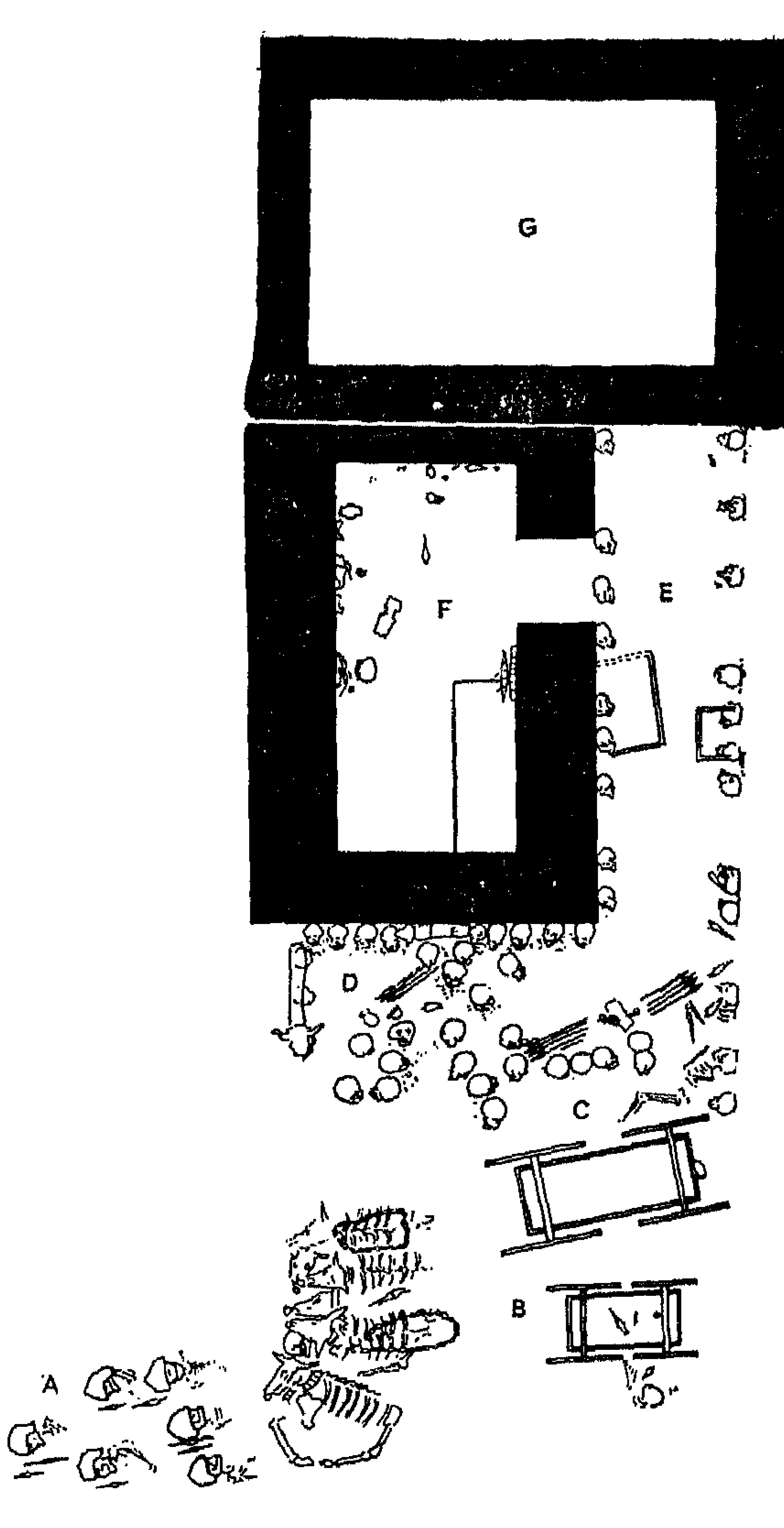
---

(1) Woolley, L., History Unearthed, «Ur of the Chaldees,» London, 1963, pp. 65-69.

(2) Saggs, Op. Cit., 377.



شكل رقم (٧٩)
كبش في غابة صغيرة مزين بالأصداف واللازورد والذهب



شكل رقم (٨٠ أ)
رسم مقبرة (الملكة) ثوب آد ويلاحظ تواجد هياكل أفراد الحاشية والمركبات وهياكل ثيرانها .

ومن الأهمية الاشارة إلى أن بعض حكومات تلك المدن السومرية كانت متعاصرة لحد كبير ولكن انتقلت السيادة السياسية فيما بينها حسب الظروف السياسية الخاصة بكل منها ، كما سجلتها قائمة الملوك السومرية .

وكانت السيادة السومرية التالية في أسرة مدينة لجش Lagash شمال أور ، وقد قام بتأسيسها الملك أور نانش Ur-Nanche . وقد بدأت تلك المدينة



شكل رقم (٨٠ ب)
حاشية (الملكة) شوب آد كما يتخيل أنها كانت أصلا قبل حفل التضحية البشرية مباشرة .

السومرية في النمو والتوسع السياسي والحربي والحضـــاري المعماري والأدبي ، ويتضح ذلك في نصوصها وآثارها . وقد أدى ذلك النشاط إلى ازدياد الصراع الداخلي والخارجي ، ففي المجال الداخلي اصطدمت السلطات المدنية مـــع السلطات الدينية وذلك على أساس السيادة المدنيـــة . وقد اتجه الملك اياناتوم Eannatum إلى توسيع دائرة نفوذ حكومة مدينة لجش على حساب المدن السومرية والسامية المجاورة وبصفة خاصة مدينة أما Umma وكذلك الوركاء وأور وكيش وأكشاك وماري . وكان انتصار اياناتوم على مدينة أما ، ذلك الانتصار الذي سجلته لوحة النسور ، من أهم عملياته الحربية ولكن سرعان ما استعادت بعد ذلك حكومة مدينة أما سيادتها مرة أخرى في عهد لوجال زاجيزي Lugalzagizi وعملت على أخذ الثأر من حكومـــة لجش التي كان يحكمها في ذلك الوقت آخر ملوكها وهو الملك أوروكاجينا Urukagina .

وفيما يلي تقويم زمني مبسط لأهم ملوك عصر بداية الاسرات السومرية :

اسرة أور الأولى (حوالي ٢٦٠٠ ق.م)	أسرة كيش (حوالي ٢٦٧٠ ق.م)	أسرة لجش (حوالي ٢٥٠٠ ق.م.)	أسرة الوركاء الثالثة (حوالي سنة ٢٤٠٠ ق. م.)
مس ــ آن ــ ني ــ بادا mes-an-ni-pad-da	مسليم Me-silim	أور نانش Urnanshe	لوجال زاجيزي Lugalzagizi
آن ــ ن ــ بادا. A-an-ni-pad-da	أجا Agga	ايانناتوم Eannatum	
		انانناتوم الأول Enannatum	
		انتمنا Entemena	
		انانناتوم الثاني Enannatum	
		اورو كاجينا Urukagina	

ولقد اتجه لوجال زاجيزي بعد انتصاره إلى استكمال تدعيم سيادة مدينة أما بل ومحاولة تحقيق الوحدة السياسية السومرية في جنوب العراق القديم. ولقد نجح لوجال زاجيزي لحد كبير في هذا الصدد ونقل عاصمته إلى مدينة الوركاء وأصبح ملكاً عليها في عهد الأسرة الثالثة للوركاء وذلك حوالي سنة ٢٤٠٠ ق. م. ويذكر لوجال زاجيزي في نصوصه « .. أن الإله انليل قد فتح الطريق أمامه (أي أمام لوجال زاجيزي) من البحر الدنلي ، بواسطة دجلة والفرات ، إلى البحر العلوي .. » وقد اتجه العلماء إلى تفسير ذلك بأن الملك لوجال زاجيزي قد تمكن من نشر سيادة دولته السومرية من الخليج العربي جنوباً حتى البحر الأبيض المتوسط غرباً ، ولكن يصعب تقبل ذلك بحذافيره وان كانت الوحدة السومرية قد تحققت في عهده ، ولكن تلك السيادة السومرية لم تدم بعد عصر لوجال زاجيزي بل لقد انتقلت السيادة السياسية إلى العناصر السامية في جنوب العراق على يد الملك السامي شاروم — كين وهو سرجون الأكدي .

عصر الدولة الأكدية :

تبدأ بالدولة الأكدية مرحلة جديدة في تاريخ بلاد الرافدين هي مرحلة الانتصار السامي الأول . ولقد كان كلا العنصرين السومري والسامي يقطن جنباً إلى جنب في جنوب العراق القديم منذ عصور ما قبل الأسرات وأثناء عصر بداية الأسرات السومرية . ويمكن ملاحظة تواجد الأسماء السومرية مع الأسماء السامية في قوائم حكام المدن السومرية مما يؤكد تعايش تلك العناصر مع بعضها ، ولقد كانت الهجرات السامية متعاقبة منذ عصور ما قبل الأسرات . وقد اجتذبت بلاد الرافدين تلك العناصر السامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية ، وأشارت الملاحم السومرية الأولى مثل ملحمة انمركار

وهو أن الوركاء ، إلى تلك الهجرات الساميـــة أثناء عصر بداية الأسرات السومرية .

والشخصية السامية الهامة التي بدأت السيادة السامية في العراق القديم هي شخصية الملك شاروم — كين Sharum-kin (سرجون) . وقــد سطرت النصوص الأكدية الكثير من الصفات التي تعطيه خصال القيــادة السياسية ، مظهرة كيفية انتقاله من نشأة غير عادية ، من أب غير معروف وأم أنجبتـــه سراً ووضعته في صندوق وقذفت به في النهر ، إلى شخصية القــائد المظفر الذي تمكن من الاستحواذ على السلطة وإيقاع الهزيمة بالملك السومري لوجال زاجيزي وتكوين الدولــة السامية الأولى مكان حكومات المدن السومرية . وقد اتبع شاروم — كين سياسة مركزية في حكمه بدأها بتأسيس العاصمـــة السامية الجديدة للدولة وهي مدينة أكد Agade ، والتي لم يتعرف عليها حتى الآن ، ثم تبع ذلك بتعيين حكام خاضعين للحكومة المركزية ومدعمين بالقوة الحربية في المدن الأخرى . وبعد نجاحه في توطيد شئون تلك الدولة الأكدية في الاطار الداخلي اتجه إلى المجال الخارجي وأظهر نشاطاً كبيراً في النطاق الاقتصادي في سوريا وآسيا الصغرى وعيلام وعُمان . وقد استمر حكم الملك شاروم — كين ، أنظر شكل رقم (٨١) ، من سنة ٢٣٧١ — سنة ٢٣١٦ ق. م. وفيما يلي تقويم زمني مبسط لأهم ملوك الدولة الأكدية والأسر التالية حتى نهاية الألف الثالث ق. م. :

الأسرة الاكدية ٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق.م

شاروم – كين Sharum-kin

٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق.م.

نارام سين Naram-Sin

٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق.م.

أسرة لجش الثانية

حوالى ٢٢٠٠ – ٢١٠٠ق. م.

جوديا Gudea

حوالى ٢١٥٥ ق.م.

أسرة لارسا

نابلانوم Naplanum

حوالي سنة ٢٠١٠ ق.م.

الأسرة الجوتية

٢٢٥٠ – ٢١٢٠ ق.م.

٢١ ملكاً

أسرة ايسين

اشبي – ارا Ishbi-Erra

٢٠١٨ – ١٩٨٥ ق.م.

أسرة أور الثالثة

٢١١٣ – ٢٠٠٦ ق.م

أور–نامو Ur-nammu

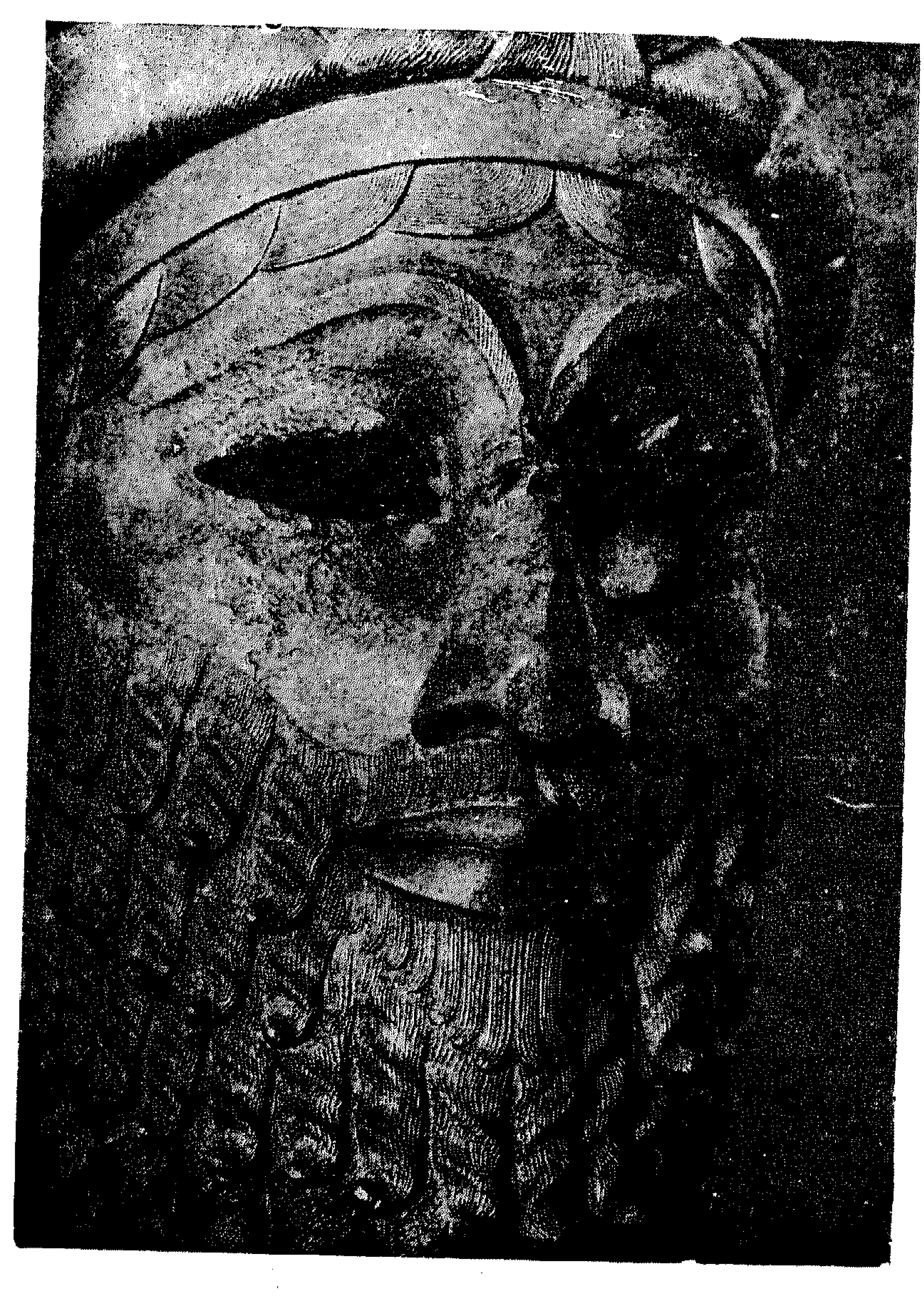
٢١١٣ –٢٠٩٦ ق.م.

شولجي Shulgi

٢٠٩٥ – ٢٠٤٨ ق.م.

ابي سون Ibbi-Suen

٢٠٢٩ – ٢٠٠٦ ق.م.

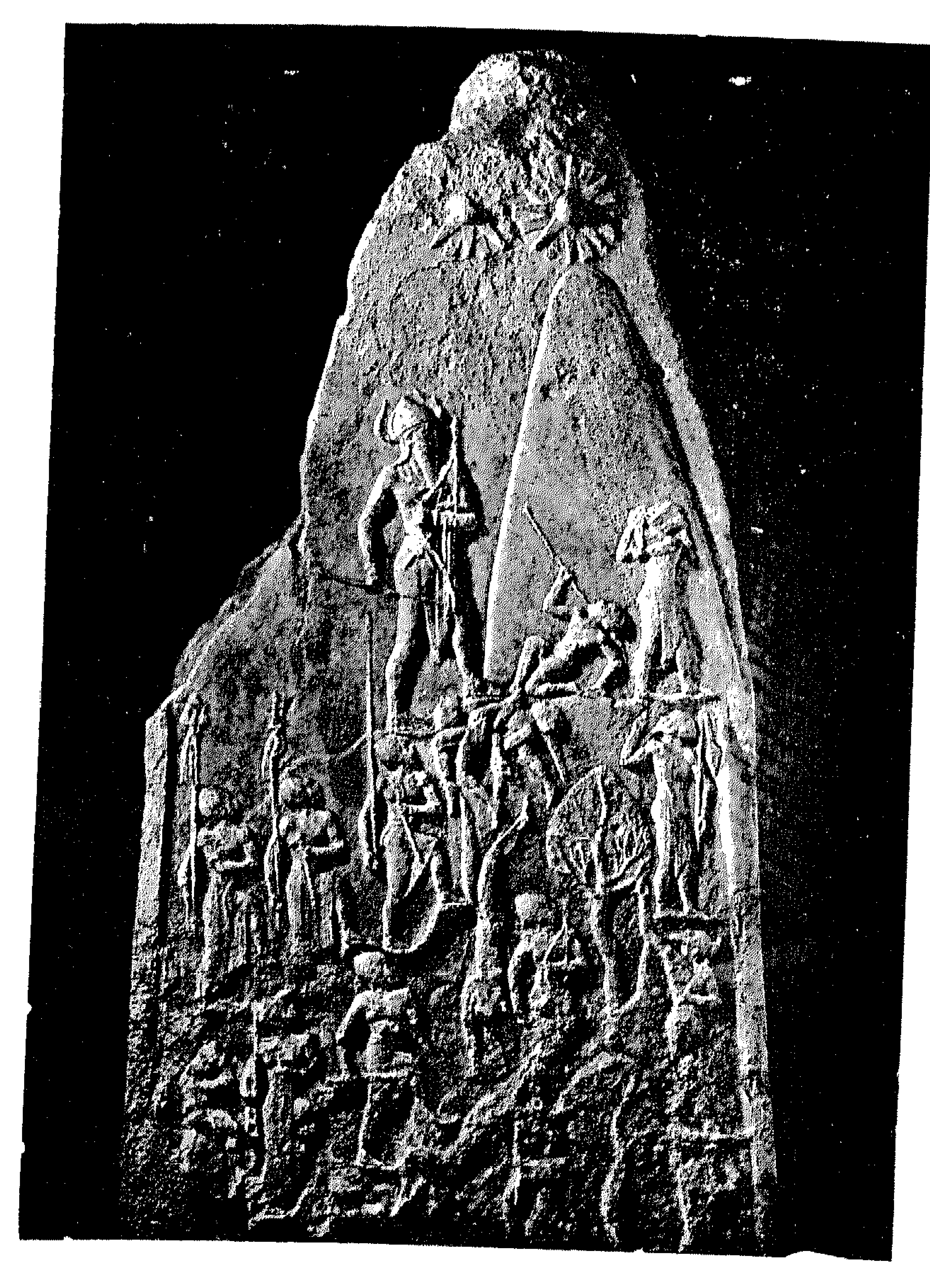


شكل رقم (٨١) رأس الملك شاروم — كين

والشخصية السامية الهامة الثانيــة في تلك الأسرة هي شخصية الملك نارام سن — Naram-sin الذي حكم الدولة الأكدية من سنة ٢٢٩١ — ٢٢٢٥ ق . م . وهو من الشخصيات السياسية الفريدة من حيث حمله الصفة الإلهية في ألقابه ، حيث ذكر في نصوصه أنه « نارام سن — المقدس ، إله أكد ». وتلك الحقيقة من الأهمية بمكان لأن نظام الملكية في العراق القديم كان يقوم على أساس الملكية الانسانية وليست الملكية الإلهية ، بل إن التعبير السومري لوجال يعني الرجل العظيم وليس الإله العظيم . وتعتبر هذه الظاهرة من أهم الخصائص التي تميز بها نظام الحكم في العراق القديم بالمقارنة بنظام الحكم في مصر في العصر الفرعوني حيث كانت الملكية الالهية من اهم أسس التاريخ والحضارة المصرية القديمة .

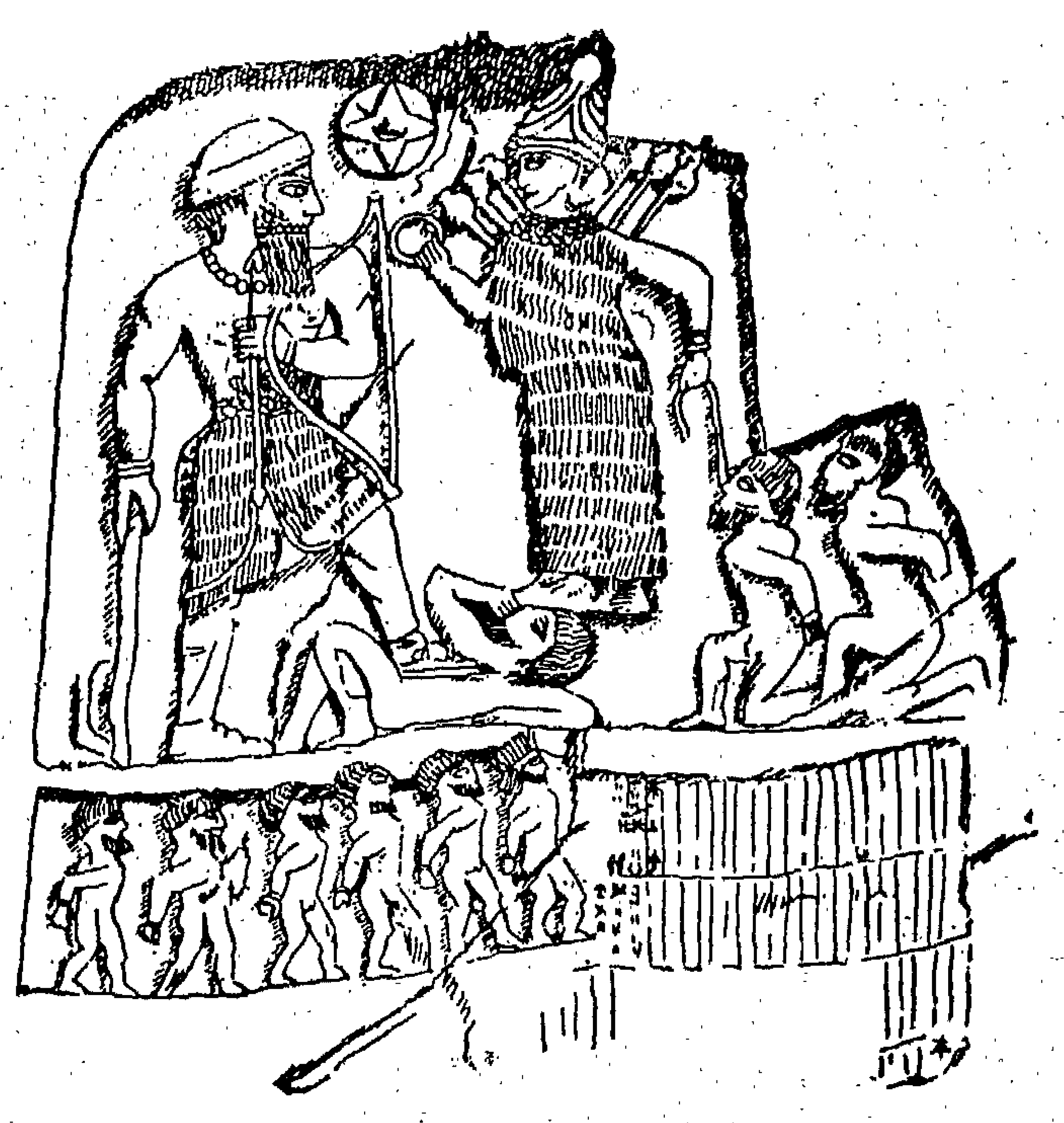
وفي المجال السياسي حقق نارام — سن الكثير من الانتصارات الحربية في كافة الجبهات الجبلية الشمالية الشرقية والغربية والجنوبية ، وقــد خلّد انتصاراته على العناصر القبليــة الجنوبية المعروفة باسم اللولو Lullu في لوحته الشهيرة ، أنظر شكل رقم (٨٢) ويظهر فيها نارام — سن وهو يبدو في حجم أكبر تأكيداً لحمله لصفة خاصة وكذلك في لبسه تاجاً ذو قرنين متقدماً جيشه على سفوح الجبال ، بينما يظهر اعداؤه في حالة انهزام شديد . ومن ناحية أخرى عثر على بعض آثار الملك انوبانيني Anubanini ملك قبائل اللولو تبين بعض انتصاراته ، أنظر شكل رقم (٨٣) ، ولكن الانتصار النهائي كان لنارام — سن الذي تمكن أيضاً من التحكم في الجنوب في بلاد ماجان Magan وهي منطقة عُمان على ساحل الخليج العربي ، كما عثر على آثار له في الشمال والغرب. وقد ذكر في ألقابه أنه ملك الجهات الأربع مؤكداً بذلك تحكمه السياسي والحربي في المناطق المجاورة وربما كان لذلك أثره في حمله للصفة الالهية .

ولقد اتبع نارام — سن سياسة المركزية المطلقة في نظام حكمه لتلك



شكل رقم (٨٢)

لوحة النصر للملك نارام – سن



شكل رقم (٨٣) نحت للملك انوبانيني ملك اللولو سجل فيه انتصاراته

الدولة السامية الكبيرة ، ولم يرض ذلك العناصر السومرية التي كانت تحاول من آن إلى آخر استعادة سيادتها السومرية ، ولذلك اتجهت إلى القيام بالثورات ضد الأكديين . ومن الأهمية الاشارة أيضاً إلى أنه يتضح في تاريخ بلاد الرافدين في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد تداخل العناصر البشرية المتعددة ومحاولة كل منهما احلال نفوذها على حساب العناصر الأخرى ، ولكن السيادة الحضارية السومرية الأصل كانت منتشرة على الرغم من حمل تلك العناصر لمقومات حضارية خاصة بها . ولم تقتصر تلك العناصر على السومريين والساميين والعناصر الجبلية بل ظهرت في جنوب العراق القديم عناصر هندية — أوروبية وافدة من الهند ومتجهة نحو الغرب وهي العناصر الحورية . وتعاود تلك التحركات البشرية الهندية — الأوروبية انتقالها نحو الشرق الأدنى القديم أثناء

الألف الثاني قبل الميلاد وتظهر في شكل شعوب الهكسوس في مصر بعد اختلاطها ببعض العناصر السامية في سوريا وفلسطين وهي في طريقها نحو مصر ، وتظهر أيضاً في الشعوب المكونة لدولة ميتاني في شمال شرقي سوريا وهي العناصر الحورية والسوبرية ، وأيضاً في شكل شعوب البحر في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد . وقد كان لتواجد تلك العناصر المختلفة في جنوب العراق في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد أثره البالغ في زعزعة السيادة الأكدية ، مما نتج عنه ضغط تلك العناصر السومرية والجبلية والهندية ـ الأوروبية على الدولة الأكدية . وقد نجح السومريون في مدينة الوركاء في استعادة سيادتهم قرب نهاية الدولة الأكدية ، وقد اشارت إلى ذلك قائمة الملوك السومرية .

وعاد الموقف السياسي في جنوب العراق القديم إلى الانقسام السياسي الذي كان سائداً لحد كبير أثناء عصر بداية الأسرات السومرية . ومن العناصر الجبلية التي تعمقت في تسللها إلى جنوب العراق القديم العناصر الجوتية التي تمكنت من فرض نفسها مكونة العصر الجوتي . ويلاحظ أن ذلك العصر يتداخل زمنياً مع نهاية عصر الدولة الأكدية مما يؤكد ظاهرة التسلل والتواجد لتلك العناصر الجبلية أثناء حكم الأكديين . وقبل الاحاطة بالعصر الجوتي تلزم الاشادة بعصر الدولة الأكدية من النواحي السياسية وتمكنها لحد كبير من تحقيق الوحدة السياسية ، وكذلك أيضاً نشاطها من الناحية الاقتصادية من حيث وصول معاملاتها التجارية شرقاً حتى الهند ، مما دعم كيان الدولة في ذلك الجانب ، ولكن نجاح العناصر الجوتية في التدخل في جنوب العراق القديم قد أدى إلى إحلالها الفوضى السياسية والاقتصادية مكان الاستقرار الذي ساد عصر الدولة الأكدية .

العصر الجوتي

يعتبر العصر الجوتي من أغمض عصور بلاد الرافدين وقد دام من حوالي سنة ٢٢٥٠ إلى حوالي سنة ٢١٢٠ ق . م . وقد سجلت قائمة الملوك السومرية ٢١ ملكاً في تلك الفترة ولكن اولئك الحكام حكموا لفترات وجيزة وغلبت عليهم النزعة الاستغلالية ، فقد سادت ذلك العصر مظاهر الفوضى السياسية وعدم تقدير حرمة معابد الآلهة . وعلى الرغم من وراثة الجوتيين لبعض العناصر الحضارية الأكدية وحمل بعضهم للأسماء السامية فإن ذلك لم يجد أمام نزعاتهم القبلية الجبلية . وبذلك عادت اللامركزية السياسية إلى البلاد وانتهزت بعض المدن السومرية ذلك التفكك السياسي وعملت على استعادة مكانتها السابقة ، وقد تحقق ذلك أثنـــاء العصر الجوتي ، مثل أسرة لجش الثانية . وذلك عندما بزغت شخصية فريدة في تاريخ بلاد الرافدين وهي شخصية جوديا Gudea وكان جوديا وهو الملك الرابع لأسرة لجش الثانية ، يجمع بين الحكمة والتقوى والورع والعمق مما أدى إلى اجتذابه احترام المجتمع السومري . وقد عبر الأدب والنحت السومري أجمل تعبير عن شخصية جوديا ، أنظر شكل رقم (٨٤) . وفي عصر جوديا عـــاد نسبياً الاستقرار السياسي والاقتصادي في نطاق مدينة لجش التي تمكنت من التحكم في المدن وبعض الأقاليم المجاورة حتى عيلام وماجان ، وفي المجـــال التجاري حتى لبنان وآسيا الصغرى .

وانتقلت السيادة السياسية من بعده إلى أفراد أسرته ولكن لم تظهر شخصية أخرى مناظرة له في مدينة لجش بل انتقلت السيادة إلى مدينة أخرى هي الوركاء على يد شخصية قوية أيضاً هي شخصية أوتو ـــ حنجال Utu-hengal الذي حكم تلك المدينة من حوالي سنة ٢١٢٠ ـــ ٢١١٤ ق . م . وحاول إعادة السيادة المركزية لحكومة مدينة الوركاء مستخدماً الأسلوب السياسي



شكل رقم (٨٤) جوديا

الأكدي في نظام الحكم ، وتعيين مندوبين عنه في حكم المدن الأخرى الخاضعة لنفوذه . وكان من أهم أولئك الحكام أور — نامو Ur-nammu في مدينة أور ، الذي تمكن من الاستقلال بحكم تلك المدينة مؤسساً أسرة سومرية جديدة هي أسرة أور الثالثة .

أسرة أور الثالثة

تمثل أسرة أور الثالثة مرحلة أخيرة للسيادة السومرية السياسية والحضارية في العراق القديم . وقد نجح أور — نامو في استعادة تلك السيادة ولذلك يعتبر عصره بمثابة نهضة سومرية قرب نهاية الألف الثالث ق . م . وفي المجال السياسي تمكن أور — نامو الذي حكم من سنة ٢١١٣ حتى سنة ٢٠٩٦ ق . م . ، من نشر النفوذ السومري على جنوب العراق القديم ، ونجح أيضاً في إيقاف التسللات الجوتية . أما في المجال الحضاري والاقتصادي فقد اتسع نفوذه السومريين إلى الأقاليم المجاورة وبصفة خاصة ماجان وعيلام وشمال العراق . وقد خلدت الحضارة السومرية في عصره في الأدب والفن بأقسامه كالنحت والنقش وبصفة خاصة عمارة الزقورات . ومن أشهر آثاره زقورة أور وهي المعبد المدرج المكون من ثلاث درجات على قمتها معبد إله القمر نناNanna وكذلك لوحة كيفية بناء الزقورات ، أنظر شكل رقم (٨٥) . وقد خلف أور — نامو ابنه الملك شولجي Shulgi الذي حكم من سنة ٢٠٩٥—٢٠٤٨ق. م والذي استمر على سياسة أور — نامو فدعم الكيان السومري السياسي والاقتصادي . وقد عثر على آلاف اللوحات الطينية من عهدي أور — نامو وابنه والتي تتحدث عن كافة الجوانب السياسية والقانونية والدينية وتعتبر سجلا لحياة المجتمع السومري في تلك المرحلة . ولكن الموقف السياسي قد تغير كلياً في عهد الملك السومري ابي — سون Ibbi Suen الذي حكم من سنة



شكل رقم (٨٥) لوحة بناء الزقورات للملك أور - نامو

٢٠٢٩ — ٢٠٠٦ ق . م . حين تعرضت تلك الدولة السومرية إلى تسللات بشرية سامية جديدة و كذلك عيلامية .

والواقع أنه من الظواهر الهامة التي تواجه المؤرخ في تاريخ الشرق الأدنى القديم ظاهرة التحركات البشرية المحدودة والضخمة إما في شكل تسللات جماعية أو شكل غارات مفاجئة . ومن الثابت أن القارة الآسيوية أكبر القارات على سطح الكرة الأرضية هي مصدر رئيسي لتلك التحركات البشرية الخارجة بصفة خاصة من شبه الجزيرة العربية والأمتين الهندية والصينية فبينما خرجت التحركات البشرية السامية والحامية من شبه الجزيرة العربية كانت التحركات الهندو — أوروبية أو الآرية من القارة الهندية . وترجع الأسباب الرئيسية لتلك التحركات البشرية إلى العوامل الاقتصادية بسبب الضغط البشري الهائل الذي يستوجب البحث عن الأودية الخصبة والمناطق الجديدة الصالحة للحياة والاستقرار . ولقد كان العراق القديم منطقة اجتذاب لتلك التحركات البشرية باعتباره يمثل جزءاً رئيسياً من الهلال الخصيب الواقع شمال شبه الجزيرة العربيـــة وكذلك بحكم موقعه في طريق التحركات البشرية الخارجة من الهند والمتجهة نحو الغرب بعد عبورها الهضبة الايرانيـــة . ولا تقتصر تلك التحركات البشرية على الجوانب الاقتصادية بل إنها تحمل في طياتها الكثير من التقاليد المتوارثة والمكتسبة خلال انتقالاتها إلى أماكـــن استقرارها . وقد واجه العراق القديم الكثير من تلك التحركات البشرية مما طبعه بطابع بشري متعدد الجوانب في ذلك الوقت ، فقد قطن العراق منذ البداية العناصر السامية والسومرية بالإضافة إلى العناصر العيلامية والعناصر الجبلية كاللولو والجوتيين وغيرهم . وكان لذلك التعدد البشري أثره في صعوبة إقرار الوحدة السياسية في عصر بداية الأسرات السومرية . ومن ناحية أخرى كان لذلك التعدد البشري أيضاً نتائجه في المجال الفكري العراقي القديم من ناحية عدم التجانس الفكري ، إذا قورن بذلك التجانس الكائن في مصر في العصر

الفرعوني بسبب أستقرارها إلى حد كبير في المجالين البيئي والبشري . وقد نجم عن ذلك ازدياد ظاهرة عدم الاطمئنان في المجتمع العراقي القديم، وانعكس ذلك الشعور في المعتقدات الدينية والإيمان بظاهرة الشخصية الذاتية وتقديس عدد كبير من القوى الطبيعية . ولم تقتصر التحركات البشرية في تأثيراتها على تلك الجوانب السالفة الذكر ، بل لقد ظهرت أيضاً في المجال السياسي قرب نهاية عصر الدولة الأكدية وفي المرحلة التالية لها وهي مرحلة العصر الجوتي، وأيضاً قرب نهاية عصر أسرة أور الثالثة .

وكانت تلك التحركات البشرية الأخيرة تحركات العناصر السامية الأمورية نسبة إلى منطقة سوريا التي حملت هذا الاسم أمرو Amurru وتمثل تلك العناصر إحدى الشعب الشمالية الغربية للعناصر السامية التي سارت بحذاء نهر الفرات ونزلت جنوب العراق القديم متخذة مدينة ايسين Isin مركزاً لها . ومن الأهمية الاشارة إلى أن تلك التحركات السامية الأخيرة لم تكن في شكل تسللات بل أقرب إلى الهجوم المباشر . وقد عثر على وثيقة هامة هي خطاب موجه إلى الملك السومري ابى — سون من إشبى — ارا Ishbi-Erra الذي ينتمي أصلا إلى مدينة ماري والذي انتهز فرصة تدخل العناصر الأمورية وأصبح ملكاً على مدينة ايسين ، يقول فيه ان الأموريين قد دخلوا البلاد واستولوا على القلاع (١) . وقد أدى ذلك الهجوم الأموري إلى اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية مرة أخرى في جنوب العراق. وابتداء من حوالي سنة ٢٠١٧ ق . م استقل اشبى —ارا بحكم مدينة ايسين وانفصل كلية عن سلطة ابى — سون في مدينة أور وبذلك عادت اللامركزية إلى التواجد .

ومن ناحية أخرى تدخلت عناصر بشرية جديدة في الموقف وهي العناصر الجبلية والعناصر العيلامية . وقد نجحت العناصر العيلامية في الهجوم على

(1) Saggs, H. W. F. Op. cit., 58.

جنوب العراق القديم ودخول مدينة أور وإنهاء أسرة أور الثالثة كلية وأسر ملكها ابي ــ سون ونقله إلى عيلام . واتخذ العيلاميون مدينة لارسا مركزاً لهم. بذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ بلاد الرافدين هي مرحلةالاحتلال الآموري ــ العيلامي ، أو كما يصطلح عليها أيضاً بمرحلة أسرتي ايسين ولارسا وذلك خلال السنوات الأخيرة من الألف الثالث وبداية الألف الثـــاني قبل الميلاد .

ومن الأهمية الإشارة أيضاً إلى أن تلك التحركات السامية التي كانت من الأسباب التي أنهت الأسرة السومرية الثالثة في مدينة أور لم تقتصر على اتجاهاتها نحو جنوب العراق القديم بل لقد ظهرت شعبة سامية غربية أخرى اتخذت طريقها نحو شبه جزيرة سيناء ودخلت واستقرت في شرقي دلتا مصر أثناء عصر الانتقال الأول وهي المرحلة المتضمنة للأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة وذلك من حوالي سنة ٢٢٨٠ حتى ٢٠٥٢ ق . م . أي أثناء العصر الجوتي وأسرة لجش الثانية وأسرة أور الثالثة في العراق القديم . وينبغي على المؤرخ ربط تلك العناصر المشتركة في تاريخ مصر وغربي آسيا في تفسيره للأحداث التاريخية ، فإن التحركات السامية التي تسللت إلى شرقي الدلتا أثناء عصر الانتقال الأول في مصر القديمة تعتبر جزءاً من تلك الموجة البشرية التي سادت تاريخ الشرق الأدنى القديم قرب نهاية الألف الثالث ق . م . والتي كانت من العوامل الخارجية التي هددت معالم الاستقرار السياسي في كل من مصر وبلاد الرافدين ، وكانت من أسباب إنهاء الدولة القديمة في مصر وأسرة أور الثالثة في العراق القديم .

هذا وقد استمرت تلك التحركات البشرية خلال الألفين الثاني والثالث ق . م . مثل هجرات الشعوب الهندية ــ الأوروبية التي تحركت أصلا من الهند ووصلت إلى أوربا عبر الشرق الأدنى وكذلك حول البحر الأسود إلى شبه جزيرة البلقان ومنها شرقاً إلى الأناضول . وقد غيرت تلك الهجرات البشرية الضخمة ميزان الكيان البشري والسياسي والحضاري في المنطقة .

أما فيما يتعلق بشكل التنظيم السياسي في مصر أثناء الألف الثالث ق . م . فقد كان يختلف كل الاختلاف عنه في بلاد الرافدين حيث يعتمد في مصر على مبدأين رئيسيين هما نظام الملكية الالهية وعقيدة الخلود والأبدية .

وقد حاول بعض المؤرخين بحث أصل ذلك النظام وهل ظهر لأول مرة في المجتمعات الآسيوية أو الافريقية ، ويتجه بعضهم إلى إعطاء أهمية خاصة إلى نظام الملكية في المجتمعات الافريقية حيث لا يزال حتى الوقت الحاضر كائناً في صور قبلية في بعض مناطق افريقيا الاستوائية . وقد لاحظ هؤلاء العلماء وجود صلة بين بعض مظاهر ذلك النظام من ناحية ونظام الملكية المصرية الفرعونية من ناحية أخرى . ومن أهم تلك المظاهر ناحية الاشتراك في الحكم بمعنى إشراك ابن الملك أو أحد أقاربه مع الملك وخاصة في المراحل الأخيرة من توليه وظيفة الملكية وذلك لضمان استمرار أسرة الملك في وراثة حكم المدينة أو القبيلة . هذا بجانب وجود بعض الأعياد مثل عيد حب سد Heb-Sed وهو عيد مصري يفسر على أنه يمثل اليوبيل الثلاثيني أو بمعنى آخر مرور حوالي ثلاثين عاماً على تتويج الملك على العرش ، وهو يشبه بعض الأعياد التي تحتفل بها القبائل الافريقية مما يجعل العلماء يعتقدون في أصلها الافريقي (١) ولكن من ناحية أخرى يمكن القول بامكانية اعتبار الملكية المصرية القديمة مصدراً لنظام الملكيات الافريقية ، كما أنه من المحتمل افتراض تواجد أصل افريقي آخر لهما . وقد ظهرت في ميزوبوتاميا الملكية في حكومات المدن منذ البداية كما ظهرت في مصر وبقية مناطق الشرق الأدنى القديم ، ولكن الملكية في كل من العراق القديم ومصر كانت ذات طابع خاص يختلف عن المناطق الأخرى في المراحل السابقة للعصر التاريخي وأثنائه . وقد استمر ذلك النظام الملكي في أثناء العصر التاريخي محتفظاً ببعض العناصر الأساسية السياسية والدينية التي ارتبطت به منذ البداية في المراحل السابقة للعصر التاريخي . ولذلك يمكن القول بأن الأصول

---

(١) أنظر Seligman, Egypt and Negro Africa.

الأولى في نظام الملكية قد تكونت في تلك المرحلة السابقة مباشرة للعصر التاريخي . ويعتبر التوصل إلى ذلك النظام من أهم مظاهر الانتاج الحضاري المعنوي من ناحية تكوين بعض المبادىء السياسية الأولى . ولم يكن نظام الملكية في الشرق الأدنى القديم مجرد نظام حكم للمدينة أو الدولة بمعنى أنه يقتصر على الناحية السياسية فقط بل لقد كان في الحقيقة جامعاً للناحيتين السياسية والدينية . وقد اختلف ذلك النظام في مصر عنه في العراق القديم ، وذلك لاختلاف المقومات التاريخية والحضارية والبيئية في كلا المنطقتين . فنظام الملكية كنظام سياسي كان في الواقع انعكاساً عملياً للقيم و المبادىء السياسية والدينية التي بدأت في التكون في المرحلة السابقة للعصر التاريخي . وقد امتازت الملكية المصرية الفرعونية بطابع خاص وهو أن الملك المصري كان يعتبر إلهاً على الأرض وكان يقوم بدور الوسيط بين العالم الانساني وعالم الآلهة حتى يتمكن من ضمان استقرار واطمئنان وتحقيق المطالب الانسانية لدى السلطات الإلهية . أما عن تفسير ألوهية الفرعون المصري وكيف نشأت وكيف اقتنع المجتمع المصري وآمن بألوهية حكامه ، فالواقع أن هذا الموضوع متصل اتصالا وثيقاً بالعناصر الأساسية التي شكلت المبادىء والقيم المصرية منذ البداية ، وتتركز تلك العناصر بصفة خاصة على تأثر الانسان بكافة المقومات البيئية المحلية في مصر تأثراً كاملا بطريق مباشر أو غير مباشر . فقد بدأ الانسان حياته المستقرة بالزراعة ونشأ لأول مرة المجتمع الزراعي المستقر والمعتمد على ضمان توفير مياه الري ومساعدة العوامل الطبيعية المختلفة اللازمة للانتاج الزراعي السليم . أدرك الانسان في المجتمعات المستقرة الأولى تلك الحقيقة وشعر بتجاربه المستمرة بضرورة ضمان ذلك الاستمرار حتى يطمئن على حياته المستقبلة ؛ وفي نفس الوقت آمن الانسان بالظواهر الطبيعية المحيطة به والمسيطرة على تلك البيئة ، وشعر بارتباط حياته ومستقبله بتلك القوى الكونية المسيطرة على هذا العالم . وقد اعتبر أن الملك أي رئيسه المباشر هو أحق من يقوم بوظيفة الوساطة بين

الانسان والآلهة حتى يستطيع أن يضمن رضاء تلك القوى على الانسان وبالتالي اطمئنان الانسان على حياته الحاضرة والمستقبلة . ولذلك ارتبط ملوك مصر بعالم الآلهة ارتباطاً كبيراً لم يألفه المؤرخ في أنظمة الحكم الأخرى في منطقة الشرق الأدنى القديم . وكذلك ساعدت البيئة المصرية على إيمان الانسان في مصر بصفة خاصة ببعض القيم والمبادىء التي سادت مصر الفرعونية ومن أهم تلك المبادىء ظاهرة استمرار الحياة في العالم الآخر وعدم توقفها بانتهاء الحياة الدنيوية . وقد اعتقد المصريون في ظاهرة الأبدية والخلود بعد أن لمسوا تلك الظواهر جميعها في البيئة المصرية ذاتها بمختلف مظاهرها ، فحياة النبات والحيوان والانسان والجماد والأنهار والجزر (١) تعطي صورة واضحة لظاهرة الحياة والموت ، فجميعها تبدأ حياتها وتنمو وتزدهر في فترات مختلفة ثم سرعان ما تنتهي ثم تبدأ من جديد مؤكدة ظاهرة الاستمرار والتكرار المنتظم وموحية للباحث وللانسان القاطن في تلك البيئة المنتظمة بضرورة الاعتقاد بارتباط حياته ومصيره بالقوى الإلهية المنظمة والمتحكمة في هذا الكون، وضرورة وجود وساطة بين الانسان وبين تلك القوى الإلهية لضمان استقرار الحياة الانسانية والسعادة في الدنيا وفي العالم الآخر . وتبدأ حياة الملك في مصر الفرعونية بولادته المقدسة ويستمر في حياته الدنيوية محتفلا كل عام بتتويجه واستعادته سلطته الملكية . ومن أهم الأعياد التي تساعده على تلك الاستعادة عيد حب سد وأعياد التتويج ، ثم تنتهي حياته الدنيوية ويبدأ حياته الأبدية في العالم الآخر . ومعنى ذلك أن حياته لا تنتهي بل تستمر في العالم الآخر تحقيقاً لظاهرة الاستمرار المنتظم التي تتصف بها البيئة المصرية ، وأوضح الأمثلة على ذلك

---

(١) وقد عبر المصري أثناء العصر الفرعوني عن حقيقة بزوغ بعض الجزر بعد انحسار مياه الفيضان ؛ بالرمز الهيروغليفي 'H خع .

A. Erman & H. Grapow, Wôrterbuch der Aegyptischen Sprache, Vol. III, Leipzig, 1929, P. 229.

El-Nadoury, R. S. The Egyptian Term Hʿ-NSWT and the Problems of the « Accession » of the Egyptian King, a Dissertation, Chicago, 1953, P. 21.

الشمس التي تولد في الشرق صباح كل يوم وتسبح في السماء ثم تموت في الغرب، ثم تولد من جديد مؤكدة بذلك حقيقة الحياة والموت والاستمرار في الحياة من جديد .

أما الملكية في العراق فقد كانت مغايرة للملكية المصرية كلية وذلك لاختلاف البيئة العراقية القديمة عن البيئة المصرية وكذلك اختلاف وجهة نظر الانسان وعلاقته بتلك البيئة في العراق عنه في مصر . فعلى الرغم من توصل كل من المجتمعات العراقية القديمة والمصرية ابتداء من عملية انتاج الطعام إلى الاستقرار ونشأة القرى لأول مرة في حياه الانسان واعتماد ذلك الاستقرار على علاقة الانسان بالأنهار لحد كبير ، فإن البيئة العراقية تختلف اختلافاً كلياً عن البيئة المصرية من نواحي مدى انتظام استمرار الظواهر الطبيعية في تلك البيئة . فالبيئة العراقية القديمة تتركز بطبيعة الحال في نهري دجلة والفرات اللذين يلاحظ أنهما يفيضان في أوقات مختلفة مما أعطى صورة مضطربة للانسان القاطن على جانبيهما . كما أنه لاحظ أيضاً أن لون مياه كلا النهرين يختلف نسبياً عن الآخر أثناء الفيضان لاختلاف جيولوجية منابع وأراضي كل منهما عن الآخر ، هذا بالإضافة إلى كثرة الأمطار والزوابع مما أوحى إلى الانسان في تلك البيئة غير المنتظمة إلى عدم الاطمئنان اليها وإلى الاعتقاد بوجود شخصية ذاتية في كل شيء فيها . وقد آمن الانسان في العراق القديم بذلك بعد كثرة تجاربه مع تلك البيئة غير المنتظمة مما أدى إلى نظرته إلى العالم المحيط به على أساس ديمقراطي يسوى بين كافة مكوناته الأرضية والجوية والانسانية والحيوانية والنباتية والجمادية ، وذلك لاحتفاظ كل منها بشخصية ذاتية تعطيه كياناً خاصاً، وعلى ذلك اعتبر أن العالم ماهو إلا مجموعـــة تلك الشخصيات الكائنه الحية والجامدة . وكان لذلك الاتجاه الديمقراطي والعالمي في التفكير الأثر البالغ في توجيه بعض المبادىء السياسية والدينية في العراق القديم . ولذلك لم ينظر الانسان في العراق القديم إلى عالم الآلهة بنفس الصورة التي نظر بها الانسان في مصر . وليس معنى ذلك عدم اتصال الانسان في العراق القديم بعالم الآلهة

كلية ، بل لقد كانت له عقائده المؤمنة بتلك القوى الطبيعية ولكنـــه لم يصل في علاقته بتلك الآلهة إلى تأليه ملوكه أو حكامه كما كان الحال في مصر الفرعونية.وقد اتصفت الملكية في العراق القديم ببعض الصفات المميزة لها وأهمها وجود بعض مظاهر التفكير الديمقراطي البدائي المرتبط بهـــا . فنظام الحكم في العراق القديم كان يجمع بين حكم الفرد المطلق واشتراك الرجال الأحرار في المدينة فيه . ومما ساعد على اتجاه المجتمعات العراقية القديمة إلى ذلك الاتجاه السياسي الخاص عدم وجود وحدة سياسية في البداية ، فتلك المجتمعات كانت تقطن فيها العناصر السومرية والعناصر السامية جنباً إلى جنب دون تفرقة عنصرية بينها .

وينقسم الألف الثالث في مصر إلى العصور التالية :

(١) العصر الثيني أو عصر ما قبيل الأسرات أو عصر بداية الأسرات ، ويتضمن الأسرات الأولى والثانية والثالثة من حوالي ٣١٠٠ ق . م . إلى حوالي ٢٦١٣ ق . م .

(٢) عصر الدولة القديمة أو عصر بناة الأهرام ، ويتضمن الأسرات الرابعة والخامسة والسادسة من حوالي ٢٦١٣ — ٢١٨٥ ق . م .

(٣) عصر الانتقال الأول أو عصر الثورة الاجتماعية الأولى أو العصر الاقطاعي الأول ، ويتضمن الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة من حوالي ٢١٨٥ — ٢٠٠٤ ق . م .

أما فيما يتعلق بالعصر الثيني أو عصر ما قبيل الأسرات أو بدايتها فهو مرحلة مكملة لعصور ما قبل الأسرات الأخيرة . ويمكن بلورة معالم ذلك العصر في القيام بعملية تدعيم الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب ، وقد تطلب ذلك عدة إجراءات أمن داخلي وخارجي وكذلك استكمال التنظيمات الإدارية بالدولة المتحدة الجديدة وأيضاً زيادة الاهتمام بالجانب الاقتصادي الزراعي والصناعي بها .

وقد سجلت النصوص المصرية القديمة قيام ملوك تلك المرحلة سنوياً بعمليات

حربية لتأمين حدود الدولة . وقد شمل ذلك الحدود الغربية والجنوبية حيث كانت العناصر الحامية تقطن في الصحراء الليبية ، تلك العناصر المعروفة باسم التحنو والتي تشعبت عن البربر ، وكذلك العناصر الحامية النوبية والتي كانت تتجمع في شكل قبلي تحمل اسم واوات ويام وغيرها . أما من الناحية الشرقية فقد كانت العناصر السامية مثل العآمو وغيرها تحاول التدخل مما تطلب ضرورة القيام بالحملات المضادة .

أما فيما يتعلق بالشؤون الداخلية فقد كان موضوع وراثة العرش محور نزاع رئيسي مما كاد يؤدي إلى تهديد الوحدة السياسية للبلاد . ويمكن القول أن تعدد الأسرات في تاريخ مصر في العصر الفرعوني يرجع إلى حد كبير إلى تلك المشكلة وعلى الرغم من أن نظام الملكية الالهية يحدد الوراثة ، لكن ظاهرة التنافس على العرش قد أدت إلى ذلك النزاع الداخلي . ويدخل في هذا الصدد موضوع الزواج السياسي والدم الملكي الإلهي . وكان من الضروري تبرير ذلك أمام المجتمع المصري القديم وذلك عن طريق الأدب الأسطوري الهادف إلى تدعيم وجهة نظر الحاكم الجديد . وقد تطلب التنظيم الداخلي أيضاً إنشاء إدارة لشؤون الدلتا وإدارة لشؤون الصعيد وتقسيم البلاد إلى مقاطعات لكل منها عاصمة . أما عاصمة الدولة فكانت مدينة منف وهي في مركز يقترب من تلاقي المملكتين الشمالية والجنوبية وهي حالياً قرية ميت رهينة عند البدرشين . ولم يكن تحديد موقعها وعملية إنشائها مصادفة بل كان نتيجة تخطيط دفاعي وجغرافي دقيق (١) .

ولم تقتصر واجبات الفراعنة على النشاط السياسي الحربي بل كان لهم نشاطهم المدني . في مجال الزراعة وما تتطلبه من مشروعات الري والترع وإقامة الجسور . وقد سجلت الوثائق المصرية المختلفة ذلك النشاط ، وابتداء من الأسرة الثالثة بالذات وحكم الملك زوسر مؤسسها ازدادت نسبة الاستقرار

(١) انظر الأستاذ الدكتور أحمد بدوي : في موكب الشمس ، الجزء الأول .

السياسي في مصر وتبلور نظام المركزية المطلقة في الحكم ، كما نمت العقيدة المصرية القديمة وتمثلت في العمارة الدينية بصفة خاصة في مناطق سقارة والجيزة . ومن ناحية أخرى اهتم الملوك بالجانب الاقتصادي في مجال التجارة الخارجية فأرسلت البعثات الاقتصادية وكذلك بذل جهد كبير في عمليات استغلال الخامات الطبيعية في أرض مصر وبصفة خاصة معدن النحاس .

أما في عصر الدولة القديمة وهي المرحلة المتضمنة الأسرات الرابعة والخامسة والسادسة والمعروفة باسم عصر بناة الأهرام فيمكن اعتبار ذلك العصر بمثابة العصر المثالي بالنسبة للقيم المصرية القديمة القائمة على أساس الملكية الإلهية والمركزية المطلقة . وقد تجسم ذلك بصفة خاصة في عصور سنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع من ملوك الأسرة الرابعة . وكان من الطبيعي ضرورة استكمال الفراعنة للجهاز الإداري لمعاونتهم في تحقيق السيادة السياسية في البلاد فنشأت وظائف الوزراء وحكام الأقاليم ، ولكن هؤلاء الأخيرين سرعان ما بدؤا يحاولون الاستقلال بأقاليمهم والاستحواذ على بعض الحقوق التي كانت أصلا مقتصرة على الفرعون وذلك في فترات ضعف بعض الحكام . وقد تجسم ذلك في عهد الأسرة السادسة عندما اتجه حكام الأقاليم إلى محاولة الاستقلال ببعض جوانب السيادة الذاتية مما أدى إلى بوادر اللامركزية ، وقـد ظهرت بعض الشخصيات القوية في الدولة مثل أوني وحرخوف تأكيداً لذلك .

وعلى ذلك مر التنظيم السياسي المصري في عهد الدولة القديمة بعدة مراحل تطورية تدخلت فيها عناصر الدين والاقتصاد والنزعة الفردية . ففي المجال الديني ظهر نوع من التنافس بين الكهنة حول محاولة التقرب من الملك الإله والاستحواذ على المنح والاعفاءات . وكان التنافس على أشده في ذلك المجال بين كهنة الإله رع في هليوبوليس وكهنة الإله بتاح في منف . وقد تمكن كهنة الإله رع من الفوز في تلك المعركة في بداية عصر الدولة القديمة ،

حيث كانوا يحاولون الانفراد بالسيادة الدينية بل وفرض سلطانهم على المجال السياسي". ومما يؤكد ذلك بعض الظواهر التي يلمسها المؤرخ في الأسرة الرابعة، فبينما أدخل ملوك تلك الأسرة إسم الإله رع ضمن أسمائهم فإنه يلاحظ أن الملك شبسسكاف لم يتبع في عمارته ذلك التقليد الجديد وهو العمارة الهرمية الشكل بل اتخذ لنفسه مصطبة كبيرة بسقارة كمقبرة ملكية. ومن ناحية أخرى يلاحظ أيضاً أن عمارة الأسرة الخامسة في أبو صير قد تضمنت إقامة المسلات والمعابد الشمسية المكشوفة التي كان ارتفاعها أحياناً يفوق مستوى الهرم، كما أن إضافة لقب ابن الشمس ليؤكد ازدياد نفوذ الإله الشمسي في تلك الفترة. ولكن الموقف قد تغير نسبياً في عهد الأسرة السادسة حيث ازداد نفوذ كهنة الإلـــه بتـــاح.

وقد أدى انسلاخ بعض السلطات السياسية والدينية تدريجياً من الفرعون على أيدي حكام الأقاليم ورجال الدين إلى إضعاف نظام المركزية المطلقة، كما أن الأعباء الاقتصادية الضخمة التي تطلبتها عمليات بناء الأهرامات والاعفاءات الضريبية لبعض المعابد والمقربين قد أضافت أيضاً إلى تحرج نظام الملكية الإلهية قرب نهاية الدولة القديمة. هذا بالإضافة إلى أن تواجد التسالات السامية الوافدة إلى شرقي الدلتا عن طريق شبه جزيرة سيناء قد واجه نظام الملكية الإلهية بأزمة كبيرة، على أساس أن مفهوم ذلك النظام يكفل الأمان والاطمئنان لأفراد الشعب وأن عدم تحقيقه ذلك ليؤدي بالتالي إلى انهياره.

وقد اتجه أيضاً ملوك تلك المرحلة إلى تأمين حدود مصر الشرقية والجنوبية والغربية تأميناً كاملا كتحقيق عملي لسلطانهم الإلهي من ناحية، وكتأمين للبلاد من الأخطار الخارجية، وكتيسير لتحقيق سير القوافل التجارية البرية والبحرية والنهرية وخاصة بين مصر ومدينة بيبلوس (جبيل) على الساحل اللبناني.

كل ذلك قد أدى إلى عصر الانتقال الأول أو عصر الثورة الاجتماعية

الأولى ويتضمن ذلك الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة قرب نهاية الألف الثالث ق . م .

عادت اللامركزية إلى التواجد في ذلك العصر كنتيجة لتفكك نظام الملكية الإلهية، ووصل التدهور السياسي إلى درجة أن مجموع ملوك الأسرتين السابعة والثامنة في منف قد بلغ سبعون ملكاً حكموا لمدة سبعين يوماً. ويصعب على المؤرخ تقبل هذا الرأي ولكنه على أية حال يصور مدى عدم الاستقرار السياسي . والواقع أن تلك المرحلة تمثل أقصى مظاهر الصراع بين نظام الملكية الإلهية والمركزية المطلقة وبين النزعة الانفرادية والاقطاعية واللامركزية، وقد اضطرت الملكية الإلهية إلى تعديل قيمها وتدعيمها ببعض جوانب العدالة الاجتماعية والديمقراطية .

أما الأسرتان التاسعة والعاشرة فقد ظهرتا في إقليم الفيوم في هرقليوبوليس (اهناسيا .) وقد اصطدم حكام اهناسيا بحكام الأسرة الحادية عشرة التي بدأت في الظهور في طيبة والتي نجحت في تحقيق الانتصار على كافة الأقاليم الأخرى واستعادة الوحدة السياسية والمركزية مرة أخرى على يد الملك نب حبت رع منتوحتب الثاني وبداية مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي هي مرحلة الدولة الوسطى .

أما فيما يتعلق بالكيان السياسي في مناطق سوريا ولبنان وفلسطين وعيلام فقد ساد نظام حكومات المدن كما ازدادت مظاهر الاتصال السياسي والاقتصادي والحضاري بينها وبين محوري المنطقة في ذلك الوقت وهما العراق ومصر .

وتعرف مرحلة الألف الثالث ق . م . في فلسطين بعصر البرونز الأول ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ Early Bronze ثم الأوسط Middle Bronze ، أما في شمال سوريا فيتمثل في مرحلة العمق س ،ش، ع ، غ ، وفي لبنان فيتمثل في بيبلوس ٤ ، ٥ ، ٦ . أما في الأناضول فيعرف بعصر البرونز الأول ١ ، ٢ ، ٣. ويلاحظ الدارس تواجد ظاهرتين مشتركتين في تاريخ الشرق الأدنى القديم

أثناء الألف الثالث ق . م . تؤكدهما الأدلة الأثرية، أما الظاهرة الأولى فهي تحصين المدن وهي ظاهرة عامة واضحة المعالم في كافة مدن تلك المرحلة في سوريا ولبنان وفلسطين وبصفة خاصة مواقع بيبلوس ٤ وجريكو وخربة كرك د ويلاحظ أن أسوار تلك المدن كانت من الضخامة بدرجة أن بعضها يبلغ في سمكه أربعة أمتار . ومن ناحية أخرى يمكن القول أن ظاهرة التحصين المتين تؤكد بطريق غير مباشر مركزية السلطة في حكومات المدن كما تظهر حاجة تلك المدن إلى الحماية نتيجة التسللات البشرية والغارات التي تواجهها . أما الظاهرة المشتركة الثانية فهي تعرض تلك المدن للتحركات البشرية بصورة شاملة لحد ما قرب نهاية الألف الثالث ق . م . ومن الأهمية الإشارة إلى أن الأدلة الأثرية الخاصة بتلك التحركات البشرية تتقارب في التوافق زمنياً ، انظر الجدول التقويمي التالي . فبينما يلاحظ أن الطبقة السادسة في موقع بيبلوس قد احترقت نتيجة تلك الغارات البشرية فهناك آثار تدمير وحريق أيضاً في موقع جريكو قرب نهاية الألف الثالث ق . م . كما أن مصر قد تعرضت لتلك التسللات البشرية بعد الأسرة السادسة مما أدى إلى إنهاء الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الأول والذي يطلق عليه أيضاً عصر الفوضى الأول . وترى ك . كنيون (١) K. Kenyon أن تلك التحركات البشرية التي هددت الشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت كانت سامية وتنتمي بالذات إلى العناصر الأمورية ، كما أن وجود أسماء تنتمي إلى الأموريين ضمن آثار تلك المرحلة في سوريا ولبنان وفلسطين لتساعد في تأييد الرأي القائل بأن تلك الهجمات كانت سامية أمورية ولكن الرأي النهائي في هذا الإشكال لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات المقارنة . أما في منطقة الأناضول فقد كانت تلك التحركات البشرية من المحتمل انتماؤها إلى عائلة الشعوب واللغات الهندية الأوروبية وذلك أثناء عصر البرونز الأول ٣ .

---

(1) Kenyon,K. M., Archaeology in the Holy Land, London, 1965, P. 159.

جدول تقويمي مقارن لحضارات الشرق الأدنى القديم أثناء الألف الثالث ق. م.

الزمـــن	مصر	العراق	شمال سوريا	لبنـان	فلسطين	الأناضول
حوالي ٣٠٠٠ ق.م.	الأسرة الأولى الأسرة الثانية	بداية عصر فجر الأسرات السومرية	العمق س	بيبلوس ٥ صلات مع مصر	عصر البرونز الأول ١ عصر البرونز الأول ٢	عصر البرونز الأول ١
حوالي ٢٧٠٠ ق.م.	الأسرة الثالثة الأسرة الرابعة الأسرة الخامسة	» »	العمق ش عمق ص	بيبلوس ٦ صلات مع مصر	عصر البرونز الأول ٣ (خربة كرك)	عصر البرونز الأول ٢
حوالي ٢٤٠٠ ق.م.	الأسرة السادسة	عصر الدولة الأكدية	العمق ض حماة ض	» » » »	عصر البرونز الأول ٤	
حوالي ٢١٠٠ ق.م.	عصر الانتقال الأول (الأسرات ٧، ٨، ٩، ١٠)	أسرة أور الثالثة	عصر البرونز الأوسط	عصر البرونز الأوسط	بداية عصر البرونز الأوسط	
حوالي ٢٠٠٠ ق.م.	الأسرة ١١ الأسرة ١٢	عصر الاحتلال الأموري والعيلامي			بداية عصر البرونز الأوسط	عصر البرونز الأول ٣ بداية عصر البرونز الأوسط

وقد كان لمصر صلات مباشرة مع حكومات المدن في فلسطين ولبنان ، وقد دلت الآثار المصرية التي عثر عليها في بيبلوس ابتداءً من عهد الملك خع سخم وى آخر ملوك الأسرة الثانية وأثناء معظم ملوك الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة على مكانة تلك الصلات الاقتصادية والحضارية، كما كان للعراق أيضاً صلاته الحضارية مع شمال سوريا والأناضول أثناء عصر الدولة الأكدية وبصفة خاصة عصر الملك شاروم كين الأكدي . ويصعب تحديد الجانب السياسي في تلك الاتصالات ولكنه كـــان محدوداً في تلك المرحلة ، ولو أن بعض النصوص توحي في بعض فقراتها بوجود حملات عسكرية مثل حملة سرجون الأول في الأناضول،ولكن ذلك ينبغي التريث طويلا في تقبله لحاجته إلى التدعيم الأثري؛ ولكن الجانب الاقتصـــادي والحضاري كان أساس الاتصال بين أقاليم المنطقة .

أما فيما يتعلق بمنطقة عيلام فقد كانت لها صلاتها المباشرة بالأحداث السياسية والحضارية الجارية في سومر وأكد أثناء الألف الثالث ق . م . بل منذ عصور ماقبل الأسرات ، ولكن ازدادت الصلات السياسية قرب نهاية الألف الثالث ق . م . خلال عصر الاحتلال الأموري والعيلامي . أما في المغرب فقد استمر العصر الحجري الحديث أثناء الألف الثالث ق . م . وخلال الألف الثاني ق . م . حتى قرب نهايته حيث تمكن الفينيقيون من تحقيق انتقاله إلى بداية العصر التاريخي .

الفصل الثاني

شكل التنظيم الحضاري في المنطقة

يتصل الكيان الحضاري اتصالا وثيقاً بالعوامل البيئية والبشرية ، لأن الانسان عندما يصنع الحضارة يتأثر أثناء تشكيلها بالظواهر المحيطة المرئية والخفية المتوارثة والمكتسبة المادية والفكرية .

ففي المجال المعنوي ترك السومريون تراثاً أدبياً خالداً يعالج عدداً من الموضوعات الحيوية المتصلة بعقيدتهم ونظمهم وتقاليدهم . ويقوم العلماء بدراسة نصوصهم والتعرف على قيمهم وأساليبهم . ومن الحقائق التي لاحظها العلماء في هذا الصدد أن الدراسة المقارنة للانتاج الأدبي العراقي القديم قد أظهرت تسجيل الآداب السامية لجزء من ذلك التراث السومري ؛ فقد ورثه الأكديون والبابليون ثم أدخلوا عليه الكثير من المقومات السامية حتى يتراءى للمجتمعات الأكدية والبابلية أنه وليد البيئة السامية . ولذلك يواجه المؤرخ مهمة البحث في التراث السومري الأصيل، والتراث المنسوخ بالطابع السامي. وقد عثر الأثريون على عدد من المعابد والزقورات المنتمية إلى تلك العصور السابقة للعصر التاريخي وأثنائه ابتداء من عصر حضارة العبيد مما يؤكد مادياً وجود تلك العقائد بصورة فعلية في تلك الحضارات الأولى . هذا بالإضافة إلى أن إيمان الانسان بالقوة الإلهية وصنعه التماثيل المعبرة عنها ، وكذلك استخدامه

للأختام الاسطوانية التي تتميز بوجود بعض مناظر دينية محفورة عليها وغير ذلك من الأمثلة ليؤكد مدى تطور الفكر الديني في حضارة العراق القديم .
الواقع أن الانسان السومري قد صنع الأصول الأولى لفلسفته الدينية ووجهة نظره نحو القوى الكونية وكيفية الخلق الأول وذلك في صورة عدد من الأساطير الدينية التي تنتمي وثائقها إلى العصر التاريخي ، ولكن يغلب أن أصولها الأولى النابعة من صميم المؤثرات البيئية المحلية والمقومات الحضارية الأصيلة في المنطقة قد بدأت في التكوين في المراحل السابقة للعصر التاريخي . وتمثل هذه الأساطير في الحقيقة نوعاً من التفكير الديني الأول في صورة قصص ديني يجمع بين الحقيقة والخيال . وهناك ثلاثة أنواع من الأساطير الميزوبوتامية (١) :
أساطير خاصة بالأصل الأول أو الخلق الأول وتبحث عن الأصل الأول للآلهة والنباتات والانسان ، وأساطير تتعلق بالتنظيم بمعنى تنظيم الآلهة المختلفة لسلطاتهم ووظائفهم وغيرها ، وأساطير تتعلق بالتقييم أي تقدير الأشياء في هذا الكون . وفيما يتعلق بالنوع الخاص بالخلق والأصل الأول ، هناك أسطورة انليل Enlil ونتليل Ninlil إله مدينة نبّور وهي نفر حالياً ، وتبحث هذه الأسطورة في كيفية خلق القمر وكيف حدث أن صار القمر متلألئاً في السماء. وهناك أساطير سجلت أثناء الألف الثالث والألفين الثاني والأول ق . م . ولكن أصولها ترجع إلى السومريين قرب نهاية عصور ماقبل التاريخ وبداية عصر فجر الأسرات السومرية . ومن أمثلة الانتاج الأدبي السومري ما سجلته إحدى اللوحات السومرية (٢) الهامة الخاصة بموضوع الطوفان ؛ وهذا النص من الأهمية بمكان نظراً لاتصاله بموضوع طوفان سيدنا نوح عليه السلام . ولذلك يعتبر الانتاج الأدبي السومري في هذا الصدد بالغ

(1) Jacobsen, T., «Mesopotamia»,The Intellectual Adventure of Ancient Man, Chicago, 1946, p. 151.

(2) Kramer S. N., « Sumeran Myths and Epic Tales,» in J. Pritchard,Ancint Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,Princeton, U. S. A., 1950, P. 42 ff.

وانظر الترجمة العربية لكتاب كريمر الخاص بالتراث السومري تحت عنوان« من ألواح سومر » وقد راجعها الأستاذ الدكتور أحمد فخري .

الأهمية لأنه يمثل الجانب الأدبي الانساني في موضوع الطوفان . وقد اعترف المؤرخون بأن مضمونات هذه اللوحة الطينية السومرية تعتبر بمثابة أقرب مثال انساني لحد معين ، من الناحية الموضوعية للمادة التاريخية التي سجلتها الكتب المقدسة . ولا تقتصر محتويات هذه اللوحة الطينية السومرية على موضوع الطوفان بل هي تتضمن أيضاً موضوعات التفكير الكوني الميزوبوتامي وخلق الانسان وأصل الملكية والمدن السابقة لحادثة الطوفان . وهذه الوثيقة الهامة لم يعثر عليها في صورتها الأصلية المتماسكة بل يوجد بها بعض الفجوات مما يجدر بالدارس أخذه في الاعتبار ، ومن ناحية أخرى لم يعثر بعد على بقية اللوحات الطينية المكملة لهذا الموضوع . ولكن على الرغم من هذه الصعوبات فإن بقايا النصوص السليمة رغم قلتها تعطي أساساً صحيحاً عن معالم هذه الحادثة وما يحيط بها من ظروف مختلفة انسانية وإلهية . وقد عثر على هذه الوثيقة أو بالأحرى على بقاياها في مدينة نبّور وهي الآن في متحف الجامعة بفيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية . ويتضمن النص الإشارة إلى غضب بعض الآلهة لاتخاذ القرار الإلهي الخاص بإحداث طوفان يهلك البشرية بسبب عدم رضاء القوى الإلهية عن الانسان . ويحدث الطوفان فعلا ويتجه النص إلى ذكر شخصية سومرية هامة هي شخصية زيوسدرا (١) Ziusudra وهي الشخصية المرادفة مع الفارق لسيدنا نوح عليه السلام في الكتب المقدسة . وزيوسدرا هو ملك سومري تقي حكم سومر من مدينة شروباك وهي فاره حالياً جنوب شرقي الديوانية جنوب العراق ، وكان هذا الملك ورعاً لدرجة أنه كان يحاول الاتصال بالآلهة عن طريق الرؤيا والتعاويذ والسحر ، كما أنه كان يتخذ حائطاً خاصاً مكاناً له يستمع فيه إلى إلهه ويغلب أن هذا الإله كان هو الإله انكي Enki إله الأرض حيث يبلغه قرارات الجمعية العمومية الإلهية . وقد أشار النص إلى استماع زيوسدرا إلى تعليمات الآلهة الخاصة بضرورة بنائه لسفينة كبيرة تنقذه من الهلاك الناتج عن الطوفان . ويقول

---

(١) انظر ص ٢٢٣

كريمر Kramer أن النص السومري لم يشر بصورة مباشرة إلى وجود مجموعة من الناس مع زيوسدرا في تلك السفينة ولكن يظهر السطر رقم ٢١١ من النص أنه أخذ معه عدداً من الحيوانات (١) . ويستمر النص في ذكر حادثة الطوفان الذي أغرق (الأرض) والمقصود بالأرض هنا حسب النص السومري (سومر) مما له أهمية خاصة في اعتبار حادثة الطوفان من وجهة نظر النص الانساني حادثة محلية أكثر منها ظاهرة شاملة للعالم . وحسب النص استمرت حادثة الطوفان كما سبقت الإشارة ، لمدة سبعة أيام بلياليها ثم ظهر الإله الشمسي أوتو Uto بضوئه الشمسي وسرعان ماتقدم زيوسدرا له بالولاء . وكذلك تقدم لكل من الإله آنو إله السماء كبير الآلهة والإله انليل إله الزوابع بالولاء ، ومنحته الآلهة حق الحياة ، وفيما يلي بعض فقرات بالعربية لهذا النص الهام :

. . . الطوفان . . .

. . .

وعلى ذلك قام زيوسدرا الملك والباشيشو (لقب كهنوتي) ،
ببناء (سفينة) كبيرة ،
وكان (يعود النص على زيوسدرا) متواضعاً ومطيعاً ووقوراً . . . ،
ويواظب يومياً وبصفة مستمرة (على العبادة والاتصال بالآلهة) . . . ،
عن طريق الرؤيا . . . ،
ذاكراً أسماء آلهة السماء والأرض . . . ،

. . .

(وعند) حائط الآلهـــة . . . ،
كان زيوسدرا يقف بجانبه . . . ،
(٢) « وَقِف بجانب الحائط عند جانبي الأيسر . . . ،

---

(١) Ibid., p. 43 n. 5.

(٢) لم يشر النص إلى اسم الإله المتحدث ويغلب أنه الإله نكي إله الأرض .
Ibid., p. 44, n. 47.

سأحدثك . . . استمع إلى تعليماتي :
(سيحدث) الطوفان (وسينتشر) على مراكز العبادات ،
وسيهلك البشرية . . .
وهذا هو قرار الجمعية العمومية الإلهية
بأمر أن وانليل . . . »
وفي نفس الوقت اكتسح الطوفان مراكز العبادات
واستمر سبعة أيام وسبعة ليال .
وانتشر الطوفان في الأرض (سومر)
وقذفت الزوابع بالسفينة الضخمة وهي على المياه العظيمة .
وبزغ أوتو (الإله الشمسي) الذي ينشر ضوءه في السماء والأرض .
وفتح زيوسدرا نافذة في السفينة الضخمة ،
وأدخل أوتو أشعته إلى السفينة الضخمة .
وألقى زيوسدرا الملك بنفسه (مظهراً الولاء) لأوتو .
وقتل الملك ثوراً ونحر شاة (قرباناً منه للآلهة) .
وبدأت المزروعات في الظهور والنمو ،
وانبطح زيوسدرا أمام أن وانليل ،
وعطف هذان الإلهان أن وانليل على زيوسدرا ،
ومنحوه الحياة كإلــه
وأعطوه الحياة الأبدية كإلــه (١) .

من دراسة هذا النص تتبين مدى أهميته بالنسبة لحادثة الطوفان . ويلاحظ الدارس مدى وجود نوع من التشابه الموضوعي بين مضمون هذا النص السومري وبعض ماتتضمنه نصوص الكتب المقدسة في هذا الشأن ، فالشخصية السومرية زيوسدرا ترادف مع الفارق شخصية نوح عليه السلام ؛ ومن المهم القول أن

---

(١) انظر شكل رقم (٦٥) .

النصوص البابلية أشارت إلى شخصية أتنابشتيم Utnapishtim على اعتبارها ترادف ، مع الفارق ، شخصية نوح عليه السلام من وجهة النظر البابلية . على الرغم من عدم تكامل النص السومري وكثرة فجواته مما يزيد في صعوبة تحديد المعنى تحديداً قاطعاً ، فإنه يمكن القول بأن الطوفان قد حدث قرب نهاية عصور ما قبل الأسرات وبداية العصر التاريخي مما جعل الأديب السومري يعبر عنه في أدبه . ومن ناحية أخرى ثبت من الناحية الأثرية وجود آثار فيضانات كبيرة أو بالأحرى طوفانات في تلك الفترة في عدة مواقع في جنوب العراق القديم . وان وجود مصدر سماوي ومصدر آخر انساني لتلك الحادثة لا يخلق مشكلة ، فأهمية الحادثة في حياة الانسان في بلاد الرافدين في تلك الفترة قد دفعت الكتّاب السومريين إلى تخليدها في أدبهم . واتجهت الكتب المقدسة من ناحية أخرى إلى الإشارة اليها ضمن نصوصها وقصصها وذلك للعبرة والعظة والإرشاد الرباني. ومن المهم القول في هذا الصدد أن الكتب المقدسة تعتبر مصدراً رئيسياً في تاريخ الانسان ، في منطقة الشرق الأدنى القديم ، يعتمد عليه الدارس بجانب اعتماده على الآثار والنصوص الانسانية . وتنبغي دراسة ما تتضمنه هذه الكتب المقدسة من أحداث تاريخية ودينية تخص الشرق الأدنى القديم وأيضاً البحث عن الآثار والنصوص الانسانية التي تعالج الموضوعات في المنطقة .(١)

وهناك أمثلة عديدة في الانتاج الأدبي السومري في المجال الديني والاجتماعي والقانوني والسياسي تركها الأديب السومري مسجلة في عدة لوحات طينية مكتوبة بالخط المسماري مما يعطي للدارس صورة حقيقية لضخامة الانتاج الأدبي للمدنية السومرية في الألف الثالث ق.م . وعلى سبيل الذكر هناك النصوص السومرية الخاصة بواجبات وقوى الآلهة ونصوص موت جلجاميش ونصوص أسطورة سومرية خاصة بالفردوس، وغيرها من الأساطير ، وهناك أيضاً من أمثلة الأدب السومري نصوص رثاء خاص بمدينة أور بعد تدميرها ونصوص أغنية حب سومرية موجهة إلى أحد الملوك ونصوص خطابات سومرية وغيرها

(١) انظر الكتاب الثالث ، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ، للمؤلف

من أمثلة الأدب السومري . هذا بالإضافة إلى الانتاج الأدبي السومري المتعلق بالآلهة السومرية ؛ ولتفهم هذا النوع من الأدب تحسن الإشارة إلى أن معالم كل من الديانة السومرية والديانة البابلية القديمة واحدة ، وهناك صلة كبيرة بين الديانتين ، فقد اعترف البابليون بالآلهة السومرية وأضافوها إلى آلهتهم السامية بعد طبعها بالطابع السامي وقد انعكس كل ذلك في الأدب .

ومن أشهر أساطير الخلق الأول أسطورة انوما اليش (١) Enuma Elish ومعناها When Above أي عندما في العلا لم تكن هناك سماء ، وهذه الأسطورة لها تاريخ طويل فهي مكتوبة باللغة الأكدية بالخط المسماري وإن دراسة نصوصها الأكدية تدل على انتمائها إلى أوائل الألف الثاني ق . م . والشخصية الرئيسية في هذه الأسطورة هي شخصية الإله مردك إله مدينة بابل على أساس أن مدينة بابل في ذلك الوقت كانت المركز السياسي والحضاري الأول في ميزوبوتاميا . وعندما انتقلت الزعامة السياسية والحضارية إلى آشور في الألف الأول ق . م . استبدل الكتاب الآشوريون الإله مردك إله بابل بالإله آشور إله مدينة آشور وأجروا بعض التعديلات التي تلائم قصتهم . ويلاحظ المؤرخ أن الإله انليل إله نبّور أدى دور البطولة فيها ، كما يلاحظ أن الإله مردك كان في الأصل إله الزراعة وأيضاً له صفة الإله الشمسي بينما الدور الرئيسي في أسطورة انوما اليش يرتبط بالإله انليل إله الزوابع . وإن الحادثة التي يقوم مردك بأدائها في هذه الأسطورة وهي إبعاد السماء عن الأرض هي في الحقيقة من واجبات الإله انليل في أساطير أخرى . من ذلك يتبين أن هذه الأسطورة في الأصل كانت تنتمي إلى انليل واستبدل بالإله مردك لأسباب سياسية ودينية خاصة . وتنقسم أسطورة انوما اليش إلى قسمين أساسين : — الأول

---

(1) Heidel, A., The Babylonian Genesis, 1942.
Frankfort H., et, al., The Intellectual Adventure of Ancient Man, Chicago, 1946, p. 168 ff.
Speiser, E. A.,«The Creation Epic», Ancient Near Eastern Texts reltaing to the Old Testament, Princeton, 1950, 60, ff.

هو القسم الخاص بأصل هذا الكون ، والثاني هو القسم الخاص بكيفية تكوُّن العالم الحالي ، وكلا القسمين مرتبط بالآخر ، وتبدأ هذه الأسطورة بوصف الكون كما كان في البداية عندما لم تكن هناك سماء ولم تكن هناك أرض وكان الكون عبارة عن مياه لا نهائية أو أزلية وكانت المياه مكونة من ثلاثة عناصر رئيسية :

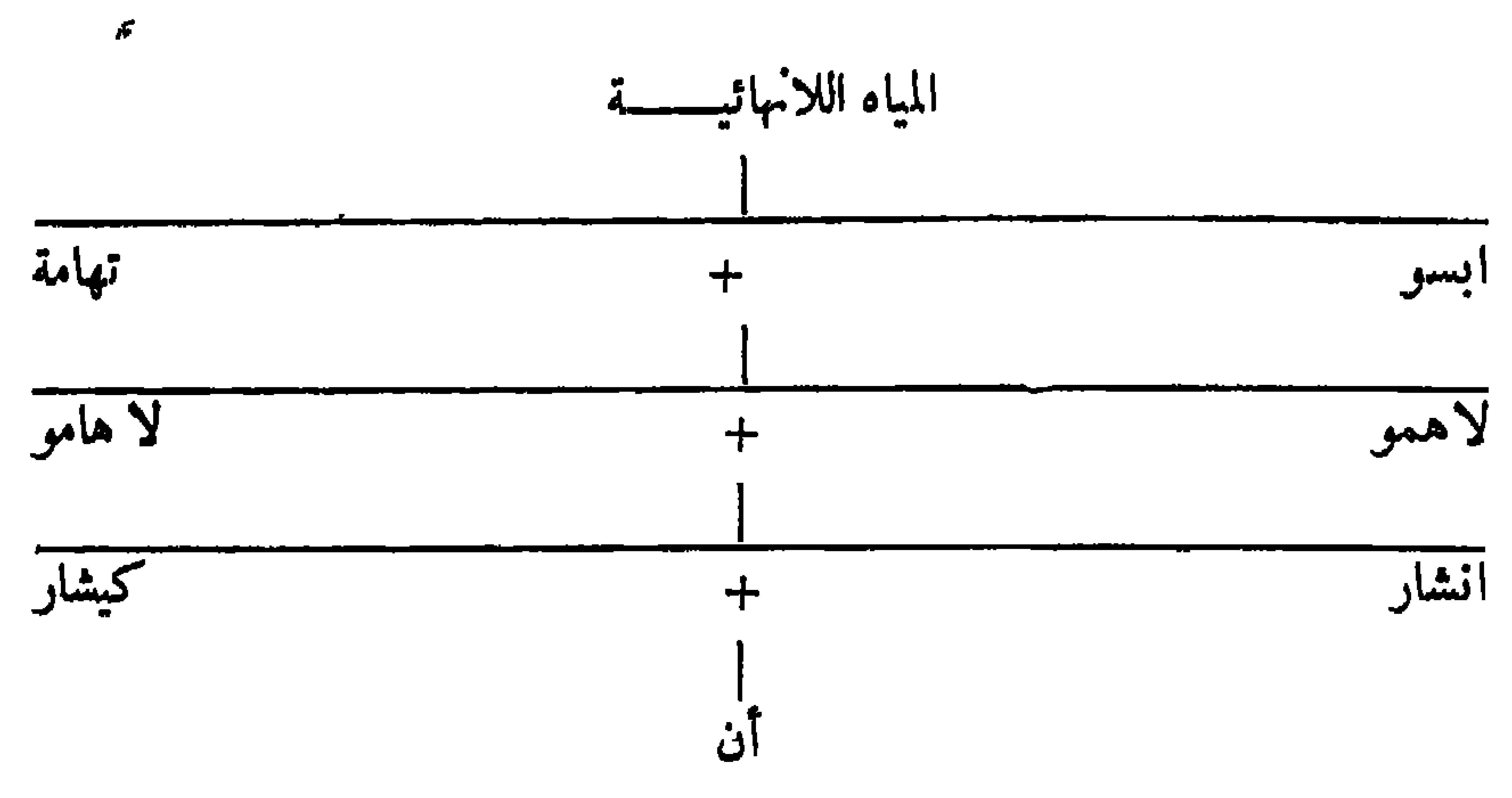
أ — مياه عذبة يمثلها ابسو Apsu

ب — مياه ملحة تمثلها تهامة Tiamat

جـ — المياه أو الرطوبة الموجودة في السحب والضباب ويمثلها ممو Mummu

وقد امتزجت هذه العناصر الثلاثة من المياه في شكل مجموعة ضخمة من المياه اللانهائية ولم تكن هناك أرض أو سماء أو مستنقع أو جزيرة أو آلهة ، ومن وسط هذه المياه اللانهائية ظهر إلهان لأول مرة وهما لاهمو Lahmu ولاهامو Lahamu ويمثلان الغرين الذي تكون في المياه . ونتج عنهما ظهور انشار Anshar وكيشار Kishar وهذان يمثلان الأفق وهو الدائرة التي تحيط بالسماء وأيضاً الأفق الأرضي وهو الدائرة التي تحيط بالأرض ، وأنتج هذان الزوجان الأخيران الإله أن Anu إله السماء ، وولد أن الإله نوديموت Nudimmut وهو اسم آخر للإله ايا Ea أو انكي Enki إله الأرض ، وفي مظهر آخر إله المياه العذبة . وقد قام الإله انشار بجعل الإله آنو مثله وهذا هو سبب وجود تشابه بين السماء والأفق في وجهة النظر العراقية القديمة ، كما جعل الإله أن الإله نوديموت في شكله أيضاً لأن الأرض من نفس وجهة النظر لها الشكل الدائري (١) . ويمكن تبسيط هذا الجزء من الأسطورة فيما يلي : —

(1) Jacobsen, T., «The Cosmos as a State», The Intellectual Adventure Ancient Man, Chicago, 1946, p. 171.



نوديموت (إيا أو انكي)

هذا مختصر للمعالم الأساسية لأحد أساطير الخلق العراقية القديمة . وهذه الأسطورة بالذات تعتبر مثالا واضحاً يعبر عن تفكير الانسان في العراق القديم ، ذلك التفكير المنبعث من صميم البيئة العراقية وخاصة في جنوب العراق القديم ، تلك البيئة التي تتميز بتدفق الغرين نحو الخليج العربي والذي يحمله نهري دجلة والفرات في اتجاههما نحو منطقة شط العرب. وبذلك تمثل مظهراً عملياً من مظاهر خلق أرض جديدة تتكون من ذلك الغرين . ولقد لمس السومريون تلك الحقيقة منذ البداية ولاحظوا عمليات الصراع المستمر بين المياه العذبة الممثلة في مياه الأنهار والمياه الملحة الممثلة في مياه الخليج العربي . ولا تزال حتى الوقت الحاضر هذه المنطقة من العراق تظهر فيها بعض مظاهر هذا الصراع . ولذلك اتجه الكتاب السومريون الأول إلى التعبير عن كيفية ظهور العالم متلمسين الحقائق من التجارب التي يواجهونها أمام أعينهم في منطقة جنوب العراق القديم ، ولذلك يعتبر انتاجهم الأدبي الخاص بكيفية خلق العالم من الآداب العالمية النابعة من بيئتهم الخاصة . وتؤكد هذه الحقائق أن الانتاج الحضاري المعنوي المتعلق بوجهة نظر الانسان في العراق القديم نحو المبادىء الدينية الأولى ومن أهمها وجهة نظره نحو كيفية خلق العالم قد نتج من

صميم البيئة العراقية القديمة ، كما أن المبادىء السياسية الأولى قد نبعت من صميم أوضاع حكومات المدن ومتأثرة أيضاً بالبيئة المحلية وظروفها المختلفة . ومن ناحية أخرى تمكنت المجتمعات السابقة للعصر التاريخي في كل من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والهضبة الإيرانية والأناضول من تكوين تراثها الديني الخاص بها منبعثاً من مجموعات المقومات البيئية والبشرية والتاريخية في كل منطقة ؛ هذا مع وجود بعض المؤثرات الخارجية والوراثية في نشأة ذلك التراث الديني . ويلاحظ المؤرخ في هذا الصدد وجود تشابه نسبي بين نظريات الخلق العراقية والمصرية . ومن أهم جوانب هذا التشابه النسبى أن كلاهما قد بدأ تكوين العالم بالمياه الأزلية أو اللانهائية والتي تتمثل في ابسو وتهامة وممو في أسطورة انوما اليش وفي نون (المياه اللانهائية) في العقيدتين الهليوبوليتانية والهرموبوليتانية في مصر .

وفي المجال المادي ترك السومريون آثاراً كثيرة في مجالات العمارة والنحت والنقش والفنون الصغرى ، ومن أهم آثارهم المعمارية الزقورات وهي المعابد المدرجة ، هذا بالإضافة إلى المدن والمنازل والأسوار ، كما ترك السومريون الصناعات النحاسية والفخارية والأختام الأسطوانية .

الواقع أن الانتاج المادي يتصل اتصالا وثيقاً بقدرات البيئة من حيث امكانياتها وأيضاً المفاهيم التي اتجه الانسان إلى اعتناقها سواء كان ذلك في المجال الديني أو السياسي أو الاقتصادي . ويتضح ذلك في المجتمع السومري ، فالبيئة الطبيعية في جنوب العراق لا تتوفر فيها بسهولة المواد الحجرية والخشبية وهي عناصر رئيسية في العمارة ، ولذلك اتجه الانسان السومري إلى الاعتماد على المادة الطينية وتمكن من صناعة الآجر (القرميد) في عصور ما قبل الأسرات واستمر على استخدامه أثناء الألف الثالث ق . م . وحاول استكمال حاجاته الرئيسية من مواد البناء عن طريق الاستيراد من الأقاليم المجاورة . وقد احتلت العمارة الدينية مكانة رئيسية في الانتاج المعماري وذلك لأن الانسان العراقي القديم قد تأثر آنذاك في حاضره ومستقبله بالقوى الطبيعية

المحيطة به . ولما كانت مخاطر بعض تلك القوى من الجسامة بدرجة تضطره إلى اعتبارها ، فقد اتجه إلى إعطائها أسبقية السيادة في مجتمع المدينة ، ولذلك تبوأ المعبد وهو مقر الإله المكانة الأولى بين أبنية المدينة فقد اعتبرت العقيدة السومرية الآلهة كقوى أساسية في العالم الدنيوي بالإضافة إلى مكانتها الخاصة في العالم الآخر . وعلى ذلك اعتبر إله المدينة بمثابة مالك لها ، كما اعتبر أيضا حكام تلك المدينة بمثابة خدام لآلهتها ، ولم يقتصر ذلك المفهوم على الجانب الديني البحت بل تعداه إلى المجالات الاقتصادية والسياسية ، فقد خصصت أراضي وما يتصل بها من مختلف مجالات النشاط الزراعي والتجاري والصناعي لمتطلبات المعبد ، وأفراده المتفرغين للوظائف الدينية وبصفة خاصة الكهنة . وقد حاول الانسان السومري بذلك تدعيم عقيدته الدينية التي تكفل له الأمن والطمأنينة وتكون بمثابة حام له ضد احتمالات الخطر التي يتعرض لها في حالة غضب الآلهة الممثلة للقوى الطبيعية عليه .

وقد تحقق كل ذلك إلى حد كبير في عمارة الزقورات (١) أي المعابد المدرجة . فقد تطلب اشراف المعبد على المدينة ضرورة الارتفاع في المبنى لدرجة تحقق المشاهدة العينية المباشرة لكافة أرجاء المدينة ومختلف مجالات نشاطها . وقد بدأ هذا الاتجاه منذ عصور ما قبل الأسرات وتابع تطوره المعماري أثناء الألف الثالث ق . م . ومن ناحية أخرى كان الارتفاع بالمبنى في المعبد المدرج يهدف من وجهة النظر الانسانية الاقتراب من القوى الإلهية الكامنة في السماء وبذلك يكون أكثر تأملا لواقع معتقداته . وقد عبر الأديب السومري في أوصافه لمعبد الإله انليل إله الزوابع بأنه بمثابة الرابطة بين السماء والأرض تأكيداً لفلسفته الدينية . ويلاحظ أيضاً تواجد ظاهرة الدرج المؤدي إلى قمة الزقورات حيث المعبد مما يحمل معنى الصعود إلى أعلى تحقيقاً لغايته الدينية . وقد استخدم في عمارة الألف الثالث ق . م . في سومر

(١) انظر شكلي (٥٢) و (٥٣) .

نوع جديد من الآجر المسطح ـ المحدب Plano - convex كما تطور الشكل المعماري للمعبد بأن تميز مدخله بوجود برجين . أما عن تصميم المعبد ، فقد اتخذ الشكل البيضاوي أو المربع وهو موجه للجهات الأربع الأصلية،ويؤدي المدخل إلى ساحة ثم إلى مبنى داخلي . ويتواجد بالساحة بئر وأحواض دائرية من الآجر ربما لأغراض طقسيةدينية . ومن الأهمية الاشارةإلى تواجدبعض الحوانيت المختلفة والمتصلة بمستلزمات النشاط الزراعي والصناعي الخاص بالمعبد ،حيث يوجد داخل المعبد تمثال الإله ومائدة القرابين المصنوعة منالآجر .

ومن الزقورات الخالدة تلك التي بناها الملك اورنامو في اور والتي سجل عملية بنائها في لوحته الخالدة ، انظر شكل رقم (٨٥) ، والتي رغم تهشم أجزاء كثيرة منها ، فإنها تعبر لحد ما عن خطوات تنفيذ البناء فيظهر في السجل الثاني منها منظر الملك وهو يحمل أدوات البناء على كتفه وخلفه أحد الكهنة ، كما يلاحظ تواجد سلم في السجل الثالث والذي يعتبر من مستلزمات عملية البناء كما يظهر الملك اورنامو وهو يتعبد لإله القمر ننا وزوجته ننجل . وتنبغي الإشارة إلى القسم العلوي من اللوحة التي يقف فيها الملك متعبداً أمام الإله حيث يوجد فوقه إلهة تحمل آنية تسكب ماء من السماء . وقد اختلف العلماء في تفسير هذا النحت بالذات فبينما يتجه فينجان (١) إلى تفسيره إلى أنه يمثل (ملائكة) طائرة تحمل أوانٍ تخرج منها مياه الحياة ، فإن فرانكفورت (٢) لا يتجه إلى ذلك التفسير بل يقتصر على مـــا سبقت الإشارة اليه .

ومن الأهمية الاشارة إلى أن تلك القيم السومرية لم تتخذ طريقها التنفيذي بصورة كاملة إلا أثناء بداية عصر الأسرات السومرية ، ولكن قرب نهاية تلك المرحلة سرعان ما حاول بعض الحكام التحلل من تلك الرابطة الدينية

---

(1) Finegan, J., Light from the Ancient Past, London, 1946, p. 43.
(2) Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, London, 1958, p. 51.

القوية ، والتركيز على مباشرة سلطاتهم الاقتصادية والسياسية في الدولة بدلا من المعبد . وقد اتضح ذلك بصورة تدريجية في الانتاج المادي أثناء الألف الثالث ق . م . فقد عثر على عدد من اللوحات التاريخية التذكارية التي تسجل انتصارات بعض الحكام مثل لوحة الملك ايانناتوم التي تسجل انتصاره على مدينة اما وكذلك لوحة أور الشهيرة ، انظر شكل (٧٤) ، ويلاحظ أن شخصية الملك قد ظهرت أكثر طولا من بقية الشخصيات الأخرى مما يؤكد تطور مفهوم شعور الانسان نحو الملك في تلك المرحلة. وقد وصل هذا الاتجاه إلى قمته في العصر الأكدي حيث تجسمت المركزية المطلقة ، وقد عُبِّر عن ذلك في بعض الآثار الهامة مثل الرأس البرونزية الخاصة بالملك سرجون الأول ، انظر شكل رقم (٨١) ، وكذلك في لوحة الملك نارام سن الذي حمل الصفة الإلهية بجانب الصفة الانسانية ووضع فوق رأسه تاجاً ذو قرنين ، كما عبر عنه بطريقة يتضح فيها أولويته على الآخرين وذلك في لوحة النصر الخاصة به ، انظر شكل (٨٢) .

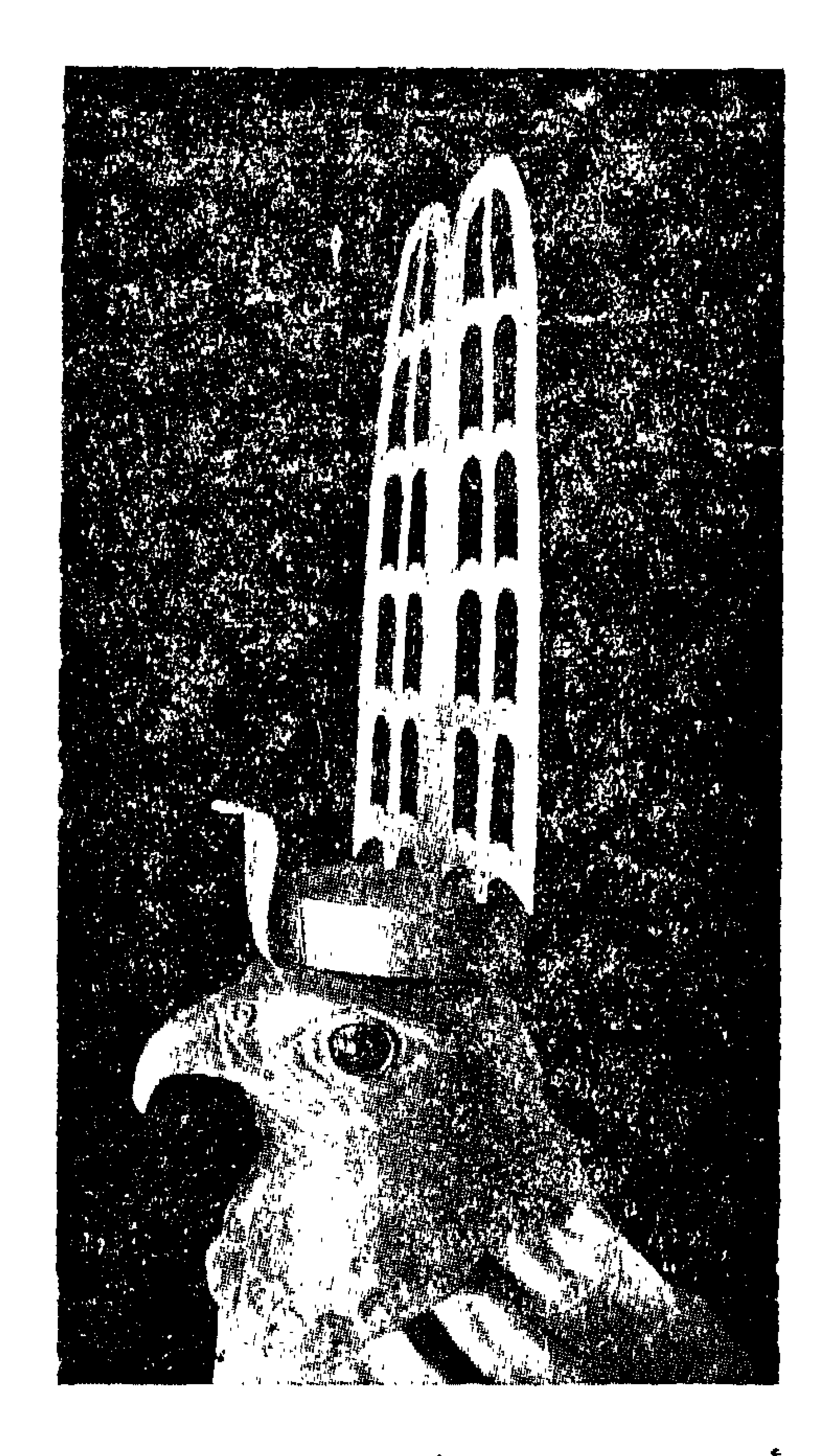
وفي مجال النحت كان الفنان السومري يعبّر عن معتقداته في شكل تماثيل حيث كان يعتقد أن التمثال له فاعليته وخاصة إن كان معبراً عن الآلهة ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك مجموعة التماثيل العشرة التي عثر عليها في تل أسمر والتي تميز تمثالي الإله آبو وزوجته بينها من حيث الحجم وضخامة قطر العين بالمقارنة ببقية تماثيل المجموعة ، أنظر شكلي (٧٥) و (٧٦) ، حيث أن التماثيل الصغرى تعبر عن عابدي ذلك الإله وزوجته ، وقد عثر أيضاً على نحت بارز في بعض الأواني الحجرية يرمز إلى نشاط بعض آلهة القوى الطبيعية كالإله تموز والإلهة عشتار والإلهة الأم ننحرساج والإله ننجرسو وغيرها . ومن التماثيل الخالدة أيضاً مجموعة تماثيل جوديا ، انظر شكل (٨٤) ، والمصنوعة من حجر الديوريت والتي تعبر بطريقة فنية دقيقة عن شخصية جوديا الورعـــــة .

هذا بالإضافة إلى مختلف جوانب الانتاج المادي في مجالات الفنون الصغرى كالأختام الاسطوانية والحلى بأنواعها والصناعات النحاسية وغير ذلك مما تطلبته تطورات حياة العصر التاريخي في تلك المرحلة .

أما بالنسبة إلى التشكيل الحضاري المصري ، فله طبيعته الخاصة التي تجعله فريداً في منطقة الشرق الأدنى القديم . وليس معنى ذلك عدم وجود وجه شبه على الإطلاق بينه وبين التفكير الحضاري في بلاد الرافدين ، فكلاهما يعطي اعتباراً خاصاً للجانب الديني من حيث فاعليته في تشكيل الحضارة أثناء الألف الثالث ق . م . ولكن مع الفارق في المفهوم الديني بالنسبة للمجتمع الانساني ، فبينما تنفرد القوى الإلهية في العراق القديم بالخلود في العالم الآخر اولا ينعم الإنسان بها فإنه على العكس من ذلك تتساوى الآلهة والبشر في ستمرار الحياة في العالم الآخر في التفكير المصري القديم . ويرجع ذلك إلى الاستقرار والانتظام في طبيعة البيئة المصرية مما يكفل الاطمئنان وربط العالم الدنيوي بعالم أبدي لا نهاية له . وإن كون الزراعة مهنة رئيسية بدأ بها الاستقرار الفعلي منذ العصر الحجري الحديث ليؤكد ذلك الاتجاه الفكري لدى المصريين القدماء لأن الزراعة تتجسم فيها ظاهرة الخلق والنمو والحياة وأخيراً الموت وذلك في دورة حياة النبات ، كما تتجلى أيضاً في دورة حياة الانسان والحيوان والقوى الكونية المختلفة والتي يلاحظها الانسان المزارع عن قرب . ولذلك تركزت الحضارة المصرية القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ على الاهتمام بظاهرة الخلود وظاهرة أخرى مكملة لها هي الملكية الإلهية ، على أساس أن ربط الحاكم الدنيوي بالعالم الإلهي وحمله الصفة الإلهية يساعد في ضمان اطمئنان المجتمع الانساني عند رضى القوى الإلهية عنه .

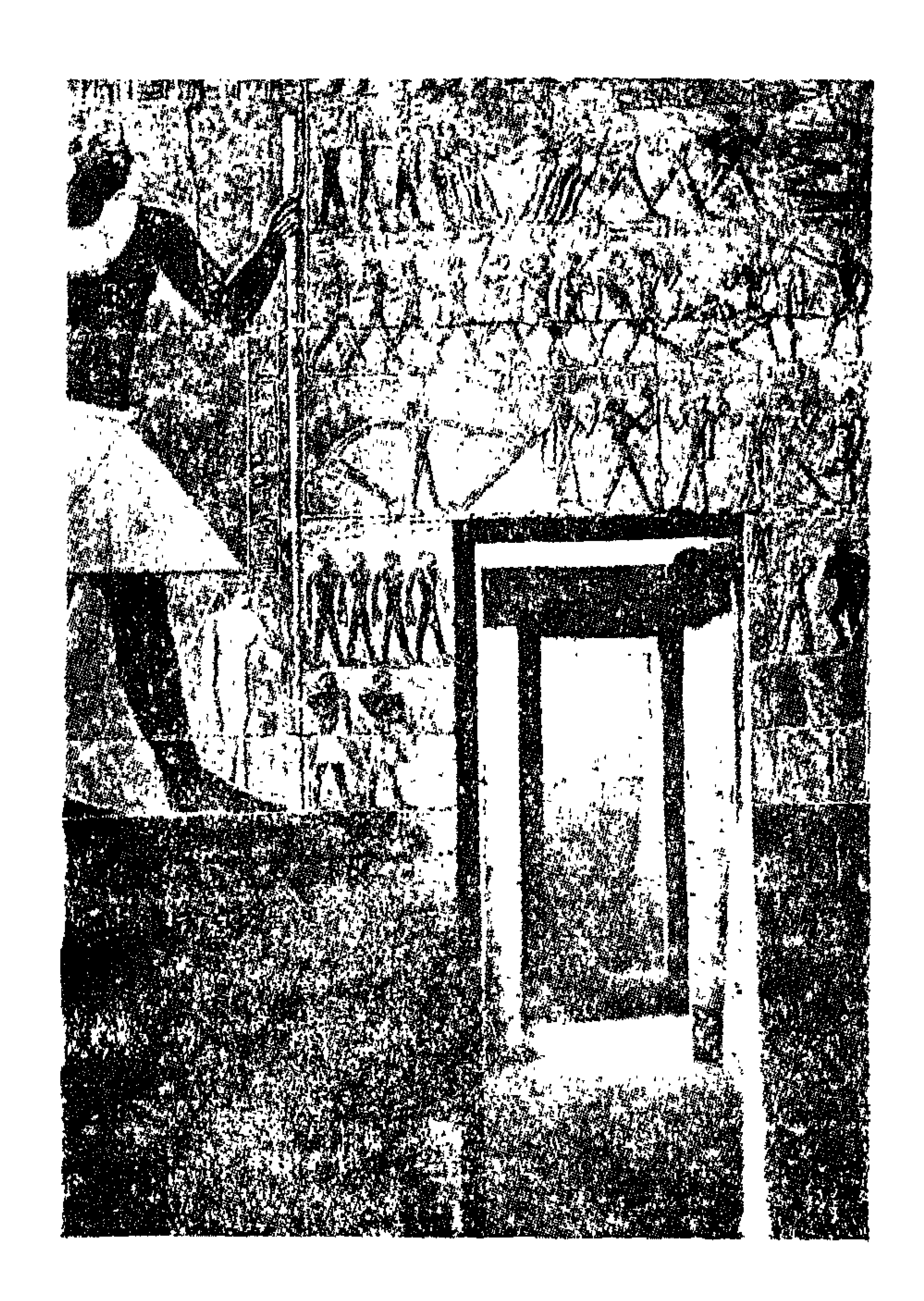
وتبعاً لذلك نشأت العبادات الأولى في أقاليم مصر عندما اتجه كل اقليم إلى الإيمان بإله محلي معين له مجالات نشاطه في حدود ذلك الاقليم . وخلال عصور ما قبل الأسرات بدأت المنافسات الدينية بين الأقاليم من حيث اتجاه

كهنة كل إله إلى إظهار أولوية إلههم على الآلهة الأخرى . وقد حاول أولئك الكهنة الارتفاع بآلهتهم عن المستوى المحلي إلى المستوى الكوني وذلك بالاتجاه إلى اعتبار الخلق الأول قد حدث عن طريق إلههم وتدعيم ذلك بالأساطير والفلسفة الدينية . وكانت مدينة هليوبوليس (عين شمس) مركزاً دينياً لعبادة الإله الشمسي ، وقد ظهرت فيها النظرية الدينية الهليوبوليتانية ، نسبة اليها والتي تتجه إلى إعطاء الأولوية في الخلق إلى الإله آتوم رع الإله الشمس الذي يعتبر بمثابة مصدر لثمانية من الآلهة هي شو (الهواء) وتفنوت (الماء) وجب (الأرض) ونوت (السماء) ثم أزوريس وإيزيس وست ونفتيس . وقد نشأ صراع جديد بين كل من أوزوريس وست أدى إلى قتل الأول ، واتجه ابنه الإله حورس إلى الانتقام لذلك وتمكن من الانتصار على ست والاستحواذ على عرش مصر . وقد مثل الإله حورس بالصقر ، أنظر شكل رقم (٨٦) . وقد ظهرت عقائد أخرى منها العقيدة المنفية نسبة إلى منف والعقيدة الهرموبوليتانية نسبة إلى هرموبوليس (الاشمونين) وقد أعطت الأولى الإله بتاح السيادة بينما اتجهت الأخيرة إلى الإله تحوت . وتنبغي الاشارة بصفة خاصة إلى أن العقيدة المنفية قد تميزت على العقائد الأخرى في مجال الخلق من حيث اعتبار حدوث ذلك عن طريق معنوي بحت وهو استخدام اللسان في النطق بالشيء بينما اتجهت العقائد الأخرى اتجاهاً مادياً طبيعياً في تفسير كيفية حدوث الخلق الأول . وقد استمر ذلك الصراع الديني بين تلك المراكز الدينية طوال العصر التاريخي . وقد حاول كل مركز منها استمالة الحكام اليه هادفاً من وراء ذلك ارتفاع اعتبار الإله المنتمي اليه من ناحية ، وتوسيع دائرة النشاط الاقتصادي بما تتضمنه من اقطاعيات زراعية وأوقاف لخدمة الإله من ناحية أخرى . وقد تمكن الإله رع من الاستحواذ على السيادة الدينية أثناء فترة طويلة من الدولة القديمة رغم عنف المنافسة بينه وبين الآلهة الأخرى . وقد وصلت عبادة الإله رع في عهد الأسرة الخامسة إلى أبعد مدى ، وتؤكد ذلك الأدلة الأثرية وبصفة خاصة معبد ومسلة الإله الشمسي في منطقة أبو صير شمال سقارة .



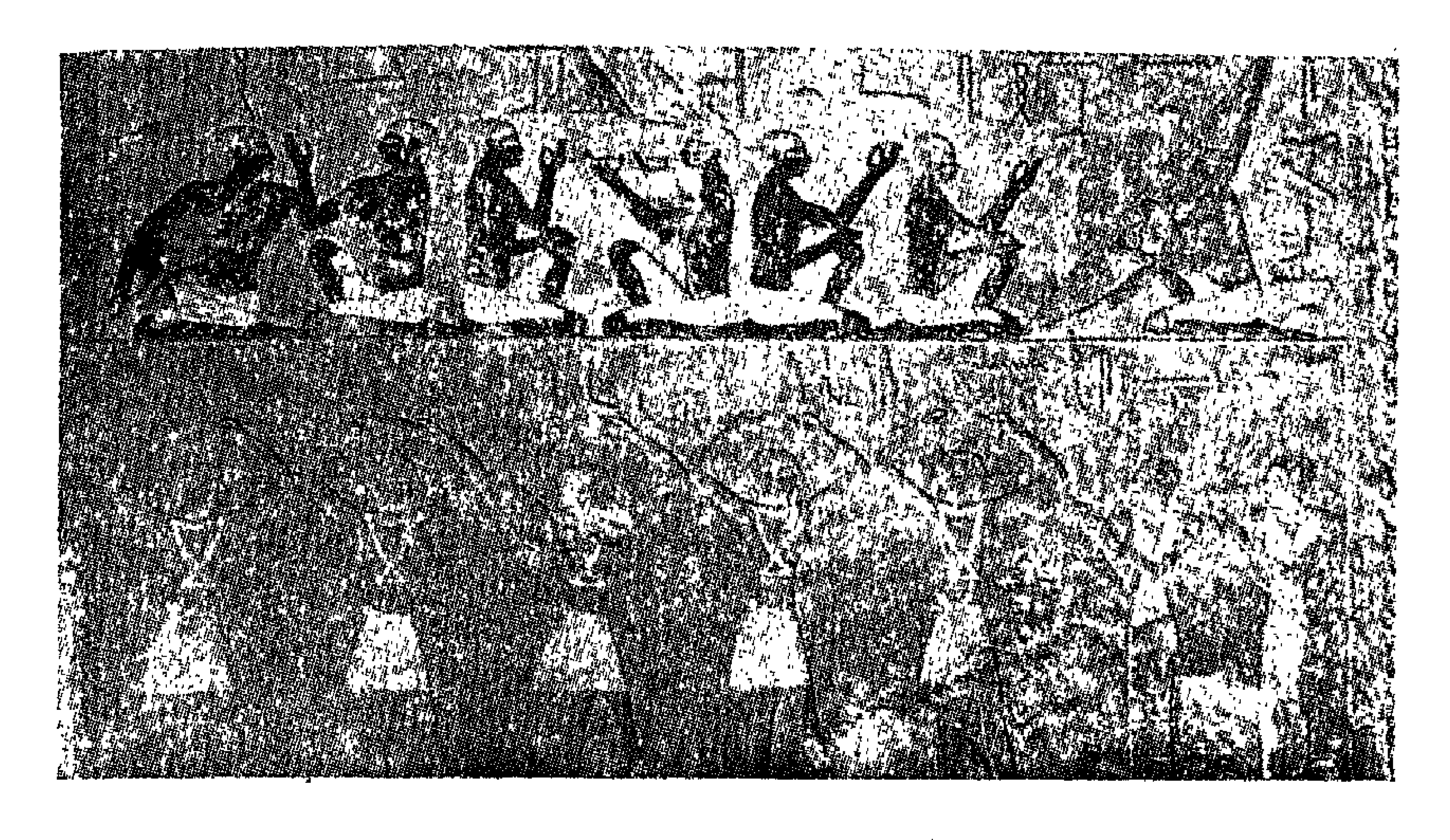
شكل رقم (٨٦) – رأس ذهبي لصقر محنط عثر عليه في الكوم الأحمر وينتمي للأسر السادسة .

ومن الأهمية الإشارة إلى أن تلك المعتقدات كانت مقبولة من طرف الشعب المصري أثناء الدولة القديمة وبصفة خاصة الأسرة الرابعة ، ولذلك أقبل على تجسيم معتقداته بشكل واقعي ملموس يؤكد مفاهيمه لكافة أفراد المجتمع . وبالنسبة لعقيدة الخلود واستمرار الحياة في العالم الآخر ، فقد وصل الانسان المصري القديم في ذلك المدى إلى درجة قصوى لم تصلها أية حضارة أخرى ، فقد تابع عملية بناء المنازل الأبدية أي المقابر بطريقة تطورية لا تزال آثارها واضحة للآن . فقد تطورت عمارة المقابر من مجرد مصاطب تجمع



شكل رقم (٨٧) منظر لمقبرة الوزير مريروكا من الداخل ، من الأسرة السادسة في سقارة ، وتلاحظ النقوش المتعددة على الجـدران

بين البناء السفلي الذي يتضمن حجرة الدفن والبناء العلوي الذي تلحق به الحجرات التي سجل على جدرانها مختلف جوانب نشاطه الدنيوي المهني والترفيهي ، وأبواب وهمية وسراديب وترك فيها تماثيل لشخصه بالإضافة إلى تماثيل أخرى للآلهة المصرية القديمة ، حيث أنه اعتبر مقبرته بمثابة منزل أبدي يجمع فيه كافة احتياجاته في العالم الآخر من أوان نخارية وحجرية ونماذج للسفن الصغرى ولوحات جنزية . وذلك بالإضافة إلى النصوص التي تتضمن



شكل رقم (٨٨) — مناظر رقص وموسيقى منقوشة على جدران مقبرة نتحفتكا من الأسرة الخامسة في سقارة .

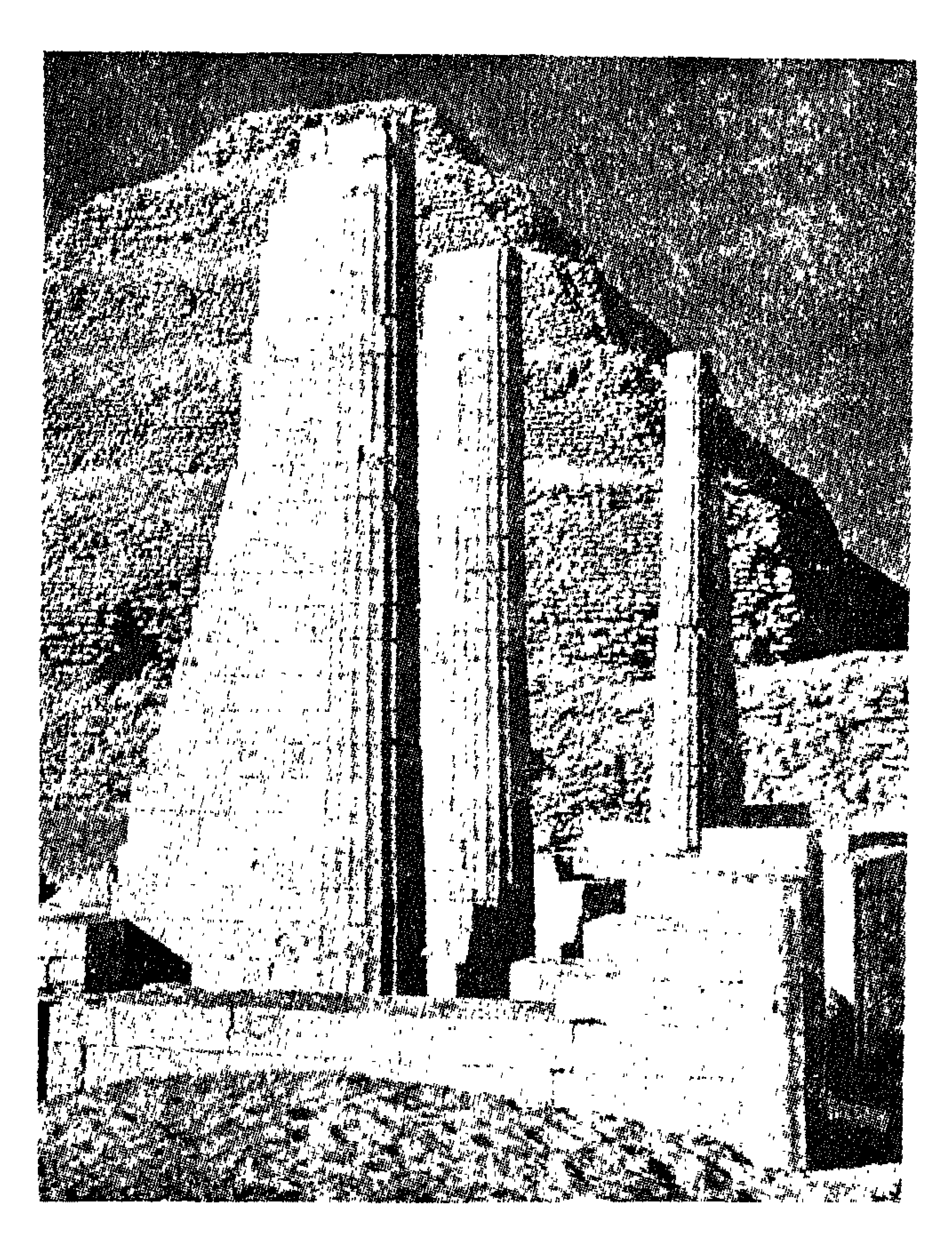
الأدعية التي تكفل له السعادة في العالم الآخر ، أنظر أشكال (٨٧ و ٨٨) و (٨٩) ، وقد كان لكل ذلك أثره في ضخامة التركة الأثرية المصرية القديمة بسبب العثور على كافة الأدلة الأثرية داخل المقابر التي اشترك الملوك وكافة أفراد الشعب في تجهيزها كل حسب امكانياته ، ولكن التطور المعماري الضخم قد تحقق في المقابر الملكية الهرمية الشكل وبصفة خاصة ابتداء من الهرم المدرج (١) الخاص بالملك زوسر . وقد اتجه المهندس ايمحتب إلى تصميم ذلك الهرم من ست مصاطب بصورة تدريجية فوق بعضها . والواقع أن ذلك الهرم يمثل تطوراً جديداً في العمارة المصرية القديمة فهو أول بناء كامل من الحجر . ولم يكن ذلك الهرم منفرداً بل كان يمثل جزءاً من مجموعة جنزية مستقلة خاصة بالملك زوسر يحيط بها سور كبير يتميز بظاهرة الفجوات المنتظمة في بنائه ، تلك الظاهرة المعمارية التي تعتبر من التأثيرات الحضارية السومرية الأصل قرب نهاية عصور ماقبل الأسرات والتي أقلمتها الحضارة المصرية القديمة

(١) انظر أحمد فخري : الأهرامات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .



شكل رقم (٨٩) – باب وهمي في مقبرة اتي من الأسرة السادسة بسقارة .

داخل نطاقها . ويقع مدخل تلك المجموعة من الجهة الشرقية حيث يؤدي إلى ممر يتميز بتواجد أعمدة حجرية تستند على حوائط تأكيداً لثبوتها ، أنظر شكل رقم (٩٠) . وهذه الأعمدة تعتبر تقليداً بالحجر لسيقان البردي المحزمة



شكل رقم (٩٠) – بعض الأعمدة المستندة إلى حوائط في مجموعة زوسر الجنزية

من أعلى وأسفل والتي كانت تستخدم كأعمدة للأكواخ ، وتمكن الانسان المصري القديم من تحقيق صنعها بالحجر مما يعتبر خطوة هامة في تطور هندسة الأعمـــدة .

كما تتضمن المجموعة الجنزية المعبد الجنزي شمال الهرم ، والسرداب ومبنى الحب — سد وكذلك المقبرة الجنوبية التي زينت جدرانها الداخلية بالقاشاني . هذا وهناك أيضاً هرم سخم خت والذي لم يستكمل بناؤه ولكنه رغم ذلك يعتقد أنه يماثل إلى حد ما الهرم المدرج الخاص بالملك زوسر ، فكلاهما محاط بسور يتميز بفجواته وكذلك كلاهما له ممرات داخلية متعددة بجوار حجرة الدفن .

وقبل أن تصل العمارة الهرمية إلى مرحلتها الكاملة فقد أقام الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة هرمين جنوب سقارة أولهما الهرم المنكسر المبني من الحجر الجيري والذي يتصل به كل من المعبد الجنزي والطريق الجنزي المؤدي إلى معبد الوادي ، أما الهرم الثاني فهو ما يعرف باسم الهرم الأحمر نظراً إلى لون الحجر الجيري المستخدم في بنائه . أما الهرم الأكبر الخاص بالملك خوفو فيعتبر أضخم مبنى هرمي حيث وصل ارتفاعه إلى ١٤٦ متراً (الآن ١٣٧ متراً) ، كما أن كل ضلع من أضلاعه يبلغ ٢٣٠ متراً (الآن ٢٢٧ متراً) وهو مبني من الحجر الجيري المحلي . ويقدر عدد الكتل الحجرية المستخدمة في عملية البناء ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجر متوسط ، ووزن كل كتلة حجرية ٢,٥ طن ويبلغ بعضها أكثر من ١٥ طن . ولم تكن عملية بناء الهرم الأكبر بالمهمة الهندسية السهلة لما يتطلبه من جهود مضنية من حيث قطع تلك الكتل الحجرية الضخمة ونقلها إلى موقع الهرم ثم رفعها إلى المستوى المطلوب على الرغم من عدم توفر أدوات الرفع الحديثة بل تقتصر كل امكانيات تلك المرحلة على الأدوات الحجرية والنحاسية والخشبية ، ولكنهم في سبيل تحقيق الهدف الديني وهو الخلود والسعادة في خدمة الملك الاله فقد قام المهندسون والعمال ببذل أقصى درجات الجهد والعلم والتفاني في سبيل تحقيق ذلك المشروع البنائي الجبار . وتنبغي الاشارة في هذا الصدد على سبيل المثال إلى أن نسبة الخطأ في تقابل الضلعين الشرقي والغربي في الهرم الأكبر لم تزد على ٠,٠٣ ./.

وقد اتجه بعض المؤرخين إلى القول باحتمالية استخدام السخرة في هذا الصدد ، ولكن الواقع أن الاخلاص الديني رغم ما يحتمل أن يتضمنه من أعباء فإنه كان الكفيل بالتفاني في تحقيق المشروع ، فقد كانت العقيدة الدينية تمثل الحافز الحيوي والأبدي في حياة وأمل انسان تلك المرحلة من الحضارة المصرية القديمة . هذا ولم يصل العلماء إلى نتيجة نهائية فيما يتعلق بكيفية بناء الهرم ولكن هناك نظريات ربما كان في الامكان استخدامها مثل المنحدرات التي تقام على جوانب الهرم وترتفع إلى المستوى المناسب للبناء وتنزلق فوقها الزلاقات حاملة الكتل الحجرية التي تجرها الطاقات الانسانية والحيوانية إلى الموقع المطلوب استخدامها فيه. وهناك نظرية أخرى تميل إلى كون ذلك المنحدر حول الهرم وبشكل حلزوني يرتفع تدريجياً بارتفاع البناء الهرمي ثم يزال بعد الانتهاء كلية من عملية البناء . ويغلب أن النظرية الأولى أقرب إلى إمكانية الواقع . ويقع مدخل الهرم الأكبر الأصلي من الجهة الشمالية ويؤدي بعد عدة ممرات إلى حجرة الدفن الخاصة بالملك وهي مبنية من الجرانيت الأحمر ويبلغ وزن كل قطعة من الكتل الجرانيتية التسعة المكونة لسقف الحجرة حوالي ٥٠ طناً ، أما التابوت الحجري فيقع في الناحية الغربية من الحجرة . وفي الجهة الشرقية من الهرم يقع المعبد الجنزي والطريق الجنزي ومعبد الوادي وأهرامات الملكات ومراكب الشمس ، أما في الجهة الجنوبية فقد عثر على حفرتين كبيرتين فتحت إحداهما سنة ١٩٥٤ حيث عثر على الأجزاء الخشبية الخاصة بإحدى مراكب الملك خوفو مفككة وعددها ٥٦١ قطعة خشبية ويلاحظ أنه بعد إعادة تركيب تلك المركب بواسطة الحبال التي ربطت بين أجزائها ، بطريقة تشبه حياكة القماش ، بلغ طولها ٤٣,٥٥ متراً بالإضافة إلى تزويدها بإثني عشر مجدافاً . أما عن نوع الخشب المستخدم فهو خشب الأرز اللبناني . أما عن وظيفة تلك المركب فقد اختلف العلماء في هذا الصدد ويغلب أنها تنتمي إلى الأثاث الجنزي الخاص بالملك خوفو . وقد سبق العثور على كثير من الحفر التي حفرت على شكل مراكب بجوار المقابر منذ الأسرة الأولى وذلك لحاجة المتوفي اليها في العالم الآخر .

وقد تتابعت عمليات بناء الأهرامات في عهود الملوك التالين مثل جدف رع وخفرع ومنكا ورع وغيرهم . ومن أهم الآثار الملحقة بهرم الملك خفرع الجنزي شرقي الهرم معبد الوادي المبني من الحجر الجيري المكسي بالجرانيت . ومن الأهمية الاشارة إلى أن الانسان المصري القديم في تلك المرحلة كان يؤمن بالخلود ولذلك اتجه إلى إقامة مقابره حول مقبرة الملك ويتمثل ذلك بصورة واضحة في الجبانات الغربية والشرقية والجنوبية حول هرم الملك خوفو .

ويعتبر عصر الأسرة الرابعة مرحلة مثالية في القيم المصرية القديمة من حيث اعتناق الشعب لها لدرجة كبيرة ، ولم يقتصر تعبيره عن الخلود والملكية الإلهية بتلك التركة الهرمية الضخمة ، بل لقد شكل بعض التماثيل المعبرة عن قيمه الدينية ومن أهمها تمثال خفرع من حجر الديوريت والذي يتجسم فيه مفهوم الملكية الإلهية بصورة واضحة . وقد استكمل النحات المصري القديم تعبيره عن القيم الدينية آنذاك بأن نحت خلف رأس تمثال الملك خفرع صقراً يرمز إلى الإله حورس كأنه يؤكد الصفة الالهية للملك خفرع من ناحية ، ويشير إلى حمايته للملك من ناحية أخرى ، انظر شكل رقم (٩١) . ولقد سبقت هذا التمثال بالذات محاولات أخرى تؤكد الاتجاه نحو التعبير بالنحت عن صفة الملكية الإلهية تتجلى في تمثال الملك زوسر في الأسرة الثالثة بل وتمثال الملك خع سخم وي في نهاية الأسرة الثانية ، انظر شكل رقم (٩٢) .

وقد اتجه الفنان المصري القديم في تلك المرحلة إلى استغلال كافة المواد المتوفرة في محيط بيئته للتعبير عن مفاهيمه ، ولم يقتصر على الحجر بمختلف أنواعه بل استخدم الخشب والنحاس أيضاً في صنع تماثيله . ومن الأمثلة الخالدة الدالة على ذلك تمثالي الملك ببي الأول من ملوك الأسرة السادسة وولده اللذين عثر عليهما في الكوم الأحمر . وهناك اتجاه بين بعض العلماء يميل إلى الاعتقاد بأن الفن المصري القديم في تلك المرحلة بالذات يميل إلى الجمود بمعنى أن الفنان لم يكن حراً في التعبير بصورة تلقائية بل كان مقيداً بما تتطلبه



شكل رقم (٩١) تمثال الملك خفرع من حجر الديوريت ، يحميه الصقر رمز الاله حورس



شكل رقم (٩٢) – تمثال الملك خع سخم وي من حجر الشيست في متحف الاشمولي في أكسفورد .

عقائده الدينية . والواقع أن هذا الرأي لا يمثل الحقيقة لأن الفنان المصري القديم رغم ارتباطه الوثيق لمستلزمات عقيدته وضرورة التمسك بها ، فإنه كان متحرراً منها في مجالات كثيرة وخاصة بالنسبة لتعبيراته الفنية الخاصة بالأفراد . ولكنه تمسك بنمط معين بالنسبة للملوك . ويرجع ذلك إلى عقيدة الملكية الالهية باعتبارها رفعت مستوى الحكام إلى مصاف الآلهة مما يتطلب

تعبيراً فنياً محافظاً وبصفة خاصة في عهد الأسرة الرابعة ، وهي مرحلة القمة فيما يتصل بالملكية الالهية المطلقة . ومن أمثلة النحت الخاص المعبر بصورة متقنة تمثالي رع حتب ونفرت من الأسرة الرابعة في ميدوم ، انظر شكل (٩٣) . وفيما يتعلق بالنحت الخشبي فإن تمثال شيخ البلد الذي عثر عليه في سقارة، المنتمي إلى عصر الأسرة الخامسة ليظهر مدى قدرة الفنان المصري القديم في طواعية استخدامه للخشب في التعبير ، انظر شكل رقم (٩٤) ، كما أن لوحات حسي رع الخشبية المنتمية إلى الأسرة الرابعة تظهر بوضوح تلك القدرة أيضاً . والواقع أن الفنان المصري القديم قد نجح في استخدام كافة المواد بطريقة تتسم بالدقة والصنعة الفنية بدرجة متفوقة في تلك المرحلة . وان آثار أثاث الملكة حتب حرس زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو والتي عثر عليها في بئر شرقي الهرم الأكبر والتي تتضمن المظلة الخاصة بالملكة وستائرها وكذلك المحفة وأدوات الزينة المختلفة ، لتؤكد ذلك في مجال الصياغة والنقش على الأثاث المكسو برقائق ذهبية . ولم تقتصر الحضارة المصرية في عصر الدولة القديمة على مجالات الهندسة المعمارية والفنون المختلفة بل تعدتها إلى مجالات العلوم والرياضيات ، وتنبغي الاشارة بالذات إلى تقدم الطب المصري القديم، وتسجل بردية ادوين سميث الجراحية المنتمية إلى تلك المرحلة مدى تطور جراحه العظام وتقدمها في ذلك الوقت . وتعتبر تلك الوثيقة من أولى الوثائق التاريخية المتعلقة بتاريخ الطب .

وعلى الرغم من ذلك التطور الحضاري في عهد الدولة القديمة ، فقد بدأت مظاهر التحول في التفكير المصري القديم قرب نهاية تلك المرحلة لعدة أسباب جوهرية تتركز بصفة خاصة في الجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية . فقد أثرت مظاهر الانتاج المادي وبصفة خاصة العمارة الدنيوية والأخروية وكافة المشروعات المدنية والاقتصادية والحربية في كيان المجتمع لاستنزافه قسطاً كبيرا من قدرات الدولة . وانعكس ذلك على القيم المصرية لأن أساس تلك القيم يقوم على اعتقاد الانسان المصري القديم في ألوهية الملك مما ينجم عنه ضمان استقرار



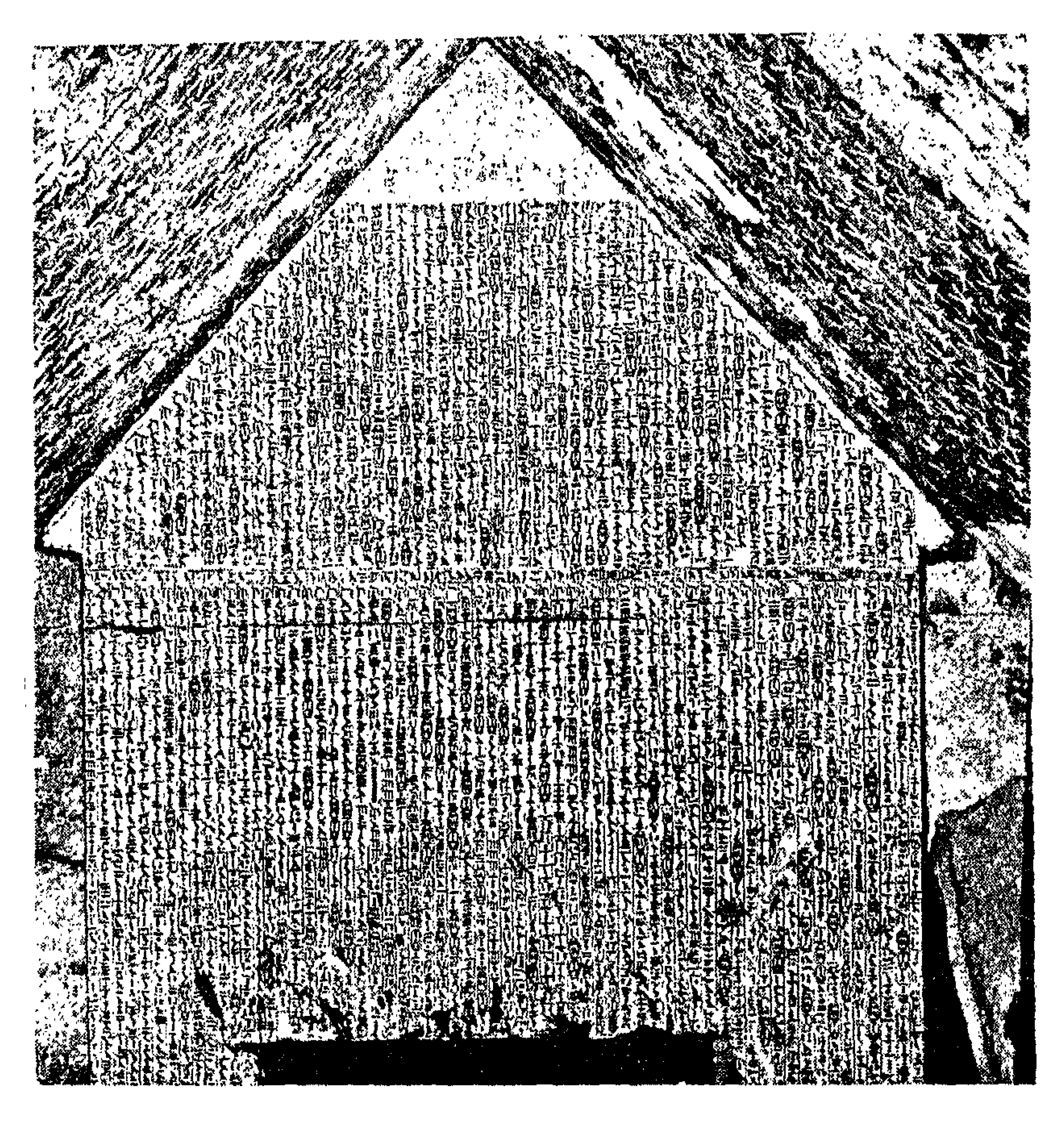
شكل رقم (٩٣) – تمثال الأمير رع حتب وزوجته الأميرة نفرت من الأسرة الرابعة من ميدوم .

الشؤون الاقتصادية وعدم اختلالها . ومن ناحية أخرى ازدادت ظاهرة التنافس الديني بين المراكز الدينية ، كما ازدادت المنح والاعفاءات الضريبية مما أثر أيضا على الكيان الاقتصادي . ولم يقتصر التحول عند ذلك الحد ، بل ظهر في المجال السياسي الخارجي ، حيث عاصرت نهاية الدولة القديمة مرحلة التحركات البشرية ، وبصفة خاصة السامية في منطقة جنوب غربي آسيا والتي اتجهت إحدى شعبها إلى منطقة شبه جزيرة سيناء وتحرشت بمنطقة شرقي الدلتا مما أدى إلى انقلاب المفاهيم المصرية القديمة من حيث كونها أساساً تعتمد على توفير الملك الإله الأمن والطمأنينة للوطن المصري القديم . وبدأت بوادر التحلل من حرفية تلك القيم تظهر خلال الأسرتين الخامسة والسادسة ، فقد اتجه الملك شبسس كاف



شكل رقم (٩٤)– تمثال (شيخ البلد) مصنوع من خشب الجميز عثر عليه في سقارة وينتمي إلى الأسرة الخامسة

من ملوك الأسرة الخامسة إلى اتخاذ مصطبة كبيرة بدلا من بناء هرم كمقبرة له ، كما بدأت تظهر اتجاهات جديدة فيما يتعلق بالنقوش الخاصة بحجرة الدفن في الأهرامات . فقد ظهرت مجموعة كبيرة من النصوص الهيروغليفية المعروفة باسم نصوص الأهرام وهي تتضمن الكثير من التعاويذ والصيغ الدينية الهادفة إلى معاونة المتوفي في حياته الأخروية ، وقد سجل الملك اوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة تلك النصوص على جدران حجرة الدفن والحجرة المؤدية اليها ، أنظر شكل رقم (٩٥) ولكن ذلك التحول قد وصل إلى مداه



شكل رقم (٩٥) – نصوص الأهرام في هرم الملك ببي الثاني جنوب سقارة

البعيد في عصر الانتقال الأول الذي يعرف أيضاً باسم عصر الثورة الاجتماعية الأولى على أساس كونه مرحلة انقلاب في القيم الاجتماعية في مصر القديمة . فقد بدأ في ذلك العصر شعور جديد لدى المواطن المصري القديم يطالب بالمساواة في الحقوق بين كافة أفراد المجتمع وذلك في الحقوق الدنيوية والأخروية أيضاً . وقد انبثق ذلك التفكير الجديد بعد عدم تمكن الملوك من تحقيق الأمن والاستقرار في تلك المرحلة مما أدى إلى الثورة والمطالبة بتعديل القيم المصرية القديمة . وتعتبر تلك المرحلة من أخطر مراحل التاريخ الانساني المبكر من حيث

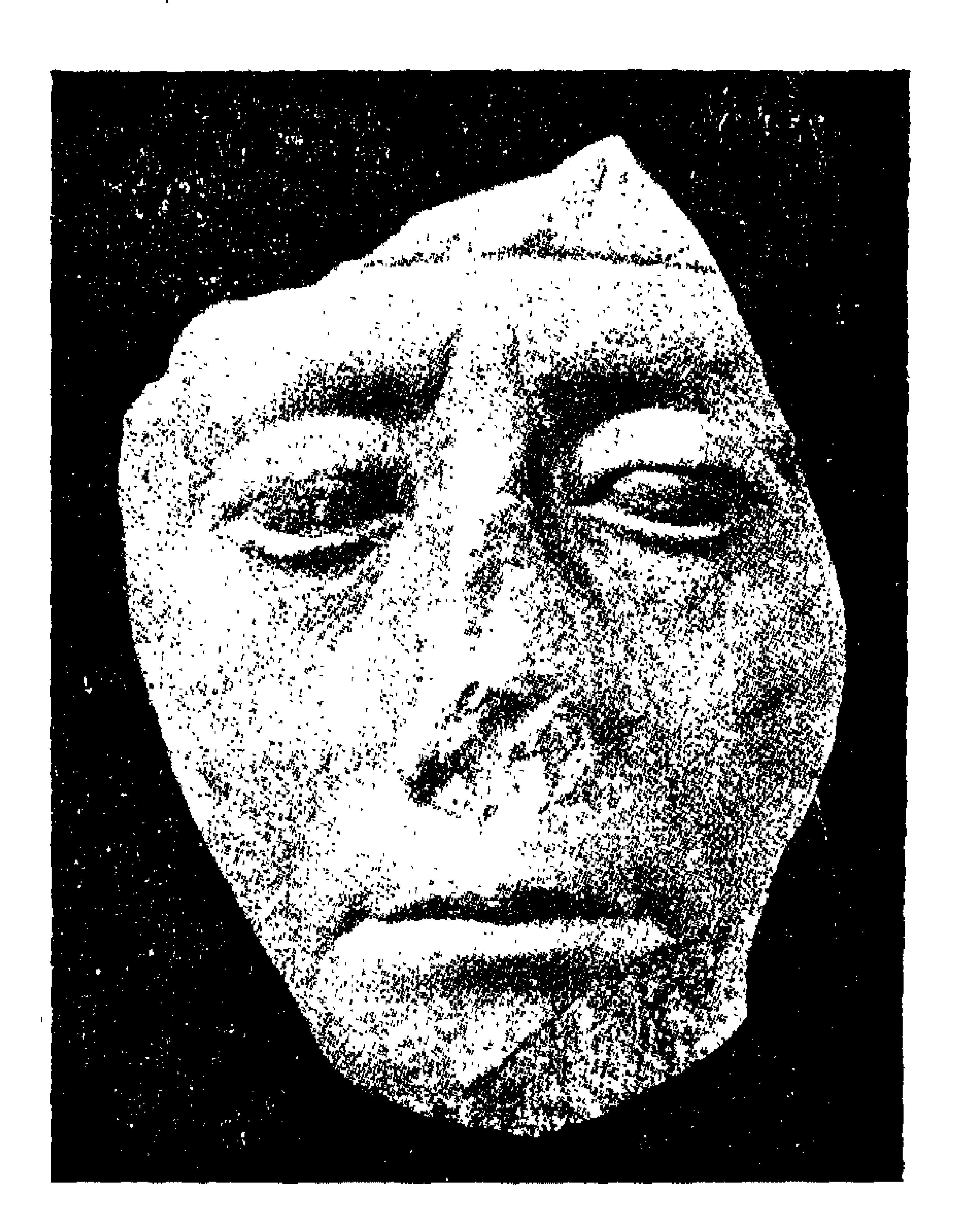
كونها محاولة انسانية تهدف إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية في المجتمع آنذاك . وقد عثر على عدد من الوثائق الهامة المنتمية إلى تلك المرحلة والتي تشهد بطريقة واضحة على ذلك مثل وثائق الفلاح الفصيح واليائس من الحياة وايبو ور وغيرها ، وفيما يلي بعض مقتطفات من تلك الوثائق (١) : « ...خلقت الرياح الأربع التي يستطيع أن يستنشقها كل انسان كزميله الذي يعيش في زمانه ، وخلقت الفيضان العظيم وللفقير فيه حق مماثل لحق الرجل الغني ، وخلقت كل رجل مثل زميله . . . » (٢) ولم يكن للكاتب المصري القديم أن يتجه إلى تلك الجوانب الهادفة للعدالة الاجتماعية إلا بعد تلمسه للتغير في القيم المصرية القديمة . وتنطبق النصوص المصرية بالعديد من أمثلة المناداة بالعدل، ويتجلى ذلك في وثيقة الفلاح الفصيح : « ... إن الذي يوزع الحق يجب أن يكون منصفاً ومدققاً ومضبوطاً مثل كفتي الميزان . . . هل تخطىء كفتا الميزان . . . إن الغش يقلل الحق . . . » أما نص اليائس من الحياة ، فقد عبر بطريقته الخاصة عن الذبذبة النفسية التي واجهت الشعور الانساني في تلك المرحلة ، فقد تردد الانسان المصري القديم إزاء الثورة ضد قيمه السالفة ودخل في طور من التشاؤم وصل إلى درجة اليأس من الحياة ، ولكن سرعان ما حلّ الأمل بالتفاؤل بالمستقبل بعد تحقيق العدالة الاجتماعية . ولقد عبر برستد عن تلك المرحلة الهامة بأنها تمثل فجر الضمير الانساني ، والواقع أنها في هذا المجال تعتبر من أولى محاولات الانسان الرامية إلى تحقيق العدالة والديمقراطية . ولذلك يمكن القول أن الشخصية الذاتية للفرد قد تبلورت في مجتمع تلك المرحلة ، ونجحت تلك الحركة الفكرية في تعديل المفاهيم المصرية القديمة وتحقيق العدالة الاجتماعية في حدود معينة مما أدى إلى الاستقرار مرة أخرى في بداية الدولة الوسطى التي حملت صفة الملكية العادلة مكتسبة إياها بعد التجارب المريرة التي خاضتها الملكية المطلقة في عصر الانتقال الأول .

---

(1) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, edited by J. B. Pritchard, Princeton, 1955.

(٢) أحمد فخري : ترجمة كتاب جر. ولسن : الحضارة المصرية ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥

وقد حاول الفنان المصري القديم التعبير عن بعض مظاهر تأثيرات تلك المرحلة في النحت ومن أبدع ما أنتجه في هذا الصدد رأس الملك سنو سرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة وتظهر فيها الملامح الواقعية المعبرة بصورة واضحة عن ذلك التحول في مفهوم الملكية الإلهية ، انظر شكل رقم (٩٦) .



شكل رقم (٩٦) – رأس الملك سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة من حجر الكوارتز الأحمر

أما فيما يتعلق بالتشكيل الحضاري لمنطقة سوريا ولبنان وفلسطين أثناء الألف الثالث ق . م . فيتميز ببعض الخصائص بحكم الموقع الجغرافي والتطور الحضاري المحلي ، وأهم تلك الخصائص هي تأثر إنتاجها الحضـاري بالمؤثرات المحيطة بطريق مباشر أو غير مباشر في المجالات المادية والفكرية ، فإن سوريا ولبنان وفلسطين تقع في قلب الشرق الأدنى القديم تحيط بها المراكز

الحضارية في العراق والأناضول ومصر ، والتي تتخذ طريق نشاطها الاقتصادي والحضاري عبر تلك المنطقة المتوسطة . ومن ناحية أخرى يلمس الدارس أيضاً تأثر تلك المنطقة بالتحركات البشرية السامية والهندية الأوروبية باعتبارها تمثل جزءاً رئيسياً من الهلال الخصيب . ويمكن القول أن تلك العناصر الحضارية الخارجية قد تفاعلت مع العناصر الحضارية المحلية ونتج عنها مظهر حضاري تتضح فيه بعض جوانب الامتزاج الحضاري مع الاحتفاظ بالمقومات الحضارية المحلية . ويعتبر الألف الثالث ق . م . في الشرق الأدنى القديم مرحلة مدنية مستقرة في المدن مدعمة بكافة وسائل الاستقرار الذاتي ، وهي بذلك تختلف اختلافاً كلياً عن حضارات ما قبل الأسرات . ولذلك يلاحظ الدارس منذ بداية تلك المرحلة تواجد المدن المستقلة في سوريا ولبنان وفلسطين والتي استمرت محافظة على استقلالها الذاتي طوال تلك المرحلة . وربما يعود ذلك إلى ظروف الموقع الجغرافي وتعدد العناصر البشرية ومتاخمتها للقوى السياسية والحضارية المحيطة مما أدى إلى انحصار كل مدينة في شؤونها مع مزاولة نشاطها الخارجي بصورة مستقلة . وتدعم الأدلة الأثرية تلك الحقيقة بدرجة ملموسة حيث يلاحظ أن تلك المدن محاطة بأسوار ضخمة تكفل لها الاستقلال والحماية ، ويتجه الدارس إلى تتبع التشكيل الحضاري في كل إقليم على حدة .

ففي لبنان تتمثل تلك المرحلة بوضوح جيد في موقع مدينة بيبلوس (جبيل) على الساحل اللبناني بين طرابلس وبيروت ، فقد عثر على آثار تنتمي إلى الألف الثالث ق.م. في بيبلوس. ومن أهم تلك الآثار أحد مداخل تلك المدينة والواقع في شمالها الشرقي ، انظر شكل رقم (٩٧) ، وكذلك بقايا السور المنتمي إلى تلك المرحلة في الجزء الشمالي من المدينة . ومن الآثار الرئيسية أيضاً في تلك الفترة أحد المعابد المقامة في الجزء الجنوبي الغربي بالنسبة لمدخل المدينة السالف الذكر . ولم يتحدد حتى الآن المعبود الذي أقيم من أجله ذلك المعبد ، ولكن من الأهمية الاشارة إلى وجود بركة مقدسة غربي ذلك المعبد لا تزال آثار أرصفتها كائنة حتى الآن . ومن المعابد الهامة أيضاً التي بنيت في بداية الألف الثالث ق . م .



شكل رقم (٩٧) احد مداخل مدينة بيبلوس في الشمال الشرقي وينتمي الى القرن ٢٣ ق. م.

معبد بعلة بيبلوس شمال غرب نبع المدينة ، وقد احتوى ذلك المعبد على عدد من الآثار المصرية وبصفة خاصة الأواني المرمرية ، ولم تشر النصوص حتى الآن إلى إلهة ذلك المعبد على أنها حاتحور بيبلوس، ولكن من ناحية أخرى عثر على معبد للإلهة المصرية إيزيس حاتحور غربي نبع المدينة كما أنه من ناحية ثالثة عثر على خاتم اسطواني للملك خفرع سجل عليه « محبوب حاتحور » (١) مما يساعد في إمكانية اقتران إسم بعلة جبيل باسم الإلهة المصرية حاتحور ، وعلى الأقل فذلك من وجهة النظر المصرية القديمة . هذا وتمثل الإلهة المصرية حاتحور في بعض الأحيان الإلهة إيزيس في اللاهوت المصري القديم . وقد ذكر المؤرخون منذ القدم قصة أوزيريس وإيزيس وارتباطها بمدينة بيبلوس ، فقد أشار المؤرخ اليوناني بلوتارك إلى تلك القصة المتصلة بالصراع الشديد الذي قام بين اوزيريس وست وكيف أن الأخير قد اتجه إلى وضع أخيه داخل تابوت مغلق وقذف به في النيل ، وقد حملته مياه النهر إلى البحر الأبيض المتوسط الذي حمله بدوره حتى رسى عند بيبلوس ، وذلك عند جذع شجرة صغيرة هناك ، وقد نمت تلك الشجرة حول التابوت وكبرت حتى صارت مجتذب الأنظار مما أدى إلى قطعها وذلك للحاجة الماسة اليها كعمود خشبي يحمل سقف قصر الملك مالكندر ، وعندما علمت الإلهة إيزيس بتلك الأحداث اتجهت بدورها إلى بيبلوس وجلست تبكي بغزارة على ما حدث، وشعرت بها وصيفات الملكة مما أدى إلى تعرف الملكة عليها واتخذتها صديقة لها ومربية لطفلها ، وسرعان ما طالبت ايزيس بالعمود الذي يحمل سقف القصر ، وأخذت منه التابوت الخشبي الذي يحمل جسد أوزيريس ، ووضعته في سفينة للعودة به إلى مصر ، وبذلك تحقق لها مرادها ، وبينما هي سائرة نحو البحر عند نهر الفيدار جاءت رياح شديدة أغضبت الإلهة إيزيس فأمرت بتجفيفه ، وهكذا تسرد القصة الأسطورية المصرية القديمة حلقة من حلقات صراع اوزيريس وست والتي يظهر فيها بوضوح ارتباط مصر بمدينة بيبلوس ليس

(1) Dunand, M., Fouilles de Byblos, I, 200, no. 3074, pl. CXXV.

فقط في المجال الاقتصادي والحضاري بل أيضاً في المجال العقيدي والأدبي .
والواقع أن صلات مدينة بيبلوس التجارية والحضارية مع مصر كانت غاية في القوة أثناء عهد الدولة القديمة ، وذلك لحاجة المصريين الشديدة لأخشاب الأرز والصنوبر والشوح وغيرها من الأنواع المحلية للأغراض المدنية والدينية .
وقد عثر ضمن الآثار المصرية على عدد كبير من الأدلة الأثرية المؤكدة لذلك منذ عصور ماقبل الأسرات . فقد استخدم خشب الأرز في بناء الحجرة العليا لهرم الملك سنفرو في دهشور (١) كما استورد المصريون أيضاً صمغ الصنوبر والذي عثر عليه في بعض الأواني الفخارية في مقابر الجيزة واللازم في صناعة السفن وكذلك الأصواف وزيت الزيتون والدببة . وقد سجلت الآثار المصرية وبصفة خاصة في عهد الملك ساحورع الكثير من مناظر السفن العائدة من بيبلوس محملة بكل ذلك بالإضافة إلى تواجد بعض العناصر السامية ، وذلك نظير استيراد مدينة بيبلوس بصفة خاصة لبعض المنتجات المصرية كالكتان والقمح والعدس والذهب وغيرها . كما تقدم الكثيرون من ملوك الدولة القديمة بالهدايا الرمزية إلى معبدي بيبلوس وإيزيس حاتحور حيث عثر على بعض الأواني المرمرية المصرية التي تحمل أسماء أولئك الحكام بالخط الهيروغليفي، ومثال ذلك الملك خع سخم وي والملك منكا ورع والملك ببي الثاني . وقد عثر أيضاً على بعض الأواني الحجرية المصرية كودائع تأسيس لبعض المنازل الكبيرة في بيبلوس . كما وجد السلاح الحجري الخاص بفأس عند مصب نهر الكلب يحمل الاسم الحوري الذهبي لكل من الملك خوفو والملك ساحورع .
ومن ناحية أخرى عثر على أختام اسطوانية عظمية تنتمي نقوشها إلى حضارة جمدة نصر مما يؤكد وجود المؤثرات السومرية أيضاً في ذلك الموقع . وتنبغي الاشارة إلى أن تلك الآثار قد وجدت في الطبقتين الرابعة والخامسة من مدينة بيبلوس أي في بداية الألف الثالث ق . م . وأما قمة عصر البرونز الأول ، فتتمثل في الطبقة السادسة في بيبلوس . ويلاحظ أن مدينة بيبلوس في تلك المرحلة قد تعرضت إلى فترة مضطربة تتضح من الناحية الأثرية في تواجد

(1) Fakhry, A., The Bent Pyamid at Dahshur, Caire, 1954.

حريق جزئي ؛ يغلب أن ذلك التدمير يعتبر جزءاً من ظاهرة عامة اتضحت آثارها في تاريخ الشرق الأدنى القديم قرب نهاية الألف الثالث ق . م . وهي ظاهرة التحركات السامية الغربية الأمورية والتي أدت إلى انقطاع التطور الحضاري في المدن التي اجتاحتها . ويمكن ربط تلك الظاهرة في بيبلوس بنفس الظواهر المشتركة في فلسطين ومصر حيث بدأ عصر الانتقال الأول الذي وصلت فيه العناصر السامية في تغلغلها إلى شرقي الدلتا ، كما وصلت العناصر الأمورية إلى حكومات المدن الفلسطينية مثل جريكو ومجدو وخربة كرك . ولم تعاود العلاقات التجارية والحضارية سيرتها مع مصر إلا في عهد الملك أخيتوى الثالث في الأسرة العاشرة قرب نهاية الألف الثالث ق . م . ومما يؤكد مدى تواجد مظهر دولي في مدينة بيبلوس أثناء تلك المرحلة العثور في بيبلوس على مسلة تؤرخ بحوالي القرن الحادي والعشرين ق . م . سجل عليها نص بالخط الهيروغليفي المصري يشير إلى أن ذلك الأثر خاص بالحاكم الأموري لمدينة بيبلوس وهو ابي‌سمو ، محبوب الاله المصري حريشف وهو إله محلي لمدينة اهناسية بالفيوم. ويشير ملارت إلى احتمالية كون مقيم تلك المسلة من غرب الأناضول(١)

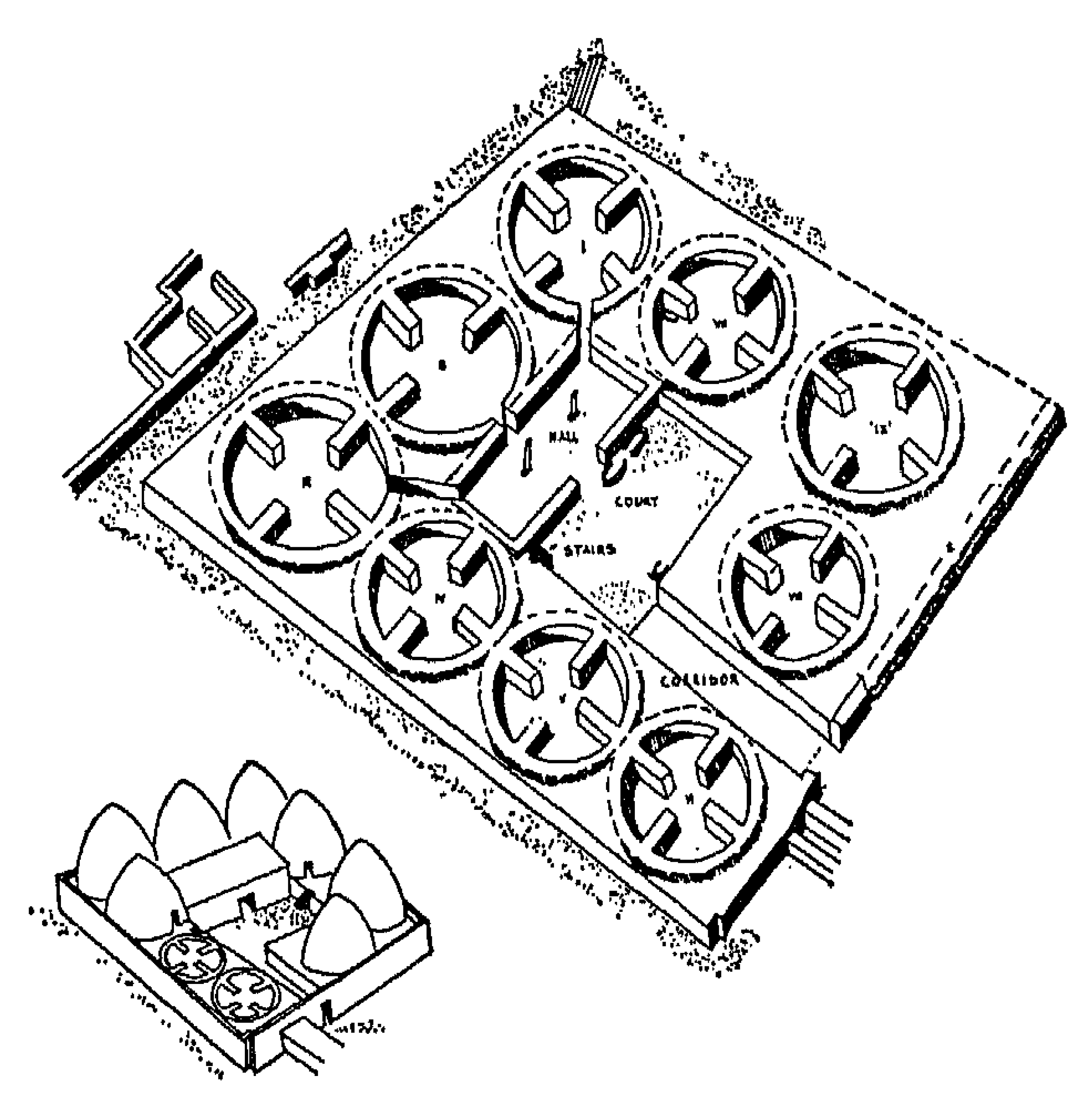
وقد اتسعت مجالات الصلات الحضارية والتجارية في ذلك الوقت ، فلم تقتصر على بيبلوس ومصر بل شملت أيضاً سوريا وفلسطين والأناضول ، بالإضافة إلى بلاد الرافدين. وقد عثر على أجزاء كرسي مكسوة بالذهب تحمل اسم ساحورع في موقع دوراك شمال غرب الأناضول جنوب بحر مرمرة، وكذلك على أواني حجرية مصرية في جزيرة كيثرا جنوب شبه جزيرة البليبونيز في بحر ايجه مما يدعم الاعتقاد بازدياد النشاط التجاري والحضاري إلى حد ما في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط .

أما في فلسطين فيلاحظ بوضوح استمرار ظاهرة تحصين المدن بالأسوار القوية تدعيماً للاستقلال الذاتي من ناحية وحماية لها ضد الأخطار الخارجية

(1) Mellart, J., The Chalcolthic and Early Bronze ages in the Near East and Anatolia, Beirut, 1966, 71, 72.

المتسللة والمغيرة عليها من ناحية أخرى . وقد بلغ سمك الحائط المحيط بموقع قرية خربة كرك ثمانية أمتار ، أما حوائط جريكو فقد بنيت من اللبن فوق أسس ولكن تميزت بوجود امتداد دائري في شكل برج ملحق بحائط تلك المدينة . ومن ناحية أخرى تميز عصر البرونز الأول في فلسطين بكثرة العناصر الوافدة اليه ، ويتمثل ذلك في تلك الجماعات الشعبية المسالمة التي أتت من الشمال في موقع خربة كرك حيث عثر على الفخار الذي يحمل اسم ذلك الموقع. ويتميز ذلك الفخار بصناعته اليدوية وطلائه باللون البرتقالي الوردي ثم كسوته بعد ذلك بالشحم الساخن المؤدي إلى حمله اللون الأسود من الخارج واللون الأحمر من الداخل بالإضافة إلى الحافة الحمراء أيضاً . ويلاحظ أن هذا الطراز من الفخار قد وصل إلى فلسطين وبصفة خاصة في الطبقة الرابعة من موقع خربة كرك مع مجموعة وافدة من السكان يتجه مللارت إلى اعتبارهم عنصراً أناضولياً (١) على أساس أنه قد وجدت أمثلة من ذلك الفخار في رأس شمرا وحماه وقلعة الروس وأيضاً في مالاتيا في شرقي الأناضول . ولم تقتصر حضارة خربة كرك على تلك الصناعة الفخارية المستوردة بل أيضاً عثر على مبنى كبير فريد من نوعه في ذلك الموقع قد بني من حجر البازلت، ويبلغ سمك جدران المبنى عشرة أمتار واتساعه ٤٠ — ٣٠ متراً . وقد تضمن ذلك المبنى تسعة دوائر حجرية يختلف قطرها من ٧ إلى ٩ أمتار . وتتجزأ تلك الدوائر داخلياً إلى أربعة أجزاء ، أما مدخل المبنى ويقع في الجهة الشرقية فيبلغ عرضه سبعة أمتار . هذا وقد اختلف العلماء في وظيفة ذلك المبنى ولكن يغلب أنها دينية ولو أن ذلك الرأي ليس نهائياً ، أنظر شكل رقم (٩٨) . وقد سبقت الاشارة إلى وجهة نظر مللارت المتعلقة بالعصر الحجري الحديث في منطقة الأناضول من حيث أولويتها على المواقع الأخرى في منطقة الشرق الأدنى القديم ، كما يتجه أيضاً إلى

(1) Ibid., 78 ff.



شكل رقم (٩٨) تخطيط لاحد المباني العامة في خربة كرك .

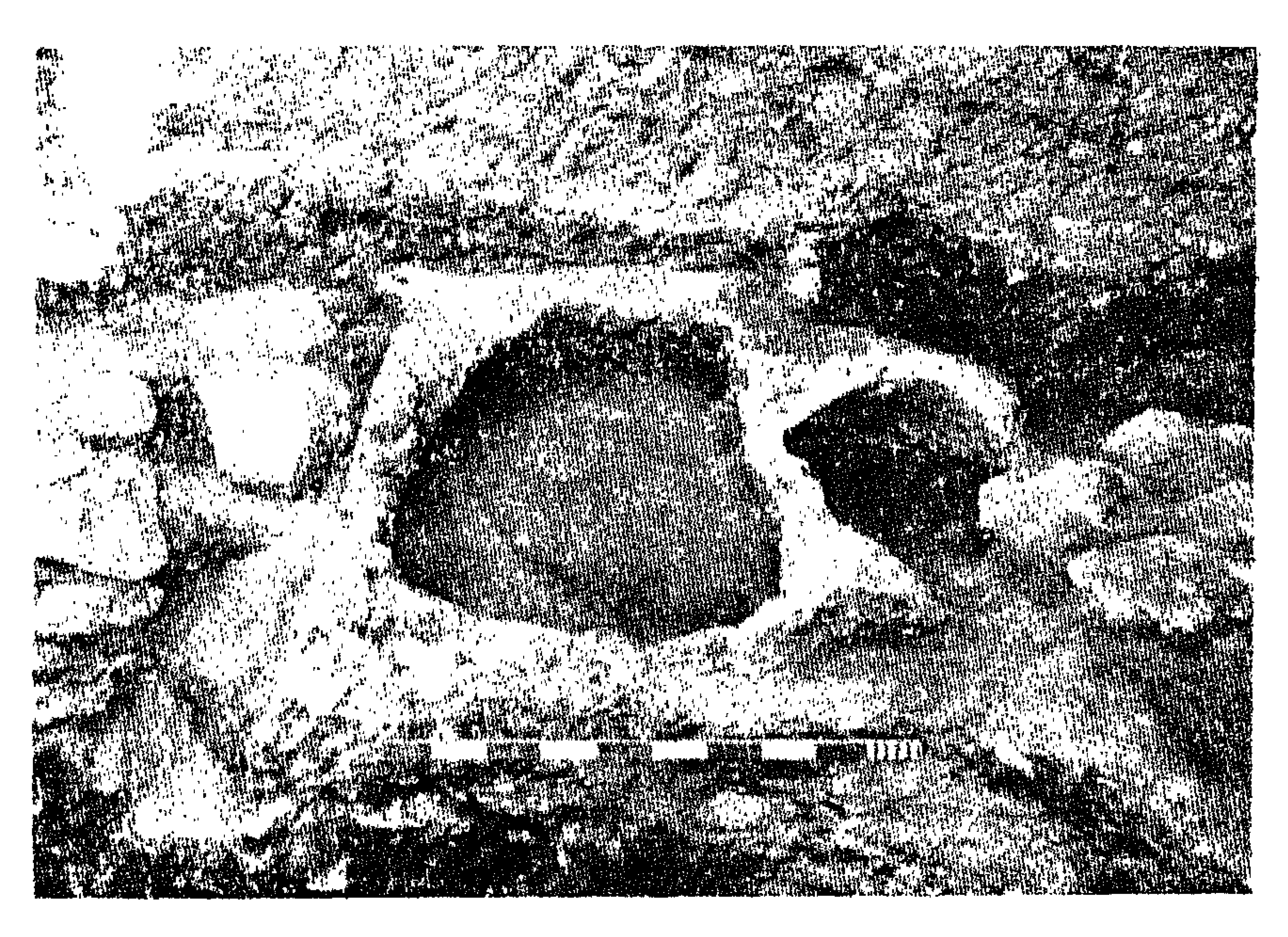
التركيز مرة أخرى على العناصر الأناضولية من حيث اعتبارها ، صاحبة حضارة خربة كرك الفلسطينية . ولم يقتصر مللارت على ذلك بل يتجه إلى تحديد تلك العناصر الأناضولية بالذات بالعناصر الحورية ، ويصعب تقبل ذلك على أساس كون تلك العناصر الحورية قد وفدت مع العناصر السوبرية إلى منطقة الشرق الأدنى القديم أثناء الألف الثاني ق . م . مع موجة العناصر الهندية الأوروبية في شمال وشمال شرق سوريا . والواقع أن الجزم النهائي في مثل تلك المسائل ليحتاج إلى العديد من الدراسات المقارنة والمجردة والمزيد أيضاً من الحفائر . هذا مع العلم بأن منطقة شرقي الأناضول رغم كونها منطقة التقاء لكثير من العناصر البشرية ورغم طبيعتها الجبلية الشديدة الوعورة فإنها في حاجة إلى دراسات أشمل بصورة مقارنة . وتتمثل الحضارة الفلسطينية في عصر البرونز الأول في مواقع أثرية أخرى مثل مجدو وبيسان والتل ورأس العين وتل الدوير وتل بيت مرسيم وتل العجول وغيرها . وقد تحرشت العناصر

الأمورية وهي إحدى الشعب السامية الشمالية الغربية ، بالمدن الفلسطينية ونتج عن ذلك تدمير بعضها . وتمثل غاراتهم تلك ، كما سبقت الإشارة ، إحدى مظاهر حركة الهجرات البشرية في المنطقة بأسرها . وقد عثر على بعض مقابر أولئك الوافدين الجدد ويلاحظ أنها تتضمن بعض التقاليد البدوية ، فقد خصص لكل رجل مقبرة خاصة دفن فيها خنجره بينما وضع دبوس أو خرز في مقبرة السيدة ، كما لوحظ أيضاً وضع مصباح في فجوة في حائط المقبرة . وربما أن تقاليدهم البدوية قد دفعتهم في بعض المقابر إلى فصل عظام المتوفي عن بعضها بحكم تعودهم نقل موتاهم من مكان إلى آخر في حياتهم غير المستقرة . وتتجه كنيون (١) إلى الاعتقاد بأن تلك العناصر الأمورية قد دخلت إلى فلسطين من الشمال الشرقي ، وتعتمد في ذلك على وجود بعض وجه الشبه في الصناعة الفخارية التي عثر عليها في مجدو وقطنة . كما أنه من ناحية أخرى قد اعتمد العلماء على بعض الأدلة اللغوية المحدودة والتي تثبت انتماء تلك العناصر السامية إلى الشعبة الأمورية . وقد ظهرت آثار الحرائق الناتجة عن الغارات الأمورية قرب نهاية عصر البرونز الأول في فلسطين أي عند نهاية الألف الثالث ق . م . وقد اختلفت الآراء فيما يتعلق بالدوافع الحقيقية الخاصة بتلك الغارات والتسللات الأمورية ، والواقع أنها كانت اقتصادية في مراميها الأولية . ويصعب التدليل بصورة قاطعة على ذلك ، ولكن تسجيل الملك اوناس ، آخر ملوك الأسرة الخامسة في الطريق الجنزي الخاص بهرمه لأحداث مجاعة شديدة في مصر ربما يساعد على الاستدلال باحتمالية تواجد أزمة اقتصادية سُجلت جزئياً بمصر وربما حلت بالمنطقة بأسرها . ويدعم ذلك الاحتمال التوقيت الواحد نسبياً لتلك الغارات الأمورية والسامية الأخرى في كافة أرجاء منطقة الهلال الخصيب .

أما في سوريا فقد دلت الآثار مرة أخرى على اتساع نطاق الحياة التجارية والحضارية مع المراكز المجاورة وبذلك تتفق كل من مواقع لبنان وفلسطين وسوريا في الحركة التجارية والحضارية المشتركة في المجالات الداخلية

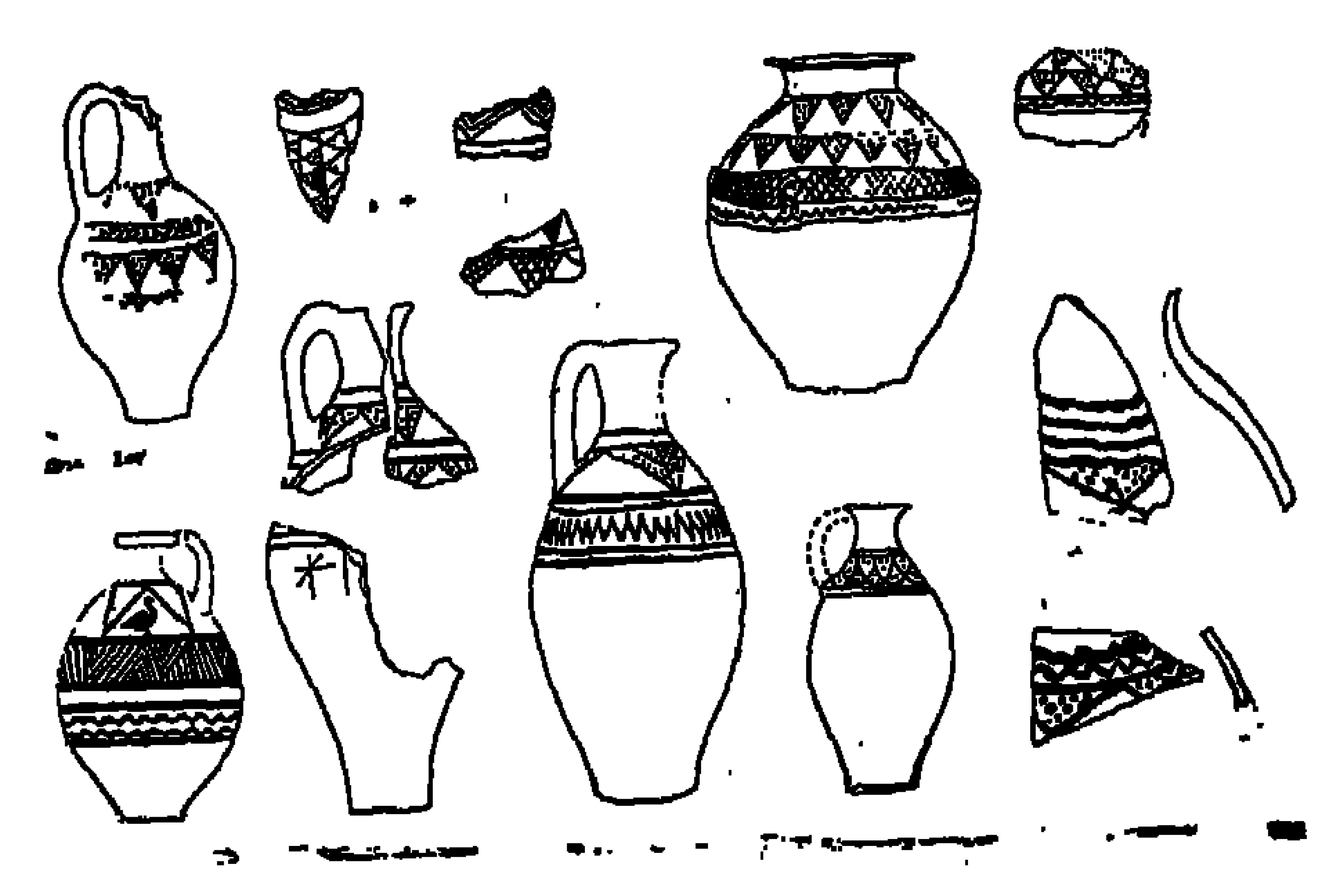
(1) Kenyon, K. M., Archaeology in the Holy Land, London, 1965, P. 152 ff.

والخارجية . وقد تمثل الألف الثالث في سوريا بصفة خاصة في مواقع منطقة العمق س و ش وص و ض حيث عثر على كافة الأدلة الأثرية كالصناعة الفخارية الملونة والمزينة والتي اعتمدت على استخدام عجلة الفخار . وعثر كذلك على المنازل المبنية أيضاً من الآجر ذات الحجرات المستطيلة وعلى حفر خزن الغلال . ويلاحظ أن تلك المنازل قد زودت بالمقاعد الطينية وكافة احتياجات الحياة المنزلية ، فقد عثر على سبيل المثال في الطبقة ش على فرن مزدوج يتكون من جزئين ربطت بينهما فتحة داخلية ، انظر شكل رقم (٩٩). هذا وقد صدرت



شكل رقم (٩٩) فرن مزدوج عثر عليه في العمق ش.

سوريا الفخار الملون إلى مصر حيث عثر على أمثلة منه ، أنظر شكل رقم (١٠٠) . مما يؤكد موضوع ازدياد حركة الصلات التجارية والحضارية بين مصر من ناحية ولبنان وفلسطين وسوريا من ناحية أخرى . أما فخار خربة كرك اليدوي الصنع ، فقد عثر عليه أيضاً في العمق ش ، وهو الذي سبقت الاشارة اليه والذي يعتقد أن مصدره الأصلي يرجع إلى منطقة شرق الأناضول



شكل رقم (١٠٠) رسوم لبعض الأواني الفخارية السورية والمنتمية للمرحلة الثانية من عصر البرونز الأول ، والتي عثر عليها في مصر .

واذربيجان والقوقاز . أما فيما يتعلق بالصناعة المعدنية فإن صناعة التماثيل البرونزية (١) الستة ، ليؤكد مدى تطور الحضارة في تلك المرحلة من حيث تخصص العمال في الصناعة المعدنية الدقيقة .

من ذلك يتبين أن الشكل الحضاري في سوريا ولبنان وفلسطين أثناء الألف الثالث ق . م . قد اتضحت فيه ظاهرة اتساع الصلات الحضارية الدولية (٢) في حدود منطقة الشرق الأدنى القديم ، وبذلك خرج الشكل الحضاري من مرحلة التكوين المحلية إلى بداية مرحلة الانتشار والتوسع الخارجي .

أما فيما يتعلق بمنطقة الأناضول أثناء الألف الثالث ق . م . فيلاحظ الدارس أن عصور ماقبل التاريخ قد امتدت خلال تلك الفترة ، ولم يبدأ العصر التاريخي إلا ببداية الألف الثاني ق . م . وهي المرحلة المعروفة باسم عصر البرونز الأوسط. أما الألف الثالث فهو عصر البرونز الأول الذي ينقسم بدوره إلى ثلاثة مراحل . وقد عثر الأثريون على عدد من المواقع الأثرية في غرب الأناضول وجنوبها ووسطها وشرقها ، ومن أهمها طروادة ، وتختلف حضارة الألف الثالث ق . م . في الأناضول عنها في بقية أجزاء منطقة الشرق الأدنى القديم من حيث

(١) أنظر ص ٢٣٦ .

(2) Braidwood, R., and Braidwood, L., Excavation in the Plain of Antioch Chicago, 1960, P. 517.

استخدام المعادن . وقد تميزت الأناضول بالتوسع الواضح في استخدام النحاس والبرونز بل والحديد في نطاق ضيق في ذلك العصر المبكر بالنسبة لاستخدامه . ويعود ذلك إلى وفرة تلك المعادن في هضبة الأناضول من ناحية واتساع نطاق النشاط التجاري مع الأقاليم المجاورة مثل منطقة الهلال الخصيب وجنوب شرقي أوربا والهضبة الايرانية من ناحية أخرى . ولقد كانت تلك الاتصالات التجارية تهدف إلى استيراد المعادن من هضبة الأناضول التي كانت تستكمل أيضاً بعض احتياجاتها المعدنية غير المتوفرة لديها من تلك المناطق ، مثل القصدير الذي ربما كان يستورد من بوهيميا أو الهضبة الايرانية . ورغم ازدياد تلك الصلات الخارجية ، فقد ظلت الحضارة الأناضولية محلية الطابع لحد كبير .

أما بالنسبة للمرحلة الأولى من عصر البرونز الأول ، فيتمثل في طروادة ١ ، وقد استمرت تلك المرحلة إلى حوالي سنة ٢٧٥٠ ق . م . وعثر على عدد من الأدلة الأثرية كالصناعات الفخارية والعظمية والنحاسية والبرونزية ، ولم تقتصر آثارها على منطقة الأناضول ، بل وصلت إلى مقدونيا مما كان له أثره في إحداث نقلة حضارية في جنوب شرقي أوربا ببداية عصر البرونز فيها . أما فيما يتعلق بعمارة المنازل فيلاحظ أن تخطيطها يتجه إلى الشكل المستطيل ، كما أنها تتكون من طابق واحد . هذا وقد عثر على ملحقات المنازل وبصفة خاصة مخازن الغلال المغروسة في باطن الأرض أو فوق سطحها . وفي المجال الفني عثر على عدد من التماثيل الصغيرة المعدنية وكذلك الأواني المزينة ببعض الأشكال الخاصة ، مثل رأس الثور أو عضو التذكير ، ويغلب أنها لأغراض طقسيةدينية. ومن الأهمية الاشارة إلى آنية عثر عليهافي يورتان غربي الأناضول مزينة برسم يشبه الرمز الهيروغليفي المصري عنخ الذي يعني الحياة . ومن الجائز القول بإعتبار ذلك بمثابة مثل آخر لمدى تواجد الصلات الدولية في محيط منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت . وقد تجسمت تلك الصلات خلال المرحلة الثانية من عصر البرونز الأول وهي المرحلة التي امتدت إلى حوالي سنة ٢٣٠٠ ق. م . والتي تتمثل في طروادة II وقد خرجت فيها الحضارة

الأناضولية إلى نطاق خارجي واسع في مواقع البحر الأسود وبحر إيجه . وقد وصل مداها في البحر الأسود حتى أوكرانيا وجنوب شرقي أوربا في البلقان والدانوب في رومانيا وبلغاريا . وقد عثر على مختلف الأدلة الأثرية التي تدعم ذلك . ومن آثار تلك المرحلة الهامة في مجال العمارة المعابد التي بنيت بطريقة مزدوجة للإلهة وابنها . وفي مجال التعبير عثر على عدد من تماثيل الثيران البرونزية في المقابر ، وتنبغي الاشارة إلى أن تلك الثيران لها الصفة الدينية بالنسبة لمجتمع تلك المرحلة على أساس ارتباطها بالخصوبة . كما عثر أيضاً على بعض آثار الحلي كالأساور والعقود ، هذا بالإضافة إلى المرايا البرونزية . ومن الآثار النادرة المنتمية إلى تلك المرحلة بعض الأسلحة الحديدية ، وعلى سبيل المثال السيف المصنوع من الحديد الذي وجد في دوراك . ويلاحظ الدارس ظاهرة استخدام قرص الشمس في الزخرفة ، ومن الجائز القول بإعتبار ذلك عنصراً وافداً من أثر الصلات الدولية . أما بالنسبة للمرحلة الثالثة فهي التي امتدت من حوالي ٢٣٠٠ ق م . إلى حوالي ١٩٠٠ ق م . وهي التي تتمثل في طروادة V-III. ويلمس الدارس خلال تلك المرحلة مظهراً آخر من مظاهر التحركات البشرية غير المنتظمة والتي تميزت بها نهاية الألف الثالث ، ق.م . في منطقة الشرق الأدنى بأسرها . وبالنسبة إلى منطقة الأناضول فقد جاءتها العناصر غير المتحضرة من الشمال والتي من المحتمل انتماؤها إلى عائلة اللغات والشعوب الهندية الأوربية ، وقد أدى وفودها إلى إحداث تدميرات عديدة وتعطيل التطور الحضاري . ولكن من ناحية أخرى سرعان ماتطلعت منطقة شرقي الأناضول إلى الازدهار الحضاري والتاريخي نتيجة هجرة بعض التجار الآشوريين إليها قرب نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م . وبصفة خاصة في كانش وهي أقرب إلى شرق الأناضول .

أما فيما يتعلق بالهضبة الايرانية ، فقد نشطت فيها منطقة عيلام بصفة خاصة قرب نهاية عصور ماقبل الأسرات وأثناء الألف الثالث ق . م . والواقع أن متاخمتها لسومر كانت من العوامل الرئيسية التي دفعتها نحو بداية العصر التاريخي وبصفة

خاصة في مجال التوصل إلى الكتابة . وقد عثر في سوسه على اللوحات الطينية التي سجلت عليها رموز ماقبيل العيلامية والتي لم تفك حتى الآن . ولم يمنع ذلك احتفاظ الحضارة الايرانية بأنماطها الفنية الخاصة كالزخرفة الهندسية التي عثر على أمثلة رائعة منها في فخار سوسه وبرسبوليس (١) ، والتي تستخدم قرون الماعز الجبلي بطريقة زخرفية مميزة . ولكن يلاحظ الدارس من ناحية أخرى وجود بعض أمثلة للنحت على الصخور والتي يظهر فيها تأثر الفن العيلامي بالفن الأكدي في التعبير عن الانتصار الحربي على الأعداء ، ويتضح ذلك بوضوح في النحت الخاص بالملك أنو بانيني ملك اللولو ولوحة النصر الخاصة بالملك نارام سن (٢) .

ولا تقتصر مظاهر الانتاج الحضاري على المناطق السالفة الذكر في الشرق الأدنى القديم بل لا تزال هناك العديد من المواقع الأثرية التي تعتبر في مسيس الحاجة إلى التنقيب عن آثارها . ويمكن اعتبار منطقة شبه الجزيرة العربية من أهم المناطق التي ستكشف عن الكثير من المادة الأثرية التي تستكمل الكثير من الفجوات بالنسبة لتراث المنطقة ، وبصفة خاصة في نجد وعمان وحضرموت واليمن . وقد قام العلماء بالبحث في جزيرة فيلكا بالكويت حيث عثر على بعض الآثار السومرية مما يوضح مدى امتداد تلك الحضارة في منطقة الخليج العربي . وقام كذلك العلماء بالتنقيب في جزيرة البحرين حيث توجد أكبر جبانة في العالم منتمية إلى عصور ماقبل التاريخ إذ يقدر عدد أكوام مقابرها حوالي مائة ألف في المنحدرات الشمالية والغربية في الجزيرة ، وهي مقابر مبنية من الحجر تخصص كل واحدة منها لفرد واحد . وقد اختلف العلماء في تفسير تلك الجبانة وخاصة لعدم العثور حتى الآن على قرى تنتمي إلى عصور ماقبل التاريخ في الجزيرة مما أدى إلى الرأي القائل باحتمالية كونها جبانة لسكان شبه الجزيرة العربية ، ولكن هذا الاحتمال غير نهائي لأنه قد

(١) أنظر صفحتي ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢) أنظر صفحتي ٢٧١ و ٢٧٢ .

عثر فعلا على أدوات وأسلحة حجرية في موقع جبل الدخان بالجزيرة ، كما أنه من ناحية أخرى عثر أيضاً على رؤوس السهام والمناجل المسننة (١) مما يؤكد تواجد بعض آثار مجتمعات ما قبل التاريخ في الجزيرة ، ولا يزال البحث جارياً في هذا الصدد للبحث عن القرى ذاتها . أما فيما يتعلق بآثار الألف الثالث ق . م . في البحرين فقد عثر في موقع باربار شمال جزيرة البحرين على معابد الإله انزاك إله الاقليم ، ويلاحظ وجود وجه شبه بينها وبين المعبد البيضاوي الخاص بالإلهة ننحر ساج في تل العبيد والمعبد البيضاوي أيضاً في خفاجة من حيث التخطيط المعماري البيضاوي الشكل، هذا بالإضافة إلى وجه الشبه أيضاً في موائد القرابين . أما فيما يتعلق بالأختام الاسطوانية التي وجدت في البحرين والتي تشبه لحد كبير الأختام السومرية الأسطوانية الشكل وأختام موهنجدارو بالسند والمربعة الشكل، فإن ذلك يعني إمكانية كونها محلية الصنع ومصدرة إلى كل من وادي السند أو سومر أو العكس . والواقع أن جزيرة البحرين في ذلك الوقت كانت بمثابة محطة حضارية هامة لها كيانها الحضاري الخاص بالإضافة إلى كونها حلقة اتصال بين حضارتي سومر ووادي السند . ولم يقتصر دور البحرين على تلك الجوانب الحضارية فقط بل كان لها دورها الرئيسي في المجال الاقتصادي في التجارة الخارجية بين عُمان حيث معدن النحاس وحجر الديوريت ، والهند حيث الذهب والعاج ، والبحرين حيث اللؤلؤ . ويمكن القول أيضاً باحتمالية الاتصال مع مصر بدليل العثور على عدد من الأواني الجرانيتية في أحد المقابر في مدينة عيسى ، وكذلك على بعض الأواني المرمرية (٢) في معابد باربار شمال البحرين ، علماً بأن تلك الأواني الحجرية قد تميزت بها الحضارة المصرية القديمة . وينبغي مداومة التنقيب عن المحطات الحضارية (٣) التي من الممكن العثور عليها في جنوب شبه الجزيرة العربية وعُمان واليمن وبذلك يستطيع المؤرخ استكمال موضوع الصلات الحضارية بين مواقع الخليج

(١) من تقارير حفائر البعثة الأثرية الدنمركية في البحرين ١٩٥٤ .

(٢) من تقارير حفائر البعثة الأثرية الدنمركية ايضاً ١٩٥٨ .

(٣) أنظر ص ٢١٥ .

العربي ومصر بطريقة أكثر فاعلية . أما بالنسبة للشكل الحضاري بالمغرب أثناء الألف الثالث ق . م . فإنه يعتبر استمراراً لمراحل التكوين الحضاري أثناء العصر الحجري الحديث (١) الذي يستمر في مراحله في الشمال الافريقي باستثناء مصر ، حتى نهاية الألف الثالث ق . م .

هذه بعض نماذج من الأنماط الحضارية المختلفة في منطقة الشرق الأدنى القديم أثناء الألف الثالث ق . م . يظهر فيها بوضوح مدى تعدد الجوانب المؤثرة في تشكيل كل نمط حضاري بطابع معين مع تواجد روابط الاتصال لحد كبير بين كافة أقاليم المنطقة .

---

(١) أنظر ص ١٥٢ — ص ١٥٤ .

الفصل الثالث

خلاصة التحليل الموضوعي المقارن لمجتمعات المنطقة في مرحلة التشكيل الحضاري والسياسي أثناء الألف الثالث ق . م .

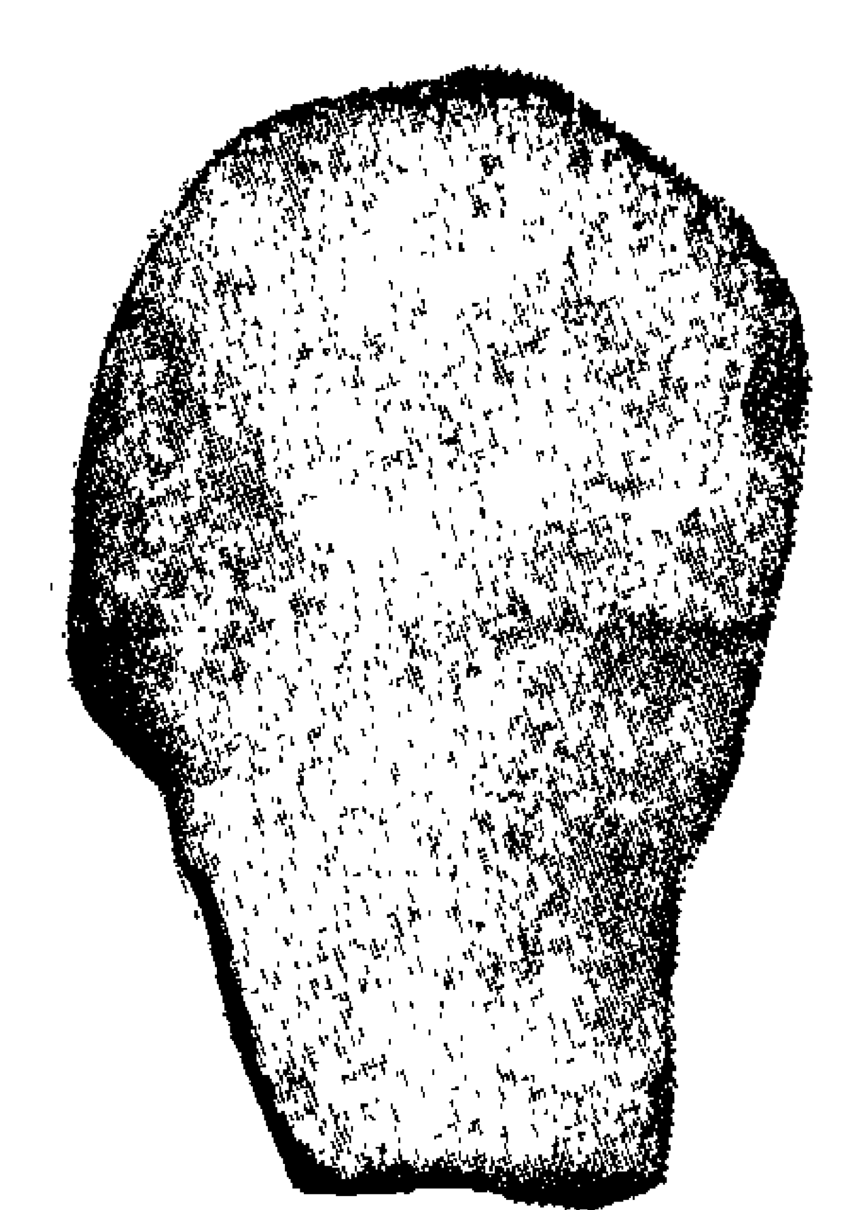
الألف الثالث ق . م . مرحلة انتقال فعلي إلى المدنية ونشأة الحكومات المستقرة والتنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقد تشكلت كافة تلك الجوانب بشكل معين نتيجة التجارب الطويلة خلال المراحل السابقة للألف الثالث ق . م . وقد توفرت لدى الباحث في تلك المرحلة العديد من المادة النصية والأثرية المعبرة عن ذلك التشكيل الحضاري والسياسي . والواقع أن تلك المرحلة تمثل حلقة من حلقات التطور الرئيسية في تاريخ الشرق الأدنى القديم سبقتها حلقات التكوين وتلتها مراحل التوسع والانتشار خلال الألفين الثاني والأول ق . م . فهي على ذلك تعتبر المرحلة التي استقرت فيها الجذور الحضارية واتخذت أشكالها الأساسية في كافة مجالات النشاط الانساني. وقد نجحت المنطقة في هذا الصدد في تحقيق عدة أولويات حضارية في تاريخ الانسان ، ومن أمثلة ذلك جوانب التقدم العلمي البحت في العلوم الرياضية والفلكية والهندسية والطبية بالإضافة إلى العلوم الانسانية والنظم والتقاليد وكافة نواحي التطور الاقتصادي الزراعي والصناعي والتجاري . ومن المبتكرات الفذة التي توصل إلى اختراعها الانسان في منطقة الشرق الأدنى القديم وبصفة خاصة الانسان السومري والانسان المصري التعبير بالرموز أو بالأحرى الكتابة الصورية ، فكانت أداة

فعالة في تحقيق كافة التنظيمات الوظيفية والاجتماعية والاقتصادية ، وبدأت مرحلة مستقرة في تاريخ الانسانية ببداية الألف الثالث ق . م . في منطقة الشرق الأدنى القديم . وفي مجال النظم السياسية يلمس المؤرخ حقيقة توصل الانسان السومري إلى بوادر الفكر الديمقراطي في الجمعيات العمومية الانسانية في حكومات المدن السومرية ، ومن ناحية أخرى توصل الانسان المصري القديم إلى الشعور بالكيان الانساني وضرورة توفير العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق الانسانية في نطاق المجتمع المصري القديم خلال عصر الانتقال الأول ، ولم تقتصر جوانب الانتاج الفكري على ذلك بل إن التعمق في الفكر الديني الانساني ومحاولة البحث عن أصول الأشياء والخلق الأول ، والعمل على الربط بين المجتمع الدنيوي والعالم الآخر ليعتبر مثالا آخر من التقدم الفكري خلال الألف الثالث ق . م . في المنطقة بأسرها . وكما نشط الانسان في المجالات المعنوية فقد تحكم لحد كبير في الامكانيات المادية للتعبير عن مفاهيمه وقيمه الفكرية . وترك في هذا الشأن نماذج متفوقة في العمارة والنحت والنقش والزخرفة ومختلف الصناعات الفخارية والحجرية والعاجية والعظمية والخشبية والجلدية والكتانية والمعدنية النحاسية والبرونزية .

ويلمس الدارس كافة مظاهر هذا الانتاج واتخاذ كل اقليم في المنطقة نمطاً معيناً في التشكيل الفني للحضارة في تلك المرحلة . ولم يحل ذلك دون توفر عناصر حضارية مشتركة بين كافة أرجاء أقاليم المنطقة . ويرجع ذلك إلى أن الحضارة قد نشأت في مرحلة تكوينها في كل إقليم على حدة لحد كبير مستوحية جوانب تطورها من كافة المقومات البيئية والانسانية المحلية ، ولكنها قرب نهاية مرحلة التكوين قبل بداية العصر التاريخي مباشرة اتجهت إلى البحث عن امكانيات جديدة في العالم الخارجي مما أدى إلى اتصالها بالحضارات الأخرى الأجنبية عليها ، وبدأت عملية التفاعل الحضاري خلال المعاملات التجارية واحتياجات كل طرف إلى بعض إمكانيات الطرف الآخر . ونشأت على أثر ذلك نواحي التجاوب والأقلمة وطبع الحضارة بالنمط الجديد الذي لا يقتصر على التجربة المحلية فحسب بل يتعداها إلى اكتساب ما يتفق وحضارته من العالم الخارجي المحيط به ؛ وهناك الكثير من أمثلة تلك الصلات الخارجية الاقتصادية والحضارية في المنطقة .

ويمكن تقسيم تلك الاتصالات بين أقاليم المنطقة إلى : أولا ، مـا يتعلق بالصلات التجارية ، وثانياً، ما يتعلق بالاتصالات البشرية ، وثالثاً، ما يتعلق بالاتصالات الحضارية . أما ما يخص الاتصالات التجارية فقد عثر الأثريون على عدد كبير من الأدلة الأثرية التي تثبت ذلك الاتصال بين مصر وسومر وبيبلوس وسوريا وفلسطين بل وبعض جزر بحر إيجه وبعض مواقع غربي الأناضول . ومن ناحية أخرى ثبت أيضاً تواجد اتصال اقتصادي بين سومر وعيلام وجزيرة فيلكا بالكويت وجزيرة البحرين في الخليج العربي والهضبة الايرانية والقوقاز ووادي السند بل وجنوب شرقي أوربا . وتتبع تلك الاتصالات الاقتصادية بما تتضمنه من معاملات استيراد وتصدير ضرورة التأثر والتأثير في الأقاليم التي تتعامل معها . وهنا يتضح أيضاً التفاعل الحضاري بين تلك المجتمعات واكتساب كل حضارة بعض الأنماط الجديدة على تجربتها المحلية ، وقد سبقت الاشارة إلى بعض تلك الظواهر.وقد اختلف العلماء في تفسير تلك الصلات الحضارية ومدى فاعليتها في الحضارات المتأثرة بها ، وكذلك طريقة تحقيق تلك الصلات الخارجية من حيث مدى تواجد عنصر الاختيار أو الفرض في تقبل العناصر الحضارية الأجنبية . ويمكن القول بأن هذا الإشكال يخضع لعدة عوامل من أهمها مستوى الحضارة ذاتها من حيث أصالتها خلال مرحلة التكوين الحضاري . وإن تقبل بعض المقومات الحضارية الجديدة ودمجها في المقومات الأصلية ليعتبر في حد ذاته عملية طبيعية مرت بها كافة الحضارات خلال نشأتها وبداية استقرارها . ومن الأمثلة الهامة في هذا المجال الصلات الاقتصادية والحضارية بين مصر وبيبلوس ، فقد زادت تلك الصلات خلال الألف الثالث ق . م . إلى درجة قوية ووصلت حتى ربط تلك المدينة اللبنانية الهامة بجانب من جوانب الفكر الديني المصري القديم وذلك في أسطورة أوزيريس وست . ومن ناحية أخرى لم تكن عملية إقامة معبد مخصص لعبادة الإلهة حاتحور المصرية الأصل في مدينة بيبلوس التي توفر لها الفكر الديني السامي الأصل منذ العصر الحجري الحديث ، بالمهمة اليسيرة التقبل في مجتمع

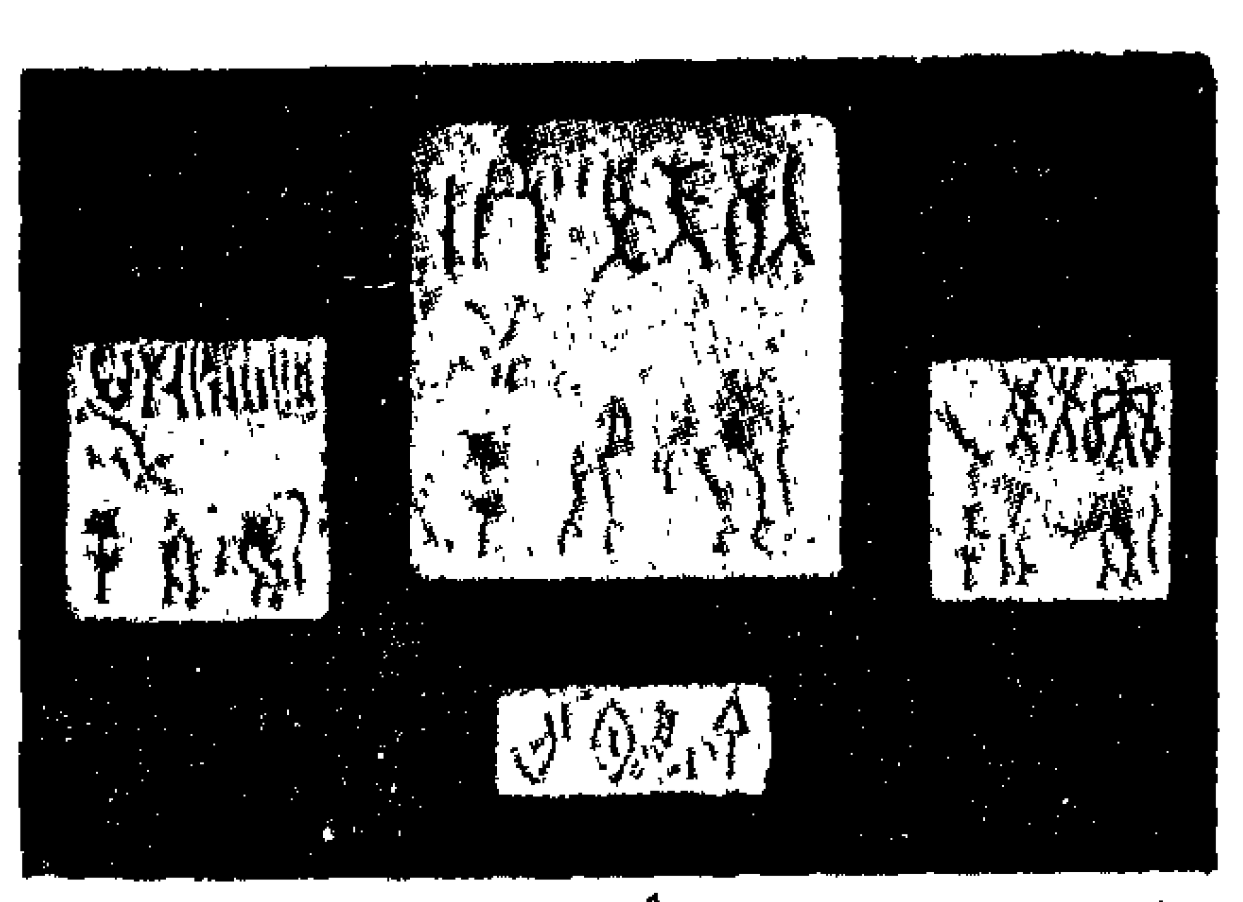
بيبلوس لولا الاتجاه الفعلي الواضح المعالم في الروح البناءة لذلك العصر بالنسبة لتقبل الأفكار الأجنبية بسماحة (١) ، كما تقبل المصريون تواجد بعض الآلهة الأجنبية الأصل في مجتمعهم . وعلى ذلك يلمس المؤرخ تواجد وجه شبه كبير بين إلهة بيبلوس والإلهة المصرية حاتحور (٢) ، كما عثر على بعض النصوص المصرية في بيبلوس تشير إلى الإله هاي – تاو إله بلاد نيجاو التي اعتبرت بأنها تنم عن منطقة بيبلوس . هذا وقد تحول هذا الإله إلى شجرة الشوح ،وقد شبه الملك ببي الأول نفسه وهو في تابوته الخشبي (٣) به . وتنبغي الاشارة إلى أن الاتصالات لم تكن في غالبيتها تحمل الصفة الرسمية بل كانت في بعض الأحيان مجرد تعامل أفراد من شعوب مختلفة مع بعضهم مما ييسر التجاوب فيما بينهم . ومثال آخر لتلك الصلات الحضارية يتضح في العلاقة بين شرقي الأناضول وشمال فلسطين وسوريا ، حيث عثر على أدلة أثرية تتجه إلى إمكانية تواجد تلك الصلات الحضارية . وهناك أيضاً الصلات الحضارية بين سومر ووادي السند والتي ثبتت حقيقتها نتيجة الدراسات المقارنة للأختام الأسطوانية من حيث زخارفها . وإن العثور على أمثلة منها وبصفة خاصة في جزيرة البحرين ليساعد أيضاً على تأكيد استخدام الطريق البحري بين الاقليمين .وقد عثر في سومر على عدد كبير من أختام السند في المواقع السومرية . ويلاحظ وجه الشبه في الزخارف بين الأختام السومرية وأختام موهنجدارو ،ولم يقتصر وجه الشبه على ذلك بل أيضاً من حيث التعبير الفني ، فقد عثر على رأس طيني في لوثال بوادي السند يشبه لحد معين التماثيل السومرية ، انظر شكل رقم (١٠١) . والواقع أن حضارة السند قد ازدهرت أثناء الألف الثالث ق . م . وكان لديها كتابتها الخاصة بها والتي تتكون من حوالي أربعمائة رمز صوري



شكل رقم (١٠١) رأس طيني من لوثال بالسند يشبه التماثيل السومرية .

(1) Cerny, J., Ancient Egyptian Relgion, London, 1952, P. 124.
(2) Delaporte, L., Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, I, Paris, 1948, P. 97.
(3) Contenau, G., «The Ancient Relgions of Western Asia,» in Relgions of the Ancient East, London, 1959, P. 75.

والتي لم تفك رموزها حتى الآن ، أنظر شكل رقم (١٠١) وبذلك خرجت حضارات الشرق الأدنى القديم عن محيط الهلال الخصيب واتجهت إلى العالم الخارجي بل ووصلت في هذا المدى حتى الصين(١) عن طريق ايران وشرقي بحر قزوين وتركستان .



شكل رقم (١٠٢) أختام من لوثال بوادي السند تظهر عليها بعض الرموز الصورية .

أما فيما يتعلق بالصلات البشرية ، فيعتمد المؤرخ في هذا المجال على الدراسات اللغوية من ناحية والنواحي الأنثروبولوجية الفيزيقية من ناحية أخرى . وقد ثبت على هذا الأساس تواجد موجات من العناصر السامية الأمورية قرب نهاية الألف الثالث ق م . غيرت من الأوضاع السياسية والحضارية في تلك المرحلة . ويصعب على الدارس التعرف على مدى تجاوب الحضارات الأصلية مع تلك التحركات البشرية ، ولكن يغلب أنه لم يكن قائماً في بادىء الأمر ، نظراً لاختلاف المستوى الحضاري فيما بينها ، ولكن سرعان ما ازدادت بعض جوانب التأثير الحضاري ، وكان في تلك الحالة قائماً من ناحية الحضارات الأصلية تجاه تلك العناصر الوافدة.

من ذلك يتبين أنه خلال الألف الثالث ق . م . ازدادت ظاهرة التفاعل بين الحضارات المحلية والأجنبية وتمكنت الأولى من تشكيل حضاراتها في إطار جديد يتضمن ما يتناسب معها من بعض عناصر الحضارات الأجنبية . وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم حضارات الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثالث قبل الميلاد إلى ثلاثة مراكز حضارية رئيسية : أولها حضارات مصر

(1) Ward, L., «The Relative Chronology of China through the Han Period,» Relative Chronologies in Old World Archaeology, Chicago, 1954, P. 130 ff.

وبلاد الرافدين وقد اتجهتا خلال الألــف الثالث ق . م . في طريق متقدم في كافة المجالات وتمكنتا من تحقيق السيادة الحضارية والسياسية بصورة واضحة وعلى الرغم من معاصرة كل من الحضارة المصرية القديمة والحضارة العراقية السومرية والأكدية لبعضهما ، فقد احتفظت كل منهما بخصالها الخاصة مع تواجد بعض ظواهر الاتصال فيمابينهما . أما القسم الثاني من حضارات المنطقة في تلك الفترة فيتمثل في الحضارات السامية في سوريا ولبنان وفلسطين ، وتعتبر تلك الحضارات بحكم موقعها الجغرافي على اتصال وثيق بالمركزين الحضاريين السالفي الذكر ، ولم يحل ذلك دون تواجد الأمثلة المحلية المتفوقة ، أما القسم الثالث في تلك الحضارات فيتمثل في الحضارة الأناضولية والحضارة العيلامية وهي تمثل نماذج حضارية لها دورها الحضاري المحدود بفترة زمنية معينة ، والمدعم بالاتصالات الحضارية الخارجية .

كل ذلك قد أعطى منطقة الشرق الأدنى القديم أثناء الألف الثالث ق . م . الشكل الحضاري المتفوق داخل الاطار الخارجي شبه الدولي في حدود المنطقة ، وسرعان ما يتسع ذلك الاطار خلال الألفين الثاني والأول ق . م . على أيدي العناصر البابلية والآشورية والحيثية والفينيقية والبابلية الكلدانيـــة والفارسية الاكمينية وبعد ذلك اليونانية والرومانية إلى أن يتحقق تعريب المنطقة بأسرها على أيدي العرب .

المراجع

ا – بالعربية :

أحمد بدوي : في موكب الشمس الجزء الأول

أحمد فخري : مصر الفرعونية

: تاريخ الشرق الأدنى القديم

: الأهرامات المصرية

سليم حسن : مصر القديمة – المجلدات الأولى .

نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم – الجزءان . الأول والثالث .

طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة

عبد الحميد زايد : مصر الخالدة

عبد العزيز صالح : مصر وحضارتها

محمد عوض محمد : سكان هذا الكوكب

ابراهيم أحمد رزقانة : العائلة البشرية

الحضارات المصرية في فجر التاريخ

محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشري

فؤاد زكريا : الانسان والحضارة في العصر الصناعي

رشيد الناضوري : المغرب الكبير في العصور القديمة

ب ــ الكتب المترجمة إلى العربية :

عبد المنعم أبو بكر ومراجعة مراد كامل : كتاب شارف : تاريخ مصر
محمد عبد الهادي شعيرة ومراجعة : طه حسين ، وتصحيح الأعلام : رشيد الناضوري كتاب ج . كونتينو : الحضارة الفينيقية .

أحمد فخري : كتاب ج . ولسن : الحضارة المصرية
: كتاب ر . لنتون : شجرة الحضارة

عباس بيومي : كتاب أ . دزيوتون : مصر

حسن كمال : كتاب ج . برستد : تاريخ مصر

ج ــ باللغات الأجنبية :

مصر :

Amer, M. & Rizkana, I., «Excavations in Wadi Digla», Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo Univ., vol. XV.

Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Culture, London, 1937.

Breasted, J. H., Ancietn Records of Egypt, 5 vols., Chicago, 1906 — 1907.

Baumgartel, E., J., The Cultures of Prehistoric Egypt, London, 1955.

Caton — Thompson, G, The Desert Fayum, Great Britain, 1934.

Cerny, J., Ancient Egyptian Religion, London, 1952.

Drioton, E. & Vandier, J., Les Peuples, de l'Orient Mediterranéen, vols. I, II, Paris, 1948.

De Bono, F. Helouan Al-Omari, Chronique d'Egypte, 1949.

————,«Expedition Archaeologique au Desert Oriental Keft-Kosseir, A.S.A., 1950.

Derry, D., E., «The Dynastic Race in Egypt,» J.E.A., vol. 42., 1956.

Engelbach, R., Introduction to Egyptian Archaeology, Cairo, 1946.

Emery, W. B., Archaic Egypt, Edinburgh, 1961.
Gardiner, A., Egyptian Grammar, London. 1950.
————, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.
Hayes, W., C., The Sceptre of Egypt, vol. I, New York. 1953.
————, Most Ancient Egypt, Chicago, 1965.
Huzayyin, S. A., The Place of Egypt in Prehistory, Cairo, 1941.
Masoulard, É., Préhistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris, 1949.
Nȧdoury, El-,R., The Egyptian Term Kha-Nswt and the Problem of the accession of the Egyptian King, manuscript, Chicago 1953.
————, Relations between Egypt and Syria during the First Part of the Egyptian Empire, Chicago, 1949.
Neugebauer, O., «Die Bedeutungslosigkeit der, Sothisperiode' fur die alteste agyptische Chronologie,» Acta Orientalia, XVII, 1939.
Parker, R., The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950.
Pirenne, J., Histoire de le Civilization de l'Egypte Ancienne, Paris, 1961.
Wilson., J. A., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.
Chiera, E., They Wrote on Clay, Chicago, 1938.

العراق والاناضول :

Frankfort, H., Sculpture of the Third Millennium from Tell Asmer and Khafajah, Chicago, 1939.
Jacobsen, T., «Primitive Democracy in Ancient Mesopotania»,Journal of Near Eastern Studies, vol. II, no, 3.,
————, The Sumerian King List, Chicago. 1939.
Kramer, S. N., The Sumerian, Chicago, 1963.
LLoyd, S. & Safar, F., «Tell Hassuna,» J.N.E.S., 1945.
————, Early Anatolia, London, 1956.
Porada, E., Mesopotamian Art in Cylinder Seals of the Pierpont Morgan Library, New York, 1947.
Parrot, A., Sumer, 1960.
Perkins, A., The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, Chicago, 1950.

Saggs, H., W., F., The Greatness that was Babylon, London, 1962.
Woolley, L., History Unearthed, London, 1963.
————, Ur of the Chaldees, London, 1950.

سوريا ولبنان وفلسطين والمغرب :

Albright, W. F., The Archaeology of Palestine, London, 1960.
Balout, L., Préhistoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1955.
Braidwood, R.J., & Braidwood, L., S., Excavations in the Plain of Antioch I, Chicago, 1960.
Contenau, G., La Civilization Phénicienne.
Dunand, M., Fouilles de Byblos, Pt. I — V.
Kenyon, K. M., Archaeology in the Holy Land, London, 1965.
Montet, P., Byblos et L'Egypte, Paris, 1929.
Olmstead, A History of Palestine & Syria.

الشرق الأدنى القديم :

Albright, W. F., The Bible and the Ancient Near East, London, 1961.
Aymard,A., & Auboyer, J., L'Orient et Grèce Antique, Paris, 1957.
Braidwood, R. J., Prehistoric men, Chicago, 1948.
The Near East and the Foundations for Civilization, Eugene, 1952.
Braidwood, R., Prehistoric Men, Chicago, 1948. «Ihe World's First Farming villages, Illustrated London News, 1956.
Childe, G., New Light on the Most Ancient East, London, 1958.
————, Man Makes Himself, London, 1948 .
————, Social Revolution, London, 1951.
Cole, S., Neolithic Revolution, London, 1961.
Delaporte, L., Les Peuples de l'Orient Méditerraneen, I, Paris, 1948.
Dow, J. L., Dictionary of the Bible, Great Britain, 1964.
Drioton, E., Conteau, G., Duchesne — Guillemin, J., Religions of the Ancient Near East, London, 1959.

Ehrich, K. W., Relative Chronologie in Old World Archaeology, Chicago, 1954.

Finegan, J., Light from the Ancient Past, Princeton, 1946.

Frankfort, H., Wilson, J., Jacobsen, T.; Irwin, W. A.; The Intellectual Adventure of Ancient Man, Chicago, 1946.

————, Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

————, The Art and Architecture of the Ancient Orient, London, 1958.

Gelb, I.J., A Study of Writing, London, 1952.

Jacobsen, T., «The Assumed Conflict between Sumerians and Semites in Early Mesopotamian History,»Journal of American Oriental Society, vol. 59.

Kantor, H., «Further Evidence for Early Mesopotamian Relations with Egypt,» J.N.E.S., vol. XI.

Krogman, W. M., Human Evolution, Chicago, 1949.

Kramer, S. N., «The Indus Civilization and Dilmun, the Sumerian Paradise Land,» Expedition, Philadelphia, 1964.

Libby, W. F., Radiocarbon Dating, Chicago, 1952.

LLoyd, S., The Art of the Ancient Near East Great Britain, 1963.

Mallowan, M. E. L., Early Mesopotamia and Iran, London, 1965.

Mellaart, J., Earliest Civilizations of the Near East, London, 1965.

————, The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia, Beirut, 1960.

Oakley, K. P., Man the Tool - Maker, London, 1963.

Pritchard, J. B., The Ancient Near East, An Anthology of Texts and, Pictures, Princeton, 1958.

Redfield, R., The Primitive World and its Transformations,New York, 1957.

Sollberger, E., The Flood, London, 1962.

Smith, W. S., Interconnections in the Ancient Near East, London, 1965.

Turner, R., The Great Cultural Traditions, I, New York, 1941.

Vercoutter, J., L'Egypte et le Monde Egéen Préhellénique, Le Caire, 1956.

Ward, W., «Egypt and the East Mediterranean from Predynastic Times to the End of the Old Kingdom,»Journal of the Economic and Social History of the Orient, 1963.

Hawkes, J. & Wooley, L., Prehistory and the Beginnings of Civilization London. 1963.

Wright, G., E.; & Filson, F., V., The Westminester Historical Atlas to the Bible, Philadelphia, 1946.

فهرس الأشكال

١٣ ـ منظر لكوم و شمال شرق بحيرة قارون .

١٤ ـ سبت من حضارة الفيوم أ .

١٥ ـ منجل من الفيوم أ يتكون من السلاح الظراني المعشق في اليد .

١٦ ـ جرن من الحجر الجيري من كوم و مع هراسات القمح .

١٧ ـ أقدم مثال لنسيج كتاني من الفيوم أ .

١٨ ـ أواني فخارية متعددة الأشكال من مرمدة بني سلامة .

١٩ ـ هيكل عظمي من حلوان العمري ، ويلاحظ وجود الصولجان بجوار يد المتوفي كرمز لرئاسته للمجتمع .

٢٠ ـ حبوب قمح متكربنة من جرمو .

٢١ ـ آنية حجرية من جرمو .

٢٢ ـ أساس منزل من العصر الحجري الحديث في جرمو .

٢٣ ـ العناصر الرئيسية في حضارة جرمو في المرحلة السابقة للصناعة الفخارية .

٢٤ ـ حيطان متتالية تنتمي إلى العصر الحجري الحديث في جريكو .

٢٥ ـ البرج الحجري الكبير من العصر الحجري الحديث في جريكو .

٢٦ ـ رأس مكسوة بالجص فوق الجمجمة من العصر الحجري الحديث في جريكو .

٢٧ ـ مثال آخر لرأس مكسوة بالجص في جريكو ويلاحظ وجود الخطوط بالجزء العلوي من الجمجمة .

٢٨ ـ ستة أختام حجرية من العمق وتتميز برسومها الهندسية مثل الخطوط المتقابلة .

٢٩ ـ فخار من جبيل ينتمي إلى مرحلة العصر الحجري الحديث .

٣٠ ـ تمثال حجري صغير من الحجر الجيري من جبيل وينتمي إلى العصر الحجري الحديث .

٣١ ـ مجموعة هياكل عظمية انسانية مدفونة تحت أرضية معبد في تل تشاتال .

٣٢ ـ دفن الموتى في سلة في موقع تل تشاتال .

٣٣ ـ ترميم لمعبد في تل تشاتال مزخرف برسوم ملونة على الحائط تمثل نسور تبقر الأجسام البشرية .

٣٤ ـ مقبرة لسيدة ويلاحظ تواجد التراب الأحمر والسلقون وأكسيد الزئبق فوق الجمجمة .

٣٥ ـ خاتم انطباعي من الطين يحمل شكل زهرة بأوراقها عثر عليه في أحد المقابر .

٣٦ ـ تمثال من الرخام لإله جالس .

٣٧ ـ مقعد في معبد ويلاحظ تواجد قرون سبعة ثيران فيه وهي رموز للإله الثور .

٣٨ ـ فخار من يونس بجوار قرقميش شمال سوريا وأيضاً في رأس شمرا وفي العمق ج وينتمي إلى عصر الحجر والنحاس .

٣٩ ـ بقايا منازل دائرية وأفران من عصر الحجر والنحاس من يونس شمال سوريا .

٤٠ ـ رسم ملوّن على الحائط في تليلة الغسولة تظهر فيه نجمة كبيرة تحيط بها رسوم ورموز وإلى اليمين ترميم للمبنى .

٤١ ـ مستودع عظام في شكل مسكن ينتمي إلى الحضارة الغسولية .

٤٢ ـ بقايا معمارية عبارة عن معبد ينتمي إلى الحضارة الغسولية .

٤٣ ـ درج يؤدي إلى منزل سفلي ينتمي إلى حضارة بئر سبع .

٤٤ ـ تمثال من العاج لامرأة ينتمي إلى حضارة بئر سبع .

٤٥ ـ فخار ذو أيدي مموجة .

٤٦ ـ الطبقة ١٣ من معبد ثبة كورا والمنتمي إلى عصر حضارة العبيد ويلاحظ وجود ظاهرة الفجوات المنتظمة .

٤٨ ــ منظر عام لموقع موهنجدارو .
٤٩ ــ فخار المرحلة الحضارية العمق ه وتمثل مرحلة عصور مــا قبل الأسرات الأولى ويلاحظ تشابه فخارها بفخار حضارة العبيد .
٥٢ ــ المعبد الأبيض فوق زقورات ترجع إلى عصر حضارة العبيد .
٥٣ ــ أ ــ زقورة أور في عهد الأسرة الثالثة .
ب ــ زقورة أور في عهد الأسرة الثالثة مرممة .
٥٤ ــ طبعة خاتم اسطواني من المرمر تظهر فيها حيوانات ذات قرون أمام معبد وتنتمي إلى عصر حضارة جمدة نصر .
٥٥ ــ طبعة خاتم اسطواني من عصر حضارة الوركاء ويمثل منظراً لصناعة جلدية .
٥٧ ــ رسوم لبعض الأواني الفخارية العراقية التي عثر عليها في مصر .
٥٨ ــ جزء من لوحة نعرمر وتظهر فيها الحيوانات المتشابكة .
٥٩ ــ يد سكين جبل العرقي ، وتظهر فيها بعض المؤثرات الحضارية السومرية .
٦٠ ــ مقبرة الملكة نيت حتب في نقاده وتظهر فيها ظاهرة الفجوات المنتظمة .
٦١ ــ نحت متقن للغاية لسيدة عثر عليه في الوركاء ينتمي إلى عصر مــا قبيل الكتابة .
٦٣ ــ أمثلة من الأواني الفخارية في سوسه (السوس) .
٦٤ ــ مثال لفخار برسبوليس وتظهر فيه الزخرفة المعتمدة على أشكال قرون الوعل .
٦٥ ــ نسخة من الأسطر الأخيرة للوحة الطوفان مع الدلالة الصوتية وترجمتها العربيـــة .
٦٦ ــ منظر يمثل الفجوة التي عثر في جزئها السفلي على طبقة الغرين السميك .
٦٧ ــ أمثلة لتطور الكتابة الصورية إلى الخط المسماري .
٦٨ ــ مثال مبكر لبداية التعبير بالرموز ينتمي إلى عصر حضارة الوركاء وهو لوحة تعتبر بمثابة دفتر حسابات .

٦٩ — رموز هيروغليفية مصرية معبرة عن صور انسانية وحشرية وحيوانية ونباتية مستمدة من البيئة الطبيعية المصرية القديمة .
٧٠ — رأس الملك نعرمر .
٧١ — لوحة الملك نعرمر .
٧٢ — الرقعة العاجية التي عثر عليها في مقبرة نيت — حتب في نقادة .
٧٣ — ستة تماثيل برونزية لإناث وذكور في العمق س تنتمي إلى فترة النقلة إلى بداية العصر التاريخي .
٧٤ — لوحة أور المعبرة عن الحرب والسلام .
٧٥ — رأس الإله آبو من معبده المربع في تل أسمر .
٧٦ — رأس إلهة الأمومة من المعبد المربع للاله آبو في تل أسمر .
٧٧ — لوحة حجرية من تل العبيد يتضح فيها اسم الملك مس — آن — ني — باد — دا أول ملوك أسرة أور الأولى .
٧٨ — بعض الكنوز الذهبية الخاصة (بالملكة) السومرية شوب — آد التي عثر عليها في الجبانة الملكية في اور ، وهي أواني ذهبية ورأس ثور وخوذة ذهبية .
٧٩ — كبش في غابة صغيرة مزين بالأصداف واللازورد والذهب .
٨٠ — أ — رسم مقبرة (الملكة) شوب — آد ويلاحظ تواجد هياكل أفراد الحاشية والمركبات وهياكل ثيرانها .
ب — حاشية (الملكة) شوب — آد كما يتخيل أنها كانت أصلا قبل حفل التضحية البشرية مباشرة .
٨١ — رأس الملك شاروم — كين .
٨٢ — لوحة النصر للملك نارام — سن .
٨٣ — نحت للملك آنو بانيني ملك اللولو سجل فيه انتصاراته .
٨٤ — جوديا .
٨٥ — لوحة بناء الزقورات للملك اور — نامو .

٨٦ـ رأس ذهبي لصقر محنط عثر عليه في الكوم الأحمر وينتمي للأسرة السادسة .
٨٧ـ منظر لمقبرة الوزير مريروكا من الداخل ، من الأسرة السادسة في سقارة ويلاحظ النقوش المتعددة على الجدران .
٨٨ـ مناظر رقص وموسيقى منقوشة على جدران مقبرة نتحفتكا من الأسرة الخامسة في سقارة .
٨٩ـ باب وهمي في مقبرة اتي من الأسرة السادسة بسقارة .
٩٠ ـ بعض الأعمدة المستندة إلى حائط في مجموعة زوسر الجنزية .
٩١ ـ تمثال للملك خفرع من حجر الديوريت يحميه الصقر رمز الإله حورس .
٩٢ـ تمثال الملك خع سخم وي من حجر الشست في متحف الأشمولي في أكسفورد .
٩٣ ـ تمثال الأمير رع حتب وزوجته الأميرة نفرت من الأسرة الرابعة من ميدوم .
٩٤ ـ تمثال شيخ البلد مصنوع من خشب الجميز عثر عليه في سقارة وينتمي إلى الأسرة الخامسة .
٩٥ ـ نصوص الأهرام في هرم الملك ببي الثاني جنوب سقارة .
٩٦ ـ رأس الملك سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة من حجر الكوارتز الأحمر .
٩٧ ـ المدخل الشمالي الشرقي لمدينة بيبلوس .
٩٨ ـ تخطيط لأحد المباني العامة في خربة كرك .
٩٩ ـ فرن مزدوج عثر عليه في العمق ش .
١٠٠ـ رسوم لبعض الأواني الفخارية السورية المنتمية للمرحلة الثانية من عصر البرونز الأول والتي عثر عليها في مصر .
١٠١ ـ رأس طيني من لوثال بالسند يشبه التماثيل السومرية .
١٠٢ ـ أختام من لوثال بوادي السند تظهر عليه الرموز الصورية .

فهرس الجداول

فهرس الخرائط

فهرس الاعلام


Bibliotheca Alexandrina
0222857